

إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس

تأليف

ابن زيدان: عبد الرحمن بن محمد السجلماسي

(١٢٩٠ - ١٣٦٥هـ)

تحقيق

الدكتور على عمر

بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية

بجامعة المنيا والإمام بالرياض

ومن الباحثين بمركز تحقيق التراث (سابقا)

الجزء الرابع

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

الطبعة الاولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨
حقوق الطبع محفوظة للناشر
الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٢٦ شارع بورسعيد - القاهرة
٢٥٩٣٦٢٧٧ / فاكس: ٢٥٩٣٨٤١١ /
E-mail: alsakafa_aldinay@hotmail.com

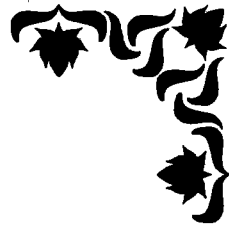
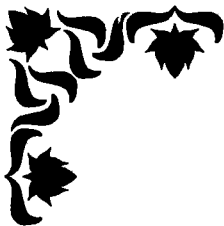
بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

اتحاد اعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس ج ٤
تأليف: ابن زيدان عبد الرحمن بن محمد المكناسي ، تحقيق: علي عمر
- ط ١ - القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ٢٠٠٨
٥ مج : ٢٤ سم
تكمك : ٦ ٣٩٢ ٣٤١ ٩٧٧
١- الفقهاء - معاجم
أ- عمر ، علي (محقق)
ب- العنوان

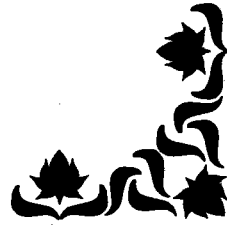
ديوى : ٩٢٢،٥٨

رقم الابداع : ٢٠٠٨/٧٦٦٩





إتخاف أعلام الناس
بجمال أخبار حاضرة مكناس
لابن زيجان



بسم الله الرحمن الرحيم

وصلح الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

٢٠٦- محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن غازي العثماني
الأصل.

نسبة إلى أبي عثمان، وهو من قبيلة كتامة حسبما ذكر ابن خلدون، كذا قال عن نفسه، والذي في ترجمة الشيخ عبد الله بن عبد الرزاق العثماني من نشر المثاني أن نسبتهم إلى العثامنة بطن من مختار حوز مكناسة الزيتون والله أعلم، المكناسي النشأة والدار، الفاسي الرحلة والإقبار.

حاله: عالم العصر، وبركة القطر، المتفنن الذي لم يسمح الزمان له بمثيل، بحر زخار تتلاطم أمواج تحقيقه، حافظ حجة، فرضي حيسوبي عروضي خطيب، جامع شتات الفضائل، مقرئ مجود صدر في القراءات متقن لها عارف بوجوهها وعللها، طيب النغمة، عذب المنطق، حسن الإيراد والتقرير، فصيح اللسان، عارف بصناعة التدريس، ممتع المجالسة، جميل الصحبة، سرى الهمة نقى الشبهة، حسن الأخلاق والهيئة، عذب الفكاهة، معظم عند الخاصة والعامة، نصوح، قائم بعلم التفسير والفقه والعربية والحديث حافظ له واقف على أحوال رجاله وطبقاتهم ضابط لذلك كله معتن به ذاكر للسير والمغازي والتاريخ والآداب.

رحل لفاس في طلب العلم قال عن نفسه: وأظن رحلتى سنة ثمان وخمسين وثمانمائة فأقمت بها ما شاء الله تعالى، ولقيت من الأشياخ بالمدينتين جماعة ذكرت مشاهيرهم في الفهرسة التي سميتها بالتعلل برسوم الإسناد، بعد

٢٠٦ - من مصادر ترجمته: جذوة الاقتباس ١/ ٣٢٠، دوحة الناشر في موسوعة أعلام

المغرب ٢/ ٨٣١.

انتقال أهل المنزل والناد، ثم عدت إلى مدينة مكناسة فأقامت بها بين أهلى وعشيرتى زمانا انتهى .

ولقد أنفق عمره فى طلب العلم والعكوف على نشره وتقييد شوارده .

ولى خطابة مكناسة الزيتون وتصدر للتدريس بجامعة الأعظم، ثم خطبة فاس الجديد لما نفى من بلده مكناسة على عهد محمد بن أبى زكرياء الوطاسى، قال فى درة الحجال فى ترجمة محمد بن يوسف التلافى: حدثنى أن ابن غازى لما نفى من مكناسة نفاه محمد بن أبى زكرياء بن يحيى بن عمر الوطاسى الملقب بالحلو لقيه بباب مكناسة وهو خارج منها قاصدا المشرق، أعنى كان فى ظنه ذلك، ثم حبسه أهل فاس عندهم فقال له يوصيه: يا محمد عليك بالقراءة فمن بركتها بلغت هذا المنصب، وهذه الخطبة - يعنى خطة الجلوس لحراسة الأبواب - فكان ابن غازى يسلى نفسه بعد ذلك بقوله، وكان أمير فاس يومئذ محمد بن أبى زكرياء (١) انتهى .

ثم لما انتقل لفاس واستوطنها رشح لخطبة فاس الجديد، ثم للخطابة والإمامة بجامع القرويين والتدريس، ولم يكن فى عصره أخطب منه، وكان يسمع فى كل رمضان صحيح الإمام البخارى، رحل الناس للأخذ عنه وتنافسوا فيه، وتخرج عليه عامة طلبة فاس وغيرها، وكان شيخ الجماعة بها، وبالجمللة فقد فاق أهل زمانه وتبرز عليهم فى سائر الفنون، وهو آخر المقرئين وخاتمة المحدثين .

جاهد بنفسه وحضر فيه مواقف عديدة، ورابط فيه مرات كثيرة، وخرج فى آخر عمره لقصر كتامة للحراسة فمرض ورجع لفاس فاستمر به إلى أن توفى .

وفى بذل المناصحة، فى فعل المصافحة، لأبى العباس أحمد بن على البوسعيدى أن المترجم كان متخذاً من يبحث له عن الأخبار الرائجة ويأتيه بها

(١) درة الحجال ١٨٢/٢ .

مكتوبة فى كرارىس كل يوم الأربعاء فى نصفها يوم الخميس يوم تعطىل الدروس انتهى .

مشىخته: منهم أبو عبد الله محمد بن قاسم القورى المكناسى لازم مجلس درسه فى المدونة أعواما، وسمع علىه كثيرا من الموطأ رواية يحيى بن يحيى الليثى، وسمع علىه السير لابن إسحاق رواية عبد الملك بن هشام وتهذيبه بحثا وتفقهها، وسمع علىه بعض مدارك القاضى عياض وبعض مختصر الجوزقى وبعض وثائق أبى القاسم الجزيرى، وبعض المختصر الخليلى، وبعض المدونة زائدا على ما فى مجلس درسه العام، وسمع علىه أيضا تبجرا وتوسعا بعض التفسير وبعض رسالة الشيخ ابن أبى ريد، وبعض الماردى على الألفية وغير ذلك.

ومنهم الشيخ النظار أبو العباس أحمد بن عمر المزجلدى المتوفى بفاس عام أربعة وستين وثمانائة قال: ما أدركنا بفاس أعلم منه بالمدونة، كانت نصب عينيه يستظهر نصوصها ويسردها عند الحاجة سردا، وإذا قعد لإقراءها تسمع منه السحر الحلال، ينقل عليها كلام شارحيها بالفاظهم بلا تكلف، ثم يكر على أبحاثهم فيبين من أين أخذوها منها، ويقول: إنهم فهموها ففسروا بعضها وضربوا أولها بآخرها وآخرها بأولها، قال: ولم يكن يقرر فى مجلسه إلا الفقه الساذج، ولازمت مجلسه بمدرسة مصباح مدة، سمعت منه فيها بعض رزمة البيوع.

ومنهم الحافظ المكثّر الخطيب أبو على الحسن ابن منديل المغىلى المتوفى بفاس عام ثلاث وستين وثمانائة، لازم مجلسه بجامع القرويين مدة، سمع علىه فيها رسالة أبى محمد، قال: وسألته واستفدت منه.

ومنهم الولى الصالح أبو زيد عبد الرحمن بن أحمد بن أبى القاسم القرمونى القيسى المتوفى عام أربعة وستين، قال: جالسته كثيرا واستفدت منه، وحضرت مجلسه بجامع القرويين فى الرسالة.

ومنهم أبو زيد عبد الرحمن المجدولى المشهور بالتونسي، كان ربما حضر مجلسه واستفاد منه بعض الشيء، وكان مبرزاً في علم المعقول وعنه كان يؤخذ بفاس.

ومنهم أبو زيد عبد الرحمن الكاواني دفين مكناسة، قرأ عليه الرسالة وختمتين في فرائض التلقين تفقها وعملا، وبعض الألفية، وسمع عليه بعض المدونة وبعض تفريع ابن الجلاب، قال: وكان إماماً في أصول الدين فتح بصائرنا فيها وفي أصول الفقه.

ومنهم أبو الحسن بن منون الحسنى المكناسى ختم عليه ختمات كثيرة من القرآن العزيز، وتقرن عليه في الفرائض والوثائق وإعراب القرآن العزيز وأوقافه، واستفاد منه كثيراً.

ومنهم أبو العباس أحمد بن سعيد الحباك المكناسى، قرأ عليه نحو ثلث شرح ابن عقيل تحقيقاً وتدقيقاً لا سيما شواهد الشعرية، وقرأ عليه نظمه لبيوع ابن جماعة قراءة تحقيق وتدقيق وبحث وتغلغل، كانت سبباً في رجوعه عن بعض أبيات الرجز المذكور تبديلها بغيرها، ولازم مجالسته واستفاد منه كثيراً.

ومنهم أبو عبد الله محمد بن الشيخ أبى عبد الله محمد بن جابر الغسانى الآتى قريباً المكناسى، جالسه بمكناسة واستفاد منه كثيراً، ومن أغبط ما أخذ عنه المصافحة المروية عن الخضر، قال: صافحنى بالمسجد الأعظم من مكناسة الزيتون، وقال: صافحنى والذى الأستاذ أبو عبد الله محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى ابن جابر، وقال: صافحنى الشيخ الفقيه العالم الصالح الزاهد الأكمل أبو عبد الله محمد بن على المراكشى المعروف بابن عليوات بيده المباركة، وأمرنى أن أشد على يده، وقال لى: إن معنى ذلك الاشتداد فى الدين فشددت وذلك بالجامع الأعظم من مدينة مكناسة حرسها الله تعالى فى أوائل عام اثنين وثمانائة، وأخبر أنه

صافحه كذلك أبو عبد الإله الصدفى ، وصافح أبا عبد الإله الصدفى أبو العباس ابن البناء، وصافح أبا العباس ولى الله تعالى أبو عبد الله الهزميرى أخو ابن أبى زيد الهزميرى وشيخه، وصافح الهزميرى أبو العباس الخضر. وصافح الخضر سيدنا ونبينا محمد ﷺ وشرف وكرم ومجد وعظم.

وكذلك صافحنى الشيخ العدل المبارك أبو خالد يحيى بن خالد بن أبى بكر ابن يحيى بن خالد، قال: صافحنى والدى المذكور، والشيخ الفقيه المفتى أبو محمد عبد الله بن محمد بن موسى بن معطى العيدروسى، قال: صافحنا الأستاذ أبو عبد الله بن جابر المذكور بمثل السند المذكور انتهى من خطه.

ومنهم العلامة أبو عبد الله محمد بن الحسين بن محمد بن حمادة الأوربى النيجى الشهير بالصغير، المولود بالحر من بلاد نيجة بطن من أوربة عام ثلاثة وثمانائة، المتوفى بفاس ليلة سادس شعبان عام سبعة وثمانين وثمانائة، وكان متبحرا فى القراءات وأحكامها، وبلغ فى النحو مبلغا لم يصل إليه أحد من أتراه ولا من أشياخه، لازمه كثيرا وقرأ عليه القرآن ثلاث ختمات آخرها للقراءة السبعة على طريقة الدانى، وحدثه بذلك عن شيخه أبى العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبى موسى الشهير بالفلالى، وأبى الحسن على بن أحمد الورتناجى الشهير بالوهرى، وأخذ عنه بحثا وتدقيقا لامية الأفعال وبعض كتاب سيبويه، وإيضاح أبى على، والتسهيل، والمغنى، والبداية والهداية للغزالي وغيرها، وروى عنه بعض المصنفات فى القراءات والفقه والحديث بأسانيده إلى أربابها.

ومنهم أبو الحسن الأنفاسى، وأبو سالم إبراهيم المعروف بالحاج من شيوخ فاس المهرة، وكانا من شيوخ شيخه الصغير المذكور، قال: وقد شاركته فى لقاء هذين الأخيرين - يعنيهما - وحضرت مجلسيهما.

ومنهم القاضي أبو محمد عبد الله بن عبد الواحد الوريا-جلى قال: جالسته
وذاكرته كثيرا واستفدت منه كثيرا فى الفقه وأصوله وأصول الدين، وأجازنى
متلفظا وخاطا جميع ما حملة عن شيوخه، وكان ذلك فى ربيع الثانى عام ستة
وثمانين وثمانمائة.

ومنهم الفقيه الصالح الورع أبو عبد الله محمد بن يحيى البادسى، قال:
جالسته كثيرا وصاحبته فى السفر مرارا، واجتمعت معه ومع غيره على قراءة جمع
الجوامع لابن السبكي تفقها وبحثا، وعلى المذاكرة فى العلم، ثم ذكر أنه أجازته
فيما يرويه عن شيخه الصالح المؤلف عبد الرحمن بن مخلوف الثعالى، وهو يروى
عن أبى زرعة بن الحافظ العراقى.

ومنهم الأستاذ المحقق أبو الفرج محمد بن محمد بن موسى بن أحمد
الطنجى قال: جالسته كثيرا للمذاكرة واجتمعنا بجامع القرويين عمّره الله تعالى
على قراءة صحيح البخارى حتى ختمناه تحقيقًا وبحثًا، ومطالعة لما نحتاج إليه من
الغريب ونحوه، وذكر أنه قرأ عليه بعضه وبعض مسلم وأجازته فى سائرهما، وقرأ
عليه فهرسة أبى شامل الشهنى، وفرغ من ذلك كله بفاس فى محرم عام ستة
وسبعين وثمانمائة.

ومنهم الفقيه أبو عبد الله بن العلامة الراوية أبى سعيد بن أبى محمد عبد
الله بن أبى سعيد السلوى شيخ شيخه الطنجى المذكور قال: أدركته وجالسته ولكن
ما كتب لى أن أروى عنه إلا بواسطة هذا الشيخ، وبواسطة شيخنا أبى عبد الله
الصغير.

ومنهم الشيخ المبارك أبو عبد الله محمد بن أبى القاسم محمد بن يحيى بن
أحمد بن محمد النفزى الحميرى الشهير بالسراج، يروى عنه بالإجازة العامة عام
سنة وسبعين وثمانمائة عن أبيه عن جده مسند فاس أبى زكريا المذكور.

ومنهم المحدث الرحال أبو محمد عبد القادر زين الدين بن عبد الوهاب بن أحمد البكرى المقدسى الشامى المولد المتوفى ببلاد مزاورة البربر، كان قدم المغرب سنة ثمانين وثمانمائة، قال: فجالسته وذاكرته فى الفقه وغيره وربما كنت أذكر مذهب مالك فى الفرع ويذكر فيه مذهب الشافعى، وربما يملى فى ذلك نص المنهاج، وكان مستحضرا له واستفاد بعضنا من بعض فوائده جمة، وكان له نظر فى الحساب فاستجازنى فى الرجز الذى لفقته فيه المسمى بمنية الحساب فأجزتها له، وحمل منها نسخة بخطى واستجزته فيما حمله عمن لقى بالعراق والحجاز والشام ومصر فأجاز لى جميع ذلك إجازة عامة.

ومنهم الحافظان المصريان: أبو عمرو عثمان الديمى، وأبو عبد الله محمد ابن عبد الرحمن السخاوى، حصل على إجازتيهما عام خمسة وثمانين وثمانمائة بواسطة الشيخ زروق الذى استدعى الإجازة منهما لصاحب الترجمة ولولده أحمد، ولللقهاء: عيسى الماواسى، وأحمد بن يحيى الونشريشى، وموسى العقدى، وقاضى الجماعة محمد بن محمد بن عيسى بن علال المصمودى.

ومنهم الراوية المحدث المتفنن أبو عبد الله محمد بن شيخ الإسلام أبى عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبى بكر بن مرزوق العجيسى، يروى عنه هو ولولده أحمد بطريق الإجازة العامة التى بعثها إليهما متلفظا بذلك وأمرًا لتعذر بصره بكتابته.

الآخذون عنه: ممن أخذ عنه العباس الصغير، ومحمد بن على الحسنى التلمسانى شارح الشفا، أخذ عنه سنة ثلاثة عشر وتسعمائة كما صرح بذلك صدر شرحه للشفا، وأحمد الدقون، والمفتى على بن هارون، وأحمد باب التنبكتى،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 حَلَالٌ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
 خَالٍ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
 الْعُمَانِيُّ الْفَخْرِيُّ وَفِيهِ اللَّهُ تَعَالَى بِرِضَاهُ
 وَاللَّهُ الَّذِي حَقَّ بِهِ الْوَكِيلُ الْفَخْرِيُّ الْعَمَلِيُّ وَالْفَخْرِيُّ
 وَالْفَخْرِيُّ الْعَمَلِيُّ وَالْفَخْرِيُّ الْعَمَلِيُّ وَالْفَخْرِيُّ الْعَمَلِيُّ
 وَمَجْدُهُ أَبُو الْبَرِّ وَالصَّبْرُ وَالْقِيَامُ وَالْحُسْنُ وَالْجَمِيلُ
 بِأَخْبَارِ مَكْنَسَةِ التَّوْبَتَيْنِ مَسْفُوحَاتِ رَأْسِهِ وَمَحَلِّ الْأَنْبَسِ
 بِلَادِهِمَا نَيْفَتُهُ عَلَى عَمَلِهِ وَأَوَّلُ أَرْحُوسٍ جَلْدُهُ تَشْرَاهُمَا
 وَالْمَعْرُوفُ هَذَا السِّلْسِلَةُ هَذِهِ لَهَا طَائِفَةٌ لَيْتَ تَارُغُ عَنْ مَكْنَسَةِ تَارُغُ وَكَانَ
 تَابِلُزْنَانَةُ فَمِثْلُهَا بِهَا لَمْ يَكُنْ سَمِيحٌ مِنْهُ خَيْرٌ تَارُغُ تَارُغُ فَمِنْ مَدِينَةٍ
 تَارُغُ بَيْنَهُمَا خَوْسِدَةُ بَرْدٍ وَمِنْهُ مَحْذُوزَانُ بِهَا الْمَوْضِعُ الْمَرَادُ عَرَابُهُ
 مَدِينَةُ دَارِ بَيْنَهُمَا خَوْسِدَةُ بَرْدٍ وَنَصِيحَةُ بَرْدٍ بِمَدِينَةٍ أَحْرَامُهَا عَمَلٌ
 بِهَا خَيْرٌ عَلَى الْأَصِيفَةِ الْبَيْدِ وَمَكْنَسَةُ الرِّبَازِ لَهَا وَأَيْضًا عَمَلٌ فِي الْقَبْرِ
 وَيَعْرِفُ لَهَا بِأَنَّ عَمَلَهُ وَمِنْهُ يَفْعَلُ شَيْخٌ شَيْخُ خَلْفَةِ الْأَمِيرِ الْبَرِّ
 بِرَحْلَةِ الْتَسْلَانِ فِي أَرْحُوزَةِ الْمَسَامَةِ بِمَدِينَةِ الْفَاخِرِ كَلَنْ جَلْدُ
 بَلَنْ تَرُغُ فِي سَابِرِ الْعَمَلِ بِرِضَاهُ مَثَلُ عَمَلِهِ فِي عَمَلِهِ

الصحيفة الأولى من الروض الهتون بخط مؤلفه إمام الأئمة وبهجة

الأئمة أبي عبد الله محمد بن أحمد بن غازي

وعبد الواحد الونشريسي، ومحمد بن شقرون بن أبي جمعة المغراوي ثم الوهراني المتوفى في حدود تسع وعشرين وتسعمائة، وأبو عبد الله محمد بن عدة الأندلسي المتوفى سنة خمس وسبعين وتسعمائة على ما في لقط الفرائد في خلق لا يحصون.

وقد وقفت على إجازته لولديه أحمد ومحمد والونشريسي وابن هارون والإخوة محمد وعبد الرحمن، وأحمد أولاد محمد بن إبراهيم الدكالي ومحمد ابن عبد الواحد الغزال بخطه على ظهر فهرسته التي بخطه.

مؤلفاته: منها شفاء الغليل، في حل مقفل خليل، في جزء أوضح فيه هفوات وقعت لبهرام ومواقع مشكلة من المختصر أجاد فيها ما شاء من أحسن الموضوعات عليه، وتكميل التقييد وتحليل التعقيد، على المدونة كمل به تقييد أبي الحسن الزرويلي، وحل مشكل كلام ابن عرفة في مختصره في ثلاثة أسفار كبار. وحاشية لطيفة على الألفية مفيدة نبه فيها على مواضع من كلام المرادى مع نقل زوائد الإمام الشاطبي وتحقيقاته العجيبة وهي بخزائتي، ومنية الحساب وشرحها المسمى بغية الطلاب في مجلد مطبوع متداول، وذيل الخرجية في العروض وشرحه المسمى بإمداد أبحر القصيد ببحرى أهل التوليد، وإيناس الإقعاد والتجريد بجنسهما من الشريد، ونظم مشكلات الرسالة، وحاشية لطيفة على البخارى في نحو أربعة كراريس، وإنشاد الشريد في ضوال القصيد، تكلم فيه على الشاطبية، والمطلب الكلى، في محادثة الإمام القلى، والجامع المستوفى، بجداول الخوفى، والمسائل الحسان، المرفوعة إلى حبر فاس والجزائر وتلمسان، ونظم مراحل الحجاز، وشرحه. ومؤلف صغير في ماحيا^(١) سماه مذاكرة ابن إسحاق بن يحيى. وإسعاف

(١) في هامش المطبوع: يعنى الخمر المقطر من التين غالبا كان اليهود يتجرون فى ذلك بكثرة، أما اليوم فقد قل ذلك جدا لمقاومة الحكومة لهم ولاتفاق الأطباء على ضرر ذلك بالصحة العامة.

السائل فى تحرير المقاتل والدلائل، ونظم فواصل المقال وشرحه، واستنبط من حديث أبى عمير ما فعل النغير مائتى فائدة وترجمها، قال فى نيل الابتهاج: وقد وقفت على التراجم، والروض الهمتون، فى أخبار مكناسة الزيتون، وفهرسة شيوخه المسماة بالتعلل برسوم الإسناد، بعد انتقال أهل المنزل والناد، وذيلها الذى ذكر فيه إجازة ابن مرزوق له والثلاثة توجد بخطه فى خزانتنا فى مجلد فرغ من الفهرسة أواسط شعبان عام ستة وتسعين وثمانمائة وفرغ من ذيلها عام خمسة وتسعمائة وكان يكتب التسعمائة والثمانمائة مفصولتين.

ومن مؤلفاته كليات فقهية على مذهب المالكية مرتبة على الأبواب قال أولها: وكان سبب جمعنا لها إقامتنا فى بعض الأيام بطريق تامسنا حين توجهنا للقاء مع الشاوية حين طلبوا على ذلك فى أوائل عام ثلاثة وتسعين وثمانمائة وهى مطبوعة.

شعره: له مقطعات منتشرة ضمنها فوائد فقهية وفرائد تاريخية من ذلك قوله لما نفى من مكناسة:

طلقت مكناسة ثلاثا	والشرع يأبى الرجوع فيه
ليست بدار سوى لقاض	أو عامل الجور أو سفيه
وقوله:	

السمن والزبد والأجبان مع أقط	لا تبتعن بعضها بالبعض إذ منعنا
والجبن إن بعته بالمثل من أقط	فلا يراه أبو إسحاق ممتعنا
وله أيضا فى حل الأعداد إلى أيمتها التى تركب منها:	

إذا عدد قد حل سفر بعده	فعشر له والخمس والنصف فى الطبع
------------------------	--------------------------------

وإن خمسة فالخمس والزوج إن يفد
وإن تبقى ست أو ثلاث فإنه
ثمان فإن أفنت بثمن وضعفه
وإن غيرها فاطرح بسبع فإن أبى
وفردا إذا يفنى بتسع فإنه
وإن تبقى منه ستة أو ثلاثة
وإلا أصم خالص أو مركب
وقد كملت والحمد لله وحده
على المصطفى المبعوث من آل هاشم
ومما ينسب إليه :

أقمت بمكناسة مدة أعلم أبناءها ما الكلام
فلما توهمه بعضهم على به بخلوا والسلام

ولادته: ولد بمكناسة الزيتون عام ثمانية وخمسين وثمانمائة وهو خلاف ما
قال الشيخ المنجور على ما فى كفاية المحتاج من أنها عام واحد وأربعين وثمانمائة.
وفاته: توفى بفاس إثر صلاة الظهر يوم الأربعاء تاسع جمادى الأولى سنة
تسع عشرة وتسعمائة، ودفن من غده الذى هو يوم الخميس كما بكناشة الوزير
اليحمدي، واحتفل بجنائزه احتفالا عظيما، وحضر السلطان ورجوه دولته فمن
دونه، وتبعه ثناء حسن جميل ودفن فى عدوة الأندلس من فاس برد الله ثراه
ورضى عنه.

٢٠٧ - محمد فتحا بن عيسى الفَهْدِي - بفتح الفاء وسكون الهاء وبعدها
دال مهملة - السفيناني الأصل ثم المختاري النشأة المكناسي الدار
والإقبار.

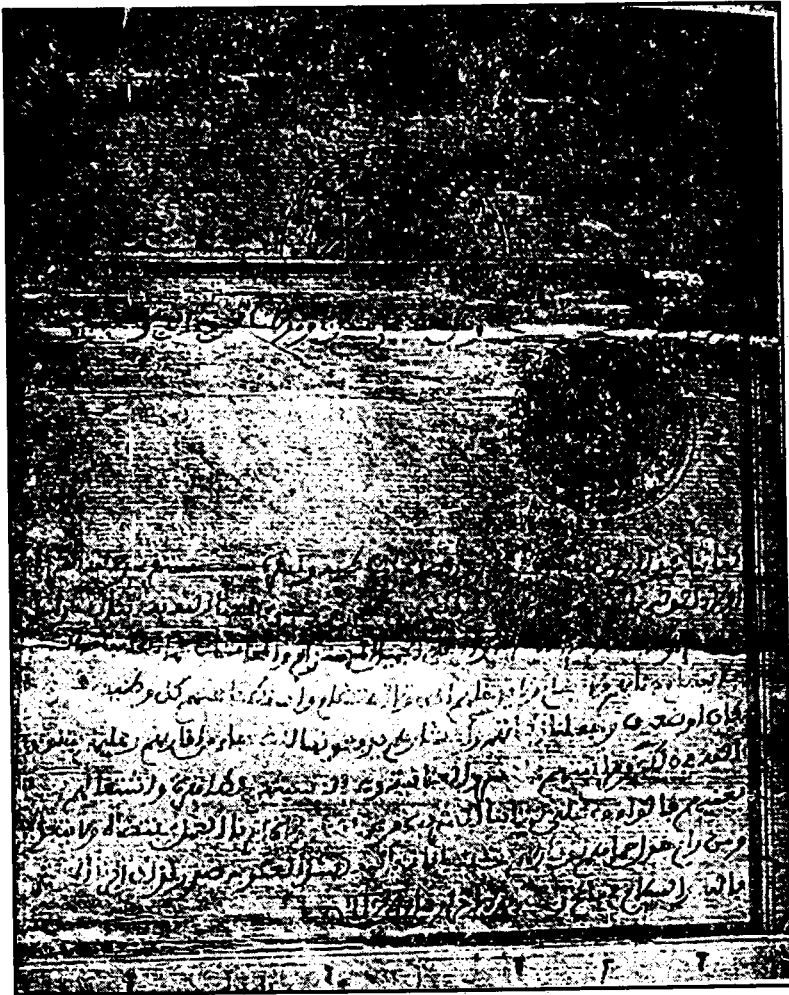
حاله: من فحول المشايخ الدالين على الله، من أجل من يهتدى بهديهم
ويقتدى بأقوالهم وأفعالهم، مرب عارف بالله تعالى، مورد المريدين، ومفيد
المسترشدين، جليل المقدار، صاحب أذواق ربانية، وإفادات عرفانية، طريقه تتبع
العمل بالعلم، ومقامه في مشاهدة الوسطة مشهد الروح، واقف في مقام هبة
الجلال، مفارق سره عالم الخلق، مستوطن عالم الأمر تبعاً لمشهوده، وهو روحه
ﷺ فليس له مع غير الله قرار، ولا عما سوى الله أخبار.

نقل عنه أنه كان يقول: كيف تشرق ذات بأنوار النبي ﷺ ولم تفعل ما
كانت تفعله الذات الشريفة، وأنه كثيراً ما كان يقول: السنة تجمعنا والبدعة تفرقنا،
وأن من الشروط عنده على المريد في تلقين ورده امتثال المأمورات، واجتناب
المنهيات، والمحافظة على الصلوات، ومراقبة الله تعالى في جميع الأوقات،
والصمت والمحبة والصبر والعزلة والحنانة والرافة، وأن يرى جميع معاملة الإخوان
معه من الله.

ويقول في حق المبطلين: يريدون الياقوت بالضرب في الحديد، ويريدون
مقام الرجال، بأعمال الجهال، ويريدون أحوال الأبرار، بأعمال الفجار، وما أفلح
من أفلح إلا بمجالسة من أفلح، ومخالطة الخواص تكسب ثلاث خصال: العلم
وصفاء القلب، وسلامة الصدر والعكس بالعكس.

والصدق مع الله نور والمعرفة برهان، والالتفات إلى غيره بهتان، وإضاعة
حقوقه كفران، والغفلة عن ذكره خسران، إلى غير هذا.

٢٧٠ - من مصادر ترجمته: دوحة الناشر في الموسوعة ٨٤٨/٢.



ظهیر السلطان سیدی محمد بن عبد الله لأولاد الشيخ الكامل سیدی

محمد بن عیسی

ولد ونشأ في مختار فرقة من قبيلة بنى حسن الشهيرة، ثم دخل فاسا فقرا ما تيسر من القرآن، ورجع إلى قبيلة سفيان، ثم رحل لمكناسة الزيتون آخر عمره واستوطنها، وقد وقفت على ظهير سلطاني أصدره السلطان أبو عبد الله محمد بن عبد الله العلوي لأولاد المترجم صرح فيه بثبوت شرفهم، وإليك لفظه بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«كتابنا هذا أيد الله أمره، وخلد في الصالحات طيه ونشره، يستقر بيد حملته الشرفاء أولاد الولي الصالح، والبرهان الواضح، سيدى محمد بن عيسى نفعا الله به أننا أسدكنا عليهم أودية التوقير والاحترام، والرعى الجميل المستدام، والمحاشات عما تطالب به العوام، فلا يسام جنابهم ولا يضام، ولا يدخلهم أذى ولا اهتضام، وأسقطنا عنهم كل وظيف، قوى كان أو ضعيف، وجعلنا زكاتهم وأعشارهم يدفعونها للضعفاء من أقاربهم وعليهم بتقوى الله في ذلك ومراقبته في السر والعلانية رعيًا لنسبتهم الطاهرة، واشتغالهم بما يعينهم، فالواقف على كتابنا الشريف من عمالنا وولاة أمرنا العمل بمقتضاه ولا يتعداه، ومن رام حول حماهم أو قاربهم بشيء فإننا نعاقبه أشد العقوبة، صدر بذلك أمرنا المعتر بالله والسلام في فاتح رجب الفرد الحرام عام ١١٧٤».

ولم أر من تعرض لرفع نسب الشيخ المترجم غير صاحب سلوك الطريق الوارية والؤلف المنسوب للغزال.

هذا وقد قال في ابتهاج القلوب نقلا عن ابن عسكر في دوحته ما لفظه: سمعت بالتواتر من أهل مكناسة أيام سكنى بها كرامات كثيرة يتحدثون بها عن الشيخ وكان تلميذه شيخنا أبو الحجاج بن مهدى يقول: سيدى ابن عيسى هو الإكسير الذى لا نظير له، ولقد حضرت عنده يوما وقد جاءه تلميذه الشيخ أبو الرواين وقال له يا سيدى: إني جعلت زمام نفسى بيدك وقد شغفت بحب النساء، فإن لم تكن لك عناية ربانية فصاحبك يعصى الله تعالى في هذه الليلة يعنى

نفسه، ووالله حتى أفعل فقال الشيخ: اذهب وافعل ما شئت فإن الله قادر على أن لا تفعل، ولن تستطيع ولو أردت بعناية الله سبحانه. قال فلما كان من الغد جاء أبو الرواين وهو فى غاية الضعف ووجهه مصفر فقلنا له: مالك هكذا؟ فقال شاهدت العجب البارحة، فقلنا له: وما ذاك؟ قال: ذهبت إلى امرأة عربية وتكلمت معها أن تبيت عندى لما سبق من يمينى بالأمس فأتت. فما كان إلا أن وصلتها^(١) وهممت بمواقعتها، فإذا أنا كالمفلوج لا أستطيع تحريك عضو من أعضائى فبقيت مستلقيا على ظهري كالميت لا أقدر على نطق ولا حركة، حتى طلع الفجر فسمعت صوت الشيخ وهو يقول: أتتوب إلى الله يا أبا الرواين؟ فقلت: بصوت خفى: أنا تائب لله، فقال: قم إلى صلاة الصبح، فنهضت فإذا أنا قائم كأنما نشطت من عقال، فلما دخلت على الشيخ قال: يا أبا الرواين ما فعلت؟ فقلت: يا سيدى من يكون فى رعاية مثلك لا يخشى على نفسه غواية، فقال: الحمد لله على تأييده ورحمته. ثم قال لنا أبو الرواين: من لم يوكل على نفسه مثل هذا الشيخ فهو فى غرر، فقضينا من الأمر العجب وسمعت الشيخ بصرى يقول: ثلاثة مشايخ لم يكن لهم نظير بالمغرب: السيد ابن عيسى، والسيد أبو محمد الغزوانى، والسيد أبو محمد الهبطى^(٢).

قال: وكثيرا ما ينتسب إلى الشيخ ابن عيسى أقوام يهتكون أسرار الشريعة، ويحلون المحرمات ويظهرون أفعالا لا تشبه خرق العادات، ويدعون أن ذلك مما خصهم به من البركات، وحاشاه من ذلك إنما هم زنادقة أو مبتدعة، وكثير منهم يمر بالأسواق يخطفون الصابون وغيره، فيأكله ولا يرى تضررا بذلك، ويدخلون بيوت النار ولا يتضررون، ويشيرون بالهتك والبعض وغير ذلك.

(١) فى المطبوع: «وصلت إلى» والمثبت من دوحة الناشر التى ينقل عنها المصنف.

(٢) الخبر بطوله فى دوحة الناشر ٨٤٨/٢ من الموسوعة.

والحق أن ذلك من الخيل كما شاهدناه من بعضهم، وصدقنا في أصل فعله، وذلك أنهم يأخذون الشرناك وهى شجرة معروفة فيسمونها البللع، وإذا أكلتها البقر ماتت من ساعتها، ولا يضر غيرها من الحيوان، وإذا قطعت عروقه يخرج منها ماء أحمر كالدم فيتبعون عروقه بالحفر احترازا من تجريحها ولا يحبسونها باليد لكن بخرقه كتان نقيه، ويجعلونها في العسل سبعة أيام حول مستوقد النار، ثم يفظرون عليه أو يضعونه تحت لسانهم، ثم يقع لهم شبه السكر فيشبون من المواضع العالية، ويشيرون بالبعج ويدخلون الأفران إلى غير ذلك.

وغاية هذا، التحريم لإدخاله الضرر على العقل، فضلا عما ينون عليه من ادعاء خرق العادة والتصرف في أموال الناس ويتحاشى جانب الأولياء عن هذا ومثله. انتهى.

قلت: جل من يتمي لهذا الشيخ وأمثاله في كل بلد رعا ع لا همة لهم في تحمل ولا تحمل، ولا رغبة لهم في حق ولا حقيقة، بل لا يهتدون إلى ذلك سبيلا، ولا يطلبون عليه دليلا، وحسبهم تقليد اللاحق منهم للسابق، فيما هو عليه من ذميم الأفعال والطرائق، وهذا النوع هو الغالب في الوجود في كل زمان ومكان، ولذلك انتشرت بدعهم وتكاثرت أتباعهم وهم مع كونهم عميت عليهم الأنبياء، إن أرشدتهم طعنوا فيك وقابلوا نصحك بالإباء، وما أحسن قول مخلص ودنا الفقيه أبى العباس أحمد الزياتي:

عجبا للعيساويين وما قد	نسبوه إلى ابن عيسى الولي
نسبوه إلى الضلال وظنوا	أن ذاك الضلال هدى النبي
زعمهم يحسنون صنعا وهم من	أخسر الناس صفقة يا أخى
جلبوا كل بدعة وذميم	وتساموا لكل شر وغى

تركوا الدين والصلاة جهارا	شان كل معاند أو غوى
عطلوا كل مسجد عن صلاة	عمروه بكل فحش جلى
وبه رقصوا بدون حياء	عانقوا كل خودة وصبى
أكلوا الميت والدماء وهى رجس	فرسوها افتراس كلب ضرى
سودوا وجهك ابن عيسى وحاشا	أن يضاف إليك كل دنى
إيه والله ما أمرت ولا يو	ما أشرت بهذا الضلال الجلى
بل ولو كنت قد رأيت فعلا	تخجل الميت لو رآها كحى
لتبرأت منهم دون ريب	واقتديت بقول عيسى الصفى (١)

ولعراقتهم فى الجهل والغباوة لم يعلموا أن المشايخ الصوفية أهل الحنيفة السمحة بنوا نحلتهم على أصول أصيلة فى نظر الشارع، منها متابعة النبى ﷺ فى الأقوال والأفعال، ومراقبة الله تعالى فى سائر الأحوال، وأكل الحلال والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وأن مقصودهم من تأسيس الطرق يدور على أمور جاءت الشريعة بتأييدها والحض عليها، منها بث روح الاتحاد فى نفوس الأمة وجمع كلمتها صونا لها عن الوقوع فى مهواة التفريق، ومنها السير بالأمة على المنهج السوى والصراط القويم القوى.

ومنها الاجتماع على ذكر الله تعالى على الكيفية الواردة على لسان الشارع. ومنها الاجتماع على مدارس القرآن والمذاكرة فى معانيه والخوض فى عباب معارفه وعوارفه، ولطائفه وطرائفه، والنظر فى شئون الإصلاح الظاهرى والباطنى

(١) فى هامش المطبوع: «يشير لقوله تعالى حكاية عن ابن مريم سبحانه ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق الآية.

العامة الهامة وملافاة ما أصاب القلوب من الرعونات والأدواء خوفا من أن يتشر الداء، ويعز الدواء، نظر الناقد البصير فإن وجدوا خيرا حمدوا الله وحضوا على ملازمته واعتناقه بكلتى اليدين، وإن وجدوا شرا سعوا فى علاجه خوفا من أن تتشر العدوى، وتعم البلوى، ولا تنفع الشكوى، ولا تسمع الدعوى.

ومنها الاجتماع لما فيه صلاح وتقوية للرابطة الإسلامية وتصفية القلوب بالأدوية النافعة الناجحة المنورة للسرائر والضمائر، المخلصة من الوقوع فى شبكة النفس والشيطان والهوى، المنجية من تليس إبليس، وتحبب العمل وحمل النفوس عليه حتى تكون دائبة على العمل صابرة عليه ولا تألف الكسل، ولا تميل للراحة فتخلد إلى أرض البطالة والتوانى فتخور عزائمها وتسفل هممها وتهلك مع الهالكين.

ولكن بالأسى والأسف أبى زاعمو أتباع أولئك المشايخ المصلحين إلا أن يخرجوا عن الخطة المثلى التى رسموها لهم، ويحيدوا عن سننهم القويم، ولسنا نشك ولا يشك كل مؤمن صحيح الإيمان أنه لو قدر ظهور أولئك الشيوخ المتبوعين اليوم، ورأوا ما عليه هؤلاء الذين يزعمون أنهم من أتباعهم من اختلاط النساء بالرجال، والتلطىخ بالدم المسفوح والشطح والردح وضرب الرؤوس، بالمعاول والفتوس، وتضييع الصلوات، واعتقاد ذلك دينا من أعظم القربات، وتشويه وجه الإسلام والمسلمين بذلك، لتبرءوا منهم براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام، ولفوقوا إليهم سهام المؤاخذه والملام.

فإن قلت: فيها نحن بين ظهرانينا علماء الإسلام وهم مقرون لذلك ونجد بعضهم أكثرين لسوادهم فى مجتمعاتهم ومواسمهم متبركين بهم ملتصين لصالح دعواتهم، قلنا: أما السكوت المضاف لمن هو من أهل العلم الحقيقى فعنه جوابان: أحدهما أنهم إن سكتوا فلعلمهم بأن كون تلك الأفعال الشنيعة من المناكر المبينة

لخصال الإسلام صار ضروريا في الدين بمنزلة الزنى والسرقه وشرب الخمر. وكتب الإسلام، ودواوينه الفخام، أتت من بيان ذلك على غاية ما يرام، حتى اشترك في معرفته الخاص والعام، وسأوى العلماء في معرفة حرمة وقبحه الغوغاء والعوام، ومثل ذلك يستغنى عن تكرار التنبيه عليه في كل مقام، ولا سيما عند مشاهدة امتلاء الوجود بالشح المطاع والهوى المتبع، وإعجاب كل ذى رأى برأيه فإن هذا إذا وقع ولسنا نشك في وقوعه منذ زمن طويل، قد رخص لنا الشارع عنده أن يكون كل واحد منا مقتصرًا على النظر في صلاح خويصة نفسه كما جاء به الحديث الشريف، ولذلك طالما حض الراسخون من متأخري علمائنا على ترك التعرض للإنكار في العموم.

ثانيهما: أنا لا نسلم سكوتهم وكيف يصح أن يضاف السكوت لهم عن ذلك جملة وهم في كل زمن وفي كل بلاد عاكفون على دروس دواوين الإسلام وإيضاح ما فيها من خاص أو عام في مجالسهم العمومية، وفي خطب مواسمهم وأعيادهم، فيقرعون بإيضاح ما فيها آذان العموم، ومن جملة ما فيها بيان كل محرم مذموم، وكل فعل صاحبه ملوم، ومنه مناوله الدم المسفوح، وتعرض النفس للتهلكة، وتضييع الصلوات، وتحريم التلبس والغش والخديعة وغير ذلك مما استوعبته الشريعة.

فالذام لأهل العلم العلم الحقيقي بإضافة مثل ذلك السكوت إليهم هو المذموم، أوقعه في ذلك شدة غباوته وجهالته وفساد تصوره وذهوله عما يقرع آذانه في كل جمعة وعيد وموسم، وعما يلقي إلى العموم دائما في الدروس الدينية ولكن.

لقد أسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي

وأما من يكثر سواد أولئك الجهلة الضلال، أو يلتبس بركتهم عن ينسب نفسه إلى علم، فذاك من شواهد عدم علمه، وكيف ومن العلم الحقيقي معرفة أن البركة إنما تلتبس من المهتدين والتنفير من تكثير سواد الضالين، وقد بين النبي ﷺ ما أنزل من الذكر الحكيم إليه، وشرح لنا فيه طريق الرشد وطريق الضلال، وتركنا على محجة بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وقام بإيضاح ذلك علماء الملة وأعلامها بعده حتى بلغ الأمر من ذلك غايته وحده، فعلم من يتعود الجريان على ما يخالف مقتضى العلم ولا يرعوى عن ذلك، هو جهل في الحقيقة لأنه إن كان يعتقد الحرام ومع ذلك يفعله ولا يقلع عنه فقد قال غير واحد من الراسخين في العلم يهتف العلم بالعمل، فإن أجاب وإلا ارتحل.

وقد جزم القسطلاني في مقدمة إرشاده بأن ما يحمله الفساق ليس بعلم على الحقيقة، ولذلك علل المولى سعد الدين قول التخليص وقد ينزل العالم منزلة الجاهل هـ بقوله لعدم جريانه على موجب العلم نعم القادح في العلم هو الذي تعود منابذة مقتضاه من غير إقلاع ولا توبة، أما صدور ذلك من عالم على سبيل الزلة والفلتة ثم إقلاعه عن ذلك وندمه عليه فهذا غير قادح في علمه، لأنه غير معصوم.

وقد قيل للجنيد: أيزنى العارف؟ فقال: وكان أمر الله قدراً مقدوراً، وشاهده أن بعض الصحابة لما لعن بحضرة النبي ﷺ شخصاً ارتكب موجب حد وأقامه عليه السلام عليه نهاه النبي ﷺ عن ذلك وقال له: لا تلعه فإنه يحب الله ورسوله انتهى.

فأثبت ﷺ لهذا العاصي محبة الله ورسوله مع عصيانه لهما في بعض ما نهياه عنه، وكيف تكون زلة العالم قاذحة وهو بالعلم عرف قبح ما وقع فيه

وبجريانه على مقتضاه بادر إلى الإقلاع والإصلاح لما فسد فكان بذلك من العلماء الذين عملوا بعلمهم.

ثم اعلم أن وقوع المعاصي في الوجود لا يعد وصمة في علم العلماء وفضلاء الفضلاء إلا أخرج عريق الجهالة، فإن الله سبحانه من غناه عن العالمين وأعمالهم قدر المعاصي كما قدر الحسنات، وخلق الدارين دار الإكرام ودار الانتقام، وخلق لكل بنين يعمرونها، وقال لخلقهم: اعملوا فكل ميسر لما خلق له، فلا بد من وقوع الأمرين، وامتلاء الوجود بالفعلين، ولذلك كانت تقع المخالفات والمعاصي قيد حياته ﷺ المتعارفة ومن صحبه الكرام.

فكان منهم من سرق فقطعت يده، ومن زنى فرجم، ومن شرب الخمر فحد ومن غل ومن خان إلى غير ذلك مما تكفلت بنقله كتب السنة والسير.

وقد علم أنه هو ﷺ وصحبه الكرام وزمنهم هو الطبقة العليا في الكمال، ولم يمنع ذلك من صدور المعاصي وقتئذ كما لم يقدح ذلك في علم الصحابة ولا في عملهم، إذا هم أهل العلم والعمل بالإجماع، وسر ذلك ما تقدم من أن المعاصي سبق القضاء بوجودها، فليس في طوق أحد محو ما سبق به القضاء، ثم المضر هو الإصرار عليها وعدم التوبة منها، وهم رضى الله عنهم ما كانوا يصرون على ما يقعون فيه من ذلك بل كانوا يسرعون إلى الإنابة، ولو أدت على نفوسهم.

ولا شك أن التوبة وعدم الإصرار هو من جملة العمل بالعلم، والعصمة لا تشترط قطعاً فقد قال الله تعالى: ﴿... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ...﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وهل تكون التوبة إلا من ذنب! وفي الحديث لو لم تذبذبا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذبذبون فيستغفرون فيغفر لهم، أخرجه مسلم عن أبي هريرة، فمن يجعل مجرد جريان المعاصي في الوجود أو وقوعها فلتة من بعض العلماء مع قيامهم بالشرح والبيان في كل موطن قد حافى علم العلماء وفضل الفضلاء فهو

ضال، حقيق بكل نكال، وقد بالغ أئمة التحقيق من المتأخرين فى رد قول الحكم العلم إن قارنته الخشية فلك وإلا فعليك، وقالوا: إنه من تخليط مقام البداية بالنهاية، وذلك أقرب إلى الضلال من الهداية.

ومن قرر ذلك وحرره المواق فى سنن المهتدين، وابن زكرى، والشيخ جسوس فى شرح الحكم، فهذا وفقك الله هو القسطاس الذى يزن به من وقع فى الإنكار على العلماء لا ما تسوله النفوس وتوحيه شياطين الجن إلى شياطين الإنس.

وأما ما سبق عن ابتهاج القلوب من قوة هؤلاء الضالين على الأفعال التى سبق وصفه إياها هى بحيلة عمل الشرّ ذاك، فهو لا يطرد فى عموم المتظاهرين بذلك، ومن أبعد البعيد أن تقوم على اطراده فى كل زمن ومكان حجة، وإنما غالب ذلك من آثار سلطة الروح على الجسم حين الخروج عما هو الأعم الأغلب من الأحوال الاعتيادية بأسباب شيطانية أو ربانية، وقد قرر ذلك وبسطه ابن تيمية فى رسائله الكبرى، وابن خلدون أواخر مقدمته.

مشيخته: أخذ عن أبى العباس الحارثى السفينانى المترجم قبل وصحبه إلى وفاته، ثم عن سيدى عبد العزيز التابع بعهد من الأول له وعلى يده تم له الفتح، ثم عن سيدى الصغير السهل، والثلاثة عن الإمام الجزولى رضى الله عنه وعن أهل الله فطريق المترجم جزولية.

الآخذون عنه: منهم أبو الحجاج بن مهدى، ومنهم أبو الرواين المحجوب المترجم بعد.

ولادته: ولد سنة اثنين وسبعين بتقديم السين على الموحدة من التاسعة بمختار فرقة من قبيلة بنى حسن الشهيرة.

وفاته: توفي بمكناسة الزيتون سنة ثلاث وثلاثين^(١) وتسعمائة، ودفن بمقبرة شيخه الحارثي خارج باب السيية أحد أبواب المدينة الآن، وقبره ثم مزاره شهيرة عليه بناء حافل أنيق.

٢٠٨- محمد بن مخلوف الضريسي المكناسي.

حاله: كثير التنسك والانقطاع إلى الله أحد الزهاد والعباد، وأهل المحبة في الله، مستغرق الأوقات في الذكر والعبادة، ورده ختم القرآن العظيم كل ليلة بين العشاءين في ركعتين، يفتح القراءة في أول ركعة بعد صلاة المغرب ويختمها في الثانية، فإذا سلم علم الناس بدخول وقت العشاء الأخيرة فيسمعون الأذان في الحين، وذلك كل ليلة لا يزيد ولا ينقص.

وكان فصيح اللسان يرتل القرآن ترتيلاً دون عجلة، وتلك خصوصية ربانية، وكان يزور الشيخ أبا يعزى في كل سنة يمشى حافياً من مكناسة الزيتون إلى قبره بتاغيا، وكان يقول: من زار هذا الشيخ وسأل الله تعالى عند قبره حاجة واحدة في كل زورة فإنها تقضى له بإذن الله تعالى.

مشيخته: منهم أبو اليمن مبارك الحصيني.

وفاته: توفي بمكناسة الزيتون عام اثنين وأربعين وتسعمائة.

٢٠٩- محمد بن قاسم بن عبد الواحد الكتاني النسب الفاسي الأصل

المكناسي النشأة الحسنى الإدريسي.

حاله: بركة صالح، سالك سبيل السنة في أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته، معظم وقور، خطير القدر، فاضل جليل، ماجد أصيل، وهو أول من انتقل من مكناسة لفاس من هذه الشعبة الكتانية أواسط المائة العاشرة، وكان انتقال هذه الشعبة الكريمة من فاس إلى مكناسة أواسط العشرة الثانية من القرن الرابع.

(١) في دوحة الناشر سنة ٩٣١ هـ.

وسبب ذلك أن موسى ابن أبي العافية المكناسي لما استولى على فاس والمغرب شمر لطرده الأدارسة عنه، وأخرجهم من ديارهم وأجلاهم عن بلادهم إلى آخر ما هو معلوم، وصار من قدر منهم على الفرار يفر طالبا للنجاة، وكان من جملة من فر إذ ذاك جد هذا القبيل، وهو الشريف الجليل الماجد الأصيل المتبرك به أبو زكرياء يحيى الملقب بأمير الناس ابن عمران بن عبد الجليل بن يحيى بن يحيى ابن محمد بن إدريس، وكان فراره إلى زواوة، ثم إلى بنى حسن من عمل شالة أى المدينة الخربة الآن بإزاء رباط الفتح، ومنها لمكناسة الزيتون، وكان لهم فيها الصيت الشهير بصراحة النسب وعلو المكانة وعظيم الخطوة عند ملوك بنى مرين، ومنها انتقلوا إلى فاس.

وقال فى الدرة الفائقة: ثم انتقل الكتانيون من زواوة إلى مدينة شالة، وذلك أيام السلطان عبد المؤمن بن على الموحدي واستوطنوها إلى آخر دولة الموحدين، ثم انتقلوا إلى مكناسة الزيتون وذلك فى أوائل دولة بنى مرين، والإمام إذ ذاك هو أبو بكر بن عبد الحق المريني، وذلك سنة نيف وستين وستمائة، وقيل أربع وستين وستمائة، ثم من مكناسة إلى فاس القرويين هـ ملخصا من النبذة اليسيرة النافعة، التى هى لأستار بعض أحوال الشعبة الكتانية رافعة، لشيخنا أبى عبد الله محمد ابن جعفر الكتانى.

وقد يجمع بين قول من قال: إن القدوم من زواوة كان لبنى حسن، ومن قال إلى شالة، بأن منهم من استوطن شالة، ومنهم من استوطن بنى حسن والله أعلم.

٢١٠- محمد بن أبى القاسم بن على بن عبد الرحمن بن أبى العافية المكناسي.

٢١٠ - من مصادر ترجمته: جذوة الاقتباس ١/ ٢٧٢، درة الحجال ٢/ ٢٠٣، لقط الفرائد

فى الموسوعة ٢/ ٨٩٣، وهو فيها: «محمد بن قاسم بن على».

حاله: فقيه أستاذ نحوى، كان يستظهر مختصر ابن الحاجب ويقوم عليه وعلى الرسالة قياما تاما.

مشيخته: أخذ عن أبى الحسن بن هارون المطغرى، وعن أبى مالك عبد الواحد بن أحمد الونشريسى.

وفاته: توفى بفاس عام اثنين وستين وتسعمائة.

٢١١- محمد بن الإمام أبى عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن محمد ابن على بن غازى العثمانى المكناسى الملقب غازى، نجل الإمام ابن غازى السابق الترجمة، وشقيق أبى العباس المتقدم الذكر فى الأحمدين.

حاله: علامة نابغة، ومحقق واعية، قال فى الجذوة: كان نحويا بارعا فيه أستاذا، أم بجامع القرويين أزيد من عشرين سنة، لم يحفظ عنه فيها سهو فى الصلاة، وكان الخطيب بالمسجد المذكور.

مشيخته: أخذ عن والده وأجازه عامة كما تقدم نص إجازة والده له فى ترجمة أخيه فى الأحمدين نقلا عن خط المجيز، ووقفت على إجازة العز بن فهد له ولأخيه، ودونك نص الإجازة نقلا عن خطه المرقوم على آخر ورقة من فهرسة ابن غازى التى وقفت عليها بخطه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا، الحمد لله الذى وفق العلماء لاتباع السنة، وجعل للمستنبطين منها الأحكام فضلا ومنة، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد الذى بين الله لنا على لسانه الفرض والسنة، ورضى الله عن آله وأصحابه الذين كانوا له أعظم جنة.

٢١١ - من مصادر ترجمته: جذوة الاقتباس ١/ ٣٢١.

وبعد: فقد سألني من لا أستطيع رده الإجازة لسيدينا الشيخين الإمامين العلمين الأوحدين، العلامةين الأمجدين، أبي العباس أحمد وأبي عبد الله محمد ابني الشيخ الفقيه العلامة المقرئ أبي عبد الله محمد بن غازي المكناسي ثم الفاسي أمتع الله بحياتهما ونفعنا ببركاتهما، فبادرت لإجابته فأقول مستعينا بالقادر الوهاب: قد أجزت سيدينا الشيخين المذكورين جميع ما يجوز لي وعني روايته متلفظا بذلك، وكذا لأولادهما وإخوانهما وأقربائهما وخدمتهما ومن يلوذ بهما، ولجميع أهل بلدهما، بل ولجميع المسلمين على مذهب من يرى ذلك من المسلمين، قاله وكتبه المفتقر إلى لطف الله وعونه، محمد عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمي المكي الشافعي خادم الحديث النبوي بالحرم الشريف المطهر المنيف هو وأسلافه، وهو يسأل الشيخين المذكورين نفع الله بهما أن لا ينسياه من دعائهما الصالح، خصوصا بخاتمة الخير وقضاء الدين، وكفاية مهمات الدنيا والآخرة والحمد لله وصلى على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا حسينا الله ونعم الوكيل» انتهى من خطه.

وفاته: توفي سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة.

٢١٢- محمد بن حسين العبدلي السهلي، وقيل اسمه أحمد، شهر بأبي الروّين.

حاله: مجذوب سالك ملامتي، أحد عجائب الدهر، ذو أحوال خارقة للعادة جليل القدر، شهير الذكر، جمالي الحال، واسع النظر، عالي الهمة، حسن السميت، رفيع اللباس، يمسي غنيا ويصبح فقيرا، يدفع كل موجود له للضعفاء والمساكين، وكان أعجوبة الدهر في التوكل والثقة بالله.

قال صاحب ابتهاج القلوب: حدثنا الشيخ الوالد رضي الله عنه، قال: مر

٢١٢ - من مصادر ترجمته: دوحة الناشر في الموسوعة ٨٨٧/٢.

الشيخ المجذوب عليه - يعنى المترجم - يوما بباب داره فقال ايت فاكنس ما تحت هذه الدابة لدابة كانت له بالاروى، فدخل أبو الرواين يخرج له ما يحمل فيه الزبل، وقد كان على الشيخ المجذوب برنس جيد فطرحه فى الأرض وأخذ يحمل فيه الزبل، فما خرج أبو الرواين حتى وجده قد فعل، فقال متعجبا منه: ما رأيت مثل هذا قط ! وقد غلبنى لأنه أراد أن يختبر مكانه من النظر إلى نفسه والرضا عنها، فوجده فوق ما يظن من خفض النفس وعدم المبالاة بها.

وشأن المشائخ أن يحملوا المريدين على إذلالها وما يوجب إخمادها وقضاياهم فى ذلك مشهورة، لأنه كلما خمدت النفس وانخفضت قوى معناه وتنور باطنه، إذ لا حجاب له إلا رؤيتها، وقد ورد فى الأحاديث الربانية عاد نفسك فليس لى فى المملكة عدو غيرها، وورد أيضا فى مناجاة موسى أنه قال: كيف أجذك يا رب؟ قال له عاد نفسك وتعال. قال وقد أخبر الشيخ المجذوب أن ذلك البرنس الذى حمل فيه الزبل لم تزل رائحة المسك تفوح منه من ذلك الوقت، وكان عند أهله فى الصندوق مع الثياب يتبركون به انتهى.

ومعلوم أن العز فى مخالفة النفس والذل فى طاعتها واتباع هواها ولله در

القاتل:

وئيل الذى ترجوه من رحمت الرب	إذا شئت إتيان المحامد كلها
لأعدى وأردى صفقة من هوى الحب	فخالف هوى النفس الخبيثة إنها

ولقد أجاد من قال:

فلا تسعد النفس المطيعة للهوى	إذا شئت أن تحظى وأن تبلغ المنى
وإياك لا تحفل لمن ضل أو غوى	وخالف بها عن مقتضى شهواتها
لأماراة بالسوء من هم أو نوى	ودعها وما تدعو إليه فإنها

لعلك أن تنجو من النار إنها لقطاعة الأمعاء نزاعة الشوى

وقد تحدث عن المترجم بكرامات، وخوارق عادات، من ذلك ما حكاه فى ابتهاج القلوب قائلا: حدثنى شيخنا الإمام محمد بن الشيخ أبى العباس الفاسى، عن الشيخ المعمر سيدى أحمد السفاج، أن الشيخ أبى الرواين، مرّ يوما مع الشيخ المجذوب على حلة، فقال: لا أذهب حتى أعر هذه الخيمة أو أخليها، وكانت خيمة جليلة لذى مال من تلك الحلة، فصاح بربها فطلب منه فرسه فقال: يا سيدى عندى من أشاوره فى ذلك، فذهب إلى زوجته فقال لها: إن أبى الرواين والمجذوب هنا، وقد قال كذا وكذا، فقالت: وما يكون منك إذا بقيت بلا فرس، فجاء واعتذر بذلك، فقال أبو الرواين: من يشتري منى الخيمة وصاحبته؟ فلم يجبه إلا خماس كان هنالك، قال له: إن عندى عجلا إن قبلته فخذ، فقبله وسار، ثم إن صاحب الخيمة كان له أندر مجوف فدخله يوما ففقد حتى قيل بعد مدة إن آخر العهد به مكان الأندر، ففتش فوجد ميتا هنالك واعتدت المرأة بعده فأخذها الخماس وركب الفرس وأحاط بالخيمة وما فيها.

قال: ومما يحكى عن أبى الرواين أيضا أن بعض أهل مكناسة لما راوه على ما هو عليه من الثياب الرفيعة النقية من الدنس وكان عليه كساء مصبوغ الأطراف باللك^(١)، وصادف أن كان فى الطريق طين مطر فأخذ ذلك الرجل يقدم له الله أن يتمرغ فى ذلك الطين هزوا ولعبا وسخرية منه، فأخذ أبو الرواين يتمرغ فيه لما سأله بالله، فلما قام قال: اليوم أنا وغدا أنت، فمن الغد قتل هنالك.

وأظن الحكاية مع ولد الفقيه أبى على حرزور، فإنه كان أخبر بما وقع له وقد سمى لى صاحبها من أخبرنى، إلا أنه طال عهدي هل هو المذكور أو غيره.

(١) فى هامش المطبوع: «عروق نبات تستعمل للصباغة».

قال: ولما تغلب السلطان أبو عبد الله محمد الشيخ على مكناسة الح بالمطالبة لأخذ فاس فجاء الشيخ أبو الرواين وقال له: اشتر مني فاسا بخمسمائة دينار، فقال السلطان: ما أنزل الله بهذا من سلطان، هذا شيء لم تأت به الشريعة فقال: والله لا دخلتها هذه السنة، فبقى شهراً والأمر لا يزداد عنيه إلا تصعباً^(١)، فقال الأمير أبو محمد عبد القادر لأبيه السلطان المذكور، يا أبت، افعل ما قال لك الشيخ أبو الرواين، فإنه رجل مبارك من أولياء الله، وما زال به كذلك حتى أذن له في الكلام معه، فكلمه الأمير عبد القادر فقال: ادفع المال! فدفعه له، فقال: عند تمام السنة إن شاء الله يقضى الله الحاجة وأمرى بأمره سبحانه، ثم إن الشيخ فرق المال من يومه ولم يمسك منه لنفسه حبة واحدة، ومن ذلك اليوم والسلطان المذكور في ظهور إلى أن تمت السنة فدخل فاسا كما قال^(٢) انتهى.

قلت: قول السلطان محمد الشيخ السابق: إن الشريعة لم تأت بمثل هذه الأفعال التي كان يتظاهر بها المترجم وأمثاله، لعله يعنى من حيث كون الإقدام على أمثال ذلك لم تأذن فيه الشريعة للعموم ومدعى التخصيص عليه البيان، وإقامة البرهان، وإلا فقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قضى على الربيع بأن تكسر ثنيتها قصاصاً لها على ما فعلته بغيرها من مثل ذلك، فقال له سيدنا النضر: والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها فأجابه ﷺ بأن كتاب الله القصاص، وإثر هذا بادر المجنى عليهم إلى العفو عن الربيع، فحيث قال ﷺ: إن لله^(٣) رجالاً لو أقسموا على الله لأبرههم أو كما قال.

(١) في دوحة الناشر: «تعصبا».

(٢) الخبر بنصه في دوحة الناشر من الموسوعة ٨٨٧/٢.

(٣) في هامش المطبوع: «لفظ الصحاح إلا الترمذى: إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره».

ولأهل الخصوصية من الشواهد فى كتب السنة ما هو كثير ويكفى من ذلك ما قصه الله عن الخضر لما صاحبه موسى عليهما السلام، وذلك كله من شواهد أصحاب الأحوال مثل المترجم، ولكن مثل ذلك خاص لخاص، فلا ملام على المتمسك عند حدوث شىء من ذلك بمقتضى ظاهر الشرع وعموماته، حتى يتحقق أن فاعل ذلك من أهل الخصوصية فيسلم له ولا يقتدى به والله أعلم. انظر ابتهاج القلوب.

مشيخته: أخذ عن المترجم قبل وهو الشيخ الكامل.

الآخذون عنه: منهم أبو عبد الله محمد بن صالح المعروف بعريان الرأس دفين تسابت إحدى عمالة توات كذا لبعضهم.

وفاته: توفى سنة ثلاث وستين - بتقديم السين على المثناة فوق - وتسعمائة عن نحو ستين سنة، ودفن قريبا من شيخه ابن عيسى وضريحه مزار مشهورة إلى الآن.

٢١٣ - محمد بن قاسم بن على بن أبى العافية المكناسى الشهير بابن القاضى.

حاله: كان فقيها أستاذا نحويا جلس مجلس أبيه فى الرسالة بجامع القرويين.

وفاته: توفى سنة خمس وستين وتسعمائة.

٢١٤ - محمد بن محمد بن أحمد بن على بن عبد الرحمن بن أبى العافية المكناسى الشهير بابن القاضى.

٢١٣ - من مصادر ترجمته: جذوة الاقتباس ٢١٨/١، لقط الفرائد فى الموسوعة ٩٠٠/٢.

٢١٤ - من مصادر ترجمته: جذوة الاقتباس ٢٤٩/١، لقط الفرائد فى الموسوعة ٩٢٦/٢.

والد أبى العباس صاحب الجذوة والدرة وغيرهما.

حاله: فقيه نوازلى فرضى حيسوبى، علامة نبيه، فاضل وجيه، من بيت علم وفضل ودين متين.

مشيخته: أخذ الحساب والفرائض عن أبى محمد عبد الحق المصمودى السكتانى، وعن أبى الحسن على بن هارون المختصر الخليلى، وعن أبى عبد الله اليسينى تلخيص المفتاح.

الآخذون عنه: منهم ولده أخذ عنه الفرائض والحساب وشيئا من المنية لابن غازى.

وفاته: توفى بفاس سنة إحدى وثمانين وتسعمائة، ودفن بمطرح الحلة (١).

٢١٥- محمد بن عبد الرحمن بن بصرى الولهاصى المكناسى المعروف بسيدى بصرى.

حاله: عالم عامل ذو أنفاس صادقة، وأحوال رائقة، أستاذ مجود فقيه، ولى صالح، عارف صوفى، نزيه مرشد ناصح، خطيب مصقع، تولى الخطابة بجامع مكناسة كما فى درة الحجال.

قلت: ولا زالت الخطبة بيد حفدته إلى الآن، ونقل فى المنحة عن بعض أتقياء مكناسة وطلبتها أن الشيخ استمر على الإمامة بالمسجد الأعظم إلى أن توفى، وأنه رد جميع ما كان أخذه من أوقاف المسجد، وأنه كانت له زوجة اسمها آمنة بنت الولى الصالح سيدى أبى على منصور الهروى دفين مدينة سلا، ولا زال أهل الفضل من مكناسة يتحدثون عنه بأنواع الكرامات. قال ابن عسكر: غير أنه يزعم أنه أخذ طريقة التصوف عن امرأة هنالك ويدعى لها أسراراً ومناقب ونحوه فى ابتهاج القلوب.

(١) فى لقط الفرائد: «بمطرح الجنة».

شيوخه: قال أبو عبد الله محمد العربي بن محمد البصرى فى الباب الرابع من كتابه منحة الجبار، ونزهة الأبرار، وبهجة الأسرار، فى ذكر الأقطاب والأولياء والأشراف والعلماء الأخيار، إنه تلا بالسبع على الإمام أبى العباس الحباك المتوفى سنة ست وثلاثين وتسعمائة، واستجازه فأجازه فيها وفيما يتعلق بها من كتب القراءات مع الألفية والرسالة والبردة كما هو دأب أهل الإجازات، ونص ذلك:

«يقول العبد الفقير إلى رحمة مولاه، الغنى به عمن سواه، أبو العباس أحمد بن الشيخ المكرم الوثائقى الملاحظ المبارك الأسعد أبى عبد الله محمد بن الشيخ المكرم المرحوم أبى عبد الله محمد الأنصارى عرف بالحباك سمح الله له، وسدد قوله وعمله، إن الشاب الطالب النجيب، الكيس الحاذق اللبيب، أبا عبد الله محمد بن الشيخ الأجل، الأفضل الأكمل، أبى زيد عبد الرحمن بن عبد الله ابن عمر الولهاصى المكناسى الدار المدعو بابن بصرى شرح الله صدره، ورفع بالعلم والعمل الصالح قدره، وقواه وأرشدته، ووفقه وسدده، كان ممن تردد إلى، وتوخى المشول بين يدي، واعتمد فى قصده على ما لدى، فقرأ على القرآن العظيم، المنزل على سيدنا محمد المصطفى الكريم، من فاتحته إلى خاتمته ختمة واحدة، جمع فيها بين قراءة الأئمة السبعة المشهورين، رسوان الله عليهم أجمعين، وأدرج فى ذلك الإدغام الكبير لأبى عمرو بن العلاء وكل ذلك بطريق التيسير للحافظ أبى عمرو الدانى، وملخصه حرز الأمانى، ووجه التهانى؛ للإمام أبى القاسم الشاطبى رحمه الله تعالى.

ولما كمل له ذلك على على نحو ما ذكر من التعيين والتفصيل، وكان من أهل التجويد للقراءات مع الضبط لأحكامها والتحصيل، سأل منى وفقه الله تعالى أن أجزى له ذلك وأشهد له به فى كتاب، ليرتفع به عنه تخالجات الظنون وخطرات الارتباب وليكون بيده حجة ساطعة، وبنبله وثبات نقله بينة قاطعة، كما جرت بذلك عادة الأئمة، ومعمدى هذه الأمة، فأجبتة إلى ما سأل، وأسعفته فيما رغب

وأمل، وحدثه بالقراءات السبع تلاوة عن الشيخ الفقيه الأستاذ الخطيب الشهير أبي عبد الله محمد بن أحمد بن غازي العثماني، عن الشيخ الفقيه الأستاذ الخطيب الشهير أبي عبد الله الشهير بالصغير ابن الحسن النيجي إلى آخر السند.

ثم قال أبو العباس المجيز: وقد عرض على المجاز أبو عبد الله محمد المذكور هداه الله تعالى قصيد أبي القاسم الموسوم بحرر الأمانى ووجه التهاني عرضا جيدا من صدره، واستفهمته عنه وعن فصوله، وحدثه به عن شيخنا الفقيه المقرئ الصالح أبي عبد الله محمد بن غازي، عن شيخه الفقيه الخطيب المقرئ محمد بن الحسن النيجي الشهير بالصغير، عن شيخه الأستاذ المقرئ المحقق أبي الحسن على الوهري إلى آخر السند.

قال: وعرض على أيضا المجاز المذكور قصيد أبي الحسن بن برى المرسوم بالدرر اللوامع عرضا جيدا من صدره كله بالتفهم، وحدثه به عن شيخنا الفقيه أبي عبد الله بن غازي المذكور، عن شيخه الفقيه أبي عبد الله محمد الصغير إلى آخر السند.

قال: وعرض على أيضا الرجز الموسوم بمورد الظمآن، فى رسم أحرف القرآن، مع الذيل الملحق به فى النقط للإمام العالم العلامة أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الشهير بالخرار، وعرض على أيضا المجاز المذكور صدرا من رسالة الإمام العالم أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، وحدثه بها عن الشيخ الفقيه أبي عبد الله محمد بن غازي المذكور، عن شيخه أبي عبد الله محمد الصغير المذكور إلى آخر السند المرسوم فى الإجازة، وفيما كتب به ابن غازي لمن استجاره من أهل تلمسان.

قال: وعرض على أيضا صدرا من كتاب التيسير، وحدثته به قراءة لبعضه، وسماعا لسائره عن الشيخ أبى عبد الله بن غازى، عن الشيخ أبى عبد الله الصغير المذكور إلى آخر السند المذكور فى الإجازة أيضا.

قال: وعرض على أيضا جميع القصيدة المباركة المسماة بالبردة من نظم الإمام شرف الدين أبى عبد الله محمد بن سعيد البوصيرى، وحدثته بها عن شيخنا أبى عبد الله بن غازى، قال: أخبرنا بها الشيخ الإمام العالم العلامة أبو عمرو عثمان بن محمد بن عثمان الديلمى المصرى، عن ابن فهد، أخبرنا بها أبو بكر المراغى، قال: أخبرنا بها أبو الفتح الميديمى، عن ناظمها أبى عبد الله البوصيرى رحمهم الله تعالى أجمعين.

قال: وعرض على أيضا جميع ألفية ابن مالك عرضا جيدا من صدره، وحدثته بها عن شيخنا أبى عبد الله بن غازى، عن الشيخ الإمام العلامة تاج المحدثين وإمام المسنين فخر الدين أبى عمرو عثمان بن محمد بن عثمان الديلمى المصرى المذكور، أخبرنا بها عن هاجر بنت محمد بن محمد المقدسى، عن أبى إسحاق التنوخى، عن أحمد بن محمد بن غانم عن المصنف رحمهم الله.

قال أبو العباس المذكور: وقد أجزت للطالب المكرم أبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن بصرى المذكور جميع ما قرأه على من القراءات السبع المذكورة، وجميع ما عرضه على وسمعته منه مما ذكر فى هذا الكتاب إجازة عامة على أكمل شرطها وأوثق ربوطها، وأذنت له فى أن يروى عنى، وعن الشيوخ الذين فى هذا الكتاب مما تضمنه من الأسانيد المذكورة، والقراءات المسطورة، وكذلك ما رويته عن شيخى المذكور من تأليف الشيخ أبى وكيل ميمون المذكور كالمورد الروى فى نقط المصاحف، وتحفة الإعراب، والدرة الجلية، فى نقط المصاحف العلية، وجميع ما قيده تلاوة وسماعا، وأوصيه ونفسى بتقوى الله تعالى ومراقبة أمره فى جميع

أحواله، وتحرى الصدق والصواب فى جميع أقواله، والله يعصمنا وإياه من الخطأ والزلل، ويرشد كلاً منا لصالح القول والعمل، بمنه وكرمه.

شهد على الفقيه المجيز أبى العباس أحمد المذكور بما فيه عنه وهو بحال كمال الإشهاد وعرفه وعرف تصدره لذلك وعلى المجاز المذكور بطلبه الإجازة المذكورة، وهو بحال صحة وطوع وجواز، وعرفه فى أواسط رمضان المعظم عام خمسة وعشرين وتسعمائة عبد الله بن محمد بن على الحسنى الجوطى لطف الله به، وأبو عبد الله محمد المعروف بالعربى الحسنى الجوطى لطف الله به، وعبد الله وأقل عبيده عبد القادر بن محمد الحسنى خار الله تعالى، والواضع خط يده الفانية الشريف أحمد بن محمد بن على بن محمد بن محمد بن عمران الحسنى الجوطى لمن طلب التبرك بالجناب الطاهر النبوى بلغ الله قصده وأمله بمنه، وشهد بذلك أحمد بن أبى القاسم عراقى الحسنى لطف الله به، ومحمد بن على بن طاهر الحسنى وبعد ذلك إشكال أعيان أهل الوقت وقاضيه على المتعارف الآن فى عصرنا رحم الله الجميع».

وقال: هذا ما وقفت عليه من أمر الشيخ أبى عبد الله فى شأن القراءات السبع، ولم أقف إلى الآن على شيخه الذى أخذ عنه الروايات السبع على التدريج إلى أن بلغ أن يجاز، نعم يمكن أن يكون الشيخ أبو العباس هو الذى رقاها من البداية إلى النهاية كما كان يصنع شيخنا أبو عبد الله الأصغر مع بعض طلبته.

وأما شيوخه فى العلم فلم أقف له الآن على شيخ مع إدراكه لجملة من مشايخ نحارير، وأئمة مشاهير، ورأيت الجزء الأول من التوضيح، وشرح الصغرى للإمام السنوسى بخطه.

ووصفه جماعة من الأئمة بالفقه والتدريس منهم الفقيه الحيسوبى الموقت الشريف الطاهرى الجوطى سيدى أحمد بن عبد القادر، ونص ما رأيت بخطه ومنه

نقلت: توفي الإمام الخطيب العالم العامل به قطب زمانه المدرس المحقق الزاهد سيدي محمد بن سيدي عبد الرحمن المكناسي يدعى ببصري يوم الأربعاء موفى عشرين من ذي الحجة الحرام إلخ إلى أن قال: ورأيت بخط غير واحد من عدول مكناسة الذين انقرض عصرهم وصف الشيخ بالعلم والتدريس والمعرفة بالله تعالى ونص المرئي: الفقيه الأجل المدرس المحقق الأتقى الأرفع الأنزه الأسرى الأحفل الأزكى الأعدل الأكمل الخطيب البليغ الحسيب الولي الكامل، القطب العامل، الشيخ الإمام الأوحدهم إلخ.

وأما المرأة التي أخذ عنها التصوف حسبما تقدم في كلام ابن عسكر فقال في المنحة: إنها هي السيدة الجليلة ذات الأحوال الباهرة، والخوارق الظاهرة، مريم بنت عبود الأندلسية دفينة رأس التاج خارج باب عيسى أحد أبواب مكناسة الزيتون لها روضة هنالك مشهورة بها مقصودة للزائرين، وأصل الروضة لسيدي عبد الرحمن والد الشيخ أبي عبد الله.

وأخبرني بعض الأندلسيين من أهل القورجة أنها السيدة فتحون البزازية، وأن السيدة مريم هي التلميذة، وللسيدة فتحون أيضا روضة برأس التاج مشهورة هنالك».

فائدة: ذكر في منحة الجبار أن جميع من بمكناسة من البصريين منحصرون في بنى محمد صاحب الترجمة وبنى عبد الواحد قال: ومنهم شيخنا أبو عبد الله، وبنى عبد السلام، وبنى عبد الرحمن لا غير وكلهم من ذرية ولي الله تعالى أبي موسى عمران، يعنى دفين روضة رأس التاج بمكناسة.

قلت: وينحصر عقب المترجم الآن في أولاد قاسم بن الطيب، وأولاد أخيه المهدي بن الطيب بن الصغير بن مسعود بن محمد فتحا بن المترجم.

وعقب بنى عبد الواحد ينحصر فى أولاد محمد بن الطيب بن عبد الرحمن.

وعقب بنى عبد السلام ينحصر فى أولاد محمد فتحا بن عبد الرحمن بن عبد السلام بحمام الجديد.

وأولاد ابن عبد الرحمن بقى منهم محمد بن الطيب بن محمد بن عبو المدعو ابن دحمان، ويجمعون كلهم فى عمران المذكور، هكذا وجدت هذا التفصيل فى بعض التقايد بخط بعض عدول بلدنا المبرزين الأثبات قائلًا: وهذا فى أوائل العشرة الثانية من المائة الثانية بعد الألف انتهى.

وفاته: توفى بمكناسة آخر ذى الحجة سنة إحدى وتسعين وتسعمائة ودفن بداره من القرسطون إحدى حومات مكناس الشهيرة وقبره إلى الآن مزاراة شهيرة.

٢١٦- محمد فتحا بن الشيخ أبى المحاسن يوسف الفاسى وأكبر أولاده.

حاله: فقيه علامة وجيه نبيه، نشأ فى حجر أبيه المذكور بالقصر نشأة حسنة، وقرأ القرآن وطلب العلم هنالك، وحضر مجالس أبيه، ثم رحل إلى مكناسة وفاس وقرأ على مشيختهما فاستفاد وحصل وأفاد وعلم، وانتفع به جماعة من الطلبة، وكان الغالب عليه علم القرآن والفقه، وكان خيرًا دينًا فاضلًا رقيق القلب كثير الخشوع سريع العبرة، سمحًا جوادًا كريم النفس، مستطاب الحديث، حسن التلاوة، شجى الصوت، لا يكاد يسمع أحد تلاوته إلا بكى ورق قلبه. قال فى المرأة: سكن بفاس إلى أن توفى بها فى حياة أبيه.

مشيخته: منهم والده، وجماعة من أئمة فاس ومكناس وغيرهما.

ولادته: ولد بالقصر سنة تسع وخمسين وتسعمائة.

وفاته: توفى سنة ثمان وتسعين وتسعمائة، ودفن بالكفادين في مقبرة الشرفاء الطاهرين كما بعناية أولى المجد.

٢١٧- محمد فتاح بن محمد بن موسى المكناسي المدعو العشير.

دفن روضة سيدى عمرو بوعودة من حومة حمام الحرة بالحضرة المكناسية.

حاله: شيخ صالح فالح، صوفى فاضل، ولى معتقد متبرك به من أعظم صلحاء مكناسة الزيتون.

مشيخته: وجد منقوشا بلوح خشب فى الجدار الجنوبى عند قبر المترجم ما لفظه: أخذ الطريقة عن سيدى محمد بن التقى الخلوتى، عن سيدى محمد بن عبد الله المدعو بالشيخ دمرداش المحمدى، عن سيدى عمر الرقاشى، عن سيدى يحيى عن صدر الدين، عن عز الدين، عن السيد أخى هرمز، عن سيدى عمر الخلوتى، عن سيدى أخى محمد، عن إبراهيم الزاهد، عن سيدى جمال الدين، عن السيد شهاب الدين الغزى، عن سيدى زين الدين محمد السجاسى، عن قطب الدين الأبهري، عن سيدى أبى نجيب السهروردى، عن القاضى عمر البكرى، عن سيدى محمد البكرى، عن الشيخ محمد، عن سيدى مسماد الدينورى، عن الجنيد البغدادى، عن سيدى سرى السقطى، عن سيدى معروف الكرخى، عن سيدى داود الطائى، عن حبيب العجمى، عن الحسن البصرى، عن على رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ هـ بلفظه.

وفاته: توفى سنة ثمانين وتسعمائة وفى روضته دفن عمرو بوعودة على قبريهما دربور خشب.

٢١٨- محمد الوقاد المكناسي.

حاله: أحد شعراء المغرب المجيدين، وأفاضله المتقين ذو نفس أبية وهمة

٢١٨ - من مصادر ترجمته: جذوة الاقتباس ١/ ٣٢٤.

تطاول الجوزاء له مهارة فى علوم الأدب وغير ذلك وكان أوحد عدول مدينة فاس .
قال ابن القاضى فى الجذوة: حدثنى بخبره شيخنا ابن راشد، وذكر أنه أتى
القاضى نيابة عن الونشريسى أبا الحسن عليا الشامى ليؤدى عنده وكالة، فقصد
تحقيقه فهجاه بقصيدة مطلعها:

فآه ثم آه ثم آه على أسد تمزقه الكلاب

فاشتكى الشامى المذكور على القاضى أبى مالك عبد الواحد بن أحمد
الونشريسى بالوقاد الذى هجاه بالقصيدة المذكور مطلعها، فبعث إليه أبو مالك
وعاب عليه هجوه، فأجابه الوقاد بأن قال له وهبه هجواً كان ماذا؟ أشهد على أنى
لا أشهد [أبداً]^(١) عندى ثلاث من الإماء يغزلن وأكل حتى لا أحتاج إليه أبداً هـ.

٢١٩- محمد بن أحمد بن محمد التلمسانى أبو محمد قاضيهما يعرف بابن
الوقاد.

حاله: إمام له مشاركة ومهارة فى التفسير والحديث والفقه، المرجوع إليه فى
الأصول والفروع والعلوم العربية بسائر أنواعها، وإليه المرجع فى الإفتاء، وعليه
التعويل فى النوازل والأحكام، ومعرفة الخلافات المذهبية، خطيب مصقع بليغ،
أصله من تلمسان، وبها نشأ ثم انتقل بعد التحصيل لسوس الأقصى، ونزول مدينة
ترودانت، وتولى خطة القضاء بأعمالها وخطابة جامعها الأعظم، ثم ولى قضاء
الجماعة بها نحو ستة أشهر، فأعفى لكون أهلها برابر لا يعرف لسانهم.

ثم وجهه أمير وقته قاضياً لسجلماسة وخطيباً، فبقى بها مدة، ولقى بها
الولى الصالح سيدي عبد الرحمن وغيره من أعلامها، ثم نقل لمكناسة الزيتون
وتولى القضاء بها والخطبة بجامعها، ثم خطب بجامع الأندلس بفاس المحروسة،

(١) من جذوة الاقتباس.

ثم رد لتارودانت قاعدة السوس وولى الإمامة والخطبة بجامعها الأكبر، وتصدر للإفتاء والتدريس بها قائماً على مختصر ابن الحاجب الفرعى، والشامل لبهرام وغيرهما، صلب فى دينه، لين الجانب متواضع، متحمل للأذى، صابر على جفاء الفدادين من الطلبة وغيرهم، حسن العشرة، حلو السمائل، كريم المائدة مبسوطها، مقصود للأرامل والأيتام، مشفق على القوى والضعيف، لا يقدر للدنيا قدرا ولا يستقر بيده شيء منها مع وفور ما ينصب إليه من الجرايات والجوائز.

وحصل له جاه ووجاهة عند الخاصة والعامة، تعظمه الملوك فمن دونها ويقدرُون قدره، ويجرون عليه الجرايات التى لم ينلها من قبله، وهو أول من سن إبداء الأفراح بتارودانت فى ليلة مولد النبى ﷺ، وبذل النفقات فيها على السنن الشرعى، كان يجمع الناس فى منزله ليلة العيد النبوى على قراءة الأمداح النبوية بالأناشيد المطربة، وينفق فى ذلك نفقة عظيمة إجلالا وتعظيما ومحبة فى جانب خير الأنام صلى الله عليه وعلى آله وسلم، واهتماما بإقامة موسم ذكرى مولده.

وهو أول من قرأ بها الجامع الصحيح للإمام البخارى قراءة ضبط وإتقان، وأول من خطب بها بلسان عربى مبين وقرط الآذان، بمواعظ توقظ الوسنان، حسن العبارة، لطيف الإشارة، فصيح اللسان، ثبت الجنان، ينشئ الخطب البديعة الرائقة العذبة، الخالية عن التكلف على حسب ما تقتضيه الأزمنة وما يقع من الحوادث، قال أمير وقته الإمام المنصور فى حقه: ليس عنده فى المغرب أخطب منه إلا أن الله اختاره لمدينة ترودانت وإن لم تكن كرسى الخلافة.

مشيخته: أخذ عن الإمام أبى عبد الله محمد بن محمد بن عبد الجليل التنسى خطيب جامع تلمسان وعن مفتى تلمسان وفقهائها الفقيه أبى عبد الله محمد ابن هبة الله الزناتى المعروف بشقرون المتوفى سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة، وعن أبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن جلال التلمسانى المتوفى ثامن رمضان سنة إحدى وثمانين وتسعمائة، والعلامة المشارك أبى عبد الله اليسيتنى

المتوفى فى سادس عشر محرم الحرام عام تسعة وخمسين وتسعمائة، والعلامة
الرحال أبى العباس أحمد بن محمد بن أحمد إذ قال به شهر، المتوفى ليلة الجمعة
ثامن عشر رجب سنة ثلاث وعشرين وألف وغير هؤلاء من الأعلام.

الآخذون عنه: أخذ عنه أبو زيد عبد الرحمن التمرتنى بفتح المثناة فوق
بعدها ميم ثم نون فراء ساكنة فمثناة فوق بعدها ياء النسب مؤلف الفوائد الجمة،
ومنها استفدت هذه الترجمة، أخبر عن نفسه فى كتابه الفوائد الجمة المذكور أنه
أخذ عنه رسالة ابن أبى زيد القيروانى، والمختصر الخليلى من أولهما إلى آخرهما
قراءة تفهيم وتحرير، والمختصر الفرعى لابن الحاجب إلى قرب ثلثه، وسرد عليه
شامل بهرام إلى قرب نصفه، والعقائد والتفسير من تلك الرسل غاية سورة
الأعراف.

شعره: من ذلك قوله:

مقاما عليا فى الجنان مخلدا	من الله أرجو أن يبوثنى غدا
أعدت لأهل العلم والحلم والندا	ويسكننى رضوان جتته التى
له ما حييت الدهر أقرأ سرمدا	بفضل أحاديث البخارى ووجهه
وقوله:	

ولا صديق إذا خان الزمان وفى	لم يبق دهرك من تامن مودته
فقد نصحتك جهدى والزمان كفى	فعش فريدا ولا تألف إلى أحد

وفاته: توفى ليلة الخميس لعشر خلون من ربيع الثانى سنة إحدى وألف،
ودفن قبله الجامع الكبير بترودانت وهو أول مدفون فيه.

٢٢٠- محمد بن قاسم بن محمد الأنصارى المالمقى الضرير الشهير بابن
قاسم نزيل مكناسة الزيتون.

حاله: فقيه أستاذ جليل، ذكره صاحب الجذوة فى ترجمة أحمد بن تميم اليفرنى.

الآخزون عنه: منهم أحمد بن عبد الرحمن بن تميم اليفرنى الشهير بالمكناسى.

٢٢١ - محمد بن محمد الغمارى بالمعجمة الكومى المكناسى.

حاله: فقيه نحوى مشارك متفنن، مفتى مكناسة، كان يستظهر مختصر خليل، وله مشاركة فى الحساب والفرائض والقرآن العظيم بالمقارئ السبعة.

مشيخته: أخذ عن أبى عبد الله محمد المسارى، وعن أبى زكرياء يحيى السراج، وأبى راشد اليدرى وغيرهم.

وفاته: توفى ببلده مكناسة فى الثالث والعشرين من ربيع النبوى عام اثنين وألف كما فى التقاط الدرر وغيره.

٢٢٢ - محمد بن مبارك الزعرى الأصل المكناسى النشأة.

حاله: من مشاهير الأولياء الكاملين، وأعيان الصالحين، كان أول أمره بمكناسة الزيتون يتعاطى القراءة فصعب عليه الأمر وتعذر عليه الفهم، فرأى النبى ﷺ فقال له: إنك لن تقرأ، ولكنك شيخ، فظن أنه يكون من أشياخ القبائل، فرحل للبادية فلم يزل بها حتى هبت عليه نفحة القرب، من حضرة الرب، فذهب لمراكش ولقى بها الشيخ الكامل أبا عمرو القسطلى، ورجع إلى باديته فبنى مسجدا بالموضع الذى عين له شيخه لسكناء، فيقال: إنه قال له: جعلت محرابه منحرفا فأشار بيده إلى جهة مكة فترحزحت الجبال حتى شهد الحاضرون مكة واللله على

٢٢١ - من مصادر ترجمته: التقاط الدرر - ص ٢١.

٢٢٢ - من مصادر ترجمته: التقاط الدرر - ص ٣٠.

كل شىء قدير، وهذا غير مستغرب فى جانب كرامات الأولياء التى لا ينكرها إلا مبتدع مارق لثبوتها بالكتاب والسنة والإجماع، وكان يقول: أهل زماننا محسوبون علينا، فبلغ ذلك لعصريه الشيخ أبى عبد الله محمد الشرقى فقال رضى الله عنه: اشهدوا أنا من أهل زمان ابن مبارك.

مشيخته: منهم الشيخ أبو عمرو القسطلی.

الآخذون عنه: منهم العارف الكبير أبو عبد الله الشرقى.

وفاته: توفى بتاستاوت سنة ست وألف، وضريحه شهير بزار، قرب ضريح

الشيخ أبى يعزى، وهو لا يبعد عنه إلا بنحو ثلاثين كيلو متر.

وقد أخبرنى بعض من وثقت بخبره أنه وقف بزواية هذا الشيخ المباركية على

نسختين من مؤلف فى كرامات الشيخ المترجم لا تاريخ بهما ولا ذكر لمؤلفهما

فيهما، إحداهما من حبس الزاوية المذكورة، وثانيتها ملك للغير، بالثانية نقص

فى آخرها وأوراق كل نحو الخمسين وليس بذلك المؤلف من الفوائد التاريخية ما

يهم الباحث الاطلاع عليه.

وللشيخ هناك عقب ذوو وجاهة. وله زاوية بالرباط تعرف بالزاوية المباركية.

٢٢٣- محمد السبع بن عبد الرحمن المجذوب الولی الشهير.

حاله: شيخ عابد بركة من أولياء الله الصالحين، كان أرميا والد به خدمة

الشيخ أبى المحاسن الفاسى، ذكره صاحب المطمح وغيره.

مشيخته: أخذ عن أبى المحاسن المذكور وغيره.

وفاته: توفى سنة أربع عشرة وألف.

٢٢٣ - من مصادر ترجمته: التقاط الدرر - ص ٤٥.

٢٢٤- محمد بن أبي القاسم بن محمد بن محمد بن قاسم بن أبي العافية الشهير بابن القاضي المكناسي.

حاله: فقيه عالم علامة قدوة محصل حيسوبى فرضى مشارك رحالة كان أوجد عصره فى علم الحساب والفرائض والتوقيت والتنجيم والجدول وغير ذلك وله مخالطة لعلم الحدثن تذكر عنه حكايات فى ذلك غريبة مع الفهم الثاقب والإدراك التام، حج ولقى جماعة كالأجهورى وأضرابه.

مشيخته: أخذ عن عمه مؤلف الجذوة وعن الحافظ أحمد المقرئ وسيدى العربى الفاسى وغيرهم.

مؤلفاته: منها البرق الوامض، فى الحساب والفرائض، وكتاب لطيف أخذ فيه فصول الفرائض من لفظ زيد بن ثابت، وتحقيق المذهب فى مسائل الجد، ورحلة للمشرق، ومحاذى على قصيدة ابن ليون فى التفسير، ومحاذى على الروضة فى التوقيت، وتحفة الخالى، على نظم سلك اللثالى فى الخمس الخالى، لسيدى العربى الفاسى وله غير ذلك.

وفاته: توفى رحمه الله قتيلا بمسجد القرويين من فاس غدراً بعد أن قام من مجلس تدريسه عند عشاء يوم الاثنين فى واحد وعشرين من ذى الحجة سنة أربعين وألف.

٢٢٥- محمد بن أحمد بن عزون الجزنائى أبو عبد الله المكناسي.

أورده فى نشر المثنائى من جملة أهل العام الثامن من العشرة السادسة.

٢٢٦- محمد بن أحمد بن عزوز المكناسي.

حاله: قال أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر

٢٢٤ - من مصادر ترجمته: التقات الدرر - ص ٩٢.

الفاسى فى كتابه الإعلام فى حقه ما نصه: فقيه أديب شديد الطلب، بارع فى الأدب.

مشيخته: منهم أبو محمد عبد القادر الفاسى حضر مجالسه المختلفة الفنون، واقتنى منها ما تقر به العيون.

وفاته: توفى بتونس سنة ست وستين وألف، قاله فى الإعلام.

٢٢٧- محمد بن أحمد الصباغ لقبا البوعقيلى نسباً.

أصله من مكناس ونشأ بفاس.

حاله: فقيه علامة مشارك حيسوبى فرضى، جليل القدر، ناقد بصير عارف بعلم الحديث والفقه، ماهر فى علم الهيئة والحساب والفرائض، سلم له أهل عصره فى ذلك، ورجعوا له فى خبايا تلك العلوم، وتصدر هو لتعليمها فانتفع به قوم.

مشيخته: أخذ عن الشيخ أبى العباس أحمد بن القاضى، وابن عمه أبى عبد الله محمد بن القاضى وغيرهما.

مؤلفاته: منها شرح على المنية لابن غازى سماه البغية فى شرح المنية، أجاد فيه ما شاء، واليوافيت، فى الحساب والفرائض والموافيت، وكشف قناع الالتباس، عن بعض ما تضمنته من البدع مدينة فاس، وشرح الروضة، واختصار شرح المنجور على المنهاج، وغير ذلك من التأليف والتقاييد الحسنة المحررة.

ولادته: ولد سنة تسعين وتسعمائة.

وفاته: توفى سنة ست وسبعين وألف ودفن بعين أصليتين من الحضرة الفاسية بدار ضريح ابن عبد الكريم وعمره ست وثمانون سنة.

٢٢٨ - محمد فتاح ابن الحافظ الضابط أحمد بن أبي المحاسن يوسف الفاسي.

حاله : طائر الصيت، منتشر الذكر في سائر البلاد، فقيه علامة متضلع في جميع العلوم، إمام حجة، ناقد خبير بصير، ضابط متقن مشارك متفنن، مقرئ بارع في قراءات السبع، محصل محرر، مدرس نفاع، مقيد حافظ، مستحضر للمسائل، يستظهر تسهيل ابن مالك، ومختصر ابن الحاجب الأصلي وغير ذلك، فصيح العبارة لا يجارى في سائر الفنون، قوى الفهم، حسن الأخلاق، لين الجانب بشوش، مقبل على الصغير والكبير، كريم سريع الدمعة.

استوطن مكناسة الزيتون، وتقلد قضاءها مدة، فحمدت سيرته، وتواطأت الألسن على مدحه إلى أن نقله السلطان المولى الرشيد لفاس سنة سبع وسبعين وألف، وولاه الفتيا والخطابة بالقرويين، ثم أخرج عن ذلك فلازم القرآن والتقيد والإفادة للخاص والعام.

مشيخته: أخذ عن ابن عاشر، وابن أبي النعيم، وعمه سيدي العربي، وعم أبيه سيدي عبد الرحمن بن محمد، وعن أبي الحسن بن الزبير السجلماسي، وأبي الحسن البطوثي^(١).

وبالإجازة عن الشيخ القصار، وأبي زيد بن القاضي، وصاحب الترجمة مع الإمام أبي محمد سيدي عبد القادر بن علي الفاسي قرينان في طلب العلم والسن ولقاء المشايخ، وكلاهما من أجل أهل زمانهما كذا في نشر المثنائي.

الآخذون عنه: أخذ عنه أبو محمد عبد السلام القادري، وسيدي محمد

٢٢٨ - من مصادر ترجمته: نشر المثنائي في الموسوعة ١٥٧٨/٤.

(١) قيده في نشر المثنائي من الموسوعة ١٢٨٥/٣: «بضم الطاء المشددة فواو وهمزة قبل ياء النسب».

وعبد الرحمن ابنا شيخ الإسلام أبى محمد عبد القادر الفاسى ، والقاضى أبو عبد الله بن الحسن المجاصى ، والقاضى أبو عبد الله بردلة .

مؤلفاته: منها شرح لطيف على المختصر الخليلى ، وشرحان على نظم المراسد لعمه سيدى العربى ، وشرح لنظمه أيضا فى المنطق .

ولادته: ولد بفاس ضحى يوم الخميس تاسع محرم سنة تسع وألف وفى النشر ثمان وألف .

وفاته: توفى بفاس آخر ليلة الثلاثاء ثانى عشر ربيع الأول سنة أربع وثمانين وألف ، ودفن بروضة جده أبى المحاسن من جهة القبلة خارج القبة ، وإلى ذلك إشارة الشيخ المدرع فى منظومته بقوله :

وسيدى محمد بن أحمد	سليل يوسف الإمام الأ مجد
بخارج القبة حوشه اشتهر	من جهة القبلة بان وظهر

٢٢٩ - محمد العرائشى أبو عبد الله .

حاله: فقيه نبيه جليل ، صوفى نبيل ، كان ناظرا فى العهد الإسماعيلى على أحباس الولى المتبرك به حيا وميتا عبد الله بن حمد ، وهو الذى تولى بناء ذلك الضريح المرونق عن إذن سلطان وقته سيدنا الجد المذكور حسبما ذلك مرقوم فى نقش زليج بالحائط عند رأس قبر المترجم .

ودونك نص الغرض منه :

هذا ضريح خديم هذا الولى الصالح سيدى عبد الله بن حمد نفع الله به ، وناظر أحباسه والذى بنى هذه الروضة المباركة عن أمر مولانا إسماعيل نصره الله ، وهو الحاج محمد العرائشى رحمه الله .

وفاته: توفى عند فجر يوم الثلاثاء ثامن عشر من جمادى الأولى سنة ثمانية وتسعين وألف.

٢٣٠ - محمد الغمارى.

دفن حومة حمام الحرة جوار الولى الصالح السيد عمرو بوعودة آتى الترجمة.

حاله: لم أقف فى ترجمته على شىء زائد على ما برسم حبس دونك لفظه:

«الحمد لله وحده، نسخة رسم واحد والإعلام بالقبول عقبه وخطاب نائب من يجب سدده الله لمغيبه عقبه نصه، الحمد لله بشهادة شهيديه أمنهما الله بمنه حسبما فى غير هذا حبس الشريف الأصيل مولاى السعيدى ابن مولاى الجيلانى المنونى من داره المعروفة له فى جوار سيدى عمرو بوعودة، الولى عن يمين الداخل للدرب الذى كان به سكنى العلامة سيدى الغازى، جميع براحها مع البيتین الصغیرین المستندین على اروی مولاى الطیب على الولى الصالح، الكوكب اللائح، سيدى محمد الغمارى نفعا الله به ليدفن بهما هو ويدفن غيره من سائر الناس، وثمان القبور يكون فى مصالح ضريح الولى بعد أن يبنى ويكون زاوية، وإن فضل على ذلك شىء اشترى به ما يوقف على روضة الولى للانتفاع به فى مصالحه من إيقاد وغيره، وأبقى الشريف المذكور من داره المذكورة مما عدا ما حبسه لنفسه، وذلك البيت المقابل للداخل للدار المذكورة المستند على روضة ولى الله سيدى عمرو بوعودة، والمقابل له ينتفع بهما بما شاء من دفن أو غيره، والباب تبقى متحدة بينه وبين الروضة، وإن شاء أخرج البيتین أو أحدهما.

وشهد به عليه بأكمله وعرفه فى أواسط ذى القعدة الحرام عام خمسة وتسعين ومائة وألف محمد بن عبد الله الرجراجى لطف الله به، وعبد الرحمن ابن الحاج قاسم الفلوسى وفقه الله آمين.

وبعده: الحمد لله أعلم بقبولهما عبد الله سبحانه وتعالى محمد الطيب بن محمد بصرى وفقه الله بمنه ولطف به.

وبعده بخط نائب من يجب لمغيبه: أعملته انتهت قابلهما بأصلها فمائلته وأشهده الفقيه الأجل، العالم الأفضل، نائب قاضى الجماعة لمغيبه بمدينة مكناس، وهو الكبير بن أحمد العوفى تغمد الله برحمته أعزه الله تعالى وحرسها، بأعمال المنصوص عنده الأعمال التام لأعماله لديه بواجبه، وهو حفظه الله تعالى بحيث يجب له ذلك من حيث ذكر، وفى التاسع والعشرين من رمضان المعظم عام أربعة ومائتين وألف عبد الله سبحانه وتعالى فلان بشكله ودعائه وعبد ربه سبحانه وتعالى فلان بشكله ودعائه.

وقد أخبرت على لسان أهل العدل أن كرامات المترجم تواترت لدى الخواص والعوام من قدماء أهل بلدتنا المكناسية، من ذلك ما حدثنى به بعض المبرزين الموثوق بأمانتهم وديانتهم من العدول أهل العلم والثبات عن بعض الأساتذة الطاعنين فى السن، أنه سمع بالتواتر على السنة أهل الصدق والدين أن المترجم دخل يوم عيد أضحى لدار من دور حومة حمام الحرة حيث مدفنه الآن، فوجد ربة الدار تشوى كبدا أضحيته وهى تبكى، فاستفهمها عن سبب بكائها فأخبرته بأنها تذكرت ولدا لها ذهب حاجا فى ذلك العام، وأنها لم يطب ولم يهنأ لها أكل ذلك الكبدة دونه، فقال لها: ناولينى حظه فتاولته قطعاً من ذلك الكبدة فى آتية، وجعلت له مع ذلك خبزة، فأخذ منها ذلك وخرج، ثم رجع لها من حينه، وقال لها: قد أعطيته ذلك فشكرته، والله أعلم بما يخامر ضميرها.

ثم إن ولدها بعد رجوعه من الحج أخبر بأنه كان ماراً في رفاق من أرقه مكة المشرفة يوم النحر، وإذا برجل جبذه من ثيابه فلما التفت إليه قال له: خذ هذه الآنية بما فيها فأخذها ظناً منه بأنه من أهل مكة، ثم لما رجع لرفقته بمحل نزوله متأبطاً لما ذكر وأخبرهم بالواقع، وأنه بمجرد ما سلم له الرجل الآنية غاب عنه، ولم يدر أى فج سلك، وأنه جزم إذ ذاك بأن الرجل ليس من أهل مكة، وأنه ولى من أولياء الله تعالى خصه بذلك فضلاً منه سبحانه، وأن تلك الآنية بعينها تركها بداره بمكناسة عند والدته فسخروا منه وعدوا مقالته من هزل القول، وقالوا له: إنما تلك فضلة فضلت عن عيال الرجل فخرج يتصدق بها فصادفك أمامه فأعطاك إياها، فانتظر مجيئه فى طلب الآنية، فلم ير للرجل بعد أثرًا.

ثم بعد أوبته من الحج أخبرته أمه بحقيقة ذلك، وقصت عليه القصص فصدق لها الواقع بإخراج الآنية وشاعت القضية بين أهل البلد وغيرهم، وزاعت وازداد حسن اعتقاد جميع الناس فى المترجم، وأن المترجم كان يدخل لسائر دور أهل البلد من غير استئذان وبالأخص دور الحومة التى فيها مدفنه اليوم، ويقابل عند الكل بكل تكرمه وإجلال لحسن اعتقادهم فيه ورغبتهم فى نيل بركته، وأنه كان يصبح كل يوم فى حلة بيضاء ناصعة فيروح بها كأنها ثوب زيات ولم يدر من أين تصاب له بذلك ولا ما يعمل حتى تصير على ظهره كالليل الحال ك إلى غير هذا من أنواع الكرامات، الخارقة للعادات.

وقد علم وتقرر أن كرامات الأولياء ثابتة كتاباً وسنة وإجماعاً، فلا يستغرب هذا وأكثر منه فى جانبهم رضوان الله عنهم.

٢٣١- محمد بن محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن جابر الغساني

الأصل.

٢٣١ - من مصادر ترجمته: كفاية المحتاج ١٩٤/٢، نيل الابتهاج ٢٣٩/٢.

نسبة إلى غسان - بفتح الغين المعجمة والسين المهملة وبعد الألف نون -
وهى قبيلة كبيرة من الأزد، شربوا من ماء غسان وهو باليمن فسموا به، المكناسى
الدار.

حاله: ثبت ذكى واعية، أستاذ حافظ متضلع، مطلع نقاد.

مشيخته: أخذ عن والده، والشيخ المبارك أبى خالد يحيى بن يحيى بن خالد
وغيرهما.

الآخذون عنه: منهم الإمام ابن غازى قال: جالسته بمكناسة واستفدت منه
كثيرا، ومن أغبط ما أخذت عنه المصافحة المروية من طريق الخضر، ومنهم الإمام
سقين العاصمى رأيت فى إجازة لأبى القاسم الغسانى أجاز بها سيدى محمد
العياشى روى فيها المصافحة عن المنجور عن سقين عن المترجم عن والده بالسند
السابق فى ترجمة ابن غازى.

ولم أر من تعرض لولادة المترجم ولا وفاته، لا بمن ترجمه كسيدى أحمد
بابا فى النيل، وتلميذ المترجم ابن غازى فى الفهرسة، والذى يظهر من أحواله أنه
عمر رحمه الله رحمة واسعة.

٢٣٢ - محمد بن الحسن المجاصى.

الغياثى الأصل، المكناسى الولاية والوفاة، قاضيا أبو عبد الله.

حاله: فقيه ناقد، علامة مشارك، متبحر مدرس نفاع، مفت مطلع متضلع،
محرر محقق، حافظ متقن، خطيب مصقع، بليغ واعظ ناسك، من أهل الثبوت
فى الأحكام والتحرى فيها، له عارضة فى التقييد، وباع فى النظم والنثر.

٢٣٢ - من مصادر ترجمته: نشر الثانى فى موسوعة أعلام المغرب ١٨٢٣/٥.

وكان فى أول أمره خامل الذكر معتزلا عن الناس فولاه السلطان المولى الرشيد بن الشريف الحسنى بإشارة من العلامة الأستاذ سيدى عبد الرحمن بن القاضى المكناسى قضاء فاس الإدريسية، بعد أن عزل حمدون المزوار على ما فى الدر المنتخب، وذلك آخر جمادى الأولى عام تسعة بمشاة وسبعين بموحدة، وخطبة جامع القرويين بها فى ثانى وعشرى رجب عام أربعة وثمانين وألف، فجمع بين قضاء فاس وخطبة مسجدها الأعظم.

والذى فى نشر المثنائى أن تولية المترجم كانت بعد عزل سيدى محمد البوعنانى^(١) فإله أعلم بالحقيقة.

قال فى الدر المنتخب: إن مولانا الرشيد لما دخل فاسا سأل أهلها عن أفضل علمائها وأسنهم، فقبل له: سيدى عبد الرحمن بن القاضى، فاستدعاه للقدم عليه فأجابه بأنه لا قدرة له على القدم عليه لكبر سنه وملازمته بيته، فقال للرسول: إنى آتية ويخرج بمحل قريب من بيته ألتقى معه به، فخرج لعرصة درب الدرج التى حائطها موال لمصمودة، ولما ورد السلطان فتحوا له نقبا فى جوار العرصة دخل على الشيخ منه واجتمع معه، وبعد التماس بركته والفراغ من سنة السلام، قال له: أتيتك لأستشيرك فيمن أوليه بفاس من حاكم وقاض ومحتسب وناظر؟ فقال له: أما الحاكم فلا أتقلده، والقاضى حمدون المزوار، والمحتسب عبد العزيز الفركلى الفيلالى، والناظر العدل مسعود الشامى.

ولما خرج من عنده أمر أن يبنى بالمحل الذى دخل منه باب ويبقى طريقا، فهو الآن درب الدرج لم يكن قبله، ولما بلغ دار الإمارة نفذ القضاء لحمدون المزوار، والحسبة للفركلى الفيلالى، والنظر فى الأوقاف للعدل مسعود الشامى فامتنع منها وسجن عليها سبعة أشهر، ولما ضاق عليه الأمر أجاب على شرط أن

(١) نشر المثنائى فى الموسوعة ١٨٢٣/٥.

لا يتعرض له قاض ولا وال، لأن الأحباس كلها حازها للصوص والأشراف أيام الفترة حتى كادت أن تستأصل كلها، واشتغل بالبحث عنها واستظهارها ومن اتهمه بربع أو أرض يحوز عليه كل ما عنده من الرباع، فما ظهر رسمه رده له، والذي لا يظهر رسمه علم أنه مغصوب فيحوزه للحبس حتى رد الأوقاف كلها.

قال: ولما تولى القضاء المزوار المذكور، وكان كثيرا ما يرد أحكامه المفتى سيدى عبد الوهاب الفاسى فى نوازل وأحكام تقع منه تخالف المشهور، وعلم بذلك الشيخ ابن القاضى كتب بذلك للسلطان الرشيد يقول: إن من أشرت عليك بتوليته القضاء له أصهار وأنصار، فأقلنى من عهدته أقالك الله من النار، فأمره أن ينظر للقضاء من هو غريب الدار، فأشار عليه بالترجم.

قال: وتقدم ما ذكره فى نشر المثانى فى سبب عزل المزوار وتولية صاحب الترجمة وهو ليس مخالفا لما هنا، لأن ما هنالك مجمل وما هنا مفصل هـ وكلام النشر المحال عليه هو ما سيمر بك.

ثم صرف، أعنى المترجم، عن القضاء بفاس والخطبة بجامعها فى رابع ذى القعدة عام ثمانية وثمانين، ثم بعد مضى عشرين يوما رام من المتولى بعده وهو الشيخ أبو عبد الله العربى بردلة أن يشركه معه فى فتوى فاس أو خطبة مسجدها المذكور، فامتنع الشيخ بردلة من ذلك.

فأخذ المترجم فى التدريس بجامع القرويين فى بعض الكراسى بها من دون تولية إلى أن ولى قضاء حضرة السلطان المظفر مولانا الرشيد الحسنى بمكناسة الزيتون، وسبب تولية صاحب الترجمة قضاء فاس فيما يحكى، أن السلطان المذكور رد إلى القاضى بعض مسائل من الأحكام المتعلقة بنسبة من له الشرف بفاس فلم يتضح للقاضى المذكور ما يجيبه به عنها، فاستعجله السلطان من ذلك وعزله، وقال: لا أولى قضاء فاس إلا من كان غريبا لا أهل له ولا صهر، فاختر

الفقهاء الذين بمدارس فاس، فلم يجد أنجب من صاحب الترجمة حيثئذ فولاه قضاءها، فسلك رحمه الله سبيلا حسنا، وكفى به أن الشيخ اليوسى ارتضاه للمشورة فى الرسالة التى كتبها لسيدنا الجد السلطان مولانا إسماعيل، إذ قال له فيها: فعلى سيدنا أن يقتدى بهؤلاء الفضلاء ولا يقتدى بأهل الهوى، ويسأل من معه من الفقهاء، كسيدى محمد بن الحسن - يعنى صاحب الترجمة - وسيدى أحمد بن سعيد وغيرهما من العلماء العاملين الذين يتقون الله ولا يخافون فيه لومة لائم. انتهى.

وما أراداه السلطان من اتخاذ القضاء غريبا هو من أسباب العون على العدل وتيسيره، وما زال أهل العدل يحتاطون له.

انظر ما فعل القاضى ابن محسود فإنه حكى عنه فى التشوف: أنه لما ولى قضاء فاس اتخذ رياتا بمكناسة يقضى له الضروريات لئلا يكون له مخالطة مع أحد من أهل ولايته بوجه ما، انظر لفظه فى ترجمة أبى عبد الله بن محسود.

وقد كان صاحب الترجمة من أهل الثبوت فى الأحكام والتحرى، ومما يحكى عنه فى ذلك أنه كان إذا أشكل عليه وجه الحكم قيده وضرب الأجل للخصم حتى يفرغ لتأمله، وكان مظنة وقت فراغه يوم الخميس، فيمضى إلى شيخه إمام الجماعة أبى محمد عبد القادر بن على الفاسى ويذاكره فيه بمحضر من يتفق له حضوره من العلماء حتى يتضح الأمر فيحفظه ليحكم به على الخصمين، وهذه سيرة عالية تدل على قوة الدين، والتمسك بحبله المتين.

مشيخته: أخذ عن سيدى عبد القادر الفاسى، وناهيك به وعمن فى طبقة من شيوخ عصره، وأجازه عامة: الملا إبراهيم بن حسن الكورانى الشهرزورى بواسطة صاحبه قاضى سجلماسة أبى مروان عبد الملك التجموعتى عندما رحل للحج، كما وجد ذلك بخط التجموعتى المذكور.

والملا إبراهيم هذا يروى عن العارف بالله صفى الدين أحمد المدنى وغيره .

الآخذون عنه: تخرج عليه جماعة من الفقهاء القادة الأعلام، منهم سيدى

عبد السلام بن الطيب القادرى جد صاحب النشر للأب .

مؤلفاته: منها تقييد فى الأشراف الجوطيين فى نحو نصف كراسة صغيرة قال

فى آخره: ولجلالة هذا النسب الشريف وعظيم مكانته تعلق به جماعة من أعيان

العلماء وصدور الأئمة، فقائل يقول: أمى شريفة، وآخر يقول: جدتى وآخر

يحكى أن له فى شريفة رضاعا كالشيخ السنوسى، وجلال الدين السيوطى،

والشيخ زروق. وقال صاحب الزلفى: ليت لمثلنى من ذلك ولو كخيطة العنكبوت،

ثم قال: وفى الحديث إن الداخل فيهم وليس منهم يفضح بين الخلائق إذا لم يدع

باسم أبيه ويستحى، وهذا إذا لم يكن هو المتسبب فيه، وأما المدعى الكاذب الأول

فما يناله من العقوبة واللعة أبشع وأفظع من فضيحة تابعه إذا لم يعلم باعتداء

آبائه، ولعل هذا سبب من يتورع من الانتساب، ويقول: إن يكن شئ من هذا

حقاً فإنما نحتاج إليه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، وإن كان باطلاً فنحن منه على

جناح سلامة، ويحسن هذا فى حق من وجد شيئاً بيد آبائه ولم يكن متواتراً شائعاً

ذائعاً نعم من غير أن يتبرأ منه، ولعله ينتفع انتفاعاً ما .

وفى فهرسة شيخ المشايخ، شيخ شيوخ شيوخنا العلامة سيدى أحمد المنجور

فى ترجمة شيخه العلامة المحقق أبى عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الرحمن

اليسيتنى قال: أصله من بنى يسيتين بربر من عمالة دبدو، من بطن منهم يقال لهم

بنو كلال، وهم يتممون إلى الشرف العلوى من فاطمة البتول رضى الله عنها،

ولكن لم يثبت لهم ذلك كالمشاهير بالشرف من القبائل، ولهذا لم أسمع شيخنا

المذكور قط ينتمى إليه ولا رأيت به خطه فى براءة أو كتاب علمى، ولا يزيد على

لفظ اليسيتنى وإن كان أبوه الفقيه أبو العباس - وكان يقرأ فرعى ابن الحاجب من

أقران أبى العباس الزقاق - ينتمى إليه وكذلك جده الصالح التالى لكتاب الله

تعالى أبو زيد عبد الرحمن كان يقرئ الصبيان بالمكتب المقابل بانحراف لدرب
اللمطى من عدوة فاس الأندلس مشهورا بالبركة.

وقد رأيت رسم شرف لأم عبد الرحمن هذا وقال لى صاحبنا الفقيه أبو عبد
الله ولد شيخنا الإمام: إنه كان عندهم رسم شرف لجده عبد الرحمن من قبل
الأب أيضا، فلما لم يصح ذلك عند الشيخ هرب من ذلك، وأخذ بالاحتياط
والحزم فى دينه مخافة أن تلحقه لعنة رسول الله ﷺ للدخول من غير نسب.

وسمعت مولانا أمير المؤمنين أبا عبد الله محمد الشيخ المهدي يوم خروجه
لحركة مللو سنة ثمان وخمسين يسأل الشيخ كم لهم بفاس؟ فقال له: نحو مائتى
سنة، قال: ملفق هذه العجالة وقضيتنا قريبة من قضية هذا الشيخ فإنى ورى
العالم بالخفيات والمجازى يوم تبلى السرائر أدركت والدى رحمه الله وعماً لى من
حملة القرآن العظيم وهو ابن الصغير بن يعقوب المغراوى يتمون للجانب العلوى
ولا يتوقفون فى ذلك، ورأيت بعينى رسم شرف وظهائر ولا أدرى أين صارت،
وكان أبى يقول: إن أخاه سيدى محمد قدم مع والده سيدى الصغير من مغراوة
الجزائر وأنهم من ذرية ولى صالح يدعى بسيدى يعقوب أو أبى يعقوب وأنهم
يعرفون بذلك ببنى مرزبة - بميم فراء ساكنة فزاي مكسورة فباء موحدة بعدها هاء
التأنيث - سموا بنبت يعرف بذلك.

أما أبى فلإنما ولد بحوز فاس ببنى وارش على ما حدثنا به رحمه الله،
وبأيديهم رسم الآن ثبت بشيوخ مسنين ممن أدرك الأب والعم، والله المستول أن
يجمع همتنا عليه ويحقق لنا النسبة الروحانية ويرعانا بعين رعايته فى الدارين،
وأدعو بدعاء القطب العارف بالله مولانا عبد السلام نفعا الله به: اللهم ألحقنى
بنسبه وحققنى بحسبه، والسلام على من يقف عليه عبد الله محمد بن الحسن
المجاصى وفقه الله وكان له بتاريخ تسعة وتسعين وألف هـ.

ووجد مقيدا عقب التقييد المذكور ما نصه بعد الحمدلة والصلاة:

تصفحت الأنقال المشار إليها أثناء هذه الأوراق فالفيتها مطابقة لما تحصل من أصولها المنقولة منها، وأما ما ذكره صاحبنا الفقيه العلامة سيدى محمد بن الحسن عن سلفه فقد سمعته منه والله يثبتنا على القول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة، ويجعلنا من أمة سيدنا المصطفى عليه الصلاة والسلام يوم فلانما هى رجرة واحدة فإذا هم بالساهرة، قال ذلك وكتبه العبد الفقير أواسط ذى القعدة الحرام سنة تسع وتسعين وألف عبد الملك بن محمد التجموعتى وفقه الله هـ.

ومن تأليفه: تقييد فى مسألة العكاكزة، ونظم فى أشراف المغرب، وأجوبة حسنة تضمنتها نوازل على ما له من العارضة فى العلوم.

شعره: من ذلك قوله ناظما عمود نسب النقيب مولاي عبد القادر بن عبد

الله الشيبهى:

حمداً لمن جعل السعادة كلها	حب النبى وصحبه والآل
ثم الصلاة على الرسول محمد	قطب البرية غوثها المتعال
وسلامه الأزكى يؤم ضريحه	طيبا على طيب المكان العال
وعلى صاحبتة وعترته النهى	أهل الندى والجود والإفضال
هذا وقد أمر العلى جانبه	أمرا يذل ضئولة الرئبال
أمرا ببذل الدر من أسلافه	من أصله والى زمان الحال
فأجابه العبد العي لسانه	مولاي هذا موقف الإبطال
فازداد حرصا بعدها وتحتمت	طاعاته فى سائر الأحوال
أسعفته وجعلت بيت قصيدتى	مولاي عبد القادر المفضال

الفائق الأبهى البديع جماله
وسعت بين جنباه متضرعا
نجل العروف اللوذعى محمد
بأبيه عبد القادر الأسمى الذى
نجل الشريف الشامخ القدر العلا
بأبيه أحمد ذى الفضائل والحجا
بالزاهد القرشى عبد الواحد بـ
عبد إلى الرحمن فيه إضافة
فاضت أبا غالب بحار نوالكم
والفارس الحامى الذمار محمد
بأبيه عبد الواحد بن الماجد الـ
أعنى أبا عبد الإله وصل به
بالواحد الأسنى الشريف محمد
بأبيه حم نجل يحيى المنتقى
بأبيه إبراهيم للأصل المنتمى
بالفاضل الأرقى الحسيب محمد
والقاسم الأركى الرفيع مقامه
بأبى العلا إدريس ناشئ فاسنا
بأبيه عبد الله نجل المجتبى

عجبا لطينته من الصلصال
بأبيه عبد الله فى تسأل
بيت النبوة سيد الأقبال
يعلو على التفصيل والإجمال
مولاي عبد الواحد المفضال
هو الشبيه بسيد الإرسال
من الهاشمى صاحب الأحوال
يحمى حماية صاحب الأشبال
كأيك عبد الواحد الهطال
واعرف عليا كاشف الأوجال
أرقى الذى أحلى من السلسال
عبدا إلى الرحمن ذى الإكمال
من كان والده عليا عال
كل المجادة فيه فى اضمحلال
للمجد يحيى بارع الأفعال
بالجوط يحيى نخبة الأبدال
نفع الموالى قاسم الأموال
بأبيه إدريس المتام العال
حسن المثنى صادق الأقوال

بالسبط والده البهى جماله
بالوالد الأدرى على المرتضى
من عرسه بنت النبی محمد
وقوله:

يا روضة كملت محاسنها التي
فى عام شمل غير حول زررت
وتزخرفت وتعطرت وتهذبت
وتشعشت أنوارها وتكلمت
وتهذبت أخلاقها وتنسمت
من بعد أن طرب الزمان بحسنها
قطب البرية عزها وفخامها
المولوى الهاشمى المنتقى
قد صاغها النجل السرى تكرما
ابن الرضى مولای عبد الله ذى الـ
دامت مسرته ودام سعده
ووقاه من شر الزمان وفتكه
وأناله فى الناس ظلا وافرا
وكسا بنيه الغر فضل رداة
لا زال مجدهم العلى مؤزرا
دخل الحمى يا آل بيت المصطفى

حسن بن فاطم بغية الآمال
ليث الحروب منرج الأهوال
فيه انتهاء العز والإجلال

جلب العقول بهاؤها للناظـر
أزرارها وتنظمت بجـواهر
أغصانها وتبسمت للزائر
أطيـارها وتدفقت بكـواثر
أوراقها وتفتحت بأزاهر
زفت إلى بحر البحور الزاخر
سر النبوة فخر كل مفاخر
إدریس منقذ غربنا فى الغابر
وتفضلا مولای عبد القادر
أصل الزكى الطيب بن الطاهر
وحسوده فى ضنك عيش خاسر
وكفاه ثورة فاجر أو جائر
يكفيه من بغى الظلوم الماكر
يتناسقونه كابرًا عن كابر
ومؤيدا باسم العزيز القاهر
عبد ذليل ماله من ناصر

وفاته: توفي عصر يوم السبت رابع ربيع الأول عام ثلاثة ومائة وألف، ودفن عند الغروب من يومه بمكناسة الزيتون في روضة سيدى أحمد الحارثى، المعروفة الآن بروضة الشيخ الكامل، وعليه بناء متصدع على يمين الداخل للروضة المذكورة من الباب المعروف بباب المعراض خارج باب السبية أحد أبواب العاصمة المكناسية.

٢٣٣ - محمد بن أحمد المزطارى المكناسى الشاذلى.

ذكره فى سلك الدرر.

حاله: شيخ إمام عارف مسلك مرشد أستاذ كامل صوفى ربانى، حكى تلميذه الشهاب أحمد بن إبراهيم الحبالى الإسكندرى أنه ما غفل قط فى وقت من الأوقات الخمسة عن سبعين ألفا من لا إله إلا الله فى مدة إقامته معه، وكانت المدة المذكورة ثمانية عشر عاما، وكان جبلا من جبال المعارف منار هدى وإرشاد، وله كرامات كثيرة، وخوارق شهيرة، لا تسعها الأفهام، ولا يطيقها نطاق الأقلام، رحل من بلده مكناسة إلى دمشق الشام، وقدمها غرة جمادى الأولى سنة ست وتسعين وألف، ثم رحل من دمشق إلى مكة المشرفة واستوطنها وبها كانت منيته.

مشيخته: أخذ الطريقة الشاذلية عن شيخه الفرد الربانى سيدى قاسم بن أحمد القرشى السفينانى المدعو بابن بلوشة.

الآخذون عنه: منهم الشيخ عبد الرزاق بن عبد الرحمن السفرجلانى، والشيخ محمد بن خليل العجلونى، وكتب له بذلك إجازة مطولة، والشهاب أحمد الحبالى وخلق، ويتصل سند المترجم من طريق الشيخ محمد أمين أفندى السفرجلانى الدمشقى الشامى بالسند المذكور، فى ثبته عقود الأسانيد.

٢٣٣ - من مصادر ترجمته: سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر ٣٣/٤.

ولادته: ولد عام أربعة وأربعين وألف.

وفاته: توفى بمكة المشرفة فى محرم الحرام ليلة الجمعة سنة سبع ومائة وألف عن ثلاث وستين سنة، ودفن بباب المعلى بقرب ضريح السيدة خديجة الكبرى.

٢٣٤ - محمد بن محمد العناية.

حاله: ولى صالح عارف بربه، دال عليه ناصح، يقال: إنه من ذرية مولانا عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه وعنا به أمين، ويقال: إنه كان من المجاذيب، وإنه من أهل العصر الإسماعيلى، ولم أقف على ترجمته بعد البحث المديد.

وشريح من أشهر المزارات المقصودة للمتعلقين بأذيال أهل الله العارفين بحومة باب البردعين المسماة بجناح الأمان.

٢٣٥ - محمد بن عمر السجلماسى الأصل الزرهونى الزاووى الدار والإقبار.

حاله: فقيه علامة جليل، مشار إليه بالفضل والدين والثبات والرسوخ، كان السلطان مولانا إسماعيل منحه خطبة وإمامة مسجد الضريح الإدريسي الأكبر من زاوية زرهون، حلاه سيدى أحمد بن المبارك فى إبريزه بالشيخ الفقيه العالم العلامة، وشهد بمعرفته لمكانته، وقد كان المترجم صاهر ابن مبارك المذكور بيناته الثلاث، وكتبه لما استدعاه سيدنا الجد السلطان مولانا إسماعيل للقدوم لمكناسة الزيتون للصلاة بالناس فى جامع مدينة الرياض العنبرى، فتوجه مع من وجه للقدوم به، ثم رجع لفاس قبل أن يلتقى بالسلطان بدون إذن يحذره مخالفة السلطان قائلا: إنك رجعت من مكناسة ولم تلتق مع السلطان نصره الله ولا فاصلت نفسك فلا تدري ما ينزل بك بعد قدومك، فالرأى أن ترجع إلى مكناسة وتلقى مع السلطان نصره الله وتظهر له الرضا بقبول الإمامة فى المسجد المذكور

وغير هذا لا تفعله، ولعل استدعاء ابن المبارك للإمامة كان عام خمسة وثلاثين ومائة وألف، وهى السنة التى نزل فيها ضيفا على أبى القاسم بن دارا أيا ما بداره بمكناسة والله أعلم.

وفاته: لا أحفظ الآن تاريخ وفاته بيد أنه توفى بزاوية زرهون وضريحه أعلى سقاية الببيان، حذو باب المعراض عن يمين الطالع هناك لحومة تارجا.

٢٣٦ - محمد البصرى المكناسى.

حاله: طاهر السريرة، دين صالح بركة واعظ، إذا وعظ وجلت القلوب وذرفت العيون، ثلثاء غفلة لا يستعمل الأدب مع الملوك، فكان يتمرغ على غمار المنصور مستندا بين يديه والمنصور يتحمل له ذلك لما يعلم من ديانتة وصفاء باطنه. ذكره القشتالى فى مناهل الصفا، وقال فى الصفوة: لم أقف على سنة وفاته، وقبره داخل مكناسة شهير هـ.

قلت: لا يعرف له اليوم قبر بل ولا ذكر، وإنما المعروف أبو عبد الله محمد الخطيب بصرى المترجم فيما قبل، وهو غير صاحب الترجمة قطعاً كما يعلم بالوقوف على ترجمتهما.

٢٣٧ - محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بصرى المكناسى الشيخ المقرئ.

حاله: فقيه جليل المقدار، جامع لأشتات خصال الفضل والمجد، حامل لراية الإقراء، وخاتمة الحفاظ والقراء، صدر عالم عامل، حافظ للسبع متقن عارف بتجويد القرآن العظيم، حسن الصوت، مجتنب للمحرمات، منوق للشبهات، لا تراه سالكا طريقا إلا وعيناه فى الأرض، وإذا لقي امرأة نحى وجهه عنها، وكان ذا كرامات ظاهرة، وإشارات باهرة.

قال تلميذه أبو القاسم بن درة من أجل ما شاهدناه منها - يعنى كراماته - أن بعض الناس كان يحب أن يرومه بشيء يكرهه، فمهما أراد منه ذلك يعطيه الله ما يشغله عنه فيكف عنه إذايته، وقصده بذلك مرارا فلم يظفر به، ونجاه الله منه حتى لقي ربه. قال: ومن أعظم ما رأيت من مكاشفاته أنى جئت يوما فوجدته بداره التى بقرب الجامع من زقاق القرمونى، فقال لى: يا قاسم، ووجهه عبوس، ونظر إلى نظر مغضب، اترك أو فارق عنك كذا وكنت والله مصرا على ما نهانى عنه، فأظهرت له التجلد وتعللت له بعلل فصفتح عنى ودعا لى بالهداية، وكان رحمه الله راضيا عنى ودعا لى عند موته بخير فما على إلا فضله وبركته.

سمع السلطان الأعظم مولانا إسما عيل بحسن صوته وجودة تلاوته فأمر بإحضاره ليلة سابع عشرى رمضان، فأمر به تلك الليلة وختم القرآن برواية ابن كثير يكبر ويهمل عند ختم كل سورة من آخر والضحى إلى آخر والناس، وأدرج القراءة إلى المفلحون فخلع عليه السلطان دائرة سنية كانت عليه وطلب منه صالح الدعاء انتهى.

وقد حظى المترجم من لدن جناب مولانا الجدد السلطان المذكور بإجلال ورعاية وتبجيل، ووصفه بأوصاف عالية فى ظهيره الشريف المطاع الأوامر الذى أصدره بالتنويه بقدر بيت المترجم، ونشر ما لسلفه من المجد المؤثل، والخص على إنزالهم منزلتهم، ومقابلتهم بكل تكربة وإعظام، والتعريف بما له وللسلفه وبنى عمه من الخطوة لديه، والاعتبار والإكبار، وإليك نصه بعد الحمدلة والصلاة:

«عن أمر عبد الله المتوكل على الله، أمير المؤمنين، المجاهد فى سبيل رب العالمين، إسماعيل ابن الشريف الحسنى أيد الله أمره، وأعز نصره وخلد فى صحف المجد والحمد ذكره، وأشرق فى الصالحات شمسه وبدره، يستقر كتابنا هذا أسماء الله بيد حملته أولاد ولى الله تعالى العارف بربه الصالح سيدى بصرى نفع

الله به وأولاد أولاده وحفدته ومن انتمى منهم إليه، وخصوصا الفقيه الأجل السيد محمد بن أحمد بصري، وبنى عمه وأولاده وأولاد أولاده ما تناسلوا ويتعرف منه بحول الله وقوته، وشامل يمنه العميم وبركته.

إننا أسبلنا عليهم جلايب الإيثار والوقار، وكسوناهم أردية الاحترام ونمارق الإجلال والإكبار، وعاملناهم بما يجب وما يجعل بنظائرهم من السادات الأخيار، ووقرناهم وحررنا جانبهم وأكرمنا مثواهم، وحشيناهم من كل ما يغيض بقدرهم، وأسقطنا عنهم كل مغرم أو تكليف، وسلطناهم مسالك آبائهم وأجدادهم وأسلافهم من قبلهم، وأنعمنا عليهم بمزيد أثره، وكريم حظوة على ذلك، حيث هم بحمد الله من أولاد هذا الولي العارف المذكور، ومن خيار أهل حضرتنا العلية بالله، ومن لباب الباب بها ومن أعيانها ومن ذوى الحسب والمروءة والأصالة منها.

ولا سيما وفيهم ومنهم النشأة الطيبة والنخبة الزكية الجامع لأشتات خصال الفضل والمجد حامل راية الإقراء، وخاتمة الحفاظ والقراء، الفقيه الصدر العالم العامل السنّي أبو عبد الله السيد محمد بن عبد الرحمن بصري (ابن عمه الأحظي الأجل، الأنوه الفقيه النبيه الأمثل، السيد أحمد بن محمد، فما عندنا أعز منه ومنهم، فنحن منه وهو منا وفينا وإلينا، ومحسوب على الله وعلينا، والعلم والدين والسنة معه تجمعنا، والجهل مع البدعة لغيره يفرقنا والعلم والخلافة إخوان.

وما هو لدينا في نفوسنا الكريمة إلا من أعيان العصر؛ وأعوان النصر؛ والقلوب تتجازى فلا يقرب أحد ساحتهم وساحة أهله وبنى عمه وأقاربه بما يسوءهم أو يضرهم في نفوسهم أو يشوشهم على أسبابهم ومعاشهم أو أمر من أمور دنياهم في هذا الأوان، ولا فيما يأتي من الأزمان، ما تعاقب الجديدان، واختلف الملوان، وعلى الدوام، وما توالى السنون والأعوام، من غير منازع، ولا معارض ولا مدافع فيما قابلناهم به وحملناهم عليه واختصصناهم به وأردناه لهم وآثرناهم به

عن سواهم، لأننا جربنا الناس وبلوناهم فآلفيناهم ليسوا كغيرهم، وكفى بشهادة الناس فيهم والناس شهداء الله في أرضه، وما علمنا في جملة أولاد سيدى بصرى إلا خيراً وصلاً، ونجدة ومروءة وفلاحاً، وكيف يجهل قدرهم أو لا تراعى حرمتهم ولا تؤثرهم على من عداهم. فنعهد بمسطورنا الكريم أعزه الله لكل من وقف عليه من أولادنا أو ولادة أمرنا وقوادنا ووصفاننا أن يعتقد فيهم معتقدنا، وأن ينهج فيهم منهجنا حسب الواقع عليه العمل بمقتضاه، ولا يحيد عن كريم مذهبه ولا يتعداه، صدر به أمرنا المعترز بالله والسلام بتاريخ ربيع النبوى عام اثنى عشر ومائة وألف.

وكان المترجم مع ذلك بارعاً فى فنون العربية والتصريف كاتباً بليغاً شاعراً مجيداً فقيهاً محققاً فصيحاً اللسان فى الخطبة والتلاوة كثير التواضع ثاقب الذهن كريم الأخلاق حسن اللقاء أمه السيدة آمنة بنت أبى سرحان مسعود بن محمد ولى الله محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بصرى وأمها السيدة عائشة من حفدة سيدى على منون وأم أبيه السيدة عائشة بنت الفقيه السيد العربى المرىنى من ذرية ابن الحنفية.

مشيخته: أخذ القراءات السبع على شيخى التجويد أبى زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد القادر الرايس وأبى الحسن على بن أحمد بن جارية القصرى وأجازاه فى القراءات وسلم له جماعة من أئمة عصره ما فى الإجازاتين، ومن شيوخه أبو عبد الله محمد بن أحمد القسطنطينى وأبو العباس أحمد بن العربى بن الحاج وأبى عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسى وأبو مدين السوسى وبردة وغيرهم.

الآخذون عنه: أخذ عنه من أهل مكناسة والطارئين عليها خلق كثير لا يحصى منهم عبد الوهاب ابن الشيخ وأبو عبد الله محمد العربى بصرى صاحب منحة الجبار.

مؤلفاته: له شرح على مختصر خليل بلغ فيه إلى الزكاة واخترمته المنية
ومنظومة في إمالة أبي عمرو ابن العلاء وأخرى أفرد فيها رواية ابن عامر الشامي
تسمى المنار السامي .

شعره: من ذلك قوله في منظومة الإمالة:

يقول عبد ربه محمد	عرف بالبصري ربي أحمد
ثم الصلاة والسلام السرمدي	على النبي المجتبي محمد
وبعد فالقصد بهذا النظام	ذكر إمالة الرضى الإمام
أعنى أبا عمر والزكى بن العلا	من لاح بالبصر: بدرًا كمالا
وقوله في نظم رواية الشامي:	

قال محمد بن بصرى وقد	نوى افتتاحا باسم ربنا الصمد
مصليا على الرسول المجتبي	وآله وتابعيه النجبا
وبعد فالقصد بهذا النظام	بيان مقرأ الإمام الشامي

ولما أوقف عليه شيخه أبا مدين سماه له بيت رجز بالمنار السامي:

هذا واسميه المنار السامي	لمبتغ نهج الإمام الشامي
ومن شعره قوله:	

ظعنت وفي نفسى من اليبين لوعة	ونار اشتياقى فى الضلوع كما هيا
وجئت بجسم فارغ من فؤاده	وربى عليم أين حل فؤاديا
لعمرى لقد خلفته رهن ما اشتهى	بأيدي أناس يحسنون التقاضيا
وددت ولم أئس من إدراكى المنا	لو أن إله العرش حل عقاليا

فجاورتهم عمرى ومتعت أعينى
فيا أهل فاس خلصوا من نواكم
أليس بعار أن ينيخ بيا بكم
وما شرف الضرغام إلا ببطشه
وقولوا لمن فى أسرنا قد تنافسوا
ألم يكفهم أن قدار أقوام دم امرئ
ألم يغلبوا فى عالم الله كله
سمعت بأن خافوا على حرارتى
على أن لى فيمن قصدت كفاية
وكيف وقد وجهت نحو محمد
بطلعتهم فى غدوتى ومسائيا
وأم حماكم مستهاماً وباكيا
بأشجانه عبد فيرجع خاسيا
ولا الهندوانى غير أن كان ماضيا
فإما يمنوا أو يحوزوا فؤاديا
خدیم الهدى دأبا ولو كان عاصيا
سواى ولم يلفوا ضعيفا وراثيا
بلى قصدهم منى عقوقى إلهيا
وعهدى بهم والله أسدا ضواريا
إمام الهدى شكوى تهدد الرواسيا

وفاته: توفى فى ثامن محرم فاتح عام أربعة وعشرين ومائة وألف بعد أن
ألبس البلايا دهرًا كما رأيت من شعره الخ.

٢٣٨- محمد بن محمد الكاتب القيسى الأندلسى نجارًا، الفاسى منشأ
ودارا وقرارا.

حاله: فقيه، نبيه، أمين وجيه نزيه، كان سيدنا الجدد المولى إسماعيل برد الله
ثراه، جعل له النظر العام والأمانة الكاملة فى البناءات السلطانية على اختلاف
أنواعها وأجناسها، وله النظر العام فى كافة الأحباس الموقوفة على مساجد الحضرة
العلية بالله المكناسية، وكانت له لديه خطوة ومكانة وثقة كاملة به بلغت به أن
جعل له أمينًا على داره العلية، وناظرًا على سائر أحباس إيالته الشريفة.

وقفت على تحليته فى بعض العقود بما نصه: من له النظر العام والأمانة الكاملة فى أمر البناءات كلها السلطانية على اختلاف أنواعها وأجناسها بداره العلية حرس الله رفيع أعتابها، وصان من طوارق الحدثان على أبوابها، ناصح خدمته السلطانية، فى السريرة والعلانية، وهو الطالب محمد بن الثقة الخير أهل كتاب الله المحب لآل بيت رسول الله ﷺ وفى بعضها بما لفظه: الناظر الأفلح، الأشهر الأنجح، الفقيه النزيه الأريب النبيه، أمين الدار العالية بالله وناظر سائر أحباس الإيالة الشريفة أبو عبد الله السيد محمد بن محمد الكاتب» بتاريخ خمسة عشر ومائة وألف.

٢٣٩ - محمد المدعو حم بن عبد الوهاب الوزير الغسانى الأندلسى الأصل الفاسى الدار والوفاة المكناسى الوظيف.

حاله: فقيه علامة مشارك متقن، كاتب بارع، يكتب كما يراد منه، انتهت إليه رئاسة صنعة الترسيل، ولم يعزز فى عصره بتمثيل، استكتبه سيدنا الجد السلطان مولانا إسماعيل وكانت له لديه جلالة ومكانة يوحى إليه المكاتيب العديدة فى مواضع مختلفة للعمال وغيرهم من ذوى الحشيات، فيذهب لمتزله ويكتب جميع ما أملى عليه مخدومه، وينزل فى مخاطباته كلا منزلته من غير زيادة ولا نقصان فى أيسر وقت مع إيجاز، وحسن عبارة كادت أن تبلغ حد الإعجاز، وذلك مما زاد السلطان به إبتهاجا، وكانت له سرعة فى نسخ الكتب لم تعرف لغيره، وقد رشحه مخدومه للسفارة لبلاد الأندلس لفكك أسرى المسلمين، واستخراج ما بقى من الكتب الإسلامية بالمشاهد المهجورة هناك.

مؤلفاته: منها رحلته الموسومة برحلة الوزير، فى افتكك الأسير، شرح بها ما شاهده فى سفارته المذكورة من العجائب والغرائب.

٢٣٩ - من مصادر ترجمته: التقاط الدرر - ص ٢٩٧.

وفاته: توفي عام تسعة عشر ومائة وألف.

٢٤٠ - محمد فتحا بن مولانا الجد الأعظم أمير المؤمنين مولانا إسماعيل.

حاله: جهبذ نحير، ناقد بصير، ديباجة الدنيا وبهجتها، عالم علامة، بارع مطلع، متضلع نقاد، ذو ملكة واسعة، وعارضة عريضة، وذهن وقاد، له مشاركة تامة، ومهارة كاملة في النحو والبيان والمنطق والكلام والأصول.

قال في الشجرة الزكية في حق المترجم: أدرك درجة الاجتهاد، فأداه اجتهاده إلى أن خرج عن طاعة والده انتهى.

وكان والده يحبه محبة شديدة لما رأى عليه من مخايل النجابة وتوقد الذهن والتيقظ والمقدرة في الحل والإبرام والنصح له وإخباره بما تخفيه عنه الوزراء والكتاب وأولو الأمر، حتى صار عيبة سره ومحل مشورته، دون سائر إخوته، يسارره ويعمل برأيه في المهمات، ويشئ عليه بالصدق والأمانة ورجاحة العقل، وينوه بقدره بمحضر ولاته ووزرائه وكتابه، فكرهه لذلك غير واحد من الوزراء فمن دونهم، فشمروا على ساق لإفساد ذات البين بينه وبين أبيه والسعى في التفرقة بينهما، فزينوا لوالده ولايته.

فاتفق أن وقع اختلاف بين درعة ونواحيها واحتاجوا إلى تولية واحد من أبناء السلطان يكون له عقل راجح، فاغتنم أعداؤه الساعون في ابتعاده عنهم، فأسروا للسلطان أنه لا يصلح لهذا المهم إلا ولدك المولى محمد العالم، فإنه يحسن التدبير مع القريب والبعيد والأخرق، ولا يصدر منه إلا ما فيه مصلحة وسداد، ولم يزلوا يحسنون له ويجيدون توليته إلى أن ولاه بدرعة فحصلوا أمنيته في إبعاده عنهم من إحصائه الأنفاس عليهم.

٢٤٠ - من مصادر ترجمته: نشر الثاني في الموسوعة ٥ / ١٩١٠.

ثم إن والده لما رأى ما أظهره المترجم فى محل مأموريته درعة من العدل والإنصاف ومحبة أهلها له لفضله وهديه وسيرته فيهم سيرة حسنة، وعلا صيته وانتشر فى الآفاق نقله منها وولاه على مراکش وما والاها، فأقام سنة العدل ونشر الأمن والطمأنينة، وسار على ما نهجه الشرع الكريم، فسعد الناس بولايته وأشرب حبه فى قلوب الخاصة والعامة وزاد اشتهارا، وبعد صيت، فحسده أصداده من خاصة والده على ما آتاه الله من فضله.

فدسوا لوالده ما أوغر صدره عليه مما هو برىء منه، فعزله عن مراکش، وترك أهلها ييكون، وأهمله مدة مع الفحص والتتقى عما اختلقه الحسدة والأصقوا به حتى ثبتت لديه براءته، فولاه عام أحد عشر ومائة وألف على تارودانت ونواحيها، ورتب معه ثلاثة آلاف من الخيل وفوض له فيها التفويض التام، وقام بمأموريته فيها أحسن قيام، إلى أن صدر منه ما كان فى الكتاب مسطوراً.

وكان المترجم كثير المخالطة والمجالسة للعلماء، يفدون إليه من كل صوب، وكانوا يقاسون معه الشدائد لذكائه وشدة فطته مخافة الافتضاح معه فى قصور فهم أو نقل كما أفاده أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد القادر الفاسى فى المورد الهنى.

وكان من أخص خاصته الشيخ أبو عبد الله المساوى، فوشى به إلى السلطان، وقيل له مع شدة اتصاله به لا يعيب عليه عزمه على القيام على أبيه فهو موافق على ذلك، فبادر بعض أصحاب السلطان إلى الاعتذار عن الشيخ لأنه كان ينهاه عن إرادة القيام وأنشد للمساوى:

مهلاً فإن لكل شىء غاية والدهر يعكس حيلة المحتال^(١)

(١) نشر المثنى فى الموسوعة ١٩١٢/٥.

فالبدر ليس يلوح ساطع نوره والشمس باهرة السنا فى الحال
فإذا توارت بالحجاب فعند ذا يبدو بدو تعزز وجمال
فقبل السلطان ذلك وتحقق براءته، وكان يفعل للشعر ويتأثر بأريحية الأدب،
استخلفه والده بفاس مدة .

وفى سنة أربع عشرة ومائة وألف بعث سيدنا الجد الأكبر السلطان الأعظم
مولانا إسماعيل ولده المولى الشريف واليا على درعة فثار المترجم ببلاد السوس
ودعا لنفسه وزحف لمراكش فحاصرها فى رمضان من السنة المذكورة، وفى
العشرين من شوال اقتحما عنوة .

ولما اتصل خبره بأبيه بعث ولده سيدنا الجد المولى زيدان فى العساكر لقتاله،
فقدم مراكش ودخلها فى أمن واطمئنان، وذلك سادس عشر ذى الحجة عام خمسة
عشر ومائة وألف، فوجد المترجم قد بارحها وعاد إلى تازودانت فدخلها غرة
المحرم عام ستة عشر على ما صححه فى الدر المنتخب المستحسن، وجمع عليه
العرب والبربر، وعظم أمره واشتدت شوكته، ولما احتل مولانا الجد مراكش عاثت
عساكره فيها، ثم تبع أخاه محمد إلى السوس فنزل على تارودانت، وكان بطلا
شهما مقداما، وشبت الحرب بينهما ودامت ثلاثة أعوام على ما قاله بعضهم .

والذى فى الدار المنتخب أن مدة الحصار ستة أشهر وستة عشر يوماً من غير
اعتبار يوم الدخول، لأنه كان غلسا قبل الإسفار، وقيل مدة الحصار سبعة أشهر
وثلاثة عشر يوماً، وقيل غير ذلك والله أعلم .

وأول يوم التقى فيه الجمعان وشب القتال رابع عشر جمادى الأولى عام
سبعة عشر ومائة وألف، وكان نزول مولانا الجد زيدان على تارودانت وحصاره
إياها لثلاث خلون من رجب أحد شهور العام المذكور، وكان فتحه إياها تاسع

عشر المحرم عام ثمانية عشر، وقيل فى سادس عشر صفر وقيل خامس عشر الشهر المذكور.

ولما علم المولى محمد بدخول البلد خرج فارا لناعية الجبل، فاقتفى أثره فى الحين وأتى به لأخيه زيدان، فلما وقع بصره عليه حن له وقام إليه وعانقه وبكى وهون عليه الأمر، وقال له: لا ترى إن شاء الله إلا الخير، ثم سلمه لمن يذهب به لأبيه، ووكل بحفظه من وثق به وأوصى بصيافته ورعايته والإحسان إليه والبرور به، وكتب كتابا لوالده يخبره بيوم خروجه من تارودانت قاصدا حضرة المكناسية.

ولما بلغ الخبر مولانا إسماعيل وذلك فى الحادى والعشرين من صفر عام ستة عشر ومائة وألف، خرج بجيوشه ونزل على وادى بهت لينظر فى أمره، ولم يخرج معه أحد من الوزراء والكتاب لاستعجاله الخروج، ووصل لوادى بهت يوم الثلاثاء ثالث ربيع النبوى عام ثمانية عشر، فخيم به وشاور بعض من كان فى معيته من العلماء ممن كان يبغض باطنا صاحب الترجمة فأغراه وأظهر له المصلحة فى إقامة الحد عليه، وتلا ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ... ﴾ [سورة المائدة: آية ٣٣] فصدر الأمر بذلك، وعلل بعضهم ذلك بأن السلطان كان اشتد به الجوع حيث إن خروجه كان على غير أهبة ظانا أنه يلقي المترجم على مقربة من البلد، فطال به السير إلى وادى بهت فكان ذلك مما زاد فى غضبه. انتهى.

ومن الغد وهو رابع ربيع الأول وصل المولى محمد مقبوضا عليه مقيدا إلى وادى بهت، فبعث السلطان من قطع يده ورجله من خلاف.

والذى فى كناشة اليمحدى أن المولى إسماعيل كان خروجه لوادى بهت فى الثالث من ربيع الأول. وفى هذه القضية قال بعض الأدباء:

ويوم (وى) من صفر سنة (حى)
 ودخلت بالسيف يوم الجمعة
 ولم يفد صاحبها ما جمعه
 ويوم رابع ربيع الأول
 جىء بنجل الملك المفضل
 أغنى محمداً مكبلاً على
 بغلته بوادى بهت أنزلا
 وقطعت يمينه من خلاف
 ورجله بسبب الخلاف

وفى إقامة هذا السلطان الجليل المقدار الحد الشرعى على فلذة كبده وعضده
 وساعده دلالة واضحة فى وقوفه لدى حد ما حده الشرع الأقدس، لا يراعى فى
 ذلك قاصيا ولا دانيا، شأن أهل العدل والإنصاف، وبعد أن وقع ما كان فى
 الكتاب مسطوراً أمر السلطان بحمل المترجم لمكتاسه وملازمة الأطباء له فعالجوه بما
 قدروا عليه، مع قطعهم بأنه لا ينفع فيه دواء، لأنه اعتراه إسهال كبدى لانصراف
 مادة الأعضاء المقطوعة إليه، ولم يجزع المترجم لما أصابه بل كن فى غاية الثبات
 والرضا والتسليم.

أما والده فقد عظم حجابيه، وقل طلابه، وأظهر ما كان أخفاه فى باطنه من
 الحزن على قتل ولده، وأساء السيرة مع الذى أشار بذلك من قريبه وبعيده، وصار
 يطلب ما يسليه، ويطالع كتب التاريخ والأموال التى تزيل ما فى ضميره من الغم
 الذى فيه، وكتب ظهيراً لبعض أهل مكتاس نص المراد منه بعد الحمدلة والصلاة:

«كتابتنا هذا أسماه الله وأعز أمره، وأطلع فى سماء المعالى شمسه وبدره،
 بيد حامله المتمسك بالله ثم به الأمين الحسن بن محمد بوسنى المتطرب والحجام،
 حرفة يتعرف بحول الله وقوته أننا وقرناه واحترمناه لثقتنا به وله علينا جميل فى
 احترامه لولدنا مولاي محمد رحمه الله حين أمرناه بقطع يده، فتنصل من ذلك
 وأبى إياية شهدت بديانته واحترامه الأشراف من آل النبى ﷺ، فلذلك جعلناه داره
 حرماً لمن يجىء إليه. هـ بتاريخ سادس عشر ربيع الأول شهر الموت كما بالدر
 المنتخب المستحسن.

وقد كان المترجم محبا في العلماء، مكرما ومعظما جانبهم، محبوبا مبعجلا
لديهم، يمدحونه ويشنون عليه، فمن مديحهم فيه قول علامة شنجيط وأديبها المفوه
النحرير عبد الله بن محمد العلوى المعروف بابن رازكة بكاف معقودة كما في
الوسيط من قصيدة:

أثار الهوى سجع الحمام المغرد	وأرقنى الطيف الذى لم أطرده
ومسرى نسيم من اكيناف حائل	وبرق سقى هاميه برقة تهمد
وذكر التى بالقلب خيم حبها	وألبنى قهرا علالة مكمد
فبت أقاسى ليلة نابغية	تعرفنى هم السليم المسهد
طويلة أذيال الدجا دب نجمها	إلى الغرب مشى الحائر المتردد
ويزعج وراد الكرى دون مقلتى	بعوث غرام من لدن أم معبد
بنفسى عرقوبية الوعد ما نوت	وإن حلفت قط الوفاء بموعد
ترد إلى دين الصبابة والصبأ	فؤاد الحليم الراهب المتعبد
وتقصد فى قتل الأحبة قرية	بشرعة ديان الهوى المتأكد
فتاة حكاها فرقده الجو منظرا	كما ناسبتها نظرة أم فرقده
مهفهفة الكشجين لم يدر طرفها	من الكحل الخلقى ما كحل أئمد
إذا ما تثنت واسبكر قوامها	علمت بأن البان لم يتأود
وخاطب قاضى شرعة الشكل ^(١) ردفا	إذا ما أقام العطف منها بأقعد
غضوب أرتها نخوة فى عظامها	أن الوصم وصل العاشق المتوود

(١) فى هامش المطبوع: «الشكل بالكسر والفتح غنج المرأة ودلها وغزلها».

على نحوها تأبى الخليل ثانفا
إذا ما ترضاه تسامت بأنفها
وأحرق صدرى ما زها فوق نحرها
سبتنى فقبلت الثرى متخلصا
هو الوارث الفضل النبيئى خالصا
ثمال اليتامى والأيامى موكل
غيور إذا ما الحق غير مولع
أديب أريب لين الجنب هين
إذا كشفت عن ساقها الحرب والتظت
سقى الرمح من نحر العدو -فديته-
أغر المحيا ظاهر البشر طاهر الـ
جزيل النداء ما أف فى وجه حاجة
كلا الدين والدنيا به ازدان وازدهى
فريد العلا يقوى لركة طبعه
حميد المساعى سار فى الرتب العلا
تساعده فى ذاك نفس نفيسة
دأبت على السير المبرح والسرى
مهامه للسايرين فيها توقع

وشحا برشف من لماها المبرد
صدودا وسامتى تجرع جلمد
وأشرق من جمر الغضا المتوقد
أمام امتدح ابن الشريف (محمد)
من العلم والعليا ومن طيب محتد
بتفريج غماء الشجى المتكد
يقطع لسان الباطلى اليلندد^(١)
ولكن متى عادى فأى مشدد
وسلوت صدوق الملتقى بالمفند
وقام بحق المشرفى المهند
سجايا كريم اليوم والأمس والغد
ولا كف حاشى جوده كف مجتدى
وأمن شر المبطل المتمرد
عن الجمع بين النار والماء فى يد
من المجد سير الفائق المتفرد
تعد الثريا للفتى غير مصعد
أجوب الفيافى فدفا لعد فدفا
لأهوال أغوال طواغيت مرد

(١) فى هامش المطبوع: «اليلندد معناه شديد الخصومة والجدال».

يطير لما يبيدنه من تلون
إلى حضرة سنية حسنة
حوت شرف العلم الرفيع عماده
فما تم الاثم فضل ولا استوى
وبحر ندى ما للفرات انسجامه
فأعتاد منه ما تعودت من يدي
هما والد ما توج الملك مثله
عظيمان معنيان بالدين وحده
فلا برحا بدرين عم سناهما
أمكنه من بكر شعر خريدة
عروب عروس الزى أندلسية
من اللاتى يستصيين مينحن^(٢) عنوة
ويسلبن معقول ابن زيدون غبطة
مهذبة يستملح الذهن سرها
ترقت لما فارقت وراقت تبرجا
وجانستها لفظا ومعنى كما اكتست

شعاعا فؤاد الضابط المتجلد
منيرة آلاء^(١) الهدى المتصعد
إلى شرف البيت الكريم المصمد
سوى ما نحت من كمال وسؤدد
ودجلة لا تحكيه فسحة مورد
أييه أمير المؤمنين المؤيد
ومولود صدق بالكارم مرتدى
فأعطتهما الدنيا سلالة مقود
وبحرين لا يعدوهما قصد مجتدى
نتيجة فكر سلسل الطبع جيد
من الأدب الغض الذى روضه ندى
ويعهدن فى الحراق أطيب معهد
بأسلوب ما يسقين من خمر صرخد
ويستعذب استرسالها ذوق منشد
على معتلى برج البديع المشيد
نقى^(٣) السيراء^(٤) البضة^(٥) المتجرد

(١) فى هامش المطبوع: «الآلاء النعم».

(٢) فى هامش المطبوع: «بضم النون على الحكاية صالح مشهور».

(٣) فى هامش المطبوع: «بكسر الياء وعدم إظهار النصب فى مثله سائع».

(٤) فى هامش المطبوع: «يطلق على الذهب الخالص وعلى البرد».

(٥) فى هامش المطبوع: «الرخصة الجسد الرقيقة الجلد الممتلئة».

وقيدت فيها عزلة لا ينالها
واودعتها مما ابتدعت خلاصة
تمنى العذارى لو تقلدن سمطها
وزخرفتها فى معرض المدح روضة
روى أنفا زان الندى صفحاتها
أرت من رياحين الشاء أنيقها
هدية من كسرى وقيصر عنده
تخادع وإن كنت اللبيب لبهرجى
يمينا بما أولاك مولاك من علا
لطابقت وسم الفاطمى وسمته
تهنأ على رغم الحسود وذله
وأبجح وأهلك وأملك الأرض كلها
وشرق وغرب فالبلاد مشوقة
وقوله:

دع العيس والبيداء تذرعها شطحا
ولا ترعها إلا الذميل فطالما
ولا تصغ للناهين فيما نويته
فكن قمرا يفرى^(١) الدجا كل ليلة

(١) فى هامش المطبوع: «يقطع».

(٢) فى هامش المطبوع: «ضرب من الحمام».

(٣) فى هامش المطبوع: «يستحلى».

(٤) فى هامش المطبوع: «رفع الصوت بالغناء».

سوابق فكر السابق المتصيد
يأدرها بالمدح السن حسد
مكان عقود الزبرج المزبرجد
لتسقى بوبل من نداء مسرمد
قلدها أسلاك در منضد
ومن زهر الأدب ما لم يخضد
من النزر فى ذاك المقام المحمدى
ولا تتقد يا سيدى وابن سيدى
وعز حلى فاتت بنان المعدد
فأهلا وسهلا بالإمام المجدد
لذاك الكمال الصرف واسعد وأسعد
فأنت ولى العهد واغور وانجد
بما سوف تحبى واشكر الله واحمد

وسمها بحور الآل تسبحها سبحا
رعت ناضر القيصوم والشيخ والطلحا
وخف حيث يخفى الغش من يظهر النصحا
ولا تك كالقمرى^(٢) يستعذب^(٣) الصدحا^(٤)

وقارض^(١) هموم النفس بالسير والسرى
وأم بساط ابن الشريف محمد
فتى يسع الدنيا كما هى صدره
ومن هديه ساوى النهار وليله
ومن هو غيث أخضل الأرض روضه
وليث بحق الله لم يبق رعبه
هزبر عدا فى شرعة الرمح والعدا
أمير ملوك الكفر أضحوا لسيفه
تزيد على الفاقات فيضات كفه
فأى منى لم ترو منها فإن تكن
فلا ترم التشبيه فيه فقد جرى
سعى فسعوا للمكرمات فأقصروا
وفلق فيهم بيضة المجد قاسم

على ثقة بالله فى نيلك الربحا
ميد العدا ذكرا ومبدي الهدى صباحا
فأمسى به صدر الديانة مندحا^(٢)
فأمسى ينير الخافقين كما أضحي
فلا يظما الآوى إليه ولا يضحى^(٣)
عواء لكلب الترهات^(٤) ولا نبحا
غدوا بقرا يستعمل النحر والذبحا
كما تبتغى الذبح فى عيدها الأضحى
فيغرق فى التيار من يأمل النضحا
فمحرومة أن تبرد الظما^(٥) البرحا
مع الظاهر المدنى إلى السكر الملحا
ولم يرض حتى استكمل الكرم القحا^(٦)
فناولهم قيضا^(٧) وناولوه المحا^(٨)

(١) فى هامش المطبوع: «راوح».

(٢) فى هامش المطبوع: «متسعا».

(٣) فى هامش المطبوع: «يرز الشمس».

(٤) فى هامش المطبوع: «الباطيل».

(٥) فى هامش المطبوع: «الشدة».

(٦) فى هامش المطبوع: «الخالص».

(٧) فى هامش المطبوع: «أى قشر».

(٨) فى هامش المطبوع: «صفار البيض».

فتى يستقل البحر جود بنانه
مساعيه فى الخطب الجليل يرومه
صفاة كدر البحر صفوا ولجه
وآيات علم أغمد الجهل نورها
ورأى يريه اليوم ما فى حشا غد
وحزم يهز الراسيات ثباته
وكف ترى وكف الحيا كيف ينهمى
ويشر محيل علم الصبح ما السنا
وتأليفه أشتات كل فضيلة
كفانا اتخاذ الفال فى القصد يمنه
مهيب مخوف بطشه تحت حلمه
فهل كان معزوا إلى الحلم قبله
فأقدم حتى فارق الجبن صافر^(٢)
ولم تذعن الأعداء محض مودة
رأوا ضيغما يعطى الحروب حقوقها

على حالة استكثار حاتم الرشحا
كآمال من يرجوه يستصحب النجحا
حسابا فمن يأتى على مائه نزحا
وغايات جد ليس تطلابها مزحا
ويكشف عنه من دجى ليله جنحا
وعزم يحاكى الزند ماضيه^(١) قدحا
إلى خلق يرى نسيم الصبا النفحا
وقبض أرى النار التاجج واللفحا
ومكرمة غراء تعجزنا شرحا
فلسنا نخط الرمل أو نضرب القدحا
عفو يرى إلا عن الباطل الصفحا
نعم أو كريم يدعى غيره سمحا
وجاد إلى أن عاف مادر^(٣) الشحا
إليه ولكن إنما كرهوا القرحا
وإن تضع الأوزار ييرم لها صلحا

(١) فى هامش المطبوع: «يخرج إظهار الرفع على قول جرير:

وعرق الفرزدق شر العروق خبيث الثرى كأبى الأزند».

(٢) فى هامش المطبوع: «طائر يضرب به المثل فى الجبن وقيل الجبان مطلقا».

(٣) فى هامش المطبوع: «رجل يضرب به المثل فى البخل».

ويستغرق الأوقات فى الجدد كلها
مواصلة حبلى الجهاد جواده
معاديه معطى بالحياة منية
أيا ابن أمير المؤمنين وسيفه
تشابهه خلقا وخلقاً فسامه
تهندست العليا فأحررت جسمها
فكم من حديث كان يسند للندى
فأعطيتى الأعيان والعين والكسا
فلا زلت للإسلام عيداً منغصا
أبوك لحكم الشرع ولاك عهد
وأعطاكه إذ ليس غيرك أهله
كفى دره فخرا تحليك سمطه
فأهدى إليك الدهر بلقيس ملكه
وولاك رب العرش ملك بقاعها
إليك بها يا كعبة المجد كاعبا
إذا شهدت زكى الأعادى حديثها

ولا يهب التلعاب^(١) ما يسع للمحا
ووفقا على غزو العدا عدوها ضبحا^(٢)
وبالجنة الأخرى وبالسندس المسحا
وصمصامه أن يرفع الضرب والنطحا
إلى الفلك الأعلى فإنك لا تلحا
لا حرازك النقاط والخط والسطحا
ولكنه لولا نوالك ماصحا
وبيض الظبا والنوق والخيلى والطلحا
تنغص حسناه السعائين^(٣) والفصحا
فلم تلق كدا للسؤال ولا كدحا
وللعقل نور ميز الحسن والقبحا
ومنعه تلك المعرة والقدحا
وأبدى لك الكرسي والعرش والصرحا
وأصحبك التمكين والنصر والفتحا
من الشعر لا يسطاع أركانها مسحا
وإن أثخنت عنا قلوبهم جرحا

(١) فى هامش المطبوع: «اللعاب».

(٢) فى هامش المطبوع: «نوع من العدو وهو نائب عن مصدر عدت - وفيه اقتباس من قوله تعالى: والعاديات ضبحا».

(٣) فى هامش المطبوع: «السعائين بالسين والعين. والفصح عيدان للنصارى».

أكلفها فرض المحال أداءها لشكر ندى لا يتتهى مزنه سحا
فخذها ابنة الحاء التى الحمد مبتدأ لها وبها خلاقها كمل المدحا
هذا وأبيك الشعر .

وقول شيخه العلامة خاتمة المحققين سيدى محمد بن أحمد المسناوى حين
فتح المترجم حصن السوسى التمنارى من بلاد سوس .

فجر سعدك لاح شمس نهار وفخارك ليس فيه ممارى
ومعاليك أنجبت وأغارت وتلى آى ذكرها كل قارى
ووفود التهاني نحوك جاءت مهديات عرائس الأفكار
ورياح المنى بنصرك هبت سائقات له على أقدار
مؤذونات لكم بأسنى فتوح وبراعة ذلك التمنارى
طلما رامه سواكم فولى آيسا منه بعد طول حصار
وهو يسخر بالجميع ويهزا ويدليهم بحبل اغترار
ويدا منه إذ رآك ارتياع أظلمت منه سبله فى النهار
شام بارق نصركم فثدلى وأتى خاضعا بحكم اضطرار
موقنا أن للإله اعتناء بكم بشهادة الأبصار
فاهن واسلم وقر عينا بما لم يؤته أحد من الأنظار
وتحس أفواق عيش هنى واقتطف زهر روضه المعطار
واجرر الذيل فى مغانى سعود واركن متن رفعة وفخار
واسق دوح النعيم منك بشكر إن سقى الرياض نبح الثمار

وأدر عنه جوائح الدهر بالصنـ
وأضف شرف الخلال إلى ما
واسم بالنفس لاقتفاء هداهم
دمت يا كعبة الوفود مطافا
وعليك من المحب سلام
ما تجلت بأفق مجد علاكم
وقوله أيضا في الفتح المذكور:

بشراك يا تاج الكرام فقد غدت
وغدت رياح النصر تخدم مجدكم
وشدت بزاهر روضكم طير الهنا
ورياض أشتات المنى قد أثمرت
واتتك وافدة الفتوح مجيبة
ولطالما اعتاصت على من رامها
حتى غدت كالأبلى الفرد الذى
هذا وكم من مطلب أعيا النهى
فالسعد أنى سرت فهو مقدم
والنصر مقرون برايتك التى
فاشكر لمن أولاك ما يشجى العدا
واعرف ومثلك لا يعرف قدر ما

ع الجميل فإنه خير دارى
حزت من شرف الجلود الخيار
إنه المجد لا احتساء عقار
لبنى الدهر عالى المقدار
فـائح كنوافح الأزهار
وغدت طرز حلة الأشعار

أيام سعدك وهى فى إقبال
وتؤمكم فى الحل والترحال
بموشحات البشر والأرجال
أدواحنهم بمبتغى الآمال
لنداك طائعة على استعجال
من قبلكم من سائر الأقيال
ضربوا به مثلا من الأمثال
قد نلت به بسهولة فى الحال
واليمن صار لكم محط رحال
تكسو العدو ملابس البلبال
ويعيدهم فى أسوأ الأحوال
أوتيته من رفعة وجلال

واختر لها ما لا يشين جمالها من سيرة وشمائل وخلال
فطراز ديباج الخلافة مذهبها ومرصعا وأبيك حسن معال
واشرب كئوس الفخر صافية على غيظ الحسود ورغم أنف القال
واسحب ذيول العز في روض الهنا فالدهر دان لكم أخا إذلال
وأصخ إلى سجع القريض فإنه يحدو الكريم إلى اقتناء معال
لازلت في أوج الخلافة راقيا حتى تهأ فيه باستقلال
وعليك من صافي الوداد تحية تغشاك بالبكرات والأصال
ما غردت ورق فهاجت شجو من قد صار مثلى نازح الأطلال
وقول شيخه أبي مروان عبد الملك بن محمد التجموعتي قاضي تافيلالت
مجيباً له :

ولولاك ما راجعت عصمة طالق ثلاثا ولكني إلى الله تائب
أبنت بنات الفكر واخترت بعدها من العلم ما يروى البراء بن عازب
إلى غير هذا مما يطول، وليس لغايته وصول.

مشيخته: أخذ عن الشيخ محمد بن أحمد بن المسناوى الدلائى المتوفى بعد
زوال يوم السبت سادس عشر شوال عام ستة وثلاثين ومائة وألف، وقاضى
سجلماسة أبى مروان عبد الملك التجموعتي المتوفى بتافيلالت عام ثمانين ومائة
وألف، والمولى عبد السلام القادري المتوفى صبيحة يوم الجمعة ثالث عشر ربيع
الأول عام عشرة ومائة وألف، وقدر رمز لوفاته ابن عمه أبو العباس أحمد بن عبد
القادري بقوله:

(يشق) على الأقوام موت إمامهم كعبد السلام القادري المبجل

والرمز المشار إليه فى قوله يشق الياء عشرة، والشين ألف، والقاف مائة،
والحافظ أبى عبد الله محمد بن أحمد القسطنطينى المعروف بالكماذ المتوفى عام ستة
عشر ومائة وألف، والسيد أحمد بن العربى بن الحاج السلمى المرداسى قاضى فاس
الجديد المولود سنة اثنين وأربعين وألف، المتوفى سنة تسع ومائة وألف وأجاز له،
وأحمد الولاى وأجاز له أيضا، وأبى عثمان سعيد العميرى وغيرهم من فحول
أئمة عصره.

ونص إجازة الولاى له: حمداً لمن جعل الاستمساك بأسباب ضروب العلوم
وسيلة للمفاز، وبلغ بفتوح الرواية والدراية من تشرق بالتهمم بطلبهما إلى كنه
حقيقة المجدون المجاز، طالبا فصولها إلى فصل الخطاب فى إدراكها الإطلاق من
غير تخيل مانع يكون منه الاحتراز، وشرف بشرف التأهل بمعانيها، من كشف له
الغطاء عن بديع مبانيها، وشرح بدقائق أفكار الحكماء صدر من نطقت بالاستجابة
وانكشف عن حانها وحوانها، ونشر أعلام المجد على رأس من انتخب شراب
زلال صفيها فى زلال عيونها، ومنازل شهودها وعيانها، والصلاة والسلام على
أصدق من أخبر عنه الرواة، وأعلم من أسند بتسلسل الأخذ عنه العلماء الهداة،
الذى من بحر نوره فاضت العلوم وتخبرت الأخبار، ومن بركة طلعت طلعت أنجم
السعود حتى سعد مقتفوه من العارفين الأبرار، سيدنا محمد أجله الله أن يدرك
العارفون حقائقه، وحكم على خلقه أن لا يكون كل منهم إلا تابعه لا لاحقه، ولا
سابقه، صلى الله عليه وعلى آله وصحابه الذين هم فى الإسناد أرفع الأسانيد
وهم فى الاقتداء أكبر الأساتيد.

وبعد، فيقول العبد الكثير الذنوب أحمد بن محمد بن يعقوب إن من المن
التي تجب أن تشكر، والمواهب الربانية التي يحق لها أن لا تنسى أبداً على الدوام
تذكر، تعاطى العلوم مع من هو أهل لدرايتها، وإيصال متونها لمن هو جدير
بحفظها والقيام بروايتها، وإن من أجل من لقيناه فى هذا المعنى، وأكبر لبيب قام
بينائنا على هذا المبنى، العالم العلم، وركن المجادة المستلم، فرع الدولة الهاشمية

الأنضر وأرفع من يرى من أشرف الأوان وينظر، نجل الخليفة الإمام، وابن السلطان الهمام، مولاى محمد بن مولاى إسماعيل خلد الله تعالى مجد الأصل والفرع، ونصب على كل سرادق عز الأمر والمنع، فقد تعاطينا معه علوما سبعة وهى البديع والبيان والمعانى وأصول الفروع وأصول الدين وقواعد التصوف وعلم المنطق، والجمع عن بلوغ ما فيه ينطق.

أما الثلاث الأول فقرأنا المشتمل عليها وناهيك به وهو تلخيص المفتاح، وأما الأصلان والتصوف فقرأنا عليها كتاب السبكى الذى جمع من ذلك ما كلت عن الإحاطة به المطولات والشرح، وأما المنطق فقرأنا فيه كتاب الشيخ السنوسى وكفى به شرفا فلجريانه فى كتب المنطق مجرى الياقوتة المفردة فى عقود الملاح، قرأنا تلك الكتب من أولها إلى آخرها حرفا حرفا، قراءة تحقيق المسائل وتدقيق المعانى صنفا صنفا.

فوجدناه أدام الله توفيقه فى إدراكها بديع رمانها وفى دراستها والقيام بقياساتها وأدلتها حنيفى رأيها فى أوانها، ما عدم تثبتا فى مداركها، ولا تتبعا لنهاية حقائقها فى مسالكها، بل وسعها بفضل الله تعالى علما، وأحاط بها مدى الدهر فهما، فانشالت به من غير تربص فتلفتها بالوسع بصيرته، وانقاد له صعبها فأخذت بقلادتها سريرته، ثم إن من تواضعه الذى له شيمة فى الأصل، وتهممه بمعالى الأمور الذى هو له طبع واستحق به كمال الوصل، أن أشار إلى بالإجازة فى تلك العلوم وفى غيرها قضاء بحق الإنصاف، وكان الحق أن يجيز لا أن يجار، لولا ما فيه من مكارم الأخلاق وشيم الأشراف.

فلم أجد بدا من الامتثال، ولا سبيل فيما أشار إليه من الإهمال، لما ألبسنى هذا التاج، وطوقنى ما لست أهله لما فى من الاعوجاج، وبضاعتي من العلم مزجاة، ولكن لا بد من إجابة الطالب لما يترجاه، لا سيما إن كان من أهل الفضل

والشرف والعلم والصلاح والدين والجاه، ومن يحصل منهم فى غد النجاء، إذ هو من الشجرة الطيبة التى أصلها ثابت وفرعها فى السماء، ولا تزال تزيد مدى الأيام سموا ونماء فامتثال الأمر واجب، وكل واحد فى هذا الجناب العظيم راغب، وللتعلق بأذياله طالب.

فقلت مقالة صدق ووفاء، لست أهلا لأن أجاز فضلا عن أن أجزى لاسيما من حاز فى تحقيق العلوم شرفا، أجزت هذا العالم الشهير، الذى يعجز اللسان عن أوصافه المحموده فلا يمكنه عنها تعبير، إجازة مطلقة عامة فيما قرأته، وعن الأئمة رويته، من العلوم العقلية والنقلية، وسائر العلوم القرية والنائية، لعلمى أن الفنون كلها صارت تحت ظله، وبلغ والده أمير المؤمنين فيه ما أمله على الشرط المقرر عند أهل الأثر، ورواه غير واحد من أصحاب الخبر، من إخلاص النيات، وتنقية الطويات لمن لا تخفى عليه السرائر، ويعلم سبحانه الباطن والظاهر، وأن يتقى الله فى سره ونجواه، ويتوكل فى الأمور كلها على مولاه، واتقوا الله ويعلمكم الله، والذين جاهدوا فىنا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين، قال سيد الخلق أجمعين وأفضل العالمين، من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم، وأن يقول لا أدرى حيث يشكل عليه الأمر، ولا تأخذه أبهة العلم ولا نخوة الملك فى السر والجهر، فإن العلم مناف لذلك، واتباع السنة المحمدية طريقة المجذوب والسالك، والذى يحيد عنها يوقع نفسه فى المهالك، أدام الله عز والدك ونصره، وتوجه بتاج السعادة سره وجهه، وأمدك وإياه بتوفيق مولاه، ورزقك رضاه، والمطلوب منك أن لا تنسانا من دعواتك، فى خلواتك وجلواتك، فإن دعاء الغيب مستجاب لاسيما إن كان من أهل الفضل والدين والعلم والشرف من ذوى الألباب. هـ.

مؤلفاته: منها حاشية على التسهيل كما صرح بذلك صاحب درة السلوك.

شعره: من ذلك قوله مرجبا بصديقه الحميم السيد عبد الله بن محمد العلوى الشنجيطى صاحب القصيدتين الطناتين فى مدحه فى إحدى قدماته على والده السلطان المولى إسماعيل:

مكناسة الزيتون فخرا أصبحت تزهو وترفل فى ملاء أخضر
فرحا بعبد الله نجل محمد قاضى القضاة ومن ذؤابة مغفر
وقوله مخاطبا شيخه القسطنطينى المذكور أيام خلافته بسوس الأقصى ومتشوقا
إلى فاس كما فى اقتطاف الأزهار، من حداثق الأفكار، وغيره:

ألا ليت شعرى هل أنزه ناظرى وللنفس أقبال بوادى الجواهر
أمتع طرفى فى رياض أنيقة وأقطف أزهارا بها كالزواهر
بحيث نرى أسد العرين صريعة وقد فتكت فيها ظباء المقاصر
وحيث نرى غلب الحداثق سلسلت حديثا صحيحا عن نسيم الأزاهر
وقد نسجت كف النسيم عشية دروع مياه بين تلك النواعر
وأصبحت الأطيّار فوق غصونها فصاحا تقص فوق خضر المنابر
سقى الله أدواحا بفاس عهدتها تغازل أنواء الغيثوث المواتر
ولا برحت عين تراها قريرة وإن قذفت بالقلب جمرة حائر
لك الله من إلف بدرعة جسمه وقلب بفاس فى قدامة طائر
تراوحه الأشواق فى كل ليلة فما بين مزور هواه وزائر
ولو أنه يعطى على قدر قدره لكان له ما بين بسر وباسر
فمن مبلغ عنى رسالة شيق إلى عالم الأعلام صدر الأكابر
إلى العالم التحرير والحجة التى روى فضلها غر السراة الجماهر
إلى شيخنا الأسمى السمى محمد أحملها هوج الرياح العواطر
أحملها مر النسيم تحية إلى الماجد الأرضى الكريم العناصر

وأقطعها الود الصميم وإن نأت
فله ما يشكو الفؤاد من النوى
إذا ما ذكرت العهد واشتقت للقا
فيا دوحة العلم التي عم عرفها
ويا سيداً حملته كل وارد
ويا كوكبا قد حل في أفق الهدى
ألست الذى إن عز في العلم مشكل
ألست الذى ترتاح كل عويصة
حنانيك هاض القلب سهم ابن مقله
عليك سلام الله ما هاج شيقا
فأجابه شيخه الممدوح بقوله:

خليلى عج بالركب من أمن عامر
وسل واكفات الدمع فوق محاجرى
إلى أن قال:

ديار بها روحى وروحي وراحتى
سليل أمير المؤمنين وعلقه
إلى أن قال:

ولا عيب فيه غير أنه حازم
وعالم أهل البيت فخر سراتهم

به الدار عن بحر من العلم زاخر
ولله ما تطوى بطون الدفاتر
جعلت فؤادى بين أضلع صابر
جميع البرايا بين باد وحاضر
سلامى وقد حملته كل صادر
فألقي سنه فى عيون الماثر
تلقاه فهم منك فى زى باتر
إلى ذهنه من بين ناه وأمـر
فأدمى فهل تروى -حديث ابن جابر
بريق وما لاح الصباح لناظر

وعرج على كئبان نجد وحاجر
أثار الغضا فى القلب أم أم جابر

وقلبى وريحان الفؤاد وناظرى
محمد محمود السجايا العواطر

وحامى الذمار ماجأ للقواسر
وتاج وسيف الدين عند التشاجر

وقاعدة التحصيل أنك فاضل إمام همام مركز للدوائر
وقد كانت الأيام تجمع شملنا فهل عودة للوصل يا خير شاكر
إلى أن قال:

عليك من الرحمن صوب تحية مبشرة بالوصل من أم عامر
وقوله مخاطبا لأخيه جدنا مولاي زيدان أيام حروبه معه:

أبلغ الزيدان عنى آية بسيف العدل تشفى ذا الغلل
كم لنا يا ابن العلا من وقعة كان منا الفضل فيها لو عدل
حصحص الحق ولاحت شمسه وزمان الغنى ولى وانخلذل
ولواء النصر خفاق ولم يبق إلا الجدد قولا وعمل
وكتب له أخوه مولاي الشريف صدر كتاب بعثه إليه قول سيف الدولة ابن
حمدان يخاطب أخاه الناصر:

رضيت لك العليا وإن كنت أهلها وقلت لهم بينى وبين أخى فرق^(١)
أما كنت ترضى أن أكون مصليا إذا كنت أرضى أن يكون لك السبق
فاقترح المولى محمد على شيخه المساوى أن يجيبه فقال على لسانه:

بلى قد رضيت أن تكون مصليا ويتلو نداكم فى العلا من له السبق
وما لى لا أرضى لك المجد كله وأنت شقيق النفس إن عرف الحق
ولكن ذوو الضغن انتحوا ذات بيننا فغادرهم إفسادهم وبهم رنق^(٢)

(١) نشر المثنى فى الموسوعة ١٩١٢/٥.

(٢) فى هامش المطبوع: «بسكون النون كدر».

نثره: من ذلك ما كتب به لوزير والده الیحمدی الطائر الصیت وقد بلغه أنه بالغ فی الثناء علیه لوالده وفند أقاویل وشاته، لفظه: حیا الله تعالى بمنه مقام ركن الدولة الإسماعيلية وسمیرها، ومنتقى هاتيك الحضرة السامية ووزیرها، مطلع أنوارها، ومعدن أسرارها. فوالله ما اجتبی لتلك المثابة العالية العلوية حتى كان لها أهلا، وما قرر بذلك البساط المؤید بالله جهلا، فكم عجمت قبله من عود، فألقته وأبت إليه أن تعود، فأما الزبد فیذهب جفاء وأما ما ینفع الناس فیمکث فی الأرض، صاحب القلم العالی والقدم الذی رسخت أنامله على هام المعالی، أبی العباس الیحمدی هذا ولا زائد سوى تأکید ود صفا مشربه، وطاب أعذبه، وعهد برز الصفاء میثاقه، وشد بحبل الوفاء وثاقه، لا یبلى منه الجدید، ولا یتألم منه الورید، وإعلامك بأن بعض محبیک كاتبنا بجمیع ما قلته فینا، وما صدر منك إلینا من الصنائع والإحسان، فقد أحسنت أبا العباس ولم یتقدم لك منا إحسان، وقمت فی نصرتنا مقاما لم یقم معك فیہ إنسان، فلا أنسى لك یوم الفقهاء تنویهك بقدرنا، وإعظامك لأمرنا، ومن قبل كنا بحقك جاهلین وعن قدرک ذاهلین.

والآن تبین الحق، وحصحص الصدق، واتضح الصارم من الحسام، والصیب من الجهام، فکم لنا هنالك من خالص وده، ومحفوظ عهدہ، فما قام أحد منهم مقامك، ولا أرقش سهامك، ولا دافع دفاعك، ولا نازع نزاعك، فستری إن وسع الله علینا نتیجة تلك المقالات، وثمرة تلك المدافعات، قوالله ما نطلب التوسعة إلا لمكافأة أمثالك، ومجازات أشکالك، قدم على ذلك أدام الله سیادتک، وأبقى بمنه مجادتک، وأبقاك لنا فی ذلك المحل ركننا نستند إليه، وعمادا نعتمد علیه. والسلام وفى الخامس والعشرين من شعبان المبارک سنة خمسة ومائة وألف، محمد ابن امیر المؤمنین إسماعیل بن الشریف لطف الله به.

وفاته: توفى بمكناسة ليلة الأحد خامس عشر وعليه اقتصر الوزير اليعمدي
فى المجلد الرابع من كناشته، وقيل ثامن عشر ربيع الأول عام ستة عشر ومائة
وآلف، وإلى ذلك أشار بعض الأدباء بقوله:

وقد قضى نجه سادس عشر من شهره ومالك قبل انتشار
من رأسه لفرجه شطرين بقدر ما تجود السطرين
والأمر لله العلى وحده يذل من شاء ويحمى جنده

وفى منحة الجبار: أنه توفى سادس عشر ربيع الأول سنة ثمان عشرة، قيل
دفن بسيدى بوزكرى، والذى ذكره الحافظ الأستاذ أبو عبد الله محمد بن عبد الله
الأغزاوى الإبراهيمى أنه مدفون بضريح سيدى عمرو الحصينى، وأن السلطان
مولای عبد الرحمن أوقفه على قبره، وأراه إياه خارج القبة عن يسار الخارج منها.
وقال بعض الأئمة الأعيان: إنه زار السيد عمرو الحصينى، هذا مع بعض
أولاد السلطان مولانا سليمان فأوقفه على القبر الذى ذكر مولای عبد الرحمن وأنه
مشهور عند الخاص والعام. هـ.

قال فى الدر المنتخب: وهذا هو الذى جزم به الوزير اليعمدي فى المجلد
الرابع من كناشته وبه يتفق كل ريب وهم فإنه أدرى وأوثق وأضبط.

وكان الذى تولى الصلاة عليه بوصية من المترجم - كما أوصى بدفنه بمقبرة
عامة المسلمين وأن لا يبنى عليه فنفذت وصيته رحمه الله حسبما صرح بذلك
الوزير المذكور فى المجلد المذكور - هو القاضى أبو عبد الله، وأبو حامد العربى بن
أحمد بردلة المتوفى بفاس يوم الاثنين خامس عشر رجب سنة ثلاث وثلاثين ومائة
وآلف، فنقم عليه بعضهم وأوغر عليه قلب السلطان وقال: إنه يبغضك ولولا شدة
بغضه ما سارع إلى الصلاة على عدوك الذى قام عليك، وأراد نزع الملك منك،
فكتب السلطان إلى القاضى يهدده ويوبخه فأجابه بما نصه:

«الحمد لله الجواب: قد ورد تقييد من الجنب العالى آدم الله أيامه، ونصر
أعلامه، وسد بهيته يأجوج الفتن، وأبقاه لإظهار واضح الهدى والسنن، يتضمن
ذلك التقييد التقييد لما صدر من أمر الصلاة الموصى بها واستعظام أمر ذلك: إذ
كان بغير إذن من الجنب العالى نصره الله، وأنه فى عداد الافتيات، وأقول معتذرا
عن نفسى ومجيبا عنها بتقرير ما كان وحكاية ما صدر أن ذلك، لم يكن من غير
إذن، وإنما كان بإذن جاءنا من قبل الدار العلية بلغ مبلغ الشهرة وخرج من طريق
الشك، وكان أمرا مقررًا، وحديثا شائعا مكررا، ثم مع هذا لم أذهب لمحل إلا
بقائد يقودنى ومترجم ينسب الأمر إلى الجنب العالى ولم أفعل فعلا صلاة أو
غيرها إلا مدفوعا إليها ومجذوبا نحوها وكالمجبور عليها، وإذا كان كذلك فلا لوم
من جهة عدم الإذن لأن من تلقى ذلك وسمعه وجاءه الأمر به وكان حاله على ما
وصف لا يسمى مفتاتا ولا منزلا منزلة، هذا لو فرض أن لا إذن من الجنب
العالى بالكلية.

فالواجب فى حقنا والمناسب لحالنا ولسائر رعية مولانا نصره الله، هو القيام
بذلك والسعى والمبالغة فيه لإجلالا وإعظاما لجنب مولانا نصره الله، وإذا كان
المقصود تعظيم جنبه فلا ينصت إلا لما هو من قبيلة، وسالكا على سبيله، لأن ما
هو من قبيل الإجلال والتعظيم واجب أن يعامل به ولا يعذر مثلنا فى عدم القيام
به، وقد قال مولانا على كرم الله وجهه لما كتب فى قضية صلح الحديبية: هذا ما
قاضى عليه محمد رسول الله أهل مكة، فقال المشركون لو علمنا أنك رسول الله
ما صددناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله، فقال رسول الله ﷺ: والله إنى
لرسول الله وابن عبد الله، امح يا على رسول الله، فقال سيدنا على: والله لا
أمحو رسول الله أبدا تعظيما لجنب النبي وترجيحا لإجلاله وإعظامه على امتثال
أمره، لأن المقام تعارض فيه وجوب امتثال أمره بالمحو ووجوب الإجلال والتعظيم
لمقامه، فرجح جانب التعظيم والإجلال، على جانب امتثال الأمر.

وهذا شاهد جلى لمسألتنا لو فرضنا وقوع النهى وعدم الإذن، مع أنه لم يكن نهى واشتهر بدله الإذن فتعين ما فعلنا من جهة ما سمعنا من الإذن ومن جهة ما هو متعين من الإجلال والتعظيم لمولانا نصره الله، إذ كان من قيم بحقه ممن يمت إليه بل قريب القرابة، ثم من جلى الإذن ما كان منه نصره الله صبيحة وقوع الموت مما كان شائعا وسمعه من حضر، وأسمعونا إياه من أمر مولانا نصره الله له بالقيام بأمر التجهيز والتشييع، وفى الأئبى شارح مسلم أن الحسن البصرى لما ليم على صلاته على الحجاج، قال: كرهت أن أستعظم ذنب الحجاج فى جانب عفوه.

وفى الخازن مختصر تفسير البغوى ما نصه على قوله تعالى: ﴿... لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة: المائدة: آية ٣٣] هذا الوعيد فى حق الكفار الذين نزلت الآية فيهم، فأما من أجرى حكم الآية على المحاربين من المسلمين فينفى العذاب العظيم عنهم فى الآخرة، لأن المسلم إذا عوقب بجنأته فى الدنيا كانت عقوبته كفارة له، وإن لم يعاقب فى الدنيا كان فى خطر المشيئة، إن شاء الله عذبه فى الآخرة بجنأته ثم يدخله الجنة، وإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة. هذا مذهب أهل السنة بحروفه.

وفى كتاب الإيمان من البخارى ما نصه: حدثنا أبو اليمان قال: أخبرنا شعيب عن الزهري، قال: أخبرنى أبو إدريس عائذ الله بن عبد الله، عن عبادة بن الصامت، وكان شهد بدار وهو أحد النقباء ليلة العقبة أن رسول الله ﷺ قال، وحوله عصاة من أصحابه: بايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم، وأرجلكم ولا تعصوا نى معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب فى الدنيا فهو كفارة ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه. فبايعناه على ذلك.

هذا ما تيسر من الاعتذار، والله يديم عز مولانا ويخلده، ويديم الملك فيه
وفى عقبه الأكرمين ويؤيده، والسلام من العربى بن أحمد كان الله له».

٢٤١ - محمد بن الفقيه البركة أبى القاسم عليلش الحضرمى القرشى

البكرى الصديقى التيمى.

كذا وصف فى عقد عتيق.

حاله: فقيه جليل عالم علامة، دراية فهامة، متفنن متقن مشارك، حازم
ضابط قوال للحق، جامع ما افترق فى غيره من المحامد، عدل رضى، تقى نقى،
حى أريحى، خير دين فاضل كامل، موثق ماهر، فرضى عارف، تولى النيابة عن
القاضى فى الأحكام، واختص بقلم وثائق البيطرة والقوابل النظار بالدويرية
بحومة الأسبوع بقبلة المسجد الأعظم محل سكنى شيخنا السيد محمد فتحا بن
أحمد السوسى الآن.

وقفت على رسم مشهود له فيه بنحو ما وصفناه به أنه المستحق لما رشح له
من المناصب العلية، والوظائف السنية، من جم غفير من أعيان صدور معاصريه
من أئمة العلم والدين، وفضلاء العدول المبرزين، يبلغ عدد عدوله ستين وعلمائه
أربعين، منهم سعيد بن قاسم العميرى، وأحمد بن ناجى، وعبد الجليل بن عبد
السلام القباب، وأحمد بن محمد دادوش، ومحمد الشطيبى الزرزالى، ومحمد بن
أحمد بن سودة، ومحمد بن أحمد الكوهن، ومحمد بن محمد الحلقاوى،
ومحمد بن الحسن بن إدريس الغمارى، ومحمد بن عبد الرحمن الحريشى،
والكبير بن محمد حجيج، ومحمد بن الحاج بن إبراهيم وذلك بتاريخ ثمانية عشر
ومائة وألف.

٢٤٢ - محمد بن أبى مدين بن الحسين بن إبراهيم السوسى المنبهى.

الزىادى الأصل المكناسى الدار والإقبار، قاضيه بل قاضى القضاة بالمغرب
أبو عبد الله شهر بأبى مدين.

حاله: محدث متفنن ناظم ناثر تحرير الزمان، ونخبة الأعيان، علامة جليل
إمام فى المعقول والمنقول، وعلم الأبدان والأديان، مرجوع إليه فى النوازل والفتيا
والأحكام، موثق بارع، موثق بفتواه وحكمه، ملحوظ بعين الإجلال والاعتبار
بين معاصريه لفضله ومثانة دينه، مقتدر على الترسيل، فصيح بليغ سيال القلم،
خطيب مصقع بل أخطب أهل زمانه.

ومن براعته أنه خطب بسيدنا الجد السلطان مولانا إسماعيل فى موسم عيد
اجتمع فيه جمع عظيم وجم غفير من أعيان المغرب وسراة وجوهه، ولما تعرض
لذكر السلطان فى الخطبة الثانية على العادة المعروفة ورى باسمه فتال: لو رآه والده
الجليل، فى هذا الجمع الحفيل، لقال: الحمد لله الذى وهب لى على الكبر
إسماعيل، فأعجب به وخلع عليه وهو من جيد التورية التى يقل من يهتدى لها
فى مثل هذا.

وفى أواسط شوال عام ثمانية وثمانين وألف آخر عن القضاء وولى مكانه
أحمد بن سعيد المجيلدى، ثم أعيد بعد لخطبته، فقد وقفت على عدة خطابات له
بعد التأخير وتسجيلات من ذلك رسم مسجل عليه بتاريخ أواخر جمادى الأولى
عام ستة عشر ومائة وألف محلى فيه بما لفظه: الفقيه الأجل، العالم العلامة
الأكمل، المدرس البركة الحافظ الحجّة الخطيب البليغ المحدث الراوية قاضى الجماعة
بمكناس ومفتى الأنام بها.

٢٤٢ - من مصادر ترجمته: التقاط الدرر - ص ٣٠٣.

مشيخته: منهم أبو على الحسن اليوسى وهو عمدته وغيره من فحول عصره.

الآخذون عنه: منهم أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الواحد بصرى، أخذ عنه شرحه على السلم، وقرأ عليه مختصر السنوسى والمحلّى والسعد وغير ذلك، وابن عاشر الحافى السلوى حضر مجلسه فى صحيح البخارى، وأبو نصر عبد الوهاب العرائشى، وأبو محمد عبد الوهاب بن أحمد بن محمد بصرى.

مؤلفاته: له شرح على منظومة الأخضرى فى المنطق المعنونة بالسلم المرونى، أبدع وأودع فيه من التحقيق الدال على مهارته الكاملة ما شاء. قال فى منحة الجبار: وله فى الأصلين معا أبحاث وتحقيقات، وفوائد وتدقيقات، وله الخطب التى لم يسبق بمثلها، التى يقف فحول الأدباء عند حدها.

نظمه: من ذلك قوله مداعبا لرجل يدعى سينو من أهل تطوان كما بكناشة العلامة الأقدع أديب الثغر الرباطى السيد محمد بن التهامى بن عمرو:

تبارك الملك تحمينا وياسين من شر ما نتقيه منك يا (سين)
بالأمس يشكوك إسحاق وجيرته واليوم ها هى تشكوك المواسين
تألف اسمك من ضدين وانتقضا نعم لا وهو بمعنى قولنا (سى) (١) (نو)

نثره: من ذلك ما كتب به للسلطان المظفر سيدنا الجدد مولانا إسماعيل: «مولانا الذى لألت الأكوان غرر شيمه الطاهرة ومفاخره، وملأت الآذان والأذهان درر خيمه البهية الباهرة ومآثره، واستطال نجاد الدين بملازمة حضه على إقامة

(١) فى هامش المطبوع: «يشعر بأن له معرفة باللغة الفرنجية فإن معنى (سى) عندهم نعم و(نو) لا. انتهى مؤلف.

منائره الرائقة ومنابره، ظل الآنام، وكهف الإسلام، ملاذ الخاص والعام، مقيم
فخر أمة جده عليه الصلاة والسلام، أبقى الله مجد بيته العتيق، تأوى إليه الأعيان
خاضعة من كل فج عميق.

السلام التام، على شريف البساط وعلى المقام، والرحمة والبركة ما أدار رائد
فلكه، وأنام ثاقب فلكه، هذا وليعلم مولانا، المقيم لشعائر الشرائع المحمدية قواعد
وأركاننا، أن مملوك نعملك، وغريق بحر جودك وكرمك، قد والله ملئت أردان قلبه
شوقاً، وجرت به أفراس التشوق إلى مشاهدة الطلعة العلية طلقاً، فلا والذي بعث
جداً بالحق، وأقامك مقامه فى إقامة الشرائع وسياسة الخلق، ما قطعت بك
الصفائف الجياد سبباً أو وهاداً، إلا وسوابق الأرواح بين يدي جحافل مولانا
تتهادى، ولا نفحت قواصف أو لمحت هواجر، إلا والعيون من فرط الإشفاق، من
معاناة مولانا المشاق الشواق، للذيذ كراها هواجر.

لكن إذا ارتاد المشفق فكره، وبصر بأن الله سبحانه قد ضاعف لخلفاء العدل
مثوبته وأجره، حيث جعل سبحانه هائل المنافع والمصالح من عنان عدلهم يسح
وابله وطله، وناهيك بما أتحفهم من مطارف المجازات إذ جعلهم أشرف الأصناف
السبعة الذين يظلمهم بظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، فعند ذلك نعم بالحبيب باله،
واضمحل لاعج الإشفاق ولبباله، وانقشعت مزن الأتراح والمواجد، وأفترت بواسم
الأفراح حتى أبدت النواجذ.

ويكفى فى الباب، قول صفوة الأنبياء ولباب اللباب: لعلم الإمام العادل
فى رعيته يوماً واحداً أفضل من عبادة العابد فى بيته مائة سنة كما فى حديث أبى
هريرة، ولا غرو كما قال الأئمة فى أن الأجور باعتبار المشاق، ومقاساة الأمور
الشواق، ولذلك كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أزكى الناس مناصب،
وأعلاهم مراتب، وقد استحثتنى بواعث اشتياقى، واستنجدتنى للقدوم عزائم

أشواقى، حتى أشاهد أنوار هاتيك الأخلاق الزكية، وأنتشق من أزهارها الذكية،
فأشير على من مملوك مولانا بما حاصله أن تقدم الاستئذان على الوفادة، من أجل
ما يتحلى به أدب المرء من السنن المستفادة.

ثم مع ذلك فالجوارح ناطقة بشكر ما لمولانا من جزيل الأيادى، والجوانح
معترفة بعظيم نعمه التى عمت الحواضر والبوادرى، والرعية معتكفة على حب
أميرها، لاهجة بجميل الذكر على لسان صغيرها وكبيرها، والخصب ببركة مولانا
قد أغنى وأقنى رفده، وجاد على الأعجم والناطق بما ملكت يده.

وهذه الحضرة المشرفة بعناية مولانا إذ جعلها من ذماره، واصطفها لقربه
وجواره، وشنفها من بديع الفراديس ورفيع القباب، ما لورآه الإسكندر الأكبر
لاعترف بأنه العجب العجائب، قد حليت من المحاسن بمبتهاها، وأسعدها الإسعاف
بنيل أرفع مشتهاها، والعلوم قد تدفقت بها أنهارها، وتفتقت على أوج التحصيل
أزهارها، والأكف مرتفعة لمولانا بصالح الأدعية، والألسنة معربة بما لمولانا من
عظيم الحق فى المجالس والأندية، إذ هو حفظه الله رفع للعلم مناره، ويوؤه قراره،
وأحيا معالمه الدوائر، وألزم نصره الله نشر ما حوته الدفاتر، فله المنة بدءا وعودا
وجميل الثناء والشكر على ما أولى وأسدى.

وفاته: توفى بمكناسة الزيتون زوال يوم الجمعة ثامن أو سابع شوال عام
عشرين ومائة وألف عن أربع وثمانين فيم قيل، ودفن عند العصر بضريح ولى الله
المولى عبد الله بن حمد خارج باب البرادعيين أحد أبواب المدينة، وقبره هناك
مشهور.

٢٤٣ - محمد بن عبد الرحمن بن محمد فتحا.

الفاسى لقبا، الشاوى المعزاوى أصلا، المكناسى نشأة ودارا وقرارا.

حاله: ميقاتى فاضل معدل، حيسوبى ماهر، انتهت إليه رئاسة التوقيت والتعديل وما يتعلق بذلك فى زمانه، مع سمت حسن، ودين متين، فقيه أديب، لبيب زكى ذكى، كاتب بارع، ذو أخلاق مرضية، وأفعال سنية سنية، نزيه وجيه حى أريحى مهذب، له اليد الطولى فى الإنشاء والترسيل بديع الخط، رحل لفاس ولازم فطاحل جلة أعلام مشايخها حتى فتحت له النجاة بابها وأدخلته المهارة حجابها، فرجع لمسقط رأسه مملوء الجراب آية فى الفهم والإدراك لا يجارى ولا يبارى، فتولى رئاسة التوقيت بالمسجد الأعظم بالحضرة المكناسية قبل وفاة والده إمام الفن المرجوع إليه فيه على عهد سيدنا الجد السلطان مولانا إسماعيل قدس الله روحه، وكانت توليته الوظيفة المذكور عام ثمانية وعشرين ومائة وألف، وكان السلطان المذكور يحله وييسجله، وقفت على ظهير بإسناد الوظيفة المذكور إليه ودونك نصه:

«الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، عن أمر عبد الله المتوكل على الله، المفوض جميع أمره إلى مولاه أمير المؤمنين، المجاهد فى سبيل رب العالمين، الشريف الحسنى إسماعيل بن الشريف الحسنى الله وليه أيد الله بعزیز نصره وأوامره، وظفر جنوده وعساكره، وخلد فى الصالحات مآثره.

يستقر بعون الله تعالى هذا الظهير المبارك بيد حامله المتمسك بالله ثم به الفقيه الوجيه، المعزوى النزيه، الموقت المعدل السيد محمد بن عبد الرحمن الفاسى لقبا المكناسى دارا الشاوى أصلا، يتعرف منه أننا حيث ثبت لدينا بتعريف من وثقنا بتعريفه الإمامة والعدالة والمعرفة والتوقيت وأحكامه وآلاته، وليناه خطة التوقيت بالمستودع من الجامع الكبير من حضرتنا العالية بالله، ومباشرة آلة التوقيت ليلا ونهارا، مواظبا على ذلك، ملازما لمحله وشغله منقطعا إليه دون معارض له ولا

منازع وأذنا له فى قبض ما هو حبس على التوقيت بالمحل المذكور من الرباع وبلاد
الحرث وغير ذلك .

وكذلك أذنا له ووليناه الأذان فى الصومعة وإقامة الصلاة ورواية الحديث
الكريم على الكرسي يوم الجمعة موقرا محترما فى جميع أحواله ، وكذلك وقرنا
والده الخير الدين السيد عبد الرحمن المذكور وأولاده العربى ومحمد توقيرا تاما
لانتسابهم لهذا الوظيف الدينى وخدمة بيت الله الذى هو أشرف البيوت وأرفعها ،
والواقف على هذا المسطور الكريم يعمل به ولا بد والسلام ، وكتب فى التاسع
والعشرين من ذى الحجة الحرام مكمل ثمانية وعشرين ومائة وألف .

فانظر اعتناء واعتبار أسلافنا المتقين ، لإقامة شعائر الدين ، واحتياطهم
جهدهم وطاقتهم فى انتخاب من يرشحونه للقيام بذلك وبسطهم يد التصرف فى
الأوقاف المعينة لذلك الوظيف وقوفا مع ألفاظ المحبس التى يجب اتباعها شرعا
وتحرم مخالفتها لتنزيله منزلة ألفاظ الشارع .

مشيخته : أخذ عن سيدى محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسى ،
وسيدى العربى بن عبد السلام بن إبراهيم الدكالى وسيدى محمد بن أحمد بن
الحاج وسيدى العربى بن عبد السلام الفاسى ، والسيد عبد الواحد بن محمد بن
هارون ، أجازة عامة فى الفنون التوقيتية والتعديلية وما ينضم إليها الأول والرابع
والخامس ، وشهد له بالمهارة والاستحقاق غيرهم .

ودونك نصوص ما كتبوه له على الترتيب ومن خطوطهم نقلت ، كما ذلك
إثر تقريره الإجازة منهم وسيمر بك بحول الله :

الحمد لله ، ما قاله الشاب الأرضى الأزكى الأحظى ، الفقيه الأديب الفاهم
اللبيب ، أبو عبد الله المذكور صحيح وقد أجزته فى ذلك وغيره من التأليف

التوقيتية والآلات الفلكية، والله سبحانه يوفقنا وإياه، لما يحبه ويرضاه، بمنه وكرمه، نسأل من المجاز المذكور ألا ينساني من صالح دعائه.

وكتب عبيد الله وخديم أوليائه، محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي الكنانى غفر الله له وستر عيبه صح فى التاريخ أعلاه. هـ.

الحمد لله الذى جعل فى السماء بروجاً وجعل الشمس سراجاً والقمر نوراً، وجعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً، وفرض فيها للدين أوقاتها شرعية رحمة منه وبروراً، ونصب لمعرفة دلائل أشرقت بيانا وظهوراً، والصلاة والسلام على مولانا محمد المتقى للرسالة قبل أن يكون آدم خلقاً مذكوراً، المبعوث لإقامة دين الحق فكان به مؤيداً منصوراً، والرضى عن أصحابه الذين كان سعيهم مشكوراً.

هذا وقد وقفت على ما سطره أعلاه الفقيه الأجل، العالم الأفاضل، المعظم المبجل الأحفل، شيخ العلوم العقلية والنقلية، والمتفنن فى حقائق ودقائق صوفية وشرعية وحكمية، وفرع دوحة تدلت بالعلم أفنانها، وفرع شجرة أظلت الكرام أغصانها، وبيت كرع الأعلام من مناهله، واغترفوا من سيب تياره ونائله.

شيخنا أبو عبد الله سيدى محمد بن شيخنا الإمام، الأواحد الهمام، البحر الذى طما تياره، واستوى فى البلاغة نظامه ونثاره، محلى أجياد المعانى بمقتضى جواهره، ومورق أفنان البلاغة بمونق أزهاره، الذى درس العلوم والفها، وقرط المسامع بحلى فوائده وشنفها، ونظم درر الفصاحة فى أسلاكها، وضم درارى الأدب فى أفلاكها، وحاك ديباج البراعة وفوف، وقوم أود البيان وثقف، أبو زيد سيدنا ومولانا عبد الرحمن نجل الفضلاء الأعلام، أئمة الهدى ومصابيح الظلام، السادات الفاسيون داراً لقباً، الكنانيون أصلاً ومتسباً، أفاض الله تعالى علينا من بركتهم، وحشرنا فى زمرتهم آمين.

من إجازته للشباب الفقيه النبيه الأزكى الأحظى الموقت الأديب الزكى المرتضى سيدى محمد بن الفقيه الموقت العفيف النزيه الخير ذى الأخلاق الزكية، والأحوال المرضية، سيدى عبد الرحمن الفاسى لقبا المكناسى دارا وقرارا فى التأليف التوقيتية والآلات الفلكية، فإنه لجدير بأن يجاز فى ذلك، وأحق بأن يؤذن له فى سلوك تلك المسالك، لحذاقته ونبله، وقوة إدراكه، وصفاء مرآة ذهنه وعقله، وولوعه بحصول هذا الفن وتحصيله وعكوفه على طلبه بكرة الزمان وأصيله.

وأخذه عن ذويه وخصوصا ما أحرز وحازه عن الشيخ العارف أعلاه فإنه القدوة فى ذلك المشهور، وعلم الفلك فى هذا العصر عليه مقصور، وهو قطبه الذى عليه يدور، فقد صادفت إجازته صوب الصواب، وكشفت عن وجوه الحق اللثام والنقاب، سيما وهو قد انتصب بالفعل لمباشرة الأوقات، بالحساب والآلات، ومارس أدوارها الفلكية بالأدراج والساعات، وظهرت فى ذلك نجابته، وتحققت فيه موافقته للصواب وإصابته، وصدق فيه مقاله، وصح فيه حسابه وأعماله، فى ليله ويومه، وصحوه وغيمه، منذ مدة مديدة وأزمان، وليس الخبر كالعيان، والله تعالى يوفقه ويمده بمدده، ويعينه على ما هو بصده، وكتب الفقير إلى رحمة مولاه الكريم محمد العربى بن عبد السلام بن إبراهيم الدكالى كان الله له وليا وبه حفيا آمين. انتهى.

الحمد لله المجاز المذكور، بما هو مكتتب ومسطور، أولا وآخره حرى بحلاه، وما نظم ورقم أعلاه، إلى ما جمعه من لآئى ويواقيت، وصار به فذا فى المواقيت، نشأة سنية، وسيرة سنية، والله جل جلاله ينفعنا وإياه، ويديم رقيه وبغياه، وكتب طالبا دعاءه، وملبيا نداءه، ومتلمسا من مولاه ذى الطول، يوم الحر والهلل، ظله ورداءه، محمد بن أحمد بن الحاج وفقه الله بجاه رسول الله ﷺ وعلى آله وذريته الأكرمين. انتهى.

الحمد لله وكاتبه الواضع اسمه عقب تاريخه أحق بإجازة المجاز أعلاه،
لمهارته فى فن التوقيت وغيره، ولا أعلم أن فى بلاده أفضل منه فى فنه، ولا فى
بلادنا هذا، وكتب عبيد الله تعالى العربى بن عبد السلام الفاسى، كان الله له وليا
ونصيرا بمنه. انتهى.

الحمد لله ما كتبه شيخنا الإمام، الأوحد الهمام، أدام الله الانتفاع به آمين،
من إجازته للفقير الأديب، العدل النجيب، أبى عبد الله بن الماجد الأنجد، العدل
الأرضى الأسعد، سيدى عبد الرحمن الفاسى المذكور أعلاه، هو كما قال وهو
عين الحق والصواب، لأن المجاز وفقه الله وأسعده ممن له فى ميدان التحقيق
والدراية جريان، فلا مرية أنه أهل لذلك أدام الله توفيقه، وله اليد الطولى والحمد
لله فى فن الحساب والتوقيت وسائر تعلقاته الفلكية، وآلاته الشعاعية، وله علم
ومعرفة بفن التعديل، وقد أجزناه فى ذلك كله كما أجازة شيخنا المذكور ونسأله أن
لا ينسانا من دعائه الصالح، وكتب عبيد الله تعالى العياشى بن إبراهيم الخلطى
الزهرونى وفقه الله بمنه آمين. انتهى

الحمد لله المجاز المذكور أعلاه، الموصوف بما واصفه به قد حلاه، وهو
الفقيه النجيب، الفاضل اللبيب، أبو عبد الله سيدى محمد بن الفقيه النبيه،
المربط التزيه، أبى زيد سيدى عبد الرحمن الفاسى حقيق والحمد لله بالإجازة، لما
قام به من التحقيق فى علم المواقيت وحازه، وقد أجزته لما سبق له من القراءة من
كتب الفن، وإن كنت لست ممن سلك تلك المسالك، كما أجازة شيخنا الإمام،
الأوحد الهمام، سيدنا وسندنا أبو عبد الله سيدى محمد بن شيخنا العلامة المشارك
الدراكة إمام عصره، وعلامة دهره، أبى زيد سيدى عبد الرحمن الفاسى والله
يوفقنا وإياه، لما فيه رضاه، بجاه نبينا ومولانا محمد وآله، وفى الحادى والعشرين
من ربيع النبوى، عام ثلاثة وعشرين ومائة وألف.

وكتب عبيد ربه المعترف بذنبه الراجى عفو ربه عبد الواحد بن محمد بن هارون . انتهى .

نثره : من ذلك تقرير إجازة لفظها بعد البسملة والصلاة :

الحمد لله الذى رفع بعلم ما أودع من أسرار ، ونفع بما نزع من قلوب المعتدين الأشرار ، وأمتع لمن برع بما كشف عنه لأهله الأستار ، فصعد بما أبدع مما لا تدركه العقول والأفكار ، ورصع بما جمع القلوب بالسبر والمسبار ، نحمده سبحانه على ما أبرز من نعمه وحجز من إثمه ، وتجاوز عمن طلب الإجازة عن ذنوبه واجتزم من ظلمه ، وأنعم على من أكرم بحسن الإنعام ، فوفقهم لتعديل الأحكام ففازوا بالحياة والمكاسب ، وحازوا بعد الانتقال حسن العواقب ، فطوبى لمن صدق برسله ووعد ، وتبا لمن عبد الشيطان وحكم بنده ، فذلك الذى ضيع دنياه ، وفاته مناه ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من أخلص عبادته وعلمه ، ووحدته فى ملكه وشهد بأن الملوك خدمة ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى أرسله بالهدى فيسر منهجه القويم بالموافق ، وأصلح بيسارته الإصلاح الفائق ، ﷺ وعلى آله وصحبه الشمس المضيئة مع الأقمار ، كل بنوبته فى روضة الأزهار ، الذين تبعوا سنة المختار فى الإقبال والإدبار ، ففازوا بالأصل الحقيقى والمعدل ، وبعد قطرهم عن الميل الثانى والميل الأول ، وفضلوا بارتفاع البصر ، فى أبد الدهر ، وحسن النعت ، بتعديل السمات ، على أن سمت الارتفاع ، ظله باع ، ومطالع الاستواء ، فى أفقها استوى ، فلله من طالع قوى ، ولله من غارب ارتفع صاحبه فكأنه ليس فى المغرب ولا هوى ، فهناك تود أن المواهب عندها تكمل ، وتتلأأ المراتب أبهى من الشمس فى الحمل .

هذا وإن للعلم ذروة يتبوأها كل ذى حجا ، وهمة يتفيا ظلالتها المتفئ فى النهار وفى الدجى ، وإن لذويه لخصيصة راسخة ، ومراتب سنية غير رازخة ، تأهل

السير إليها حتى لجا، وقد سنى الله لنا زمنا امتن فيه بالمنة التي يجب شكرها أبدا، ويستمر على مر الزمان وحقائب المدى، أن تيسر لى ما جنح إليه البال، وسنح بحسب الحال منه المثال، الذى بحضرة شيخنا الذى افتقرت الكواكب فى موضع معرفتها إليه، وتنورت منيراتها قبس يديه، فأصبحت تطيب منه النفوس، وقيل أن لا عطر بعد عروس، فهو محتد الفضائل والهدى، وَمَعَشُ الْاِهْتِدَا^(١) بيدر وإن بدا. الهمام المتفنن، والجهبذ المتقن، العلامة الدراكة البركة المشارك الفهامة النحرير، أبى عبد الله سيدى محمد بن الإمام الأكبر، العلامة الأشهر، شيخ المعقول والمنقول، الذى له اليد الطولى فى الفروع والأصول، أعجوبة الدهر، ونادرة العصر، أبى زيد سيدى عبد الرحمن نجل الشيخ الإمام، القدوة العارف الهمام، شيخ الجماعة أبى محمد سيدى عبد القادر بن على الفاسى خلد الله مناقب آبائه الحميدة، وأدار فلكه فى سمائه السعيدة، فهو الجامع لما تفرق من مهم المهم، والمفرق لما تجمع من أباطيل الجهل الملم، فله دره جمعا للعلم والفضائل، وتفريقا للجهل ومنكرات الأباطل.

فكم خصلة افرقت فى غيره فجمعت عنده، وكم فضلة افضلها رشحت واردها لما يكفى عن عدة، فمن ثمالته منهل المعاصر، ومن ذبالبته ينبلج سنا العلم فى المفكر والمناظر، فإذا شرقت علينا بمشارقه العجيبة، ومفارقة الغريبة الرحبية، كانت قراءته بغية الطلاب للإمام العلامة أبى عبد الله الحباك أروى فيها بمنهله المدرار وبمناجاته السقرطية ومفاكهته العبقرية يروق المنصف النحرير، ويعنى بها الألهوب^(٢) والفسفير، بجمع من الشروح، وزيادة وضوح فوضوح، ثم كتاب السيارة، فما آريه أحباره، ورسالتى الربع المجيب والكامل، إلى غير ذلك من المسائل، مما تناولته حين الاقراء إلى هلم جرا.

(١) فى هامش المطبوع: «بياض بالأصل».

(٢) الألهوب: اجتهد الفرس فى عدوه حتى يثير الغبار.

وأجازنى فى ذلك مما قرأته بلفظى أو لفظ غيرى، وكل ما أورد من المسائل حين القراءة وما عرض الآن أو سوف يعرض لى منه وراءه حسبما أخذ ذلك عن شيخه والده المذكور، المقدس المبرور، رضى الله عنهم أجمعين، ووفقنا لما يحبه ويرضاه ببركة الصالحين، وعلمنا علما ينفعنا فى الدارين، وجعل تعلمنا لوجهه الكريم، ومقربا منه وموجبا للفوز بدار النعيم.

وكتب العبد الفقير لمولاه، الغنى عما سواه، محمد بن عبد الرحمن بن محمد الفاسى لقبا المكناسى دارا ومنشأ وقرارا، الشاوى نسباً، ثم المعزوى من أولاد عمارة أحد أولاد سيدى يشو بن حمدون بتاريخ أواسط ربيع النبوى الشريف عام ثلاثة وعشرين ومائة وألف.

الآخذون عنه: منهم ولده عبد القادر أتى الترجمة.

وفاته: توفى شهيدا تحت الردم بالزلزلة فى صفر عام تسعة وستين ومائة وألف.

٢٤٤ - محمد أبو عبد الله بن محمد العكارى الرباطى.

حاله: فقيه علامة صوفى صالح متبرك به، انتقاه سيدنا الجد الأكبر السلطان الأعظم مولانا إسماعيل إماما للصلاة به بمسجده الأعظم داخل قبة المولوية وخطيبا به حسبما أفصح بذلك ابن أخيه أبو الحسن على العكارى فيما قرأته بخطه، وقد ألف فى مناقبه حفيده أبو الحسن على بن محمد تأليفا حسنا سماه البدور الضاوية، فى ذكر الشيخ وأصحابه وتلامذته وبناء الزاوية، قال فى حقه ما نصه: كان الشيخ ذا مكاشفات ظاهرة، وكان يقرأ القرآن برواية السبع ويجوده ويتقنه غاية الإتيان وكان مشاركا فى فنون من العلم كالقراءات والبيان والهندسة والفقه والنحو والتصوف والتوقيت والبديع والحساب والكلام والحديث والتفسير، ويتقن ضبط ذلك، ويحسن المشاركة فى غير ما ذكر، دعوبا على نشر العلم، ناسكا ورعا

زاهداً، حافظاً دراية، متوسعا فى علم التفسير ومعانى الأحاديث، قائماً بالطريقة لا يخل بعلم الظاهر تدريسا، وألف تأليف عديدة تقييدا وضبطا، فنفذ الله به جميع العدوتين سلا ورباط الفتح، وانتفع به الخلق من كل فج عميق بالتعليم والتربية للمريدين بقوله وفعله.

وكان له همة عالية وحالة مرضية، وقلم فصيح مع التمكين والرسوخ، إذا تكلم انتقش كلامه فى القلب، وإذا وعظ وضع الهناء موضع التعب، قدم من مراکش إلى سلا، واستوطنها وتعرف بأهلها واجتمع عليه أعيان البلاد، وطلبوا منه التدريس بجامعة الأعظم فامثل وحضر درسه جماعة من أعيان علماء سلا ثم زاره الأمير العلامة الكبير مولاي عبد الواحد نجل السلطان مولانا إسماعيل، كان مستوطنا رباط الفتح بقصد قراءة العلم، واستدعى المترجم للرباط فلبى دعوته فأنزله بداره، ودرس بالولى الصالح أبى العباس أحمد بن موسى العايدى، وكان يحضر درسه علماء الرباط.

ثم ورد السلطان الأعظم مولانا إسماعيل على رباط الفتح، ولما التقى به نجله المولى عبد الواحد المذكور حدثه بحال الشيخ المترجم ومناقبه وفضائله ومحاسنه، فقال له: لا بد لى أن التقى معه فى هذا اليوم وأخذ عنه الطريقة الشاذلية تبركا فركب السلطان وولده فوجدوا المترجم بالجامع الأعظم يسرد صحيح الإمام البخارى، وكان السارد لديه الفقيه العلامة القاضى سيدى عبد الله بنانى الأندلسى.

ولما دخل السلطان صلى تحية المسجد، وجلس لاستماع الحديث والشيخ لم ينظر إليه، ولما تم الدرس نظر الشيخ إلى القاضى وقال له عظمى يا ولى الله، وتذاكروا ساعة زمانية وافترقوا، ولما رجع الشيخ إلى دار سكناه ألقى بها مالا كثيرا وجه إليه به السلطان مولاي إسماعيل هدية، فلما وجد الشيخ ذلك وجه على تلميذه الفقيه الزيدى، وقال له: خذ هذا المال وافعل به ما شئت، فتشاور مع

المريدين، فقالوا له: اشتر له دارا كبيرة تكون حذاء هذه الدار التى نجتمع فيها فاشترؤا له بحومة السويقة بدرب البروزى تعرف بدار الفقيه البروزى.

ولما أراد السلطان النهوض من الرباط وجه على الشيخ المترجم، وقال له: يا شيخ تقدم معنا إلى سجدماسة لتصل الرحم، ويتبرك بك أنجالى، وتؤم بنا صلاة الخمس، وتختم معنا صحيح البخارى، فإن معنا الفقهاء من فاس فإنهم أرادوا الاجتماع بك، والأخذ عنك. فقال الشيخ للسلطان: يذهب معنا خمسة من فقهاء سلا ومثلهم من الرباط فإنهم يليقون بنا وبك، ويكون الجمع مباركا سعيدا، فأجابه السلطان لذلك، ونفذ له ولهم صلة لعيالهم وصلة لمؤن سفرهم.

مشيخته: أخذ عن والده وغيره.

الأخذون عنه: أخذ عنه أبو عبد الله محمد البيجرى المكناسى حسبما صرح بذلك ولده لابن أخى المترجم أبى الحسن على فيما قرأته بخطه، إذ قال: لما عرفنى يعنى البيجرى قال لى: إنكم ساداتنا، فقلت له: بل نحن إخوة لظنى أنه قاله تأديبا، فقال لى: أنتم سادتنا حقيقة، وذكر لى أن والده من تلامذة الشيخين الجد والعم قدس الله روحهما.

ومن أخذ عنه العلامة الشيخ زبير السلوى، وأبو محمد عبد الله حجى، وأبو الحسن على بوشعرا، وأبو القاسم بن الحسين الغريسي، والسيد المكى الحافى وسيدى مسعود جموع، وأبو العباس أحمد حجى، وأبو عبد الله محمد الصبيحى، وأبو محمد عبد الواحد نجل السلطان مولاي إسماعيل، وسيدى المعطى مرينو، وأخوه أبو عبد الله محمد مرينو، وأبو عبد الله محمد بن الطاهر الزبيدى، وأبو العباس أحمد بن عبد الله الغربى، والقاضى أبو محمد عبد الله بنانى، وأبو عبد الله محمد بن اليسع الفلالى، وأبو العباس أحمد عاشور، وأبو محمد التهامى

ابن عمرو، وأبو يعزى المسطاسى، وجل هؤلاء قضاة وغير من ذكر ممن لا يعد كثرة.

وفاته: توفى كما بكناشة الیحمدى سنة اثنين وتسعين وألف.

٢٤٥ - محمد بن العربى الغمارى.

حاله: فقیه علامة أصل، جهبذ أوحـد نبیل، حلى بحجة الإسلام، البركة الهمام.

وفاته: توفى ضحوة يوم الأحد الثانى من ربیع الثانى عام تسعة وعشرين ومائة وألف حسبما وقفت على ذلك منقوشا برخامة ضريحه، ودفن بروضة المولى عبد الله بن حمد.

٢٤٦ - محمد فتحا الحاج بن عبد القادر التستاوتى.

صنو أبى العباس المترجم فيما مر من الأحمدين.

حاله: شیخ فاضل متبرک به.

وفاته: توفى فى المحرم فاتح سنة اثنين وثلاثين ومائة وألف ذكره أبو العباس الحافى فى بعض مقیداته فى الوفيات.

٢٤٧ - محمد بن العلامة أبى عبد الله محمد بن الإمام المتقن أبى زید عبد

الرحمن بصرى الولهاصى.

حاله: علامة نظار، تحرير نقاد مشارک مطلع متضلع، إمام فى صناعة التدريس وحسن الإلقاء، ماهر نفاع، أحد أعلام الدولة الإسماعيلية وجهابذتها النقاد.

مشيخته: أخذ عن العلامة أبى الحسن على بن عبد الرحمن بن عبود آتى

الترجمة، والقاضى الأعدل أبى القاسم بن سعيد العميرى، وأخيه سيدى على، وأخيهما أبى العباس أحمد والشيخ عبد الوهاب بن الشيخ، وأبى عبد الله محمد فتحا الدغوى، والسيد المجذوب بن عبد الرحمن بن عزوز، وأبى الحسن الندرومى، وأبى عبد الله محمد اقلال، وأبى زيد عبد الرحمن بن سعيد العميرى، وأبى حفص عمر الكوش.

الآخذون عنه: منهم ولده المترجم بعد.

وفاته: توفى يوم السبت خامس شعبان المبارك عام ستة بسين مهملة فمثناة فوق وثلاثين ومائة وألف.

٢٤٨ - محمد بن العياشى أبو عبد الله المكناسى.

حاله: صدر تحرير فقيه جليل، حسيب أصيل، مدرس نبيل، قال فى حقه مؤرخ دولتنا العلوية السيد أحمد بن الحاج السلمى صاحب حواشى المكودى والأزهري وغيرهما المتوفى عام ستة عشر وثلاثمائة وألف فى الدر المنتخب المستحسن: الفقيه المفتى النوازلى القاضى العلامة المدرس الكاتب، كان من جملة كتاب السلطان مولانا إسماعيل ملازما لخدمة باباه والوقوف بأعبائه، وأنه كان يستشير فى المهمات، من ذلك أنه استشاره فى أى قبيلة يتخذها جندا؟ فقال له: إن المنصور السعدى كان وجه جيشا لفتح السودان فسبى عبيدا واتخذهم جيشا ودفعهم لولده المدعو بالشيخ الثانى فأنزلهم فى جنات أهل فاس بزواغة، ويقوا على ذلك إلى أن قام على والده ودعا لنفسه فقبض عليه والده ونهب العبيد وفرق جمعهم فى القبائل، والآن اجمعهم فإنهم مملوكون لبيت المال، واتخذهم جيشا للخدمة، فقال له السلطان: أنت النائب عنى فى جمعهم، فقال له: فليعين سيدنا وكىلا يقوم فى طلب حق بيت المال وأنا أقضى بينهم وبينه، فقلده القضاء والفصل فى ذلك وتسمى بقاضى القضاة، وعين السلطان وكىلا هو الباشا عيلش، فشرع

فى جمع العبيد، فكان ابتداء أمرهم أن ينادى فى الأسواق فى الحواضر والبوادر من ىرد خدمة السلطان من العبيد فليات إلينا إلى أن كان من ذلك ما نبسطه فى محله بعد بحول الله وقوته.

تنبيه: قد رأيت لعدة من المؤرخين إنهم ذكروا فى حق مولانا فخر الملوك أبى الظفر مولانا إسماعيل أنه كان يسترق الأحرار المسلمين بالخراطين، وتمالوا على ذلك وصرحوا بأن الاسترقاق وقع منه فى غير محله الشرعى، وهذا لعمرى من الكذب المفترى ولكن الجهل بالحقيقة أورثهم أن تقولوا ما لم يكن، وبنوا على غير أساس، ودونك الآيات البينات، فقد وقفت لى عدة دفاتر كتبت على عهده رحمه الله وقدر سره أشرفت منها فى القضية على كمال الاحتياط فى استرقاق أولئك العبيد وجمعهم، إذ صنيعه فيه عقد التراجم، لما فى كل مدشر من مداشر القبائل الهبطية من العبيد ذكورا وإناثا، ثم ذكر وثيقة مسجلة على قاضى مدينة القصر فى حينه، وشكل القاضى المسجل عليه قائم العين به إلى الآن تتضمن تلك الوثيقة ذكر كل فرقة بذلك المدشر من الوصفان وذكر مالكم وإثبات ملكه لهم وبيان وجه صيرورتهم له من شراء ونحوه، وبيان من تزايد لتلك الفرقة هناك بصفات كل المعينة له، ومن مات منهم، ومن هو فى قيد الحياذ، وبيان استمرار الملك للمالك إلى أن مات وخلفهم لورثته وهم فلان وفلان لى، كل ذلك بشهادة الأعيان من علماء وعدول وغيرهم معتمدين فىمن أدركوه منهم على التحقيق والعيان وفى غيرهم على أعلى درجات شهادة السماع المستفيض الفاشى على السنة أهل العدل وغيرهم.

ثم يذكر تاريخ الشهادة وأول تاريخ وقع بأحد الدفاتر المشار لها وهو بمكتبتى أوائل ربيع الأول عام اثنين وعشرين ومائة وألف.



كتابة على ظهر كناش إحصاء العبيد الإسماعيليين وعقود أشريتهم

ثم يذكر أسماء الشهود ووصفهم وعدة الشهود بأول رسم ست وثلاثون.

ثم يذكر وثيقة أخرى مسجلة على القاضى المذكور شكله قائم بها إلى الآن تتضمن إشهاد القاضى بأداء أولئك الشهود عنده بجميع فصول الوثيقة، وبأنه استقلت عنده جميع فصولها، كما استقلت عند جميع من يعطف بشكله عليه من قضاة الإيالة السلطانية الموجودة أشكالهم لحد الآن بالدفتى المذكور وغيره.

وبعد ذلك تضمن الوثيقة المذكورة أيضا أنه سئل من القاضى المذكور وكل من يوقع شكله بعده من قضاة وعلماء، هل بقى فيما ذكر من شهادة الملك ومتعلقاته عمل يتوقف عليه شرعا فيضاف إليه فاشهدوا بتمام ذلك واستجماعه للشروط الشرعية، وبأنهم حكموا بذلك وأمضوه ثم بعد هذا ورخت هذه الوثيقة بالتاريخ المذكور، وأمضاها عشرون من العدول بأشكالهم.

وبعدهم كتب قاضى تطوان بأداء الشهود وهم عدول الحكم لديه، وبإعلامه باستقلاله ووضع علامته، ثم كتب بمثل ذلك كل من قاضى طنجة، وقاضى قبيلة بنى بور كار، ثم قاضى بنى زروال، ثم قاضى فشتالة ثم قاضى بنى جرفط، ثم قاضى شفشاون، ثم قاضى رهونة، ثم قاضى العرائش وغيرهم من قضاة قبائل الهبط.

وعقب ذلك وثيقة مسجلة على القاضى المذكور أيضا تتضمن التعديل من عدول سبعة موضوعة أشكالهم عقبها لأربعة من اللفيف الستة والثلاثين المذكورين قبل، معتمدين فى ذلك على معرفتهم، ومخالطتهم لهم حضرا وسفرا بتاريخ أواخر ربيع المذكور.

ثم بعد ذلك وضع اثنا عشر من القضاة المذكورين خطوطهم وأشكالهم بأداء عدول التزكية عندهم واستقلال شهادتهم لديهم.

وعقبه شهادة عدول ثمانية بمثل ما شهد به اللفيف المذكور من الإراثات، وبعد تسجيل ذلك على قاضى القصر وضع القضاة الاثنا عشر المذكورون خطوطهم وأشكالهم أيضا بأداء الشاهدين بالمثل المذكور عندهم وباستقلال ذلك لديهم.

وعقب ذلك رسم آخر يتضمن الإشهاد على الأرقام المذكورين بالإقرار بالملك للملاكهم المذكورين عن طوع ورضا.

ثم بعد ذلك وثيقة مسجلة على القاضى المذكور تتضمن شراء نائب السلطان جميع الأرقاء المذكورين من ملاكهم بعشر أواقى لكل فرد منهم، وحياسة البائعين من النائب المذكور جميع الثمن عيانا، وخلوص ملكهم للجناب العالى بسبب ذلك فى التاريخ المذكور أولا.

وعقب ذلك أشكال العدول الشاهدين بذلك وهم نحو خمسة وعشرين.

وعقبه وضع ستة من القضاة المذكورين قبل خطوطهم وأشكالهم بأداء عدول الشراء المذكور عندهم وإعلامهم باستقلاله.

وعلى هذا السنن جرت المسطرة فى سائر الدفتر المذكور وهو غاية فى الاحتياط لما فيه من الزيادات العديدة على ما يكتفى به فى الثبوت الشرعى حسبما يعرفه كل ذى خبرة بالمسطرة اللازمة فى ذلك، ومدار الشرع على إعمال اللازم فى الظواهر، وإلى الله تعالى توكل السرائر.

ومن البديهى أن القائم بحياطة الدين، لا غنى له عن الاستظهار بمقتضى المصالح العامة والاستعانة بالحاجيات والاكتفاء بذلك كله بمقتضى ظواهر الشرع، وإن جاء على خلاف نظر بعض الخاصة الذين لم يطوقوا بحماية البيضة ولا حملوا عموم الذب عن الملة والأمة، وإنما نظرهم فى خويصة أنفسهم، وفى التورع لحياطتها بالخصوص، وشتان ما بين النظرين، كما أن المطوق بالنظر العام فى

هذه خمسة من اركانها من عموه من يدرك ذلك فها هو اعراسها
الجملة المدفوعة كما فصلها في كتابه من السابعة من اربعين ابراهيم
أخذ اتمام الفقه الذي واديه خطها الذي بالاعراب من ابراهيم الذي
ثبت في كل عصر هو ابراهيم بن محمد الذي ابراهيم بن محمد الذي ابراهيم
ابراهيم بن محمد الذي ابراهيم بن محمد الذي ابراهيم بن محمد الذي ابراهيم
بن محمد الذي ابراهيم بن محمد الذي ابراهيم بن محمد الذي ابراهيم بن محمد الذي
وقصلاها في كل عصر ابراهيم بن محمد الذي ابراهيم بن محمد الذي ابراهيم بن محمد الذي
بالفقه في الترتيب الذي ابراهيم بن محمد الذي ابراهيم بن محمد الذي ابراهيم بن محمد الذي

ترجمة من تراجم كناش العبيد الإسماعيليين مسجلة

[illegible][illegible]

أسماء الشهود للملاك للعبيد

مصالح الأمة ليس فى طوقه أن يلى مباشرة جميع الشئون المطوق بها بنفسه، بل لابد له من أن ينب عنه مباشرين فيما لا تمكنه مباشرته، وعلى العامل بعد ذلك بتقوى الله، وهذا هو المهيع السلوك فى النهضة الإسماعيلية بجمع العبيد، فإنه جدد الله عليه الرحمات بذل المجهود فيها وما ترك شيئاً يقتضيه ظاهر الشرع فيها إلا وقد وقف عند حده، بل كاد أن يتجاوز الحد المطلوب فى زيادة التوثيق كما قد رأيت، وليت شعرى بعد هذا ماذا يقال، وهل بعد الحق إلا الضلال.

ولهذا ومثله حذر المحققون من الاعتماد على جهة المؤرخين فى كل ما نقلوا، وأن لا يعتمد منهم إلا على من عرفت ثقته وأمانته، وعلت فى الصدق درجته ومكانته، وكلام القاضى أبى الفضل عياض فى الشفا نهيد صدق على ذلك وليس هذا بأول حديث إفك منهم، فقد قصوا فى الجانب العظيم ما يجب أن لا يلتفت إلى ذكره فكن ممن يعرف الرجال بالحق ولا تعرف الحق بالرجال.

وقد صح عن هذا الإمام أنه جمع جميع عبيده ووضع بينهم صحيح الإمام البخارى، وقال لهم إنى وإياكم أرقاء لما تضمنه هذا الكتاب الجامع لأقوال من لا ينطق على الهوى وأفعاله، وسائر أحواله، من الأوامر والنواهى، هكذا هكذا وإلا فلا لا.

ولعلنا ما أوتينا إلا من قبل مسارعتنا للطعن على حماتنا ومن ذهبت دولته من ولاية أمرنا بغير حق، فليقصر العاقل وليرعو عما ليس له لإدراك الكنه فيه. يدان، وليحسن الظن بمن سلف من أكابر الأئمة وليجعل الدعاء بالمغفرة والرحمة لهم عوض تلطخه وتفككه بما يزينه الشيطان له من المساوى والصاقها بجانبهم والله المرشد بمنه.

مؤلفاته: منها زهر البستان فى أخوال مولانا زيدان، وهو كتاب كثير الجدوى فى باب، وزيدان هذا هو سيدنا الجد الأعلى نجل مولانا الجد الأعظم، السلطان الأفخم، مولانا إسماعيل برد الله ثرى الجميع، وأخواله هم سفيان القبيلة العربية

الشهيرة بالغرب، وهم بطن من بطون اثبج بن ربيعة بن نهيك بن عامر بن صعصعة.

نشره: من ذلك قوله: عنصر العز والمجد، ومنيع البخت والسعد، من حصلت الدلالة على قدره بوسمه، وعلى قدره المسمى كاسمه، الصدر التقى الزكى، ذو القدر العلى، والفخر الواضح الجلى، جامع أشتات المحاسن بلا مین، الشيخ على بن حسين، ما شئت من العقل الكامل الراسخ، والذهن الثاقب الشامخ، وما دل على طهارة الأصل وعلو المقدار، من الحلم والتؤدة والسكينة والوقار، الذى ادخر الله تعالى له من فضله وجزيل نواله ما كمل له به شرف الدين والدنيا، وأحله غير مشارك ما أحله من الدرجات العليا، من إنجاب الوصل بينه وبين مولانا الإمام، الملك الهمام، فخر السلاطين، وشمس الخلفاء أبناء سيد المرسلين، ظل الله فى الأرض وناشر ألوية العدل بها بالطول والعرض، أمير المؤمنين وناصر الدين، المجاهد فى سبيل رب العالمين، ذى الشرف الأئيل، والفخر الأصيل، أبى النصر والفداء مولانا إسماعيل، أدام الله تعالى نصره، وخلد فى الصالحات مجده الأعلى وذكره.

وفاته: توفى فى دولة المولى أحمد الذهبى عام تسعة وثلاثين ومائة وألف، اضطره العبيد على صلبه فصلب ومات شهيدا رحمه الله.

٢٤٩ - محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن يوسف الفاسى.

حاله: عالم علامة، دراكة مشارك، حافظ ضابط متقن، خطيب بليغ، فصيح بارع، ماهر باهر، له عارضة اللسان فى التدريس والخطابة، كثير الحفظ، ولى قضاء فاس الجديد أولا، ثم ولى الإمامة بمسجد مولانا إدريس بزرهون وخطبته، ثم ولى بعد ذلك الخطبة بالسلطان مولانا إسماعيل، وخطب بولده السلطان مولاي عبد الله، وولى التدريس بمسجد قصبه دار الإمارة بالحضرة المكناسية.

مشيخته: أخذ عن جلة شيوخ فاس كالشيخ سيدى محمد
القسمطينى، والشيخ أبى عبد الله المساوى وغيرهما.

الآخذون عنه: أخذ عنه كثير من أعيان طلبة فاس وغيرهم.

وفاته: توفى فى جمادى الأولى عام اثنين وخمسين ومائة وألف.

٢٥٠ - محمد أبو عبد الله المكناسى الأصل الفاسى الدار والإقبار.

حاله: علامة محصل، مصيب فى مضمار السبقية مفصل، محرر العلوم
ومفيدها، ومجدد شبيبة الفضائل ومعيدها، أحرز قصبة السبق فى مضمار
التحقيق، وشيد مناره فكان على أصل وثيق، جمع إلى غزارة العلم فصاحة
اللسان، وإلى ثبات الجأش وتوقد الذهن براعة البيان، فكان مجلسه لأرباب المحابر
نزهة الأفكار، وصيقل القلوب ومنظر الاعتبار، آية الله فى خلقه العجيب، ونعمة
كبرى على بعيد الناس والقريب، وضع له القبول فى الأرض، طولها والعرض،
فكان الخاصة والعامة فيه محبوبون، وبيراسته ومحاسنه يلهجون.

ختم بجامع القرويين مختصر الشيخ خليل أوائل العشرة الثامنة من المائة
الفارطة، ثم رحل لأداء فريضة الحج، وهو يعطر برياه كل فج، فاتفقت له هنالك
نكبة، أعانت عليه ليالى الغربة، وذلك أن صهرا له سرق لكبير القفلة التى اتفق
لهما السفر معها حساما مرصعا بياقوت وجوهر، فكان وصفه يستغرب إذ يذكر،
وحين ألجأ الحال، إلى البحث عنه بسائر خيام الحاج، ومنها منزل صاحب الترجمة
ألقي تحت وسادته دسه هنالك ذلك الصهر الخبيث، ظنا منه أن محل الفقيه المترجم
ينزه عن التفتيش لجلالته وعظم مكانته فى القلوب، وعدم تطرق التهمة فيه، ولما
وقع العثور على الحسام بمحله اغتاض غيظا شديدا، وتآلم ألما مزيذا، ومن ذلك
الوقت تردى رداء السقم، ولم يزل عليلا بتلك الغصة حليف العنا، ملازم الضنا،
إلى أن قضى نحبه بعد قضاء نسكه رحمه الله ويرد ثراه.

٢٥١ - محمد أبو عبد الله بن أحمد^(١) بن الحسن بن أحمد بن محمد
اليحمدي.

قال أبو الحسن على بن مصباح الزرويلي: هكذا كنت أراه بخطه أعزه الله
في مكاتباته ورسائله، لا يزيد على ذلك. واليحمدي نسبة إلى بني يحمّد القبيلة
المعروفة قرب جبال غمارة.

حاله: علامة فاضل نحري، جهبذ نقاد، لوذعى أديب أريب، كامل
مهذب، عارف خبير بصير، مستحضر محاضر بحر زخار في فنون العربية
والإنشاء، نشأ ببلده بنى يحمّد - بفتح الميم - في حجر الصياة والعفاف، ولما
شب ارتحل لفاس بقصد طلب العلم فأقام به مدة وكان ذكياً نبيلاً عاقلاً، نزيهاً
طاهر الشيم، حليته الوقار، ومثزه العفة والفخار، عالى الهمة مجتهد، فى اقتناء
المعاني وتأثيل المحامد، مبتعد عن السفساف وكل ما يشين، له ولوع زائد بعلوم
الأدب وكل ما يؤدى إلى مكارم الشيم، ولم يزل حميد السيرة محمود السريرة،
حتى امتد ذكره وطار فى الآفاق صيته، وأقر الخاص والعام بتفوقه وفضله.

ولما اتصل خبره بسيدنا الجد الأكبر السلطان المولى إسماعيل أدناه لحضرته،
وأجلسه على منصة وزارته، واصطفاه لمحاضرتة وسمره، وجعله مستودع سره
ومحل مشورته، وذلك سنة نيف وتسعين وألف، وصار يسميه باسم جده الأعلى
أحمد حتى غلب عليه، وصار لا يعرف إلا به، وخصه بأنعم لم يشاركه فيها سواه
وعظمه وبجل، ونوه بقدره، وقصر المفاوضة فى المهمات عليه، وجعل بيده أزمة

(١) فى هامش المطبوع: «توفى أحمد والد المترجم صبيحة الثلاثاء الحادى والعشرين من
رجب عام اثنين وثلاثين ومائة وألف شهيدا بالبطن تاليا كتاب الله عز وجل صحيح
الذهن والعقل ودفن بزاوية المولى الصالح أبى عثمان سعيد بن أبى بكر المَشْتَرائى وحضر
جنازته الخاصة والعامة وكذا بكناشة ولده المترجم. انتهى مؤلف.

الحل والعقد، حتى إنه لما عقد لوالده المولى المأمون على مراکش ألزمه الذهاب للمترجم لأخذ صك التقليد منه، وأمره بسماع وصيته والعمل بها رغما عليه، والحال أنه يعلم أن ولده المذكور يكره المترجم أشد الكراهة ولم يسمع منه وشايتة فيه.

وقلده مفاتيح الخزانة المولوية التى حوت من التصانيف، وجمعت من أنواع الدفاتر وأسماء التأليف، ما لم تحوه خزانة بغداد، ولا علق بحفظ الدانى الأستاذ، وجعله الأمين عليها، بعد أن مدت أعناق شتى إليها، فنسخ أهم ما فيها فى صحيفة صدره، وارتسمت علومها فى مرآة فكره، فأصبح بحر علم لا يدرك قعره، ولا ينفد ولو كثر السائلون دره، قد تضلع فى كل فن بما بهر الألباب، وترك جميع الكتاب وراء الباب، لاسيما فى علوم الآداب، فإنه فيها العجب العجائب، له اليد الطولى فى معرفة أيام العرب وأشعارها، وآثارها وأخبارها، لا يعزب عنه مثقال حبة من خردل من أمثالها، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا وهو خبير بتفصيلها وإجمالها.

وكان فى جيد الدولة الإسماعيلية أفخر قلادة، وأفخم مأوى لأهل الفضل والسيادة، برعت فى فن البلاغة أقلامه، وتقدمت فى ميادين البراعة أقدامه، وطابت فى عرش المعانى البديعية ثمرته، وخفقت فى آفاق البيان أجنحته، لو رآه قدامة، لقدمه قدامه، ولو نظر إليه النضر بن شميل، لرآه أبعد عنه من السما وأعز عليه من سهيل، ولو أدركه محمد بن يزيد، لكان له كالتلميذ والمريد، يحمده عبد الحميد، ويعتمد عليه العماد وابن العميد، ولو بدا لشاعر بنى حمدان، أو لبدع همذان، لعداه بالخنصر من حسنات الزمان، وفرسان البلاغة والبيان، ولو فتح عينيه فى الفتح بن خاقان، لطار لبه من شدة الخفقان، له الأفلام التى تخضع لكلماتها قامات الرماح، وتذوب منها فى أجفانها القواضب الصحاح، استخدمت

الأقاليم ورجالها، وهابت فحول الكلام نضالها ونزالها، فمزنها كل يوم فسام
الأوداء، وسم الأعداء هامى، حتى كأنه المعنى بقول التهامى:

وإذا رأس فى الأنامل منه قلما واستمد ساء وسرا
قلما دبر الأقاليم حتى قال فيه أهل التناسخ أمرا
يتبع الرمح أمره أن عشريه من ذراعا بالرأى يخدم شبرا

وبالجمل فترجمة الرجل طويلة الذيل، بعيدة النيل، أفردا عصريه أبو
الحسن على بن أحمد بن قاسم مصباح الزرولوى بالتأليف فى مجلد ضخيم سماه:
سنا المهتدى، إلى مفاخر الوزير ابن أبى العباس اليمحدى. ألفه سنة خمسة
وعشرين ومائة وألف، حسبما أفصح بذلك عن نفسه فى مؤلفه المذكور، وهو من
نفائس مكتبتنا الزيدانية ومفاخرها الثمينة.

مشيخته: منهم أبو محمد القادر الفاسى، وأبو العباس أحمد بن حمدان،
وأبو عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسى ونظراؤهم.

الآخذون عنه: منهم مخدمه السلطان الأكبر مولانا إسماعيل، فقد صرح
قدس الله روحه بذلك لولده المأمون المذكور لما قال له فى وشايته به إن اليمحدى
يزعم أنه هو الذى علمك الدين، إذ قال فى جوابه: والله إنه لصادق إن قال
ذلك، هو الذى علمنى دينى وعرفنى ربى. هـ.

وذلك أكبر دليل وأعظم شاهد على إنصاف هذا السلطان واعترافه بالحق
وعدم ميله للنفس الأمارة.

مؤلفاته: منها كناشته الحفيلة المحشوة بكل نادرة وغريبة فى مجلدات عشر
ضخام، موجودة بتمامها بمكتبتنا، وقد وصف كناشته هذه بعض معاصريه بقوله:

ألف فيه نفائس تبهر العقول، واقتنص من جوها كل عنقاء من مستحسنيات
النقول، قال: وفيها أقول:

معان من الصنع البديع تصيدها بزاة عقول في سماء من الفكر
تجول مجال الطير في جو أفقها وتسبح كالحيتان في لجة البحر
فمنها لطيف صيده نحلة ومنها قوى يخطف الصيد كصقر
وله عدة رسائل مختلفة الأوضاع، تشهد له بما منحه من غزارة الاطلاع،
أورد منها عصريه مترجمه في سنى المهتدى جملة وافرة تركنا جلبها هنا اختصارا.
ولادته: ولد على رأس الستين بعد الألف ببلده بنى محمد حسبما صرح
بذلك لعصريه مترجمه المذكور.

بعض ما قيل فيه من الأمداح

من ذلك قول أبى الحسن على مصباح المذكور مستشفعا عنده فى ابن أخ له
وعلى لسانه، وذلك أنه كانت ابنة له تحت ابن أخيه فأحفظها يوما فلحقت بأبيها
الترجم، فاشتدت ندامة الزوج على ما صنع، فلما أراد أن يهب إلى صاحب
الترجمة فى شأن أهله هابه وخاف عقوبته، فكتب إليه هذه القصيدة وارتحل بها
إليه، فلما قرأها سرى عنه وأرضاه، ورد عليه زوجه راضية مرضية:

مالى سوى ذا إليك سبيل والذل بين يد الكرام جميل
فاصفح فمك الصفح يرجى وامحون حقدا جلاه حاسد وعدول
أولست طود الحلم والعفو الذى لو زال هذا الدهر ليس يزول
وإذا دعت همم العلاء أبناءها فلانت جد جدودها وسليل
وإذا الطريق طريق كل مزية ضلت فأنت إلى الطريق دليل

وإذا الوزارة قلدت فرشادها ال
وإذا انتضيت العزم منك فإنه
وإذا سخطت على الزمان بدا به
وإذا السياسة فاخرت بسراتها
وإذا السماحة ساجلتها أهلها
فلو أصبحت كف الغمام بخيلة
بالله يا غوث الطريد ويا أبا ال
هذا ابن صنوك وابن نعمتك الذى
فلقد نزلت وفى اعتقادى أنه
وأنا الذى لو لم تفيدنى اعتزا
لو لم تحى غمامة زهر الربا
ولقد ندمت ندامة الكسعى من
وتأوهى وتولهى وتملقى
فامدد على من الرضاء سرادقا
وامنح بفائقة الثريا بعلها
رضها إلى فإن روض مسرتى
إنى وحقك تائب توبنا نصو
وأرى أقل حقوقها موتى إذا
ولكم علينا يا منى أملى جمي

متبوع أنت وغيرك التضليل
سيف بأيدي الفاتكين صقيل .
وجل يهين خطوبه ويديل
فبأصغريك على الكبار تصول
غمرتهم من راحتك سجدول
سقت البرية من يدك وبول
عباس يا من جوده مأمول
هو فى أداهم شكرها مكبول
ما إن يضام لدى الكرام نزيل
رأ حامل بين الورى مجهول
لأنى عليه تصوح وذبول
فعلى الذى هو فلتة مفعول
وتواجدى شهدا على عدول
يجلو الهناء وصدى الفؤاد يزيل
قد طال منه بها بكى وعويل
مذ شح وابل ودهلها لمحيل
حالىس ينسخ توبتى تنكيل
غضبت على وأمرها مقبول
ل وافر مستكامل وطويل

وقوله جوابا عن رسالة راسله بها المترجم مع صلة سنينة وذلك قبل أن يقع بينهما تلاق جثمانى :

يا من بدا فى سواد العين إنسانا	فوق الثرى لم أرى سواك إنسانا
رمتنا تطاول ذلك العلا بتش	ييد قباب من الثنا فأعيانا
ما زلت ترقى مقامات الجلال إلى	أن فقت فى المجد أعيانا فأعيانا
لو حاول الدهر حسابنا لما بلغت	عليك باد وما أطاق حسابنا
يا يحمدى قر عينا إذ ظفرت بما	أعيت به كف يعرب وقحطانا
أنت البليغ متى تحز شبا قلم	أنسيت قسا بما تنشى وسحبانا
فداؤك النفس إذ كاتبتنا فلقد	كسوت والله جسما كان عريانا
روت أناملك اللطاف إذ كتبت	قلبا لأسجاعها العذاب غرثانا
كنا رماما لأجداث الخمول فها	كتابك اليوم بعد الموت أحيانا
أحببتنا عن سماع دون سابقة	والأذن تعشق قبل العين أحيانا
فكم مساو سترت وهى بادية	وبالمحاسن كم شنت آذانا
ولم تذر غير مشغوف بنامقة	ولم تدع من بسوء القول آذانا
كذلك الغيث لا يأتى على دمن	لم ترو فى غابر الأزمان تهتانا
إلا وغادرها تزهو مقلدة	درا نفيسا وياقوتا وعقيانا
فها كها كاختلاس الوصل من رشاء	غراء راجحة معنى وميزانا
صنع امرئ ليس فى التجنيس همته	إلا إذا دون ما قصد له جانا
لنا قواف لما نريد قافية	لم يعرف الناس إيطانا وأكفانا

وقوله معتذرا عن تأخير المكاتبة، وراجيا سد باب اليم ألم المعاتبة.

لا والذي زان الكواعب بالخور
وأسال من كفيك أمطار الندى
كلا ولا ملل هفا إعصاره
لكن نزلت بموطن متبذل
فلكم طرقت مسار ركبـان إلى
ولكم صبا منكم أثارت صبوتى
فنظمتها نظم الخريدة عقدها
درر بها ديوان شعرى قد رها
ومتى ابتأست لنكبة أنشدتها
فأرى رفاق الحزن ظاعنة وأف
وحياة من ليست تبـيد حياته
ما مر ذكر (اليحمدى) بخاطرى
يا سيدا تعنو الوجوه لذكره
لا زلت فى برد الوزارة رافلا
محفوظة بلطائف محفوظة
ما هام صب أو هما ودق وما
وقوله:

بأى لــــــان أم بأى بنان
وأى خطاب أم بأى بيــــان

أترجم عن أعجوبة الدهر ماله
فتى أثقلت ظهر الزمان هباته
أمل على الدنيا من العدل ما به
فلولاه لا أودى به الدهر ما نجت
فذاك أبو عبد الإله الذى أتى
وما لا لا الأفاق الاثلاثة
همام يخاف الدهر من سطواته
متى ما يعد ينجزك إحسان وعده
وزير به استولى الأمير على العدا
متى ما يرم أمنية عجزت بها
وكم فى حماه من وزير وكاتب
لكلهم من بأسه متضائل
بكفيه بحر الجود والفتك بالعدا
وكم فى قضايا الدين حكم فانتضى
إذا عد أرباب المكارم ثانى
وأصبح من خدامه الثقلان
إلى الناس طرا أنصف الملوان
بنات المعالى من يد الحدثان
لدعوته الرفدان يبتدران
سنا اليمدى الوهاج والقمران
ويرمى برضوى رعبه وأبان
وينقض من إيعاده الحسان^(١)
وعاش بخفضى نعمة وأمان
فوارس قيس مده بأمانى
ولكن بكف اليمدى القلمان
وهيبته قرت بكل جنان
فكم مرج البحرين يلتقيان
لها صارما لم ينضه الحكمان

(١) فى هامش المطبوع: «المراد بها هنا جبلان وعند أهل المدينة يطلقان على السبطين وعند أهل البصرة على الحسن البصرى وابن سيرين، ولا يصح أحد الإطلاقين هنا. وقد ورد فى اللسان العربى أسماء كثيرة بلفظ المثنى ألف فيها كثير من العلماء وجمع منها حمزة الأصبهانى فى آخر كتابه فى الأمثال جملة وافرة جدا وشرح أكثرها وأورد منها أبو الحسن على مصباح الزرويل فى كتابه سنا المهتدى مائة وثمانية وعشرين كلمة وشرح الخفى والمبهم منها. انتهى مؤلف.

وكم فى سماء الفقه جلى طوالعا
وان تبغ أخبار الزمان فإنه اب
خليلى لا تعتب على متقاصر
وانى وإن كنت امرءاً ذا بلاغة
وكنت متى لاحت صوارم فكرتى
فإنى طوراً تصطفينى يد الهوى
وطوراً ترى ذاك الجلال رويتى
وقوله:

من لصب مولع بالجفاء
كلما خلت جمر شوق طفا را
رست صيد العنقاء إذ رست سلوا
قلت للصحب ما الدواء فقالوا
حظ كل بنى الصبابة تذرا
هم أناس موتى جسوما وأحيا
حملوا الحب وهو أثقل من رض
فارتدوه زيا شريفا وزادوا
كم ظريف أودت به لحظات
فغدا فى أيدى الرواة حديثا
فتمثل بعروة ابن حزام

يرى الحق من أضوائها الاخوان
من بجدها السباق يوم رهان
فما لى على إحصاء علاك يدان
وسحر البيان اليوم طوع لسانى
أتيت بما ينسى صريع غوان
فنجرى بميدان القريض بنانى
فأمسك من فرط الحياء عنانى

شف جسمى ولم يجد بشفائى
د اصطلاء الجوى على الأحشاء
نا وأخيب بصائد العنقاء
ما لأدواء من صبا من دواء
ف الدموع ودائم البرحاء
ء قلوبا سكرى بلا صهباء
وى وهم فى نحرلهم كالهباء
فى التصايب بأنفس شماء
أوردته موارد الشهداء
بعد ما عاش فى عنى أو رواء
إذ قضى النحب فى هوى عفراء

لفتاة كانت تضيء كبد
أو كظبي نقى نقى المحيا
يتثنى غصنا ويفتر عن د
فتجنى من بعد ما قد جنى طر
ما بدا لى إلا وأوعدنى هج
رث صبرى به وجسمى حتى
كم بوعد أومى فعاد وعيدا
كم أمانى راقبت من طول أما
كم ليال قطعتها نابغيا
كم دموع أذريتها كغمام
كعبة المجد والعلا بحر جود
سيد لم يزل يرود العلا ح
طار فى كل بلدة صيته ح
حسبه مفخرا ورفعته قدر
أعلم الأدباء فى وقته بل
أحرز السبق فى الصناعة حتى
فلذا ما احتذت أنامله الأقد
ما رأى الناس مثله لا ولم يظ
أو علا الأفق ماجد بمزايا

مزقت عنه حلة الظلماء
صدته غرة بصيد الظباء
ر يرنو بمقلة حوراء
فى من ورد وجتسيه عنائى
را كهجران واصل للراء
قد رثت لى فى حبه أعدائى
خلق أهل الجمال خلف الوفاء
لى فمالت بها يد الرقباء
ت أناجى تنفس الصعداء
أو يد (اليحمدى) يوم سخاء
لم يكدر عبابه بالدلاء
تى ارتدى بالمآثر الغراء
تى غدا فى اشتهاره ابن ذكاء
أنه اليوم سيد الرؤساء
هو فى الوقت آدب العلماء
فاق أهل الإنشاد والإنشاء
لام أبدى أرق ما أنت رائى
فر به المنذر ابن ماء السماء
ه مشى اليحمدى على الجوزاء

أبنى (يحمد) له فاشكروا حيه
 قد بنت كفه لكم قبة المج
 لم تقوض ولا تقوض حتى
 إنما (اليحمدى) على الناس طرا
 علم الله أنه لسداد الـ
 فحباه منها بما لم ينل قد
 يا وزيرا فى عصمة الوزرا لا
 بأبى أنت دع لسانى يرد من
 ما أريد استقصاء مدح وهل ين
 أنا ظمآن إن وردت حياض الـ
 منذ دهر والقلب صب وقد ات
 فقدما عليكم كى نقضى
 واصطنعنا من الشنا حللا تق
 وشيها مطمع ويجز من حا
 كل بيت منها يحث إلى القلـ

ث حصلتم به على الكيمياء
 د ولم ين مثلها من بناء
 يرجع القارطان^(١) بعد اختفاء
 لسعيد من جملة السعداء
 رأى حق لصحبة الخلفاء
 ما نديما جذيمة من صفاء
 ح لنا كاليتيمة العصماء
 حوض أمداحك الشهى الماء
 زح بحر مخضم بالركاء
 مدح فيك استبعدت منها ارتوائى
 عبت بينى وبينكم سفرائى
 بعض ما تقتضى حقوق الإخاء
 صر عنهن صنعة الخنساء
 وله من جهابذ الشعراء
 ب غراما كالمقلة النجلاء

(١) فى هامش المطبوع: «تشية قارظ والقارظ مجتنى القرظ وهو نبت يدغ به أو يصغ. قال الجوهري: هما رجلان خرجا فى طلب القرظ فلم يرجعا فضربت العرب بهما المثل فى الغيبة الطويلة وفى تمديد المدة بما لا ينقضى وكلاهما من عترة قال ذو الرمة: وأنت غريم لا إخال قضاءه ولا العنزى القارظ الدهر جاثيا انتهى. مؤلف».

أنا شمس القريظ إن شئت أبدو
وعلى الشكر الجميل لما أو
هاكها سيدى ولا عيب فيها
لست بالراهب المريب ولا الرا
أنت كوالد الشفيق وحزم
ذاك أبقى للود وهى لى الشي
وقوله:

بدت فأرتنا الصبح فى وجناتها
وولت فكاد الترب يدمى بنانها
فتاة رويانا من طلا الحب حين إذ
بدت وقلوب صاحبات من الهوى
فما ظبية ترعى الخزامى بربوة
بأحسن منها يوم مرت عشية
تضىء كبدر الأفق والزهر حوله
وعن كعبير المسك ضوع نشرها
وقد ملأت رجب الإزار بردفها
ولاح لحانى فى الصبابة كلما
وقال اصح من خمر الصبابة ترشدن
وقال أتلهو والليالى مناكد

كى يرانى الورى وأنت سمائى
ليتنى أنت أنت مذكى سنائى
غير مدح يسلى عن العذراء
غب أثنى معرضا بالحياء
بالفتى أن يبر بالآباء
مة أقضى بحسن قضائى

وحيث بإيماء حذار وشاتها
إذا ما مشت تختال فى حبراتها
رويونا حديث السحر عن لحظاتها
فأصبحن سكرى من كتوس ظباتها
تراع لحفق الريح فى أثلاثها
وقد قصر الإعياء من خطواتها
إذا ما مشت تهتز بين لداتها
كريحانة أهدى الصبا نسماها
كما ملأت عيني من عبراتها
رأى طموح النفس نحو جهاتها
وما ظن أن الرشد عند سقاتها
فكن حذرا يا صاح من غمراتها

فقلت ومالى والليالى فلانى
فلو ساورته لانتت وصروفها
يداه يد يغنى عن السحب جودها
يزاحم فى نيل العلا وهو واحد
كذلك أعلام المناسك جمّة
وأن مصابيح السماء كثيرة
به الدولة الغراء دام سكونها
ولا زالت الآمال تعشو لضوئها
فدى لك نفسى أيها العلم الذى
إليك تناهى كل مجد وسؤدد
بنيت قباب المجد أركانها التقى
فلو جمرات العرب كن بواقيا
لك القلم العالى الذى يبيانه
وتفتض أبكار المعانى بحده
ومنه بأحشاء الأعادى رواعد
ودونكها غراء تغرى على الصبا
تشهيك فى ترجيع إنشادها متى

أمنت بجاه اليعمى أزماتها
مفللة والذل فوق قناتها
وأخرى يخاف الدهر من فتكاتهما
وما سقط الأقوام مثل سراتها
ولكن جماع الحج فى عرفاتها
وما الصبح إلا من طلوع مهاتها
فلا قدر الرحمن من حركاتها
ولا انقض نجم السعد من جنساتها
به اعتصمت من دهرها وعداتها
فدم فى المزايا واصعدن درجاتها
ورصفت من غمر النداء شرفاتها
لما كان إلا أنت من جمراتها
تكسر من سمر القنا شبواتها
إذا احتجبت من عزها عن كماتها
قواتل لا ينجون من سطواتها
وها السحر كل السحر فى لفظاتها
بلغت بإنشاد إلى أخرياتها^(١)

(١) فى هامش المطبوع: «للمؤلف بحث خاص بالوزير اليعمى ألقى محاضرة فى مؤتمر الثقافة العربية المنعقد بحاضرة تونس فى شعبان عام ١٣٥٠».

المكناسى أصلاً، الفاسى داراً، الحمدوشى طريقة، يلقب أبا شكال لأنه كان برجله اليسرى خلخال من شعر مربوط ربطاً وثيقاً قرب ساقه.

حاله: كان ضيق الحال، الغالب عليه القبض، لا يدعى بدعوى ولا يسأل من الناس إلا ما يسد رمقه، شوهدت له كرامات، وخوارق عادات، أورده فى سلوك الطريق الوارية وذكر بعض كراماته وسرد عدة مما وقع له معه من ذلك، وكان ينتسب فى الطريق للشيخ على بن حمدوش، وكان مجذوباً غائباً متبركاً به مسناً، وكان أولاً جعل لنفسه حوشاً من حجارة بشرقى جامع القرويين بالسباط الكائن هناك، فكان يبيت به ويجلس ويتخذ فحماً يتدفأ به، ثم انتقل لباب القرويين المقابل سوق الشماعين، ثم انتقل إلى رأس الجنان بعيون أبى خرز، فكان يقبل ويبيت بها إلى أن توفى هناك.

مشيخته: أخذ عن أبى الحسن على بن حمدوش على ما للزبىدى فى سلوك الطريق الوارية ولى فى هذا الأخذ وقفة لجذب الأخذ والمأخوذ عنه.

وفاته: توفى بفاس عام أربعة وتسعين ومائة وألف.

٢٥٣ - محمد بن على العفّانى^(٢) الزرهونى أبو عبد الله.

حاله: ظاهر البركات، كثير المكاشفات، صالح الأحوال، أحد الأفراد من الأولياء الأكابر، رطب اللسان على الدوام بالتلاوة والذكر، أدام النظر فى بدايته

٢٥٢ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٧/ ٢٤٢٠.

(١) فى المطبوع: «خنسوس» والمثبت من إتحاف المطالع.

٢٥٣ - من مصادر ترجمته: لقط الفرائد فى الموسوعة ٣/ ١٠٨٨.

(٢) بعين مهملة ففاء مشددة فالف ونون بعدها ياء النسب، قيده صاحب لقط الفرائد وتحرف فى المطبوع إلى: «العمانى» بالميم بدل الفاء.

لامرأة شابة متزينة فقال: عين ترى محارم المسلمين إنما حقها العمى، فكف بصره من حينه.

وفاته: توفى فى القصر سنة خمس وألف على ما فى المرأة.

٢٥٤ - محمد البوعصامى:

حاله: فقيه علامة جليل، قال فى حقه عصريه الشريف العلمى صاحب الأنيس المطرب فى أنيسه ما لفظه: بليغ مصره، وإمام الأدباء فى مغربه وعصره، رحل إلى المشرق، وطلع عليه كالبدر المشرق، فحل منه الجيد وتبرج المفرق، وأخذ عن الأئمة، أعلام هذه الأمة، وقصد المشيخة، وألقى لهم أذنه المصيخة، حتى أثقل بالعلم رذنيه، وقرط بالفوائد والفرائد أذنيه، وبهر فى علم النحو، وانتهى إليه الكتب والنحو، وعارض المناطة، بالسن إعجازه الناطقة، وخاض فى البديع بحرا، وصنع من البيان للعقول سحرا، ويسر من التفسير، كل عويص وعسير، وعرف أخبار الدول، وفعل الزمان بالأمم الأول، وأتى بكل خارق، وأنسى ذكر الموصلى ومخارق.

ثم رجع إلى المغرب، بكل معنى يطرب، ولفظ عن أغراضه يعرب، فأقر له الفضل بما أقر، وانتهى إلى فاس واستقر، فمكث بها دهرا، أفاض على عرصات الأذهان من علومه نهرا.

ثم انتقل إلى مكناسة، وحلها حلول الظبي كناسه، فتصدر للتدريس، وظهر ظهور ابن إدريس، ولقد فاق فى علم العربية، ونودى باسمه، فارتفع بالإفراد والعلمية، قال: حضرت معه يوما فى مجلس لبعض الأصحاب، والأفق بطرز ثوب الرياض برقم السحاب، وكان معى الصاحب الظريف، أبو العباس سيدى أحمد الشريف، فمد يده إلى العود، والعود بين انخفاض وصعود، والجو بين

بروق ورعود، فاستخبر العشاق بتوشيته، ورفل فى حلل الغناء وأرديته، وعام فى
خلجان الإقتان وأوديته، فقال يمدحه:

تبدى كبد ر لاح فى غيهب الدجا غزال رآه ابن النبیه فحارا
يجس بأطراف الأنامل عوده فيأتى بشيء ليس فيه يجارى
ثم أشار إلى أن عارض، ودع كل معارض، فقلت:

بدا كهلال الأفق ليل وصاله فصير ذاك اليل منه نهارا
وغنى بعود وهو سكران أعين فصير منه السامعين سكارى
وقد أطل وأطاب فى ترجمته، فعلى مرید الزيادة الوقوف عليها.

(شعره) من ذلك قوله:

سحت بدمع كالعقيق محاجرى شوقا لطیبة والعقيق وحاجر
تلك المعاهد حيث أظهر دينه رب البرية للرسول الظاهر
سر الوجود محمد خير الورى والمنتقى من كل أصل طاهر
من قد تجلت طیبة الزهرا به وزهت ففاقت كل روض زاهر
وسمت على الفردوس حقا واكتست حلل السنا من شأنه المتواتر
وتواضعت لمعالم الهادى بها آفاق كالفلک المحيط الدائر
أین اجتلاء وجوها وبورها من آله والصحب ذخیر الذاکر
زهر المناظر طیبو الأخلاق من فخرها به فى الناس أى مفاخر
إلى أن قال:

عامل بفضلك عبدك الجانى وحط من كل خطب مدلهم ذاعر

وامن علينا منة تمحو بها
واسمح وجد وارحم وعجل بالهنا
واجبر صدوعا برحت ما إن لها
واختم بحسن الختم واحشرنا مع
صلى عليه الله ما حل الحيا
والآل والصحب الأفاضل ما انتهى
وقوله متغزلا:

بى شادن مهما سرى فى غيب
أمسى يجس العود جسا محكما
ومن العجائب والغرائب شاذن
وأرعى الحنادس أفضح الأقمارا
فزرى بزياب وأنسى الدارا
ياوى القفار يحرك الأوتارا
٢٥٥ - محمد بن عبد الله بن مصالة الفزازى المعروف بابن عبود
المكناسى.

حاله: فقيه نحوى مفسر لغوى، تعرض لذكره السيوطى فى بغية الوعاة
وأسند حديثه فى طبقاته الكبرى، ونقل عن أبى حيان فى النضار أن قبيلهم يسمون
عبد الله: عبودا، ومحمدا: حمودا، وأنه من مكناسة الزيتون.

مشيخته: روى عن أبى إسحاق الكمال، وأبى جعفر بن فرتون الحافظين.

الآخذون عنه: أخذ عنه إجازة أبو الحسين بن عبد الله الغرناطى.

٢٥٦ - محمد بن الطيب بن عبد القادر بن الحاج حم سكيرج.

٢٥٥ - من مصادر ترجمته: بغية الوعاة ١/١٣٦، صلة الصلة لابن الزبير ٣/٢٦.

٢٥٦ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٧/٢٤١٨.

حاله : كان فقيها أديباً علامة مشاركا متقنا، أكتب كُتّاب زمانه وأبرعهم فى النظم والنثر، من رؤساء كتاب السلطان الأعظم، علم الأعلام سيدى محمد بن عبد الله، قال فى حقه بلديه معاصره العلامة الأصيل الأديب الجليل، سيدى سليمان الحوات حسبا وقفت عليه فى كناشة له ومن خطه نقلت ما نصه :

كتب صاحبنا العلامة الدراكة الأديب الجامع لأشتات العلوم قديمها وحديثها، سلطان الكتبة فى ديوان الأمير ملك البحرين أبو عبد الله سيدى الحاج محمد بن الطيب سكيرج حفظه الله إلخ .

ومن خطه أيضا بالكناشة المذكورة ما نصه : الحمد لله خرجت من فاس فى جملة من أشرافها لزيارة ولى الله إدريس الأكبر بزrehون، فنزلنا مكناسة الزيتون، على روض البلاغة المزهرة الأحفل، الكاتب الأديب الأنبل، العالم الأكمل، أبى عبد الله سكيرج الفاسى وصل الله عنايته فالفيناه فى مجلس منادمته، مع خاصته من أحبته، على حالة أغرانى على وصفها باستطلاع مطلع أشرف منه على التخليص فقال :

لما أباح النوى راح الفراق وقد	ركبت ظهر الفيافى منضيا تعبى
يممت ربعا به للحسن معترك	وفيه روض لأهل الفضل والأدب
ثم قال أجز، فأجزت بقولى :	

وكيف لا ودليل الحب أرشدنى	والحب يرشد أحيانا إلى الأدب
فكان لى موقف على الجبور به	فى مظهر الأنس بين اللهو والطرب
حيث محيا أبى زيد ورنته	يستبعدان قريب الهم والوصب
ولابن زكرى جس فى مثاله	أعربن فى نغمة الحسين عن عجب

يجيبها بمثنائي الصوت مبتسما فى وجه عاشقه عن بارق الشنب
فى متدى كعبة الجدوى سكيرجها والعلم ينسل من فجواه عن حذب
فلما وصلت إلى هنا استعادنى إنشادها وهو مقبل على بمحل معه يهتر
إعجابا وطربا، ثم تنحى دسسته جملة وأجلسنى فيه منفردا بعدما كنت مشاركته فى
جهة منه فقط، فلما استويت أنشدنى للصاحب بن عباد:

فلو كان من بعد النبيئين معجز لكنت على صدق النبى دليلا
ثم اجتليت عن يسارى، بدر تلك الهالة أبى زيد المزدارى، وهو يقول كأن
البرق يلمع علينا من أدبك، والشمس تطلع من غرة طربك، وكأننى المعنى عنده
أنشدته مغالطا فقلت:

البرق يلمع لكن من ثناياك والشمس تطلع لكن من محياكا
فاحكم بما شئت فينا غير مكرث بقتل أنفسنا فالحسن ولاكا
والله يا عابد الرحمن ما نظرت عيني بمكناسة الزيتون إلاكا
أودعت سر غرام بيته خلدى لديك فاجعله لى بيت نجواكا

فنشط للمدح وارتاح، وناولنى مترعات الأقداح، وبقي لا يلتفت إلا إلى،
ولا يقبل بحديثه إلا على، غير أنى بين حياة وحين، من صوارمه المصلته من
جفون العين، والنفس تشتهى اقتطاف ورد الخدود، الثابت حول غاب قسى
الحواجب وأسل القدود، فكان ذلك ولله الحمد داعية العفاف، وآية على حمد
عاقبته الانصراف، إذ من العصمة أن لا تجد، وإن وجدت فائتد، فمكثنا على ذلك
أياما بين تناشد الأشعار، وتجاوب الأوتار، وكثوس حلال الشراب علينا تدور، من
راحات حسان كالبذور، لم نستيقظ من سنة المسرة، إلا بعد أن مضت من الشهر
عشرة:

نزلنا على أن المقام ثلاثة فطاب لنا حتى أقمنا بها عشرا

ورب المنزل المذكور، وعلم الإجلال المنشور، حملته الأريحية على المبالغة في الإكرام، بالتردد علينا في كل برهة بموائد الطعام، مختلفة الأجناس، تستلذ مضغها الأضراس، إلى أن انفصلنا كل في وجهته سعيد، وربك الفعال لما يريد، كاتبه سليمان لطف الله به بمنه آمين.

وقال في حقه المقيّد المعتنى لسيد محمد بن عبد السلام المعروف بالضعيف في تاريخه لدى تعرضه لشعراء الدولة المحمدية أعنى دولة سيدى محمد بن عبد الله: الفقيه الأديب الماهر الشاعر، وقال قبله بنحو الورقة: الأديب الفقيه الأريب العروضى، وعده أبو القاسم الزيانى فى كتاب الدولة المحمدية أهل الطبقة الثانية الذين نظموا فى سلك الكتاب من أول نشأة الدولة المذكورة، وحلاه فى بستانه الظريف بالكاتب البليغ الأديب.

وقال قريبه حبا العلامة الأجل الناظم النائر السيد أحمد بن الحاج العياشى سكيرج قاضى ثغر الجديدة فى الوقت الحاضر فى شرحه لرجز المترجم فى علمى العروض والقوافى ما نصه: وممن ترجم له المؤرخ المتقن الضابط الحجة المتفنن سيدى الطالب بن الحاج كما وجد بخط يده ونصه: القرم الهمام، العلامة المبرز فى حلبة النثار والنظام، نادرة الزمان، فى التحقيق والبيان، عماد الدولة، وعظيم الصولة، أبو عبد الله محمد بن الطيب سكيرج الأندلسى الفاسى. هـ.

وقد كانت بينه وبين معاصره أديب الزمان، وفريد العصر والأوان، أبى العباس أحمد بن الونان صاحب القافية الموسومة باسمه بالشقمقية التى مطلعها:

مهلا على رسلك حادى الأيتق ولا تكلفها بما لم تطق

منافثة ومهاجاة قيل وهو أى المترجم المعنى فى قول ابن الونان المذكور:

فبشرن ذاك الحسود أنه يظفر من بحر الهجا بالغرق
مؤلفاته: منها رجزه الموسوم بالشافى، فى علمى العروض والقوافى، يقول
فى فاتحته:

حمداً لمن بسط أبحر النعم ومن مديد طوله يؤتى الحكم
ثم على خير الورى صلاتى وآله وصحبه الهداة
والتابعين نهجهم على الدوام ما مدحه صيغ بثر ونظام
وبعد فالشعر له ميزان به يلوح النقص والرجحان
وفى الختام قال:

لما انتهى سميته بالشافى فى علمى العروض والقوافى
وكان وضعه له فى ربيع الثانى من عام ستة وسبعين ومائة وألف وأخرجه.
من مبيضته فى رمضان من السنة المذكورة كما بشرح هذا النظم لقريبه أخينا أبى
العباس المذكور آنفاً.

ومنها حواش على شرح سيدى محمد بن مرزوق المسمى بالمفاتيح المرزوقية،
لحل الأقفال واستخراج خبايا الخزرجية، وغير ذلك.
شعره: من ذلك قوله يمدح السلطان الأعظم سيدى محمد بن عبد الله كما
فى تاريخ الضعيف:

ولما رأيت البحر فى الجود آية ومن جوده الدر النفيس المقلد
سألته من فى الناس علمك الندى فقال أمير المؤمنين محمد
وسبب ذلك كما فى شرح ابن عاشور على البردة أنه اجتمع فى مجلس
السلطان فأشدد بعض الحاضرين قول الشاعر:

سألت الندى هل أنت حر فقال لا ولكنتى عبد ليحيى بن خالد
فقلت شراء قال لا بل وراثة توارثنى عن والد بعد والد
فقال السلطان إن ذلك لغاية فى بابہ فقال ذلك البعض يعنى المترجم لو شئت
لقلت أحسن منه وأنشد ما نصه :

ولما رأيت الجود فى البحر فاشيا ومن جوده الدر النظيم المنضد
فقلت ومن فى الناس علمك الندى فقال أمير المؤمنين محمد
فتعجب السلطان والحاضرون لارتجاله، وجودة مقاله، وأعطاه السلطان جائزة
عظيمة.

وقوله كما فى منهل الورد الصافى يهجو عصره أديب الزمان أبا العباس بن
الونان :

ألا قل لغمر جاهل وحسود غيى بليد الطبع حلف جحود
نافس فى العلياء حبرا مهذبا له فى مقام المجد خير شهود
لعمرك قد أرقيت نفسك للعلا بلا سلم إذ لم تبؤ بفريد
وحاولت أمرا لست تعلم أنه تمنع عن ذى منعة وعديد
فكم ظلت أسعى فى رشادك علنى أراك حذورا على صرير وعيد
فهنأنا ذا مستجمع الفكر راكبا مطية فخر فى مقام شهود
تيقظ لقولى واستمع كل حجة فإنك يا ابن القن بيت قصيد
وخذ من قرى الأبطال ما أنت طالب فأنت على راصى الندى بشديد
ولا تأس إن أبصرت زلزال بارق تقدمه نكباء ذات خلود

وأنت ما نبهت منى نائما
فأما اكتساب المجد من عهد يعرب
وأما العلا فاسأل ترى فضل أئنا
وأما رعايات الذمام فأنها
وأما الندى فانظر بعينك حيناً
تخبرك الأنام عنى حقيقة
ذوى الحسب الموفور والحلم والتقى
إذا برزت يوماً طلائع حزبه
تراهم لدى الهيجاء أسدا فواتكا
تهابهم الأسد القواصم فى الوغى
ركابهم تجدى على كل حالة

فللطعن فاصبر واعتجز بضمود
فما هو عن أسلافنا ببعيد
فكم حملوا للمصطفى من بنود
بأذيا لنا نيطت بغير جحود
فإن عيون المرء خير شهيد
بأنى فى لحم أعز وليد
وكل فخار دائر وجديد
ترى العز يومى نحوها بسجود
وفى السلم سباقا لكل مشيد
ويألفهم فى السلم كل وليد
بحرب وسلم من ندى وجسيد

هذا ما وجدته من خطه وهى غير مكملة. هـ لفظ منهل الورود.

وقوله مادحا شرح سيدى محمد جسوس على المختصر:

يا صاح إن شئت التنعيم فى غد
وأردت فى الدارين إدراك المنى
دع ما يشين العرض من طرق الردى
وانزل من الوغد الجهول بمنزل
ودع التشبث بالغرام وأهله
ودع التوغل فى الهوى فطريقه

والفوز بالعز الصميم السرمدى
والمكث فى عيش هنى أرغد
واترك مدى الدهر ادكار المعهد
واترك مصاحبة الذميم الفدقد
ودع التغزل فى القيان الخرد
صعب السلوك وشوكة لم يخضد

فالكُل حَمَق لا يرى بِسبيلِهِ
 واجنَح فديتِكَ للعلوم فإنها
 وهى السبيل إلى النجاة وإنها
 كم من جهول ذى غبى فى مهنة
 إن عاش لم يسمع له ذكر ولم
 لم يكثر أحد به أبدا ولم
 والعالمون ذوو النهى فى رفعة
 إلى أن قال:

شد الرحال لنيله واطلبه فى
 واركب مطايا الحزم فى تحصيله
 ولتلتزم الإنصاف فيه ولا ترم
 إلى أن قال:

وذا أردت بلاعنى تحصيله
 فعليك بالإفصاح والتصريح إن
 تأليف شيخ شيوخنا بحر الندى
 الفاضل البر الزكى المرتضى
 وأردت طول الدهر نيل المقصد
 شئت إلى الوصول المقام الأسعد
 جسوس ذى القدر العلى محمد
 الكامل الصدر الذكى الأمجد

نثره: من ذلك ما كتب به من الحضرة المراكشية لابن أخته الشريف المذهب
 مولاي أحمد بن العربى العراقى بالحضرة الفاسية، ونصه بعد الحمدلة والصلاة كما
 بكناشة سيدى سليمان بن محمد الحوات ومن خطه نقلت: أجل من تحلى بأكرم

الأخلاق، وأكمل من شرفت منه الأوصاف والأعراق، الحال منى محل سويداء أماق، أبو العباس أحمد بن العراقي، لازلت فى خفض عيش ناعم، ما دام ثغر الرياض عن عرف أزاهره باسم، وعليك منى تحية يفوق شذا النسرين طيها، مستوفى من عبير العنبر نصيبها، مشفوعا ببركات يملأ الخافقين نورها، وتتوج محاسن الدهر سطورها، هذا وقد طار الفؤاد للقياك، وطمحت نار التشوق لاستطلاع محياك والاستمتاع برؤياك، إذ كنت منى محل الزند لاساعد، وكيف لا وفك الغنية عن الأقارب والأباعد، أبقاك الله محفوظ الجناب، متبعا سبيل من أناب، وجبر الصدع بالجمع، بين الأصل والفرع، إنه مجيب دعوة المنيب، وجامع شمل الغريب، وها نحن اليوم قد شغلنا عن كل المطالب، بكل ذاهب وآيب ومطلوب وطالب، فذات النحسين أفرغ منى ذهننا، والجوارح والخواص أصبحت لما سمعت وراك الله رهنا، وفى حامله كفاية الخبر، عمن أبدل نومه بالسهر، مع مصاحبة أمراض، معشارها يشغل عن أضعف الأغراض، ولكن الطمع فى رحمة الله يحملنى على الرجا، وكيف يخيب من إلى أكرم الأكرمين التجا، وهو حسبي ووليي ومن توكل عليه سلم ونجا، فى سابع جمادى الأولى عام تسعين ومائة وألف محمد بن الطيب سكيرج لطف الله به.

وفاته: توفى بالوباء فى جمادى عام أربعة وتسعين ومائة وألف.

٢٥٧ - محمد البوعصامى المكناسى أصلا الفاسى داراً ومنشأ وقراراً.

حاله: فقير متجرد من صغره ساكت خامل، كان من أهل اللباس الحسن الفاخر، فأبدله له الشيخ العربى بن عبد الله معن الأندلسى بدربة بقى يلبسها حتى مات، وفى ذلك أعظم دلالة على كسر سطوة سلطان النفس الأمارة وقهره إياها وتمكنه منها، وكان كثيرا ما يجلس بالقرويين وحده ولا يدعى بدعوى، قليل

٢٥٧ - من مصادر ترجمته: موسوعة أعلام المغرب ٧/ ٢٤٢٢.

الكلام مع الناس، وكانت لوائح الخير ظاهرة عليه، ترجمه فى السلوة وسلوك الطريق الوارية.

مشيخته: أخذ عن الشيخ سيدى العربى بن عبد الله معن.

وفاته: توفى سنة خمس وتسعين ومائة وألف بفاس المحروسة.

٢٥٨ - محمد المدعو البهلول بن عبد الرحمن الفيلالى الیوعصامى الأصل
المكناسى الدار والإقبار.

حاله: أديب ماهر، نحوى مدرس نفاع، شاعر مجيد كثير الجلوس بالمسجد. ذكره العلامة الأعد الثبت المؤرخ النقاد السيد محمد الخياط بن إبراهيم أحد أعلام فاس فقال: اجتمعت به مرة واحدة فى بعض أسفارى لمكناسة الزيتون، وكان رحمه الله أعمى كثير الجلوس فى الجامع، وله أشعار حسنة، وقال فيه صاحب منحة الجبار، الشيخ التحرير، القائم على ألفية ابن مالك قيام الجد والتشهير، انتهى إليه حسن تقريرها مع المعرفة العجيبة فى عدة فنون.

شعره: من ذلك قوله فى رجل من أصحابه حلو الحديث عذب الألفاظ
اسمه يحيى من أهل وادى درى:

يحيى ومن يحيى أحاديثه أحلى من الشهد لدى المخبر

وكيف لا تعذب ألفاظه وهو من وادى أبى سكر

ومراده بأبى سكر التمر الذى يقال له بوسكر وقوله:

أيدى الحوادث مزقت أعراضنا فلذلك احتجنا إلى الخياط

ويعنى بالخياط الكاتب الوزير الخياط بن على بن منصور، وقد توفى هو

وأخوه عبد الرحمن ذبيحين فى السجن بمكناسة الزيتون، ذبحهما الباشا الغازى

وأخرجنا إلى حوز المقابر وتركنا طريحين والناس يعتبرون بالنظر إليهما إلى العشى
ودفنا، وذلك فى ضحى يوم الأحد ثانى عشر ربيع الثانى عام خمسة وعشرين
ومائة وألف كما ذلك بخط العلامة الثبت السيد محمد الخياط بن إبراهيم، قال:
وقد صادفنى الحال يومئذ هنالك فلم أر يوم سرور عند الناس مثل ذلك اليوم، ولم
أجد أحدا يثنى على الخياط المذكور إلا شرا نعوذ بالله من تتابع الألسنة.

وقوله:

جادلى من هويته بكتاب	بعد أن كان بالكتاب ضنينا
ولقد طال ما انتظرنا إليه	يعلم الله ذاك حتى ضنينا
أنتم السؤل جدتم أو بخلتم	لا نحب سواكم ما بقينا

وقوله:

ترفع قوم بالقضاء وما دروا	بأن قضاة العصر عندى قضاة
فإن تلف منهم ذا عفاف عن الرشا	يكن للرشا منه الكحيل التفات
فإن تسألونا بالقضاء فإننا	نحاة وإن شئتم فقولوا نجاة

وقوله:

عجبا للزمان يقصى سريا	فاضلا ماجدا ويدنى دنيا
فلو أن الأيام تفقه شيئا	لم تكن آثرت على عليا

وقوله يخاطب ولدا له:

تأمل إذا رمت الكلام فإن من	تأمل من قبل التكلّم لا يخطى
وما يزين الكتب حسن خطوطها	فنفسك جاهد فى التعلم والخط

وقوله :

قل للمحاول رتبة	من غير كد ذا محال
فاشر المعالى بالعنا	فبذاك تكتسب المعال
وادرس لترأس يا فتى	واحفظ ليحفظك الرجال
وذوى المعارف سلهم	فالعلم يدرك بالسؤال
وعليك حال تأدب	معهم فذاك خير حال
وجب البلاد فكم يرى	من جال من حكم الرجال
واصحب من الناس الألى	يودون محمود الخصال
وإذا تعذر هؤلاء	فاختر سلامة الاعتزال
والخير اجمعه لدى	تقوى المهيمن ذى الجلال
تمت نصيحة ناصح	تحكى على الجيد اللال

وقوله معاتباً بعض تلامذته :

أقمت بمكناسة برهة	أعلم أبناءها ما الكلام
فلما توهمه بعضهم	على به بخلوا والسلام

وقوله معزيا أبا العباس بن الشاذلى الدلائى فى أخيه سيدى محمد :

أبا العباس كان أخوك نجما	ومن شأن الكواكب أن تغيبا
وكل أخ مفارقه أخوه	فصبراً لست وحدك من أصيبا

ومن ذلك ما رأيته فى كناشة العلامة سيدى المهدي بن سودة وخطه نقلت :

نفس الكريم لدى العطا مرتاحة	ويضيق نفسا لو وجود لثيم
-----------------------------	-------------------------

والحر فى نيل المعالى همه	بسوى المفاخر لا تراه يروم
فخر اللبيب بجده لا جده	فالجذ عظم فى التراب رميم
أعظم بشأن القبر من إنصافه	سيان فيه ذو غنى وعديم
اصبر على حال افتقارك يا فتى	فالحال متقل وليس يدوم
والله يفعل ما يشا فى خلقه	فالواجب التفويض والتسليم
هذا أخو حمق غبى عيشه	رغد وهذا عاقل محروم
أطلق لسانك بالثناء على الذى	أسدى إليك فشكره محتوم
وإذا ابتغيت بلا مذمة أمرا	فالمبتغى لك نزر أو معدوم

وقوله وقد تخلف عن مجلس درسه يوم غيم:

أقراء الخلاصة حال بينى	وبينكم من الأحوال حائل
فعذرا فى التخلف يوم وبل	وذو الطبع الكريم العذر قابل
ولولا العذر ما كنا قعدنا	عن إيضاح المسائل للمسائل
محادثة الذكى الذى من	محادثتى لربات المغازل

وقوله سائلا أبا عبد الله محمد المرابطى الدلائى عن إعراب ما يجرى على
الأسنة من لفظ كائنا من كان:

يا إمام النجاة بالله أعرب	للمسائل ^(١) كائنا من كانا
واركن للجواب متن جواد	واصرفن نحوه- أعنت- ^(٢) العنانا

(١) فى هامش المطبوع: «فى البيت المعاقبة وهى مما لا يجوز فى الصناعة كما ننبه عليه قريبا هـ. مؤلف».

(٢) فى هامش المطبوع: «المراد واصرفن العنان نحوه أعنت هـ مؤلف».

لا برحت إلى المعالي مضيّفا
ومعدا لما يدق البيانا
فأجابه بقوله:

يا إماما حوى المحاسن واقتا
د المحامد وارتدى العرفانا
كائنا فى التركيب حال لما قب
ل ومن^(١) خبر له قد بانا
وهو موصوف ذو التمام قد ج
لى الغموم مبينا تبينا
كانتماء أبى على وناهى
كك به فارسا دهى الاقرانا
كان لا أرى علاء لمن يب
غى على الناس كائنا من كانا
فأبطلونه وأعمل الفكر فيه
تشهد الحق ساطعا برهانا
فلأنت الخبر الذى فاق نبلا
وذكاء ورفعة وامتنانا
وقوله ملغزاً فى الواد من ودى يدى إذا أعطى الديّة:

أيا من غاص فى بحر المعانى
وكم من غامض أبدي وكامن
بواد قد مررت اليوم يجرى
بلا ماء وما إن قلت مائن
وأجاب عنه صاحب المنحة بقوله:

فيا لبيك قد أسمعت حيا
لغيرك خذ جوابه عن معاين
بواد من وداه يديه حقا
أردت اللغز لا واد مباين
وقوله معاتبا أبا عثمان سعيد العميرى على عدم دعوته إياه لبعض الولايم:
يا مولما أو مؤلما إذ لم يكن
منه الدعا لما دعى بالشامل

(١) فى هامش المطبوع: «فى البيت توالى سبين مزحوفين معا وهو مما لا يجوز، إذ يجب سلامة أحدهما لقول صاحب الخزرجية:

إذا السبيان استجمعا لهما النجا أو الفرد حتما فالمعاقبة اسم ذا هـ مؤلف».

ما مقتضى التخصيص من دعواتكم وإخال موجب ذاك فقد الجادلى
عجب لأيام تهين أخا حجي وتحب إكرام الغيبى الجاهل
هذى مداعبة أبا عثمان قد جادت بها لكم قريحة حامل
ما ضره عدم الظهور فقد يرى عمل على إضماره للعامل
خذا شذاها ضائع لكنها من بحر فضل رافر أو كامل
وعليكم أركى سلام طيب ما قيل للعالى اعتبر بالنازل
إلى غير هذا مما يطول:

الآخذون عنه: منهم أبو عبد الله محمد العربى بن محمد البصرى صاحب
منحة الجبار.

وفاته: توفى ليلة الخميس السابع عشر من ذى القعدة سنة ست وعشرين
ومائة وألف، ودفن قرب ضريح أبى العباس أحمد الحارثى، وهو الآن بداخل قبته.
مكتوب على حائط قبره اسمه وتاريخ وفاته.

٢٥٩ - محمد بن عبد السلام البيجرى.

حاله: فقيه أديب، نزيه لبيب، تحرير مشارك خطيب بليغ مصقع، مدرس
نفاع نقاد، مقتدر ماهر، متضلع مطلع، له مشاركة تامة فى المعقول والمنقول، تولى
خطة القضاء بالحضرة المكناسية على عهد السلطان مولانا عبد الله بعد عزله لأبى
القاسم العميرى، وذلك عام تسعة وأربعين ومائة وألف، ثم عزله وولى مكانه
السيد عبد الوهاب بن الشيخ كما فى الدر المنتخب، وتولى الإمامة والخطبة
بالقصة السلطانية الإسماعيلية وقضاء الجماعة، وقفت على عدة من خطابات
والتسجيل عليه بتاريخ عام ثمانية وخمسين ومائة وألف.

وكان حسن السيرة، نقى السريرة، قال بعض الأعلام الأثبات تكلمت معه
يعنى المترجم فى مسائل على سبيل البحث منها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ
خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَكَّلُوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [سورة الأنفال: آية ٢٣] هل
هذا قياس واحد، وظاهر نتيجه ولو علم الله فيهم خيرا لتولوا، إلخ. وهو فاسد
أم قياسان؟ وكيف يستقيم تقدير الآية؟ فحاول الجواب ولم أسأله له، ثم أخرج
بعض التفاسير ووقفنا على تقدير الآية ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم سماع
قبول، ولو أسمعهم ولم يعلم فيهم خيرا لتولوا وهم معرضون، فاتضح المراد.

ومنها قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ
الْخَاطِئِينَ﴾ [سورة يوسف: آية ٢٩] فإن قياسه من الخاطئات، فما وجه
العدول عنه، فأجابنى بنص صاحب التخليص فى قوله: والتغليب يجرى فى فنون
كثيرة كقوله تعالى: ﴿... وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِنِينَ﴾ [سورة التحريم آية ١٢] فقلت
له: وجه التغليب هنا ظاهر، فإن أمرىم رضى الله عنها لكثرة قنوتها شبهت
بالرجال الموصوفين بالقنوت، ففيه مدح لا بخلافه فى هذه الآية الأخرى، فقال:
إن زليخا هنا لما كان الخطأ يصدر منها قليلا أخرجها عن جنس النساء الموصوفات
بوقوع الخطأ منهن كثيراً فإنهن ناقصات عقل ودين، وشبهها بالرجال الذين من
وصفهم عدم صدور الخطأ الكثير منهم غالباً.

مؤلفاته: منها شرحه المرقص المطرب على السنوسية المسمى بفتح الرحمن،
لأقوال أم البرهان، فى مجلد ضخمة أبد أفیه وأعاد، وحرر وهذب، ونقح وأجاد،
برهن فيه عما رزقه من طول الباع، وسعة الاطلاع.

شعره: من ذلك قوله يمدح الإمام الفاتح مولانا إدريس الأكبر بن عبد الله

الكامل:

تنبه فما شأن الذكى الفتى الحر
ولكن على ذى العقل إن كان حازما
فإن كنت حيرانا ولم تلف هاديا
تحقق بأن الله ليس لغيره
كن قارعا أبواب رحماه بالدعا
وإن قيل أبواب الولاة ترحزحت
فباب رسول الله وهو طريقه
إمام تعالت فى المعالى سماؤه
به اشتهر الإسلام فى الغرب كله
وعنه روى الأعلام وأحكام شرعنا
ومنه سرت فى العارفين سرائر
وكم حاز من فضل وأحرز من على
إلى أن قال:

فقير أتى نحو الحمى وهو ينتمى
يرجى قبولا منكم ولعل أن
فيسمو بإدراك العلوم وذوقها
فيا رب أنت الله يا منتهى الرجا
بخير البرايا المصطفى وبزوجه
وبابته الزهراء والفرقدين من

تراخ وذو الحاجات قد جد فى السر
نهوض إلى إدراك ما رام من أمر
فإنى سأهدى حائرا رغبة الأجر
كثير ولا نزر من النفع والضرر
تنل كل ما ترجو سريعا من الخير
لغلق فلا تئس من الفتح والنصر
بمغربنا مولاي إدريس ذو الفخر
وآياته كالشمس لاحت على القطر
فأصبح محفوظ الجنب من الكفر
بتفصيل إجمال، الإباحة والحظر
فقالوا منا لا من خصوصية السر
يجل عن الإحصاء والعد والحصر

إلى حب آل البيت فى السر والجهر
ينال الأمانى من مسألة الدهر
على كل تحرير تنبل فى العصر
قريب مجيب كل داع ومضطر
خديجة أنس الدين فرض لها شكرى
سماء على ليث أسد بنى النضر

وبالحسن بن السبط ثم بنجله
 بمولاي إدريس الزكى وبابنه
 تقبل دعائي يا إلهي بجاههم
 وعامل بإحسان لصحبي وجيرتي
 وثبت على الحسنى فؤادي ومنطقي
 وصل وسلم كل يوم وليلة
 وأول الرضا الآل الكرام وصحبه
 وما اخضرت الأرجا وأخصبت الربى
 وقوله:

أهـدى إـلى وردة ظبى ثوى بقاعها^(١)
 كناسه مكناسة يسكن فى بقاعها

مشيخته: أخذ عن والده أبى محمد عبد السلام، وأبى عبد الله محمد بن
 محمد المكارى الرباطى ومن فى طبقتهم من الأعلام.

الآخذون عنه: أخذ عنه ولده المترجم بعد وغيره.

٢٦٠ - محمد بن الحسن الملقب بالجنوى الشريف الحسنى العمرانى.

نزىل مكناس.

حاله: إمام نظار، علامة مفسر محدث، متكلم أصولى، نحوى بيانى، فقيه

(١) فى هامش المطبوع: «يشير إلى الحومة الشهيرة بمكناس بقاع وردة».

٢٦٠ - من مصادر ترجمته: تذكرة المحسنين فى موسوعة أعلام المغرب ٧/ ٢٤٣٢.

محاضر مستحضر، متفنن نقاد، متبحر نحير، متضلع ماهر، كامل المشاركة، كبير الإشراف على الفروع والأصول، والتبحر فى المنقول والمعقول، والعارضة الطويلة فى الاطلاع والحفظ والفهم الصائب والإتقان الوافر، مع المعرفة بالله والورع التام والاعتناء بالتقييد والمطالعة والإقبال على ما يقربه إلى الله زلفى .

نشأ بمدشر ارجن من قبيلة سمانه، وهنالك قرأ القرآن العظيم، ثم رحل فى طلب العلم بالقصر الكبير ثم بتازروت العلمية زاوية الشرفاء أولاد ابن ريسون، ثم لتطوان، ثم لفاس وجد واجتهد حتى حصل فى المعلومات الضافية غاية المراد .

شهد له بالإمامة فى سائر الفنون جلة أعلام وقته مشايخه وغيرهم، وحصل له ظهور وشفوف مكانة عند عظماء وقته، وخضعت له أعناق الرؤساء والمرءوسين، وتصدر للإفتاء والإفادة برأى من مشايخه ومسمع، بل ربما قدموه للجواب عما ورد عليهم من الأسئلة وما يعرض لهم من النوازل المهمة، والعويصات المدلهمة، فيجيب بما يثلج الصدور، ويذهب ضنا المصدور .

قال تلميذه سيدى محمد فتحا الرهونى: ولقد رأيت شيخه التاودى يسأل عن المسائل بحضرته فيكل الجواب إليه فيجيب على البديهة أحسن جواب، ولقد قدم الشيخ التاودى مرة تطوان وأنا بها فحضرت معه ليلة فى دار بعض شيوخنا ومعه شيخنا الجنوى - يعنى المترجم - وجماعة من الفقهاء فقال التاودى: سألنى بعض الناس وأنا راجع من المشرق عن آية كذا سماها إذ ذاك ونسيتها الآن فلم أدر ما أقول له فهل على بالكم شىء؟ فأجابه شيخنا الجنوى على البديهة بأن قال له: فيها ثلاثة أقوال للمفسرين المشهور منها كذا كما فى ابن جزى، فطلب التاودى ابن جزى فأحضر فى الحين فنظروه فوجدوا الأمر كما قال، وهكذا كان دأبه رضى الله عنه علمه معه أين ما كان .

وكان فى تدريسه لا يقتصر على شرح معين بل يطالع ما أمكنه من الشروح والحواشى ويراجع المسائل فى أصولها ويعارض بين القول، ويبين المردود منها والمقبول، هكذا كان دأبه فى التفسير والحديث والكلام والفقه والأصول والنحو والبيان والمنطق والتصوف، موصوفاً بالتحقيق والإتقان عند الخاص والعام، مرجوعاً إليه فى العضلات العظام، مقدماً فى كل فن وخصوصاً فى النوازل والأحكام، لا يكاد يخالف فتواه أحد من القضاة والحكام، مع مروءة تامة، ودين متين وخوف من الله عظيم، وورع جسيم، لا يخالف قوله فعله فى شدة ولا رخاء وكانت مجالسه كلها لا تخلو من مواعظ فلا يقوم الإنسان من بين يديه فى أى فن كان غالباً إلا وقد أخذت مواعظه منه مأخذاً، ولا يختلف فى صلاحه ومعرفته اثنان من الصالحاء.

وقد سمعت العلامة قاضى الحضرة الإدريسية فى وقته أباً محمد سيدى عبد القادر بوخريص رحمه الله ورضى الله عنه وأرضاه يقول: وبلغنى عنه ممن سمعه من الثقات أنه كان يمثل للمبرز فى الصدر الأول بسيدنا عمر بن عبد العزيز، وبعد ذلك بأبى محمد صالح، ويمثل له اليوم بسيدى محمد بن الحسن الجنوى، وكلامه هذا موافق فى المعنى لقول سيدى جسوس فيه: وحيد زمانه، وفريد عصره وأوانه، علماً وعملاً ويأتى كلامه بتمامه.

وكان يخفى صلاحه كثيراً، ومما كاشفنا به مرة وهو ملازم بوران وكانت الأسئلة والرسوم ترد عليه كثيراً وكنت أنا خديمه ومتولى أمره بإذنه أنه قال: قال لى أصحابنا الذين كانوا معنا إما أن تأخذ الأجرة من أرباب الرسوم، وإما أن تتركنا نتولى أمرها، وكان رضى الله عنه لا يأخذ على ذلك أجراً فقلت لهم: أنا لا آخذ من أحد شيئاً، وإن أردتم أن تتولوا ذلك بأنفسكم فافعلوا ونحن فى مكاننا ليس معنا أحد ولم يطلع على ذلك إلا الله تعالى.

فلما اجتمعنا معه رضى الله عنه على الطعام قال لنا من غير تقدم كلام:
إنى حين كنت ملازما هنا قبل هذا كان رجل يدخل لى الرسوم من عند الناس
ويخرجها لهم، وكنت أحبه ظناً منى أنه يفعل ذلك لوجه الله تعالى، حتى علمت
بعد أنه كان يفعل ذلك ليأخذ منهم الدراهم فسقط من عيني رتركته، فخرج
أصحابنا خجلاً شديداً، وعلمنا أن ذلك مكاشفة لا شك فيها، وكان ذا سخاء
عظيم مضيافاً محباً للمساكين محسناً إليهم.

وكان فى أول أمره منقبضاً عن السلطان جدا لا يرسل إليه ولا يرأسله، إلى
أن سأل مرة أمير المؤمنين، ناصر الملة والدين، ذو الشرف الأثيل، مولانا محمد بن
أمير المؤمنين مولانا عبد الله بن أمير المؤمنين مولانا إسماعيل، التاودى عن فقهاء
الوقت فذكره وأثنى عليه بين يديه ثناء كثيراً، فأرسل وراءه وهو إذ ذاك ملازم
بوزان، فذهب مع بعض أعوانه هناك فلقيه بمكناسة الزيتون فأمره بسكنائها بقصد
التدريس بها فلم يجد من امتثال أمره المطاع بدا، فسكنها مدة ثم نقله إلى ثغر
طنجة فأقام بها مدة ثم نقله إلى تطوان. هـ الغرض من حاشية الرهونى.

قلت: انظر همم الملوك التى هى ملوك الهمم، واهتمامهم بالتتقى عن حملة
الشرعة فى رعاياهم ليقدرهم قدرهم وينزلوهم محلهم، ويظهروا للخاص والعام
فضلهم وشرفهم على من سواهم، وانتقاء جلتهم لبث العلم ونشره فى صدور
الرجال كى يسود العلم فى رعاياهم، وتكسر راية الجهل فيهم، حيث إن العلم
أصل أصيل للزقى والاستعمار والتقدم والنجاح المادى والأدبى والدينى والأخروى
والعكس بالعكس:

وليس يصح فى الأذهان شىء إذا احتاج النهار إلى دليل

مشيخته: أخذ عن العلامة المشارك سيدى التهامى أبى الخارق الحسنى، سرد
عليه شرح الكبرى، والعلامة القاضى سيدى المجذوب بن عبد الحميد الحسنى،

والمحقق الورع أبى العباس أحمد بن محمد الوردى سمع عليه صحيح البخارى ومسلم، فالأول سمعه كله إلا مواضع قليلة لعذر ورد، الشيخ يقرأ والمترجم يسمع، وأما الثانى وهو صحيح مسلم فسمعه كله عليه، المترجم يقرأ والشيخ يسمع، وقرأ عليه نحو ثلاثة أرباع من تفسير البيضاوى مع مطالعة غيره، وقرأ عليه الشماثل الترمذية، ومختصر خليل، وجمع الجوامع، والتلخيص إلا القليل منه، ومختصر السنوسى فى المنطق، وقرأ عليه شيئاً من التسهيل كما ذلك بخط يد المترجم فى إجازته للحضيكى ومنه نقلت، وشيخ الجماعة سيدى محمد بن القاسم جسوس قرأ عليه كثيراً من المختصر الخليلى، وصحيح البخارى ومسلم، والحكم العطائية وغير ذلك كما ذلك بخط يده فى الإجازة للحضيكى.

وأبى حفص عمر الفاسى قرأ عليه التلخيص بالمطول إلا مواضع قليلة، وصغرى السنوسى قراءة تحقيق، ونحو النصف من ابن السبكى قراءة تحقيق أيضاً والشيخ التاودى ابن سودة وغيرهم، وأجاز له عامة أبو محمد بن قاسم جسوس المذكور والشيخ محمد الحفنى: الأول يروى عن سيدى عبد القادر الفاسى المولود بمدينة القصر الكبير قصر كتامة زوال يوم الاثنين ثانى رمضان سنة سبع وألف المتوفى بفاس ظهر يوم الأربعاء تاسع رمضان سنة إحدى وتسعين وألف قرأ عليه ألفية ابن مالك وغير ذلك، وأبو عبد الله محمد بن أحمد ميارة الصغير المتوفى ضحوة يوم الجمعة خامس عشر المحرم عام أربعة وأربعين ومائة وألف، وأبو محمد عبد السلام بن حمدون جسوس المتوفى مخوناً ليلة الخميس خامس عشر ربيع النبوى وقيل منتصف ربيع الثانى عام واحد وعشرين ومائة وألف، وأبو عبد الله محمد بن أحمد المسناوى الدلائى المولود بزوايته الدلائية البكرية سنة اثنتين وسبعين وألف المتوفى بفاس سادس عشر شوال عام ستة وثلاثين ومائة ألف، وابن عبد السلام بنانى المتوفى ضحوة يوم الأربعاء سادس عشر قعد الحرام سنة ثلاث

وستين ومائة وألف، وأبو عبد الله محمد فتحا بن عبد الرحمن بن زكري المتوفى ليلة الأربعاء ثامن عشر صفر الخير عام أربعة وأربعين ومائة وألف وقيل توفى فى ثامن عشرى صفر من العام المذكور وغيرهم ممن يطول ذكرهم.

والثانى عن الشهاب أحمد الخليفى المتوفى عصر يوم الأربعاء خامس عشر صفر سنة سبع وعشرين ومائة وألف ودفن من غده صباحا، والشهاب أحمد الملوى المتوفى منتصف ربيع الأول سنة إحدى وثمانين ومائة وألف، والجمال يوسف الملوى، والكمال عبد الرؤوف البشيشى المتوفى فى منتصف رجب سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف، والشيخ عيد الديوى، والشيخ عيد النمرسى، والشهاب أحمد بن البقى، واستدعاء المترجم الإجازة لمن ذكر مع نصوص إجازاتهم له مسطور فى ديباجة أوضح المسالك وأسهل المراقي لتلميذه أبى عبد الله محمد الرهونى.

الآخذون عنه: أخذ عنه الشيخ الرهونى، والعلامة الحائك صاحب النوازل، وبصرى صاحب الفهرسة الآتية ترجمته وغيرهم من الأعلام المشاهير.

مؤلفاته: كان شرع فى تقييد حاشية على ابن سلمون، ثم لما نقل إلى بلدتنا الكناسية شغل بالتصدي للتدريس عن إتمامها، وله تقايد على حواشى كتبه من كتب التفسير وغيره، فلو خرجت طوره على الزرقانى والخطاب والمواق والشيخ مصطفى والشيخ بنانى لكانت حاشية عظيمة الجرم، وله طرر حسنة على الشيخ ميارة على التحفة قد أخرجها جماعة من حذاق تلامذته، وطرر على المرادى والتصريح وحاشيتى الشيخ يس عليه وعلى النظم لو أخرجت لكانت تأليفا حسنا مفيدا، وكذلك حواشيه على البيضاوى وعلى الجلالين، وكذا ما كتبه بحواشى المحلى على جمع الجوامع، وابن أبى شريف عليه وناهيك من أبحاثه وتحقيقاته ما ملأ به تلميذه الرهونى حاشيته العظمى نقلا عن خط المترجم.

ولادته: ولد في شهر رجب الأصب بمدشر ازجن المشار عام خمسة وثلاثين ومائة وألف.

وفاته: توفي بمراكش زوال يوم الاثنين ثالث عشر رمضان سنة مائتين وألف، ودفن عند الغروب بروضة مولاي إبراهيم الشريف العلمى من حومة القصور الشهيرة.

٢٦١ - محمد بن العلامة النظار محمد بن عبد السلام البيجرى المكناسى.

حاله: فقيه علامة، فاضل كامل، من بيت علم ومجد وقضاء، أديب شهير، حسيب نسيب، أريحي مهذب، ناثر ناظم خبير، كان وحيد عصره نظما ونثرا، وظرفا ولطفًا ونبلًا وأدبا وخبرًا، وقريحة سيالة، وأجوبة بديهة مسكتة، مع مروءة وحياء وحشمة وسمت حسن، ودين متين، تعرض لذكره ابن عثمان المترجم بعد فى رحلته المشار لها، وأتى بما تعاطاه معه من رائق مدام الآداب والظرف نظما ونثرا.

مشيخته: أخذ عن والده، وعن السيد الغازى بن عبود وغيرهما من فحول الأعلام.

الآخذون عنه: أخذ عنه السيد محمد فتحا بن محمد بصرى الآتى الترجمة وصاحب الثبت المشار له فى ترجمة السيد التهاى أمغار وغيرها صغرى السنوسى، وتلخيص المفتاح، وألفية ابن مالك من النواسخ إلى الوقف، والخزرجية وغير ذلك، ووصفه بالعلامة الدراكة الفهامة سيدى محمد بن الإمام العلامة الهمام فريد عصره سيدى محمد بن شيخ أهل زمانه المنفرد فى عصره وأوانه، سيدى عبد السلام إلخ، وحلاه فى موضع آخر بالأديب الألمعى، الأحوذى اللودعى، كما أخذ عنه غيره.

شعره: من ذلك قوله مخاطبا خله ابن عثمان عند أوبته من الديار الحجازية

أنشأها حين بلغه نزوله بتونس آييا:

منذ جاءت من تونس أخبار	تاق قلبى فما له استقرار
مدان عندى فلم يسع إنكار	توقان وأنس اجتمع الضد
تترامى دأبا به الأسفار	باشتيق لمفرد فى المعالى
صافه قد تؤنس الأفكار	والتأنس بالتفكر فى أو
مد فذاك السيار والدوار	قمر المجد سار فى فلك السعد
له فى غاية له اقصار	وتحرك ذا بتحريك هذا
منه متصل وتدنو الدار	أترى يسمح الزمان بقرب
فى منادمة له أسرار	فندال من النوى بسرور
طاف فيما جرت به الأقدار	مثل ما قبض الإله له الألال
بالمنى فى الهنا له استقرار	نرتجى دومه عزيزا كريما
	وقوله:

وعظيما جل إلفا	يا كريما عز وصفا
كل من بالعهد وفى	أنت أولى بالوفاء من
فهت اكرم صاح ضيفا	فاجمع الشمل كما قد
إلفه فى ذاك عرفا	إنما ينفع إلف
بل يقينا منك يلفى	هكذا المزحة ظنا
شأنها عندك خفا	إنك المرء احتمالا

فلتكن ساكن بال ذو النهى إن هم عفا
 كيف لا والشيب عال رأسه والماء جفا
 لكن الأليق حزم ومن المحذار خوفا
 فاسترب من يتزكى واحذر المألوف إلفا
 وقوله مجيبا إلفا له استدعاه:

السمع والطاعة منا لكم واجبة والأمر ممتثل
 نأتى على الرأس لمجلسكم إن لم تسارع نحوه الأرجل

نثره: من ذلك قوله مراسلا خله المترجم بعد: المبرز فى العلا، المحرز
 للمعلى، محبى فصاحة الأوائل، ومعبى سحبان وائل، كرم الله طلعتة، وحتم
 على الدهر طاعته، هذا وما عسيت أحلى، ولو حصلت لى ملكة المحلى، وأنت
 أعزك الله السفير بين الملوك، والوزير الذى هو فى عقد الوزارة فاخرة السلوك،
 فأتى يوصل إلى الأوج من فلك مجدك، ولا يقال للزوج إن له معنى من معانى
 فردك، بيد أنك حفظك الله كريم الأخلاق، وحضرتك العلية حضرة الإطلاق،
 فبساط أنسك لاشك أنه أرفع، لكن انبساطك فيه أوسع للنفس وأنفع، وهو وإن
 كان به الفرش المرفوعة، والأكواب الموضوعة، وألوان الطعام، مما طار كما قيل
 وعام، أو من غيرهما كذلك المشرب بالطيب، المشبه بقلنسوة الخطيب، فخطابك
 البليغ أفضل من ذلك كله وأجمل، ومنزعك اللطيف أوصل للنفوس بها وأحل،
 لأن ذوق معانى الكلام، ألد من ذوق ما فى الإناء من الطعام، ومما هزنى من ذلك
 الكلام، ولزنى فى المداعبة معك كما لز الألف مع اللام، ما أودعته فى رسالة
 الاستدعاء، من قولك والساق مشمر عن ساق، فإنه ذكرنى قول بعض المقاول:

لم أنس يوما ما قام يكشف عامدا عن ساقه كاللؤلؤ البراق
لا تعجب إن قامت لذاك قيامتى إن القيامة يوم كشف الساق
وإني لما حضرت ذلك المجلس الأبهـر، وأظهر فيه الساقى من شمائله ما
أظهر، إنما تاه فكرى فى لطف مناولته، ووصف مطالعته لرضاك ومحاولته، فغبت
بذلك عن ملاحظة الساق المشمر عنه، بل وعن الساعد الذى كان أقرب إلى منه،
نعم أتهم لك نفسى بنظرة أولى لمحياء، وكان القلب بها حياء، لكن قلت فى الحين
على الشذوذ إياى وإياه، فلعل السيد لنفسه هياه، والنظرة الأولى كما علمت معفو
عنها، وإذا سمح قدرك العالى بالمداعبة معنا فهذا منها، والسلام.

وقوله مجيبا صديقه الحميم المذكور، عن رسالة تزرى بقلائد النحور: سيدى
أدام الله لك السعادة، ولا قطع عنك من الإنعام ومديد الإكرام كما لم تقطع
عادة، ان هذه النفوس كما جاء تصدى كما يصدى الحديد فتأكد لذلك صقاتها
التى هى لنورها كالتجديد، وأن مما اتفق عليه رؤساء الحكماء، وأطبق عليه فحباء
العلماء، أنه لا بد لها من رياضة، إذ التدرىج حكمة هذا العالم إن كانت القدرة
فياضة، وصاحب القصر يهوى قبابه، وتارة رياضه، ويستحسن من أزهاره المختلفة
ما خالطت حمرة بياضه.

ولذا قيل:

لا يصلح النفس إذ كانت مدبرة إلا التنقل من حال إلى حال
وكما قيل أيضا:

تنقل فلذات الهوى فى التنقل ورد كل صاف لا تقف حول منهل
وفى المعنى:

أفد طبعك المكدود بالجد ساعة يريح وعمله بشيء من المزح

البيتين... وقد علمت أعزك الله أن اللذة انبساط باختلاس، وأكل اللذات استنباط حكم همم الجلاس، لأن همة المرء ميزان عقله، وبرهان فضله، وأكثر ما تظهر في قوله، المرء مخبوء تحت لسانه، وقد كان من تقدم من الكبراء والأمراء والوزراء يستعلمون جل أوقاتهم في هذا المعنى، يولعون به ويعنون أجل بذلك يولع وبه يعنى، إلخ.

وفاته: توفى فجأة في ثامن عشر رجب عام خمسة ومائتين وألف.

٢٦٢ - محمد بن عبد الواحد بن الشيخ الأموى المكناسى.

حاله: فقيه نبيه، زكى وجيه، مشارك متفنن نزيه، بذل حلاه العلامة أبو عبد الله محمد فتحا بن محمد الطاهر الهوارى، وقال فى حقه أبو حامد العربى بن على القسطنطينى ما لفظه: ممن ظهرت فى تحصيل العلوم رغبته، وبانت فيه مرتبته هذا على صغر سنه وشبابه ومع ذلك لكمال عقله بتوفيق الله إياه، صادف الصواب فى إدراك العلوم، وأتى البيت من بابه فما أحقه بقول من قال، وأحسن فى المقال:

إن الهــــــــلال إذا رأيت نموه أيقنت أن سيكون بدرا كاملا

ووصفه أبو محمد الطيب بن عبد المجيد بن كيران بقوله: الفقيه النجيب الدراكة اللبيب.

مشيخته: منهم أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصرى، وأبو عبد الله محمد التاودى بن الطالب بن سودة، وأبو عبد الله محمد بن محمد الطاهر الهوارى، وأبو حامد العربى بن على القسطنطينى الحسنى، والحارث بن المفضل الحسينى الحسنى، وأبو عبد الله محمد بن محمد البيجرى الأندلسى، وأبو عبد الله محمد بن أحمد بنيس الفاسى، وأبو العباس أحمد بن على الحسنى المدغرى،

والطيب بن عبد المجيد بن كيران، وحمدون بن عبد الرحمن بن الحاج السلمى، وغيرهم وأجازه جميعهم عامة، ووقفت على نصوص إجازاتهم له تركت جلبها اختصاراً.

الآخذون عنه: من أجلهم مسند فاس فى عصره أبو محمد التهامى بن المكى ابن رحمون الإدريسى، وأجازه عامة وقفت على إجازته له بخطه.

وفاته: توفى فى خامس عشرى جمادى الثانية عام ستة ومائتين وألف، حسبما وقفت على ذلك بخط تلميذه ابن رحمون المذكور بطرة إجازته له.

٢٦٣ - محمد بن الحسن الوكيلى.

حاله: العلامة الأكبر، المحقق المدقق، المشارك فى الفروع والأصول، الباهر فى المعقول والمنقول، المدرس النفاع، المتضلع الكثير الاطلاع.

مشيخته: أخذ عن سيدى أحمد بن عبد العزيز الهلالى ومن فى طبقته.

الآخذون عنه: أخذ عنه السيد محمد بصرى مؤلف إتحاف أهل الهداية ألفية ابن مالك، وشفاء عياض، وهمزية البوصيرى، والخزرجية، وتلخيص المفتاح، ولامية الأفعال وغير ذلك، وروى الموطأ من طريقه..

شعره: من ذلك قوله يرثى شيخه الهلالى:

سير الجبال من أكبر العلامات	على الفنا والزوال والقيامات
وهو الدليل على أن لا بقاء سوى	لمالك الملك بارئ الخليقات
مفنى الدهور وقاصم الظهور وقا	سم الشهور لأيم وساعات
إلى أن قال:	

فى كل يوم له شأن يفصله	لدى خلائقه من المرادات
------------------------	------------------------

إلى أن قال:

فكلهم عرضة لكل آفات
دامت وعمت لأفراد البريات
أعصارهم من غرائب الصناعات
يجبى إليهم من أقطار بعيدات
وما جرى فيهم من العقوبات
وما لساسان من آى عجيبات
به الردى فهوى بعد المجارات
وما أعد لملك من خزانات

قضى على خلقه بالموت أجمعهم
قضية سورها الكلى موجبة
أين القرون الألى مضوا وما صنعت
أين الملوك وأبناء الملوك ومن
وأين عاد الأولى وأين قوتها
وأين شدادهم وأين تبعهم
وأين دارا وقعد أدار دائرة
أين الحكيم وما حواه من ذهب

إلى أن قال:

وأين ما دوخوا من البلادات
وما لهم من وقائع غريبات
من زهرة وأفاخر النعومات
حتى سقاء الردى كأسا بأغمات

وأين أبناء مروان وملكهم
وأين ملك بنى العباس بعدهم
وأين أندلس وما بحوزتها
أين ابن عباد أين ملك أسره

إلى أن قال:

م الخطب منه الورى حتى الجمادات
طود العلوم وقودة لقادات
مجدد الدين غاية النهايات
هد الجبال ووقدة السماوات

مات الهلالى واختل النظام وعد
مات الإمام الذى عمت فضائله
شيخ الشيوخ فريد العصر قاطبة
فيالها فجعة حق لوقعتها

عم الصدا وعيون الأرض قد ييست
وغض بحر الندى مع الإفاضات
إلى أن قال:

وليبك من فقدته الإسلام أجمعه
فالشرق والغرب فيه فى مساوات
ولتبك عنه كراسى ومنبره
حتى اليراع لفقده الكتابات
وهى طويلة:

وفاته: توفى بعد ستة ومائتين وألف.

٢٦٤ - محمد فتحا بن محمد بن سمية بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر
ابن عبد الرحمن بن ولى الله أبى موسى عمران.

البصرى بالتعريف الأصل، المكناسى النشأة والدار، هكذا قال عن نفسه فى
استدعاءاته للإجازة من مشايخه.

حاله: فخر مكناس، وواسطة عقد أفراد السراة الأعلام، رواية رحالة،
علامة أترى محدث مسند، مقرئ حافظ لافظ، جماع مؤرخ، حجة فاضل جليل،
نبيل أصيل، مدرس نفاع، له مشاركة تامة وقدم راسخ فى العلم والدين والجلالة،
ذو قلم بارع وإلمام بالمهمات، رحل إلى فاس وقضى بها زمنا فى الأخذ عن أئمتها
الأعلام إلى أن ملأ من المعلومات الجراب، وأقر له بالتفوق فى سائر الفنون صدور
الشيوخ، ثم رحل للمشرق وحج وزار، ولقى الأخيار، ودخل مصر وغيرها من
الأقطار، واستفاد وأفاد، وكانت رحلته للحج سنة ثلاث ومائتين وألف حسبما ذكر
ذلك عن نفسه لدى إيراده للحديث المسلسل بالضيافة.

مشيخته ومروياته: أخذ عن والده العلامة الزاهد محمد بن العلامة محمد
ابن الإمام الخير الألعى عبد الرحمن البصرى السابق الترجمة، قرأ عليه بعضا من
الرسالة والألفية، والمختصر، والمرشد، والأجرومية مرارا، وسلكات من سور

القرآن، والترغيب والترهيب للمندري، والذخيرة للشرقاوى، وأخذ هو عن أولاد العميرى وغيرهم.

وأخذ عن الغازى بن العربى بن عبود المتوفى فى التاسع والعشرين من صفر عام سبعة وثمانين ومائة وألف الألفية والمختصر، واللامية والجميل، والصغرى والقلصادى، والآجرومية، وابن عاشر، والرسالة، واصطلاح القاموس، وبعض التفسير، والبخارى، والتلخيص.

وأخذ عن أبى عبد الله محمد بن محمد بن عبد السلام البيجرى ما تقدم ذكره فى ترجمته.

وأخذ عن أبى حفص عمر بن الحسن الصنهاجى المتوفى فى الثانى والعشرين من جمادى الثانية عام سبعة وتسعين الألفية، والمختصر، والآجرومية، واستفاد منه كثيرا.

وأخذ عن أبى محمد المهدي بن العلامة الطيب بن الصغير بصرى المتوفى فى العشرين من جمادى الأخيرة عام ثلاثة وتسعين الألفية، والمختصر، والآجرومية، والصغرى.

وأخذ عن أبى عبد الله محمد بن القاضى الطيب بصرى الآتى الترجمة الألفية، وبعض المختصر.

وعن التهامى بن الطيب أمغار السابق الترجمة، قرأ عليه الألفية واستفاد منه فوائد علمية.

وعن العلامة أبى عبد الله محمد بن الحسن الوكيلى المترجم قبله.

وعن الإمام محمد الجنوى الحسنى، قرأ عليه المختصر، والبخارى، والتلخيص، والألفية وابن السبكى.

وعن الشريف مولاي محمد بن السيد تلميذ أبي العباس الهلالي قرأ عليه السلام، واستفاد منه.

وعن العلامة المقرئ السيد مبارك الشيطمي السالف الترجمة، قرأ عليه القرآن العظيم مرات متعددة بما يحتاج إليه من رسم وضبط وغيرهما.

وعن أبي عبد الله محمد بن عبد السلام الفاسي.

وعن العلامة أبي عبد الله محمد بن أحمد بنيس، وعن الشيخ أحمد بن عمار بن عبد الرحمن بن عمار الجزائري، وعن الشيخ عبد العزيز بن حمزة المراكشي.

وأخذ عن العالم الموقت أبي عبد الرحمن محمد السعيد بن الموقت عبد القادر بن الموقت محمد بن الموقت عبد الرحمن بن محمد الفاسي به عُرِف، الشاوي المعزوي المترجم جده فيما تقدم، قرأ عليه التوقيت علماً وآلة قراءة تحقيق، وإمعان نظر وتدقيق.

وعن الموقت ابن عبد الله محمد بن الفقيه محمد بن أحمد المصمودي، قرأ عليه التوقيت أيضاً علماً وآلة.

وأخذ عن العلامة أبي عبد الله محمد بن الحسن بناني محشي الزرقاني المتوفى عام أربعة وتسعين، التفسير، والكتب الستة، والموطأ، ودلائل الخيرات، ووظيفة الشيخ زروق، وأحزاب الشاذلي، وحزب النووي، وحزب الفلاح، والمشيشية، وحصن الحصين، والحكم، والنصيحة الكافية، والتسهيل، والألفية، والمختصر، وألفية العراقي في الاصطلاح، وسنن المهتدين، والتوضيح، والصغرى، وعقائد النسفي، وتحفة ابن عاصم، وأقرأ بحضرته وحضه على الدأوب على ذلك.

وأخذ عن العلامة سيدى زيان العراقى المتوفى فى الثامن والعشرين من جمادى الأول عام أربعة وتسعين لازمه أربعة أعوام ونصفا صباحا ومساء، كان يقرئ التفسير فى الغلس وبعده فى مجلس واحد البخارى، وفى الضحى المختصر، وبعد الظهر التسهيل، وبين العشاءين المرشد وغير ذلك مما كان يتداوله إذا فرغ من بعض تلك الكتب.

وعن الشيخ التاودى ابن سودة لازمه مدة مديدة وقرأ عليه التفسير، وبعض المختصر، وابن عاصم، والزرقاوية، والألفية، وجامع الشيخ خليل، وابن السبكي، والحكم، وبعض الكتب الستة، والموطأ والشمال، والدلائل ووظيفة زروق، وحزب الشاذلى الكبير والصغير، وحزب النووى، وحزب الفلاح للجزولى، والمشيشية، والحصن واستجازه فأجازه وأقرأ بحضرته فرضى بذلك وحضه على الدءوب على ذلك.

وعن العلامة الداركة الشيخ عبد الكريم بن عمر بن على بن أبى بكر الزهنى المعروف باليارغى المتوفى أواخر عام مائتين وألف لازمه مدة مديدة، وقرأ عليه الموطأ وأوائل الكتب الستة والألفية، والمختصر، والسبكي، والمغنى، واستجازه فأجازه.

وعن العلامة أبى محمد عبد القادر بن أحمد بن العربى بن شقرون، لازمه سنين عديدة، وقرأ عليه المختصر، والألفية، واللامية، والتلخيص، والسلم وأوائل الموطأ، والصحيحين، والشمال، والشافا.

وأخذ فى رحلته الحجازية عن الشيخ مرتضى الحسنى الزبيدى الحنفى، والشيخ محمد بن محمد بن أحمد بن عبد القادر الأمير، والشيخ أحمد بن موسى البيلى - بكسر الموحدة - المالكين، والشيخ سليمان العجيلى - بكسر المهملة وفتح الجيم وسكون الياء وكسر اللام مشبعة - الشهير بالجميل، والشيخ محمد بن

أحمد الجوهري بضم الجيم الخالدي، والشيخ أحمد العروسي، والشيخ عبد الوهاب بن محمد بن علي الشبروي المصري الشافعيين، والشيخ صالح بن يوسف بن مصطفى المقدسي الحنبلي الأزهرى شيخ حنابلة مصر.

أما مروياته فقد أخذ رواية ورش عن شخيه الشيطمي، وهو عن الأستاذين السيد علي الخراز والسيد المهدي بن الحاج أحمد بن موسى بارة المتوفى سنة ثلاث وسبعين بتقديم السين ومائة وألف، كلاهما عن سيدى إدريس المنجرة.

وأخذها أيضا عن محمد بن عبد السلام الفاسي عن عبد الرحمن المنجرة عن والده إدريس المنجرة، عن أبي عبد الله محمد السرغيني الشهير بالهوارى، عن عبد الرحمن بن أبي القاسم بن القاضي، وأخذها أيضا عن شيخه الأمير المصري والشيخ مرتضى الزبيدي.

وأخذ عن السيد مبارك أيضا بالأسانيد المذكورة، والشيخ مرتضى والأمير رواية قالون، والبزى، وقنبل، والسوسي، وهشام، وابن ذكوان، وشعبة، وحفص، وخلاد، والدوري، وأبي الحارث.

وأخذ عن الأمير والشيخ مرتضى الزبيدي رواية ابن جمار، وابن وردان وروح، ورويس، والوارق، وإدريس، وخلف.

وأخذ الموطأ برواية يحيى بن يحيى الليثي عن السيد الغازي بن الحاج العربي ابن عبود المكناسي، عن الحاج علي بن عبود، عن محمد بن سالم بن أحمد الحفنى، وأخذها أيضا عن الشيخ محمد بن محمد بن أحمد بن عبد القادر الأمير والشيخ أحمد بن موسى اليبلى، والشيخ مرتضى الحسيني الحفنى، والشيخ سليمان العجيلي، والشيخ محمد بن أحمد الجوهري، والشيخ أحمد العروسي كلهم عن أبي عبد الله الحفنى.

وأخذها بالرواية المذكورة أيضا عن الشيخ محمد بن الحسن بناني، عن الشيخ محمد بن عبد السلام بناني، عن الشيخ محمد بن عبد القادر الفاسي، عن الملا إبراهيم الكردي.

وأخذها أيضا عن الشيخ محمد بن الحسن الوكيل، عن أبي العباس بن عبد العزيز الهلالي، عن العجيمي.

وأخذها أيضا عن الشيخ عبد القادر بن شقرون، وعن الشيخ محمد بن أحمد بنيس، وعن الشيخ التاودي ابن سودة، والشيخ أحمد بن عمار بن عبد الرحمن ابن عمار الجزائري، وعن الشيخ عبد الوهاب الشبروي الشافعي المصري، والشيخ عبد الكريم المعروف باليازغي الفاسي، ومن طرق بعض هؤلاء الشيوخ روى روايات أبي مصعب، ومطرف، وابن الحسن، وأبي حذافة حسبما هو مبسوط في ثبته إتحاف أهل الهداية والتوفيق والسداد.

وأخذ صحيح الإمام البخاري عن السيد الغازي وبنيس المذكورين، وعن سيدي محمد بن الحسن بناني، والشيخ التاودي بن سودة، كلاهما عن ابن عبد السلام بناني، عن سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي، عن والده، وعن الشيخ صالح بن يوسف المقدسي الحنبلي، عن العدوي.

وأخذ صحيح مسلم عن ابن عبود، والوكيلي، والتاودي، وابن الحسن، بناني وبنيس، واليازغي، وابن شقرون، وعن صالح المقدسي، وعن الشيخ الأمير وغيره ممن ذكر من المصريين بأسانيد الموطأ المتقدمة.

وأخذ سنن أبي داود عن الغازي بن عبود، ومرتضي، وبناني بالأسانيد المتقدمة.

وأخذ جامع الترمذي، وسنن النسائي الصغرى المجتبى، عن ابن عبود وبناني، والجزائري، والمقدسي، والمصريين.

وأخذ سنن النسائي الكبرى عن شيوخه بناني، والجزائري، والعروسي.

وأخذ عنهم أيضا بأسانيدهم المسطرة في ثبته سنن ابن ماجه، ومسند الشافعي، ومسند الإمام أحمد، ومسند الدارمي، والمخلص لأبي الحسن المعافري، والتقصي لابن عبد البر، ومسند الطيالسي، والأدب المفرد، ومسند عبد بن حميد، ومسند البزار، وعمل اليوم والليلة.

وأخذ معاجم الطبراني الكبير والوسط والصغير عن الأمير وغيره من شيوخه المصريين المذكورين في أسانيد الموطأ، وكذلك مكارم الأخلاق للطبراني، ومسند أبي يعلى التميمي الموصلي، ومسند ابن مخلد الشيباني.

وأخذ صحيح ابن حبان عن العروسي وغيره من المصريين وكذلك سنن الدارقطني، ومستدرک الحاكم، والحلية لأبي نعيم، ومسند الإمام أبي حنيفة، - ومن طريق الجزائري أيضا - ومسند القضاعي، وأخذ مسند الفردوس عن الأمير وغيره من المصريين، وكذلك كتاب الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا، وكتاب ذم الملاحى، وكتاب قصر الأمل، وكتاب التوكل، وكتاب محاسبة النفس كلها له، وعن العروسي وغيره من المصريين كتاب اليقين، وعن الأمير وغيره من المصريين كتاب الدعاء، وكتاب الشكر لابن أبي الدنيا، وعن ابن الحسن بناني والأمير وغيره من المصريين مشكاة الأنوار لابن عربي، وكذا سائر كتبه.

وعن بناني والجزائري والعروسي الأربعين للنووي، وعن الأمير وغيره من المصريين الأربعين للباخرزي، وكذلك الأربعون حديثا لأبي منصور النيسابوري، والأربعون للشيباني، وعن العروسي الأربعين لأبي بكر الأجرى والأربعين للبلدانية للسلفي، وعن الجزائري والأمير والعروسي والجوهري المصاييح للبعغوي.

وعن الغازي بن عبود، وابن الحسن بناني، والجزائري، والشيخ مرتضى الشفاء للقاضي عياض وسائر كتبه، وعن الأمير وغيره من المصريين مشكاة الأنوار للتبريزي، وعن العروسي ثلاثيات عبد بن حميد تخريج الحسيني، وعن بناني والجزائري والجوهري والعروسي الجامع الكبير والصغير للسيوطي، وعنهم أيضا الترغيب والترهيب والشمائل للترمذي، والجوهري معاني الأثر، وعن الأمير وغيره من المصريين عوارف المعارف، وعن الجزائري والأمير والعروسي مصنفات الصاغاني، وعن الجزائري والأمير كتاب شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي، وعن الأمير والجوهري مسند الهداية للبرهان المرغيناني، وعن العروسي والأمير وغيره من شيوخه المصريين سنن البيهقي، وعن الأمير متقى ابن الجارود، وعنه وغيره من المصريين مسند ابن أبي شيبة، ومسند أبي عوانة، ومسند سعيد بن منصور، وصحيح ابن خزيمة، والخلعيات للموصلی، ومسند الحارث بن أبي أسامة، وصحيح الإسماعيلي، وتأليف أبي الشيخ، وكتاب الزهد والرقائق لابن المبارك، ونوادر الأصول للحكيم الترمذي، ومسند ابن راهويه، والدرة الطاهرة للدولابي، ومسند بقي بن مخلد، وتاريخ ابن معين، ومصنف وكيع، وتأليف أبي مهدى عيسى الثعالبي الجزائري ثم المكي، وابن شاهين، ومسند الحميدي، ومعجم ابن قانع، وعشاريات القلقشندي، والفوائد الغيلانيات وتأليف الحسن بن عرفة وأصول الإسلام الأربعة للداني، ومكارم الأخلاق للخرائطي، ومصنفات ابن أبي حاتم، ومؤلفات الخلال، وجامع الأصول لرزين وتأليف ابن الجوزي وأبي بكر الأزرقي، وعن العروسي كتاب القرية لرب العلمين، في فضل الصلاة على سيد المرسلين، لابن بشكوال، ومشيخة ابن البخاري، والإعلام، بفضل الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام للنميري.

وعن الأمير تأليف عبد الحق، وتأليف السهيلي، وشرح ابن ماجه للبرهان الحلبي، والعشرة الغوالي للرئيس الأصبهاني، وعن بناني الأبى، وعن الشبراوي

تيسير الأصول، ومؤلفات البقاعي، ومؤلفات إسماعيل اليمنى، والقاضى المزجد وشرح الشفا للدجلى.

وكذلك روى عن أولئك الشيوخ تصانيف العراقي، والسحناوى، والسنباطى وزكريا، وابن حجر، والقسطلانى، والزرقاتى، والشبراملى، والغيطى، والمتاوى، والمهيتمى، والشوبرى، والفرغانى، والذهبى، والقرطبى، وابن عبد البر، ومقدمة ابن الصلاح، وشرح البخارى لابن الملتن، والكرمانى والفصل بين الراوى والواعى لابن خلاد.

وروى عن شيخه الفاضل العالم النبيل الكامل المسن البركة الشيخ عبد العزيز ابن حمزة المراكشى المسلسل بالأولية سمعه منه بالحرم المكى تجاه الكعبة، وبالحرم المدنى تجاه قبر النبى ﷺ، وهو سمعه من مرتضى، وعن بنانى وغيره من الشيوخ المذكورين المسلسل بالمصافحة والمشابكة والسبحة، إنى أحبك، وقراءة سورة الصف، والقبض على اللحية، وسلسلة الذهب، والمحمدين، والمصريين، وقراءة الفاتحة، ومناولة الطاقية القادرية المعروفة فى المغرب بالعراقية، ومسلسل تلقين لا إله إلا الله، ومسلسل الصوفية والفقهاء، وقول: والله إنه -حق إن شاء الله، وقول: جعلك الله نوراً يستضاء به فى المشارق والمغارب فى الأذن اليمنى، ومسلسل قص الأظفار يوم الخميس ومسلسل يوم العيد ويوم عاشوراء والأحمدين.

وكذلك روى الاكتفاء، وعيون اليعمرى، والدرر لابن عبد البر، وتاريخ ابن خلدون، وسيرة ابن إسحاق، والواقدى، والحلبى والشامى، وابن فارس، والمحب الطبرى، وشرح ألفية العراقي لياسين الخليلي.

وأما مصنفات علوم القراءات فروى منها مؤلفات الشاطبى، واليسير وشرحه، ونظم الفريد، وتهذيب الخافقى، ومؤلفات الصَّفَّار، وأبى الحسن بن سليمان، والجعبرى، وتعريف السهيلي فى المبهمات، ومقنع الدانى، وممتع ابن

الكماد، ومختصر ابن البقال، وتكملة القيحاوي، والحصرية والحقانية والبارع،
روى ذلك عن شيوخه ابن عبد السلام الفاسي، والشيزمي وغيرهما.

وروى في علم الرسم والضبط تأليف الخراز، وابن نجاح، وابن عاشر، وابن
بري، وشرح الخراز للتنسي، وأبو جبر على الدرر لابن مسلم.

وعن الأمير بمحضر جماعة من العلماء بالزواية الناصرية المجاورة لداره بمصر
القاهرة في سادس عشر شوال عام ثلاثة ومائتين وألف، المسلسل بالضيافة على
الأسودين، والمسلسل بقول أشهد بالله وأشهد لله كما قال ذلك المترجم عن نفسه
في ثبته.

وعن ابن الحسن الوكيلی، وابن الحسن بناني، والعروسي، تفسير ابن عطية،
وسائر مصنفاته، وهداية مكي.

وعن الغازي بن عبود، وابن الحسن الوكيلی، والجزائري، تفسير البيضاوي
وسائر مصنفاته.

وعن بناني، والأمير تفسير ابن جرير.

وعن بناني تفسير الثعلبي، وعنه وعن الأمير والعروسي تفسير الواحدی،
وتفاسير أبي حيان الثلاثة.

وعن بناني تفسير أبي السعود، والكواشي، وعنه وعن العروسي تفسير
الفخر الرازي.

وعن الجزائري والجوهري والعروسي تفسير البغوي وسائر مؤلفاته، وكذلك
روى تفاسير السيوطي وبقي ابن مخلد، والمحلي، والخازن، والسفاقي،
والحاتمي، والثعالبي، والزمخشري، والماوردي، والسلمي، والاعتبار للحازمي،
وبيان المن لابن الطليسان، وأخلاق حملة القرآن للأجري.

وروى عن والده محمد بن محمد بن عبد الرحمن بصرى، عن أبى القاسم العميرى، عن أبى العباس الشدادى، عن أبى العباس بن الحاج، عن سيدى عبد القادر الفاسى.

وكذلك عن ابن الحسن بنانى والشيخ التاودى كلاهما عن ابن عبد السلام بنانى كتب الفقه المالكى، كمختصر خليل، وابن الحاجب، ودؤلفات البرادعى، وابن عرفة، والقرافى، والمواق، وابن أبى زيد، وابن عبد السلام، وابن رشد، وحلولو، والرصاع، والبرزلى، والمشدالى، وابن ناجى، والتتائى، والمقرى والوانوغى، وابن الجلاب، والفاكهانى، والمازرى، وابن بشكوال، والخرشى، وابن راشد، والبساطى، والقباب، واليزناسنى، وابن فجلة الزرقانى، والجنان، والخطاب، والمكناسى، والزقاق، وعبد الرحمن الفاسى العارف، ويابا السودانى والسنهورى، والبدر القرافى، والمعيار، والمنجور، وابن فرحون، وابن جماعة، واللقانى، وابن رحال، والنفراوى، والأجهورى، وعبد الوهاب، وابن شاس وابن عمر، وابن عاشر.

وعن الجزائرى، والعروسى، والأمير، والبيلى، والشيخ مرتضى، والشيخ الجمل عن عطية الأجهورى فقه الشافعى.

وروى فى الفقه الحنفى عن التاودى ومرتضى عن مشاهير علماء الحنفية، وروى فقه الحنابلة عن التاودى وصالح المقدسى.

وروى من الفهارس فهرسة ابن غازى، وابن حجر، وزكرياء، والمتورى، والقصار، وزروق، وابن الزبير، والوادى آشى، والبديرى، والبصرى، وأبى سالم العياشى، وحسن العجيمى، ورحلة ابن رشيد.

وروى فى علم الكلام مصنفات الأشعرى، والرازى، وابن زكرى، والسنوسى، والنسفى، وإمام الحرمين، والكورانى، والماتريدى، والعضد، والسعد، والباقلانى، والبقاعى، واللقانى.

وروى فى أصول الفقه مصنفات التقي السبكي وولده التاج، والمحلى
والعراقى، وابن أبى شريف، وابن دقيق العيد، والعضد، والعصام، وابن
الحاجب، ومراصد الفاسى.

وروى فى النحو كتاب سيبويه، ومصنفات ابن مالك، وابن هشام،
والمكودى، والبجائى، ويحيى الشادى، والراعى، والزياتى، والقدمى، وابن
المجراد، والشاطبى، وأبى حيان، وابن أجروم، والسيوطى، وابن الحاجب،
والعينى، والمرابط الدلائى، وعبد السلام القادري.

وروى فى علم المعانى والبيان تأليف الفزوينى، والعباسى، والجرجانى،
والعصام، والسعد، والجربى، والولالى.

وروى فى اللغة وفقهها القاموس، والصحاح، وأفعال ابن القوطية،
والفصيح، والزبيدى، وألفاظ ابن السكيت، والمقصورة الدريدية، والحازمية،
وأدب الكتاب، ومصنفات الحريرى، وأبى منصور الثعالبى، والقلائد، وديوان
الستة وشعر المتنبى، وأبى تمام، والمعرى.

وروى فى الأنساب تأليف الرشاطى، وعبد الحق، وفى علم التعبير المرقبة
العليا، وابن جابر، وفى العروض الخزرجية وشرحها للغرناطى، وزكريا، وفى
المنطق شروح السلم لآبى مدين السوسى، والعربى بردلة، وقدورة، وشرح
المختصر للولالى، وفى علم الأوقاف تأليف العربى الفاسى والجزنائى، وفى
الهندسة كتاب ابن ليون، وابن الرقام.

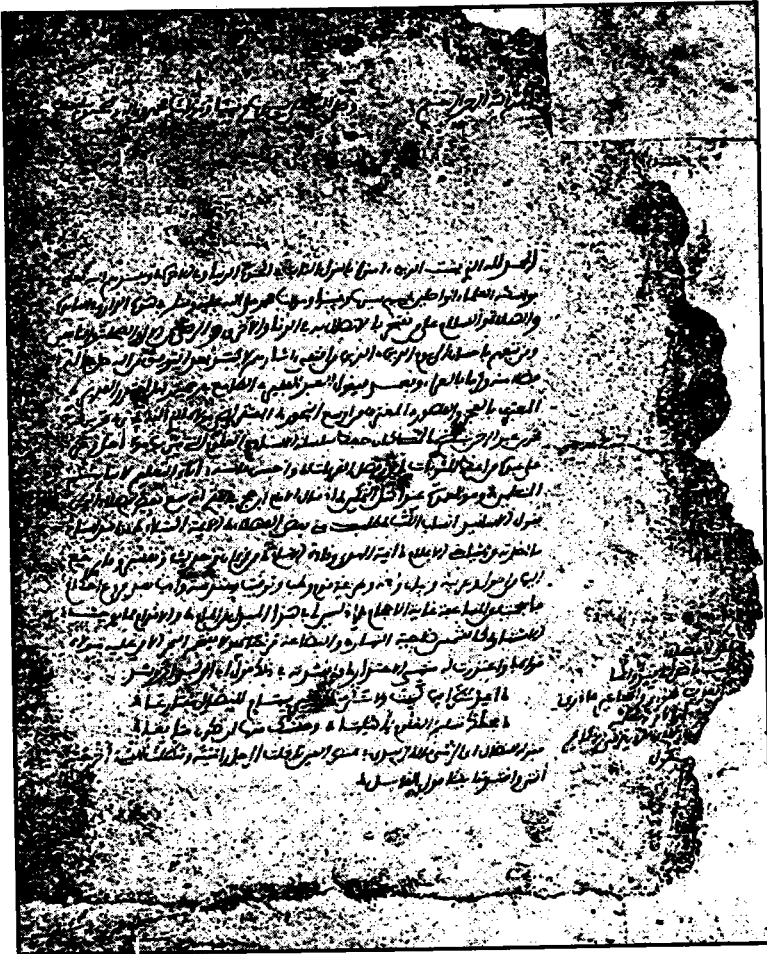
وروى فى الطب تأليف ابن زهر، والحفيد ابن رشد، وابن الخطيب،
والشقوقر، وابن نفيس، وفى الحساب مؤلفات القلصادى، وابن البناء، وابن قنفذ،
والمنية.

وروى فى الفرائض الحوفى، والتلمسانية، وشرحيهما للسنوسى، وكتب الطنجائى، والعقبانى، والقلصادى، والسيتانى.

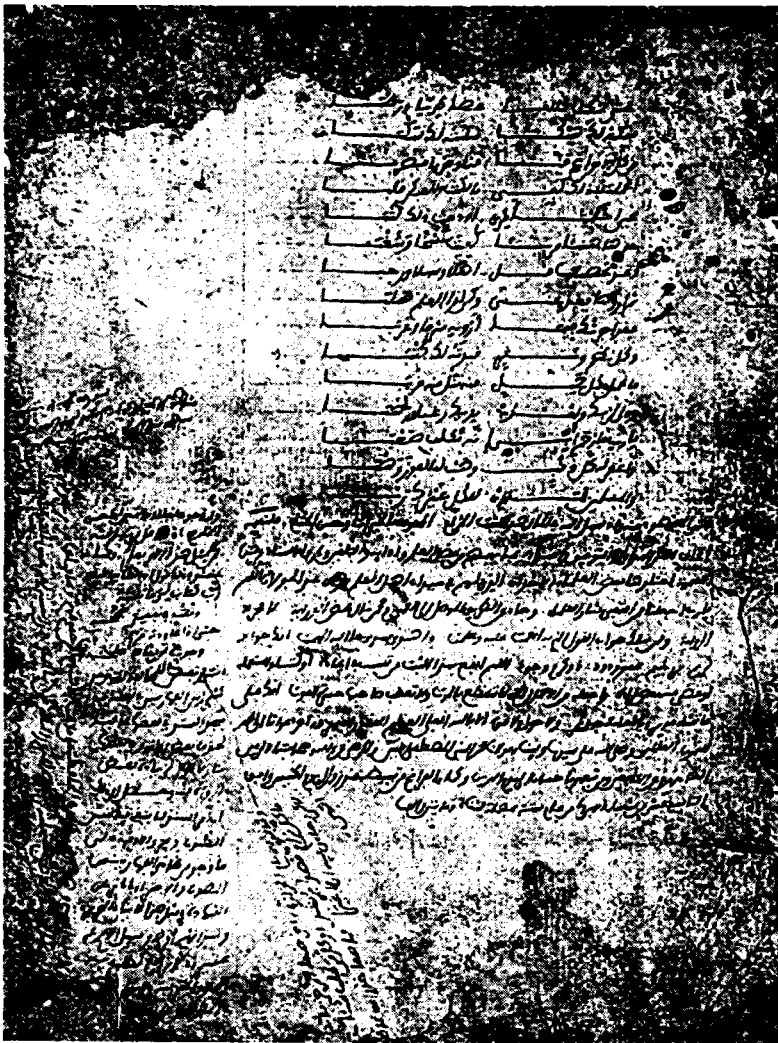
وروى فى التوقيت والتعديل والأسطرلاب روضة الجادري، وشرحها للماواسى، والزجنى، وابن القاضى، وكتب ابن الرقام، وابن الكماد، وابن البناء، وابن الحباك.

وفى التصوف روى كتب زروق وابن القيم، وابن عطاء، وابن عباد، والساحلى، والبوصيرى، والسنباطى، والقوت، وتذكرة القرطبى، وصفوة ابن طاهر، ومصنفات الشعرانى، والنوى، واليافعى، والقصرى، والحرانى، وابن الفارض، والسهورردى، وإمام الحرمين، والغزالى وابن مت الهروى، والقشيرى، وأبى مدين، والجيلانى، وابن مشيش، والشاذلى، حسبما هو مبسوط بأسانيده المتعددة وطرقه فى ثبته المشار له آنفا.

مؤلفاته: منها ثبته الحفيل الدال على غزارة علمه وسعة رحلته وشدة اعتناؤه بالدراية والرواية المعنون بإتحاف أهل الهداية والتوفيق والسداد، بما يهمهم من فضل العلم وآدابه والتلقين وطرق الإسناد، قال فى أوله: رأيت هذا الأمر على أكيد، إذ قطعت على أخذ العلم دراية ورواية بعض مشارق الأرض ومغاربها برها وبحرها بريدك فى بريد، ومع ذلك تخاطب بلسان حالها هل امتلأت؟ وأقول أما من الخيرات فلا نقنع بل هل من مزيد، ذكر فيه أسانيده أولاً، ثم أوائل كتب الحديث، وختمه بآبواب وفصول فى فضل العلم وآداب الطلب وما يتعلق بذلك من الفوائد مع ذكر الشيوخ الذين أخذ عنهم بالقراءة أو الإجازة، وثبته هذا بخطه فى أصله بمكتبتنا، ومنه انتسخت بعض النسخ لبعض أصدقائنا وقد سقطت منه بعض أوراقه فى موضوعين أولها عند ذكره أوائل كتب الحديث، والثانى عند ذكر شيوخه.



أول صحيفة من فهرس بصرى بخطه فى مسودته



آخر صحيفة من فهرس بصرى بخطه

أما وفاة المترجم فلم أقف عليها، نعم صرح هو عن نفسه بأن تاريخ فراغه من تبييض ثبته المذكور كان زوال يوم الخميس التاسع عشر من شعبان عام ستة ومائتين وألف كما ذلك بخطة آخر الثبث المذكور.

وقد أضاعه قومه خصوصا، وأهل بلده عموما، وأى فتى أضاعوا، فلم أر من يعرفه من أقاربه وبني جلدته فضلا عما يعتنى بالأخذ والرواية عنه أو بشيء من آثاره وأخباره.

وهذا البيت البصرى قد أفككت اليوم شمسوه وأقماره فلم يبق فيه أحد ممن يذكر بعلم أو فهم على ما سلف فيه من الأئمة الأعلام والأولياء الأخيار.

٢٦٥ - محمد بن العلامة القاضى أبى عبد الله محمد الطيب بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الواحد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن ولى الله أبى موسى عمران بصرى.

أحد كبار الأولياء العظام الشأن.

حاله: له فى المعقول والمنقول رسوخ وثبات، وهجوم على حل الغوامض ووثبات، إمام همام، تاج مفرق الأعلام، مدرّس نفاع.

مشيخته: أخذ عن الغازى ابن عبود، وأبى حفص عمر الفاسى، وغيرهما.

الآخذون عنه: أخذ عنه أبو عبد الله بصرى صاحب إتحاف أهل الهداية ألفية ابن مالك وبعض مختصر خليل، وأخذ عنه غيره من النقاد.

وفاته: توفى ضحى يوم الجمعة تاسع رجب عام ثمانية ومائتين وألف ودفن بعد صلاة الجمعة بزاوية سيدى محمد الغمارى، قرب سيدى عمرو بوعودة، وقبره ما بين السارية الأولى عن يسار الداخل، وبين الباب مستصلا بالسارية، وحضر جنازته خلق عظيم رحمه الله ورضى عنه.

٢٦٥ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٢٤٥١/٧.

٢٦٦ - محمد بن عبد الوهاب بن عثمان الكاتب السفير الرحالة الوزير الكبير المكناسى النشأة والدار.

حاله: فقيه علامة أديب أريب نبیه، حسن البديهة، قوى العارضة، شاعر مفلق، نقاد كاتب بليغ، يطرز كتابته بفنون البلاغة والإنشاء، وفق ما يشاء، اصطفاه أمير المؤمنين سيدى محمد بن عبد الله لسرد الكتب وهو إذ ذاك فى عنفوان شبابه، وقد كان مورقا وواعظا بمحل أبيه، ثم اتخذه كاتباً فى بساطه الملوكى، ثم قلده الولاية بتطوان مدة أعوام كما للزيانى فى الفهرسة، ثم استوزره. وكان من أهل الفضل والدين قائما بمأموريته أحسن قيام، وكان منقطعا لتيمة الأشراف مولاى على بن أمير المؤمنين سيدى محمد بن عبد الله، وله فيه أشعار رقيقة وأمداح رائقة فغمره إحسانا وإنعاما وامتنانا.

ثم استعمله السلطان المذكور فى السفارة بينه وبين الدول، فجال بسبب ذلك فى أوروبا وإفريقية وآسيا وما بينها، أرسله أولا سفيرا عنه لدولة إصبانيا وملكها كارلوس الثالث للنظر فى أمر الأسارى المسلمين الذين عندها وكان ذلك سنة ١١٩٣، فعقد معها معاهدة، وألّف فى ذلك رحلة.

قال «شيني» قنصل فرنسا لذلك العهد بسلاّ فى صحيفة ٥١٩ من الجزء الثالث من كتابه عن المغرب المطبوع بباريس سنة ١٧٨٧: إن الخلاف الذى وقع بين فرنسا وإنكلترا غير الحاله الساسية بأوروبا، فرأت إصبانيا أن ذلك يساعدها على تجديد العلاقات مع المغرب، فجدد السلطان معها الصلح والعلائق إجابة لسعيها وذلك سنة ١٧٨٠ بواسطة ابن عثمان وقبل بكل ارتياح جميع المطالب الإصبانية.

ثم وجهه ثانيا سفيرا لحكومة مالطة وناپولى فباحث الأولى سنة ١١٩٥ فى شأن الأسرى، وعقد مع ملك ناپولى اتفاقا، وألّف فى هذه السفارة رحلة أخرى.

٢٦٦ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٢٤٦٣/٧.

ثم رحل للحج مقلدا التكاليف المولوية فى سفارة ثالثة للدولة العثمانية وذلك سنة ١٢٠٠، وكانت مبارحته رباط الفتح - حيث كان حلول الركاب الشريف ثم - مهل المحرم فاتح السنة المذكورة ودخل القسطنطينية العظمى ودمشق الشام والقدس الشريف وزار الخليل ودخل الجزائر وتونس وتلمسان، ولقى أعلام تلك البلاد، واستفاد وأفاد، ثم آب لمسقط رأسه، ومحل أنسه، مكناسة الزيتون، حيث له الأهل والإخوان والبنون، ضحوة يوم الثلاثاء لست بقين من شوال عام اثنين ومائتين وألف وكتب فى ذلك رحلة أخرى، وقد أسلفنا شرح ما وقع له فى هاتين السفارتين ملخصا من رحلتيه فيهما فى فصول العلائق السياسية من الترجمة المحمدية.

ثم عثرت بعد ذلك على كلام بعض المؤرخين من الإفرنج يدل على أنه تولى السفارة أيضا للسُلطان المذكور إلى إمبراطور النمسا، وأنه تولى السفارة من بعده لولده مولاى اليزيد إلى دولة الإصبان، فقد ذكر «أكراير دى همسو» فى صحيفة ٢٣٤ من كتابه الموضوع باللغة الإيطالية المسمى (بالمظهر الجغرافى والتاريخى للمغرب) المطبوع بجنيف سنة ١٧٣٤: أن ابن عثمان توجه سفيراً ل نابولى ثم سار منها سنة ١٧٨٣ إلى فيينا عاصمة النمسا من قبل السلطان لعقد معاهدة سلمية تجارية بين الدولتين، وكان إمبراطور النمسا يومئذ: جوزيف الثانى.

وقد تكلم على هذه السفارة أيضا القنصل شينى فى كتابه المذكور وطوماسى فى صحيفة ٣٠٥ من كتابه: المغرب وقوافله أو علائق فرنسا مع المغرب، المطبوع بباريس سنة ١٧٤٥ إلا أنهما لم يتعرضا لاسم السفير الذى هو ابن عثمان صاحب الترجمة.

وقال همسو المذكور فى صحيفة ٣٦ من كتابه: مختصر الأدب التاريخى فى المغرب، وهو جزء صغير تعرض فيه لذكر من ألف فى المغرب من سائر الدول طبع بليون سنة ١٨٢٠: أن عثمان كان وزيرا صدرا عند السلطان سيدى محمد بن

عبد الله، وأن بعض رجال حاشيته المرافقين له فى سفارته لنابولي وفينا ألف رحلة فى جزء صغير، وأنه رأى نسخة من هذه الرحلة وبها صور وأبنية شاهدها بأوربا.

وذكر همسو أيضاً فى كتابه المذكور أن المولى اليزيد وجه ابن عثمان سفيراً للمريد، ولم أر أحدا غيره تعرض لهذه السفارة، وعلى كل فقد حفظ زيادة على أنه للمنافى لقوله: ولما وردت سفارة أصبانيا على المولى سليمان لتجديد المعاهدات السابقة بينها وبين المغرب كلف وزيره المترجم بمفاوضتها وإمضاء ما يقع الاتفاق معها عليه فعقد معها معاهدة عام ١٢١٣ الموافق لعام ١٨٩٩ المشتملة على ثمانية وثلاثين مادة وشرطا، وفى صحيفة ٦١ من السنة الثامنة من جريدة المنيطور الجمهورية، أن هذه المعاهدة التى أوقعها ابن عثمان مع إصبانيا تعد خطوة جديدة فى سبيل التقدم والمدنية، وذكر طماسى المذكور فى صحيفة ٣٦١ من مؤلفه المشار إليه أن مولاى سليمان ووزيره الأكبر ابن عثمان عرفا كيف يقاوما أعداء فرنسا وإصبانيا حليفتهما، فلذلك لما بعثت إصبانيا هداياها للسلطان وتبعته إنكلترا بهداياها التى ضاعفت فيها هدية الإصبان سعيها فى قطع علائق الدولتين مع المغرب لم تنجح فى مساعيها.

هذا وقد كانت بين صاحب الترجمة وبين عصره ومشاركه فى الكتابة والتقدم أبى القاسم الزيانى المؤرخ منافسة تعرض الزيانى لبعضها فى رحلته الترجمانية وغيرها من كتبه، ونال من المترجم على عادته مع معاصريه وغيرهم، قابله الله بالعفو والغفران آمين، وذكر أنهما اجتمعا معا فى الأستانة وكل منهما حامل لأوامر ملوكية، وأن الدولة العثمانية اعتنت بالزيانى لمحافظته على آداب السفارة بين الملوك أكثر من اعتنائها بالمترجم مع كونه هو السابق فى الورود عليها، وأن المترجم غار من ذلك وحدثت بسبب ما ذكر بينهما وحشة تفصيلها فى رحلة الزيانى.

مشيخة: أخذ عن أمير المؤمنين مولانا سليمان.

وأخذ بالقدس عن القدوة البركة العارف الشريف الشيخ أبي السعود محمد الماذون بالخلوة القادرية والخلوتية، قال عن نفسه: وصافحني بمصافحة شيخه في الطريقة السيد مصطفى بن كمال الصديقي الدمشقي البكري الخلوتي، عن الشيخ عبد اللطيف بن حسام الدين الحلبي، عن الشيخ مصطفى أفندي الأدرنوي، عن الشيخ علي خرباش، عن الشيخ إسماعيل الجروي بسنده المتصل المذكور في رحلة المترجم.

ولقي بالشام الشيخ المحدث سعد الدين الحنفي حفيد الشيخ عبد الغنى النابلسي، والشيخ كمال الدين محمد بن محمد الدمشقي الشهير بالغزى مفتي الشافعية، ومفتي الحنابلة الشيخ إسماعيل الجراعي، ولقي بتونس صالح علمائها الشيخ أحمد بن عبد الله بن محمد السوسي السكتاني المغربي، أخذ أبوه عبد الله عن سيدي أحمد بن ناصر ومكث مجاورا بين مكة والمدينة سبعا وعشرين سنة ومات بتونس سنة ١١٧٧.

مؤلفاته: منها الإكسير؛ في فكاك الأسير، وهي رحلته في سفارته الأولى لإصباتيا، ومنها: البدر السافر، لهداية المسافر، إلى فكاك الأسارى من يد العدو الكافر، وهي رحلته في سفارته الثانية لمالطة ونابولي منها نسخة بخزانتنا، ومنها إحراز المعلى والرقيب، في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والتبرك بقبر الحبيب، وهي رحلته التي كتبها في سفارته الثالثة وحجته وهي موجودة بخطه في مكتبتنا أيضا، ومنها أيضا منظومة في المناسك.

شعره: من ذلك قوله:

جاء من طال ما تشوقت النفس يس إليه بشرى لنا وهنيه

أنعش الروح شم رياه لولا
إذ تداعوا بالأمس وسط نهار
فتأخر عن لقاء محققا
هكذا الشأن ما تقولون أنتم
فأجابوا أما ترى الشمس ولى
قلت فى الفقه إن تبدى هلال
وقوله مداعبا بعض أصدقائه وقد أخلف ما اعتيد منه من الزيارة لشغل
عاقه، وكان يبعث له كل يوم يقول غداً آتى :

إن عهد الملاح ليس بواف
مثل سائر لأهل النسب
إلى أن قال :

علانى بكاذب الوعد دأبا
ليت شعرى إذا الصدود جفاء
إلى أن قال :

موقدا فى الفؤاد نار غرام
موفدا فى الحشاء جيش نحيب
إلى أن قال :

جد بوصل ولو بطيف خيال
وتدارك حشاشة القلب إذ كا
طمعى الآن فى الوصال قوى
يصدق الفجر بعد ما يتجلى
إذ هوى النجم فى الدجى للغروب
ن لمشاواكم من الموهوب
وشفيعى فى نيله المرغوب
كاذبا فى الآفاق غير مغيب

وقوله وقد تعلق به بعض أصدقائه كان اشترى جارية فوجدها تبول فى الفراش ، فأراد ردها إلى البائع فامتنع فى خطاب قاضى البلد :

يا أيها القاضى الإمام الكامل	وكافل الأيتام والأرامل
وابن السبيل والغريب قدما	يشمله الإحسان منه حتما
ضيفكم الفقيه إسماعيل	يبيت بالليل له عويل
قد اشترى من ذى البلاد جارية	يحسبها على المراد جارية
فلم يرى من خيرها علامة	أعيب من بغل أبى دلامة
تبول بالليل على الفراش	على الثياب وعلى الرياش
منتنة الريح وعكسه إذا	حذفت ياء فتحت به أذى
كفارة المرحاض أو كعجل	فقد أضر ريحها بالمقل
لا مثل نتن جيفة أو حيض	أو كظة ممزوجة بهيض
لولا هبوب الريح ذات المدد	وكوننا فى منزل عن بعد
نظل بالبخور طول الأبد	أضر ننتها بأهل البلد
أما ثيابها فدأبا تصطفق	تقطر من أبوالها وتلتزق
عيناه من صنانها فى كمد	ولو ثوى فى جبل من إثم
أشفاره إن لم تدارك سقطت	والتزقت أجفانه واختلطت
يقبح أن يأتى لنيل رفعة	ويترك الزغب تحت الدفة
مع تحمل نوى الأسفار	يرجع للأهل بلا أشفار
عيناه من جواركم فى حرم	من بائع على الإحسان برم

فهو بما ضره غير معتبر هان على الأملس ما لاقى الدبر
فاستنقذنه وادفعن عاره وراع فيه جانب الإمارة
وهو مع العلم الذى يمت به إليكم شكركم يبت
فى كل بقعة وكل أرض وكل إقليم ليوم العرض
وكتب من المدينة المنورة لصاحبه الشيخ كمال الدين الغزى مفتى الشافعية
بدمشق مع تمر من تمر المدينة بعثه اليه، وسبحة من النوع المسمى باليسر:

أحى مقاما خص بالرحب والبشر كما خصصت أنفاسه بذكى النشر
تحية حب لا تزال معادة يوم إذا يجرى وليل إذا يسرى
وأهدى إلى الذات الكريمة سبحة تظل بها يمناك ملأى من اليسر
ومن طيبة جنتك بالعجوة التى أحب رسول الله من سائر التمر
ليغتنك منها لونها-وسوادها من المسك-عن عرف وعن عنبر شحرى
فهينى لها منكم قبولا أعده لدى ذكركم يوم السلو من الذخر

وقوله من قصيدة فى الشيخ عبد الغنى النابلسى دفين صالحة دمشق:

مناقبه الكثيرة لا تنهى فنشر حديثه فى كل حى
دواوينه من الأمداح ملأى لصحب أو ولى أو نبى
فلم يترك إلى غير مقالا وآب الكل ذا حصر وعى
فصاحته من الرحمان فيض فما سحبان أو غيلان مى

نثره: من ذلك قوله فى وصف القسطنطينية العظمى، التى فاقت حواضر
الدنيا ترتيبا ونظما، إن قلت بلد، اتكالا على مالها من التخصيص فى القلب

والخلد، فقد أضعت حقها، ويبقى الاحتمال فى أن يكون هناك من هو فوقها، وإن قلت مدينة واقتصرت، فلا منعت دخول غيرها ولا حصرت، وإن قلت إقليم فقد يشتمل على عمران وخراب، وبحران وسراب، والحق أعلى، وتأدية الحقوق من أخبارها أولى، وما رأيت ما يؤدى وصفها ومعناها، وما اشتمل عليه أقصاها وأدناها، فهى محشر الأمم ومحط الرحال وبحر العمران وغاية القصاد، والمورد العذب للوراد، لا يوقف فى وصفها على حد، ولا يتناهى فى مآثرها ومحاسنها على عد، فلها المساجد التى بهرت، وبالتدريس وطلاب العلم ازدهرت، إلى أن قال: إلا أن بردها عاصف، وقرها لا يصفه واصف، لا يرده دثار، ولا موقد نار، فهى إناء للثلج المنسوب، فتنبو عن المضاجع من قرها الجنوب.

وقوله من فصول استدعاء لبعض أصدقائه: وإنا لنتظر قدومك علينا قبيل الشمس شروقا، والإبريق يصطك فؤاده لسقياك حقوقا، حتى نقضى من منادمتك حقوقا، والساقى مشمر عن ساق، والإبريق متأهب بما يليق لأن يراق، والكاس، بحلى عسجدية كاس، والكل للقياك متأهب. وبطاعتك متقرب.

وقوله مجيبا لبعض الخاصة من أصدقائه: أبقاك الله لطرفة تحليها، وبنات أفكار بدر نثارك تحليها، ونادرة تردفها بأخرى تليها، تلك ريض تفتحت عن أزهارها أكام، ولات حين للأزهار إمام، هذه يقظة أو منام، نهدي بالرياض لم ينتج الآن لشمام، أو ذاك مسك فض عنه ختام، تحيرت فى ذلك أظنه سحرا أجل نفث به حبر وإن شيئت بحر فخذ أمام، إمام تجلت بطلعته الأيام، وتجمعت له شوارد العلوم فتسنى له بعد تفرقها التثام والتمام.

أما الأدب فهو بعض بعض فنونه، ورشوحه من معين انهمار عيونه، أما تراه قدوة للأنام، حل من درى المعقول والمنقول حيث لا محل للمحلى، وأرى فيما أبدع من البدائع على بدائع الحلى، أليس معدودا فى إحراز السبق فى مرتبة لو

كانت قبل المجلى، وأما ذكاؤه فهو شهاب يتوقد، والمعية فى كل آونة تتجدد، فقد غدا إياس، عن إدراك شأوه ذا إياس، عذبت مفاكحته، وعدمت مشاكحته، رمى بسهمه فى أغراض المداعبة فقرطس، واستخرج من لجج بحارها ما أعجز من غطس، ما ألطفه تشبيها، يشهد للمشبه بأن له شبيها، فى ذكر القلانس والخطيب، فقد هصرت من أفنان البلاغة كل غصن رطيب، وما أعلى منازعك، علوت منازعك، ولو حضر لأذعن لك ابن الخطيب، وقد وصف سيدى ما استحسنت من المجلس والساق، وساق ذلك أحسن مساق، فأبدع ما شاء فى تناسب واتساق، وإحكام المبنى، وتسديد اللفظ لغرض المعنى، والخروج من معنى لآخر حيث لا شعور للسامع، شاغلا له بيوارك سحرك اللامع.

غير أن سيدنا يسر حسوا فى ارتغا، وما أدرى ما الابتغا، فقد رأيته راجع الالتفات، لاستدراك ما فات. وللنظرة ومدى استنز. ولصيده فى جوه حلق واستنسر. وذكر أنه ما أعرض عنه إلا لتوهمه أننى هيأته لنفسى فاستأثرت به. وإلا لالحفه بثوبه. فإن كانت المثابة العلية عن يقنع بنظرة. وإن أعقبت حسرة وتمذهب بمن قال:

وهويته يسقى المدام كأنه قمر يطوف بكوكب فى مجلس

فقد استوفى حظه. وأنال مراده لحظه. وليكتف بذلك أدام الله حفظه. ولم تبق له منة على فى استبقائه. حيث استسقى الشمائل السالفة عند المعاطفة من تلقائه، وإن يقنع بذلك المقدور من التغزل، وأراد من خلع العذار كمال المرام من التنزل، وتمذهب بقول الآخر:

وضممته ضم البخيل لماله أحنو عليه من جميع جهاته

فلا ملام. على اغتلام، فالمجلس والغلام مع كمال المرام، ولعل بتيسر الجمع تجردكم عند الانفصال غمام، هذه دعابتى بعثت بها إلى محل كمالك،

وعظم جلالك، ثقة بترك. ورحيب صدرك، واعتمادا على تحملك للمداعب، وإغضائك عن المعائب. فأغض أبقاك الله واسمح. وبعين الصفح والتجاوز فامنع.

وفاته: توفى فى مراكش الحمراء بالوباء العام بحواضر المغرب عام ثلاثة عشر ومائتين وألف.

٢٦٧ - محمد بن قاسم بن حلام المكناسى الدار والقرار.

حاله: خاتمة أعلام عصره فى تقرير مختصر خليل بالزرقانى، وبنانى حسبما وصفه بذلك بعض تلاميذه، فقيه جليل، مدرس نفاع حفيل، تولى نيابة القضاء والأحكام الشرعية، بالعاصمة المكناسية حسبما وقفت على نسخة رسم مسجل عليه محلى فيه بالعلم والتدريس، والنيابة عن قاضى الجماعة بالحضرة المكناسية المولوية بتاريخ منتصف ربيع الثانى عام خمسة وعشرين ومائتين وألف، وعدلاه العلامة القاضى مولاي أحمد بن عبد المالك الحسنى السجلماسى المترجم فيما مر، والسيد محمد بن عبد القادر بن عمر المكناسى.

الأخذون عنه: منهم أبو العباس أحمد الأغزاوى المدعو الجبلى المترجم فيما مر.

وفاته: توفى سنة أربع وثلاثين ومائتين وألف، ودفن بالمباح الجديد من ضريح المولى عبد الله بن حمد، دفن خارج باب البرادعيين من مكناس، الموالى لكدية العشاق المبنى سنة نيف وعشرين على عهد السلطان المولى سليمان رحمه الله كذا فى بعض تقايد أبى العباس المذكور وأخذ عن المترجم.

٢٦٧ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٧/ ٢٥٠٤.

٢٦٨- محمد بن عبد القادر بن محمد فتحا بن عبد القادر بن علي بن موسى بن المير الصبيحي النافعي الغربوي أصلاً الزرهوني داراً ومدفناً يعرف بابن قدور.

حاله: فاضل دين، خير ناسك ورع، فقيه متضلع جليل، علامة معتمد في الفروع والأصول، مفت مدرس، بركة كامل، تولى قضاء الجماعة بالحضرة المكناسية المولوية الهاشمية، وقفت على رسم حبسى مسجل عليه بالحوالة المشتركة بين الكبرى والأحمدية أعنى المنسوبة لمولاي عبد الله بن حمد بتاريخ تسعة عشر ومائتين وألف، وذلك بصحيفة مائتين وثلاثة عشر محلى فيه بالعلم والفضل والتدريس والتحقيق والإتقان وقضاء الجماعة بالحضرة الهاشمية المولوية السلطانية مدينة مكناسة، وآخر بتاريخ أربعة عشر ومائتين وألف، وآخر تأدية بصحيفة مائتين وأثنى عشر، وآخر بتاريخ سبعة عشر ومائتين وألف وفيه زيادة نسبة النافعي بعد نسبة الصبيحي.

حدثني ابن عمنا العلامة الثبت المحقق سيدي محمد بن أحمد العلوي أنه أخبره بعض المسنين عن أدركه يتعاطى خطة الشهادة سماعاً من الشريف الفقيه سيدي عبد الواحد الإدريسي، أن المترجم كان قاضياً بالزاوية الإدريسية من قبل الأمير مولانا سليمان، فاتفق أن الأمير المذكور جاء لزيارة الضريح الإدريسي فخرج أهل البلد لاستقباله عدا الفقيه المذكور، وأهل مجلس درسه، فإنه تأول أن محبة الأمير في العلم ونشره تقتضي أن يجده في درسه حين مروره بالمسجد للضريح فعمل على ذلك، وحين دخل الأمير المسجد وعابن اشتغاله بالدرس قام مع أهل مجلسه وأدوا حيثئذ تحية الأمير فغضب من ذلك وعزل المترجم من خطة القضاء، قال محدثي المذكور: لكن سألت عن ذلك بعض المسنين من عدول بلدنا، فأخبرني أن المترجم لم يتول القضاء بالزاوية، وإنما كان من جلة المفتين، فاتفق أن أفتى في قضية وقعت من يهودي كان محترماً بأخت السلطان المذكور بأن تقطع يده.

لموجهه فقطعت وفق فتياه فأفضى ذلك إلى موت اليهودى، فغضبت من ذلك أخت
السلطان فسجن المترجم لذلك فى دار شأنها إهلاك من يسجن فيها، فلما أدخلها
المترجم ودار على أماكنها وجد على حجر كنيفها اسم الجلالة مرقومًا بقلم لا
يهتدى إليه كل الناس، فأسرع بتقليع ذلك الحجر وتطهيره ورفعته إلى محل لا
تصل إليه إذاية، فكان ذلك من أسباب سلامته وحصول الفرج له، وانضم لذلك
كون الشيخ سيدى أحمد التجانى كان كتب لصاحب الترجمة بملازمة قراءة صلاة
الفتاح والله أعلم أى ذلك كان.

مشيخته: أخذ عن الشيخ التاودى ابن سودة، وأجازه عامة حسبما وقفت
على ذلك بخط بعض الأعلام الأثبات، وعن المحشى بنانى وطبقتهما، وأجاز له
خاتمة المحدثين الشيخ مرتضى الزبيدى شارح الإحياء، والقاموس.

الآخذون عنه: منهم مسند فاس وراويتها فى القرن الثالث عشر أبو محمد
التهامى ابن المكى بن عبد السلام بن رحمون المتوفى عام ثلاثة وستين ومائتين
وآلف، وأجازه عامة وبجميع ما تضمنته فهرسة الشيخ التاودى ابن سودة، وفهرسة
ابن الحسن بنانى، وفهرسة ابن قاسم جسوس، وفهرسة أبى العباس الهلالى،
وفهرسة بن العربى بن الحاج السلمى، والمنح البادية لأبى عبد الله محمد فتحا بن
عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسى، وفهرسة ابن عبد السلام الناصرى، حسبما
وقفت على ذلك فى نص إجازة المترجم لتلميذه المذكور ومنها نقلت، ومنهم أبو
حامد العربى الدمناتى فقد صرح بالأخذ عنه فى فهرسته، وابن العربى الحدرانى،
والسيد المهدي الورياجلى وغيرهم.

مؤلفاته: منها رجز نظم فيه العقائد المندرجة تحت كلمة الإخلاص ودونك

نصه:

وقول لا إله إلا الله
يجمع ستة من الصفات
أولها الوجود ثم القدم
مخالف وقائم كما أتى
كذا الكلام مع سميع وبصير
ونفى الأغراض وحتم الفعل
فهذه أربعة عشر صفة
وتحت الافتقار يدخل عدد
حياة قادر مريد عالم
ونفى تأثير بطبع وكذا
فهذه عشرين صفة
وتحت ثمان من شهادتين
كذلك تبليغ وضد كذب
جواز الأعراض وضدها فزد
وبالملائكة أيضا والكتب
فهذه تدخل تحت الصدق
وكل ما ذكر من صفات
كامل بها الستين تحظ بالصواب
صلى إله العرش كلما دفع
على البشير والنذير المصطفى

محمد أرسله الله
وضف لها الستين بالثبات
كذا البقاء دائما لا يعدم
والسمع والبصر جاء يا فتى
ومتكلم تعالى المقتدر
كتأثير بقوة فحصل
وضدها تحت الننى مؤلفة
قدرته إرادته علم الصمد
حى وواحدانية لا تسام
حدوث عالم وضد ذا خذا
مع اثنتين ضفهما لما سلف
صدق أمانة بغير مين
خيانة كتمان شئ لا تخب
الإيمان بالعقبى وبالرسل تعد
وصد ذى الأربعة العظمى تصب
عليك بالمسير صوب الرفق
جملتها ست على الثبات
وتملك الأمان فى يوم الحساب
حب الغمام وبه نور فتق
وكل من بالاعتقاد قد وفى

وله تولى فى نحو الكراسة على ما قاله مؤرخ سلا، الفقيه السيد محمد ابن على السلاوى فى الكلام على البسمة والحمدلة والصلاة على النبى وفى نسب الحمد والشكر.

وفاته: توفى فى منتصف حجة الحرام متم عام واحد وثلاثين ومائتين وألف، وضريحه أسفل المحل المعروف بالدرايات من حومة الحفرة عن يمين الذهاب لمزارع الحرم الإدرسى من الزاوية الإدرسية فى بيت خاص به معروف.

٢٦٩ - محمد بن العربى الزمورى، من زمور الشلح القبيلة البربرية الشهيرة، الحدرانى بفتح الدال وتشديد الراء نسباً المكناسى داراً.

حاله: علامة حافظ، مدرس أديب مشارك، نحوى عروضى منطقى بيانى أصولى، فهامة دراية، خاتمة المجتهدين، وقدوة العاملين حاج أبر. صالح أشهر. مشيخته: أخذ عن صاحب الترجمة قبله يليه كما سبق.

الآخذون عنه: منهم أبو العباس الأغزاوى الجبلى مار الترجمة فى الأحمدين، وهو الذى حلاه فى تقايد به ذكرناه ومن خطه نقت مباشرة وقال أيضاً: وقد رثاه الفاضل الوجيه، العلامة النبيه، الحافظ الأكمل العالم الأجل. الحجة الأنبل. المدرس الأكبر. المحدث الأشهر. أبو عبد الله سيدى وسندى محمد ابن الحاج الأبر، الفقيه الأشهر. صاحب العلم الأكبر، علم الأبدان، الواجب تعليمه قبل علم الأديان، سيدى الحاج محمد الهادى الغرناطى الأندلسى نسباً المكناسى أصلاً ومنشأً وداراً. هـ.

٢٧٠ - محمد بن عبد الرحمن الشهير بابن هنو اليازغى قاضياً.

حاله: فقيه علامة، مشارك موثق، مؤلف مجيد فاضل، حافظ حجة، أعدل أهل عصره، صدر تحرير كامل، وكان يتعاطى خطة الشهادة بسماط عدول فاس،

وكان غير حريص عليها، فنوع بالقليل، خرج يوما القاضى أبو العباس ابن سودة من مقصورة مجلس حكمه فرأى الشيخ المترجم ذاهبا من سباط العدول لداره، فسأله عن موجب استعجاله؟ فقال له الشيخ: حصلت على ما أحتاج إليه لنفقة يومى ولا حاجة لى بالزائد على ذلك، وتولى قضاء الجماعة بالحضرة الهاشمية مدينة مكناسة الزيتون.

وقفت على رسم سجل عليه بتاريخ سابع عشر جمادى الأولى عام عشرين ومائتين وألف، وآخر بتاريخ خامس جمادى الأخيرة من العام المذكور محلى فيه بما لفظه: يشهد الفقير إلى الله سبحانه، الراجى عفوه وغفرانه. قاضى الجماعة بالحضرة المولوية الهاشمية وهو محمد بن محمد الهنيوى اليازغى أعزه الله، وآخر مؤدى عليه بتاريخ خامس رجب العام عدلاه عبد الرحمن بن التهامى المزطارى ومحمد المكى بن الجيلانى بن المير، وآخر بتاريخ عشرين شعبان من العام نفسه نص تحليته فيه العلامة إمام المدرسين، وقدوة المتقين، قاضى حضرتى فاس الإدريسية القرويين والهاشمية السلطانية المولوية مدينة مكناسة الزيتون، المصونة باسم الله المصون، وهو القاضى الخ.

مشيخته: أخذ عن الشيخ عبد الواحد بن أحمد بن التاودى بن سودة حسبما صرح به فى مكتوب له، والشيخ عبد الكريم اليازغى المتوفى فى السابع والعشرين من ذى القعدة عام تسعة وتسعين ومائة وألف وغيرهما.

مؤلفاته: له شرح على شامل بهرام فى عدة أسفار ضخام تمم به شرح العلامة التسولى بأمر السلطان الأعدل مولانا سليمان رحم الله الجميع.

نثره: من ذلك قوله مقرظا البستان الظريف لأبى القاسم الزيانى: الحمد لله الذى له ملك السموات والأرض وحده. والصلاة والسلام على من هو للأنام قدوة. مولانا محمد أفضل هذه الأمة. وعلى آله وصحابه أجمعين، وعلى مولانا

أمير المؤمنين، وأختم بالدعاء والرحمة، لمن نزه أبصارنا وشف أسماعنا بمطالعة هذا التأليف الحافل الباهر، والبحر المتلاطم الأمواج الزاخر، الجامع لخبر الأوائل والأواخر، وأطلع فى فلك شمس هذه الدولة العلوية الإسماعيلية التى كانت فى حيز الإهمال. ولم يتعرض لذكرها أحد من أدباء وقتها بنقص ولا كمال، ولا تفصيل ولا إجمال، وفى غابها الأسد الهصور، والنمر المقدام الجصور، والهيكل الأكبر، والقمر المنير الأزهر، العادل بن الكامل بن الفاضل بن الجليل، سليمان ومحمد وعبد الله وإسماعيل. وكيف لا وفيها ثالث العمرين. ومشيد معالم الدين، بهجة الزمان، وآية الرحمن، أمير المؤمنين مولانا سليمان، فكيف لا يفخر على الأدباء من ألفه، وكيف لا يعلو على الرؤساء من صفه، وخلد آثاره فى وجنات الدهور وشما، ومكارمه فى المشارق والمغارب وسما، فحقه أن يكتب منه نسخا ويشهر، ولا يقتنى ويدخر، لاشتماله على فضائل هذا السلطان الجليل، الماجد الأصيل، وجمعه لخبر الأولين والآخرين، فى الجاهلية والإسلام والفرق الضالة الملحددين، خذ ما شئت من آيات قرآنية تنزيلية، صحابية، وقصص معلومة تابعة، ومواعظ صوفية، وحكم لقمانية، وحكمة أفلاطونية، وسياسة عدلية، وقوانين أزلية، ورسائل سجاجية، وأشعار أدبية، وحكايات أنسية، وقواعد هندسية، وضوابط فلسفية، ونوادر ومداعبات سرجية، وتقاويم فلكية، ومساحة طولية وعرضية، وصورة أرضية، مكورة وبسيطة، ونصوص قطعية سنية، فى الرد على أهل البدع من الخوارج والروافض والمعتزلة.

وشبهت هذا التاريخ. بالنخلة ذات الشماريخ، تعلو على رؤوس الأشجار كالتاج، وتضئ ثمارها كالسراج، يفتح طلوعها فى بياض الأكمام، وجهه كالدر المنظوم فى أجساد الحور المقصورات فى الخيام، ثم يرجع كالياقوت الأحمر، ثم يكون فاقعا أصفر، فإن نضج عاد العسل منه يقطر، فإذا اسود ويس يكون تمر.

وكذا هذه الدولة مطرزة بلطائف كل دولة، منمقة بكل من له نخوة وصولة،
مزوجة بكل حادثة وقعت قبلها، وفي قصرها وضعت كل حامل حملها، وكل
عروس طوقتها حليها، اطلب ما شئت من شراب عذب سائع بعد القرى، فكل
الصيد فى جوف القرى، تقبل الله من مخترعه عمله، ويلغى فى الدارين قصده
وأمله هـ.

ومن ذلك رسالة كتب بها إلى العلامة سيدى عبد الواحد بن أحمد بن
التاودى بن سودة، رأيتها بخط العلامة المحقق، قطب الفصاحة وأساس البلاغة
والبراعة، مركز العلوم، المحيط بالمنطوق والمفهوم، المتخلق بمكارم الأخلاق، مع
الأقارب والأباعد، سيدنا العلامة أبى محمد عبد الواحد، من تحلى بقلائد
العقيان، وبرز على الأقران. إلى غاية لا يختلف فيها اثنان، وليس الخبر كالعيان،
وكيف لا وهو نتيجة مولانا أبى العباس نجل مولانا الإمام، سيد العلماء الأعلام،
وشيوخ المشايخ العظام، خاتمة المحققين، ونخبة الأولياء العارفين.

منْ أشرقت أنواره على الحاضر والبادى، سيدنا ومولانا التاودى، قدس الله
روحه وأعلى درجته فى عليين، وأبقى بركته فى ذريته وعقبه وسائر المسلمين إلى
يوم الدين، هذا وقد ورد علينا كتابكم السنى، وخطابكم الشهى، وقد تلالأت
بمعانى تبيانهِ وجواهره الحسان أقلام السطور والطروس، واهتزت ببديع براعته
وبلاغته الأعطاف والرءوس، وسما ببديع البنان وسحر البيان، على قس وسحبان،
لا زالت أقلامكم تجرى بالسعادة والسعود، وتبعث الأمانى البيض من الخطوط
السود، ويعد سلام الطف من نسيم الصبا، وألذ من أيام الشبية والصبا، وثناء
منتظم كعقود الجمان، وأبهى من الورد فى أجياد الحسان، فإن سائلكم عن مسألة
الحبس قال إنه يأتى برسمه لينظر، فلعله بدا له وتأخر، ونحن على محبتكم مع
الاعتراف بنفعكم والأخذ عنكم، زادكم الله شرفاً وتعظيماً، ومكانة وتكريماً،

كتب من ولا يخفى عليكم وسمه لطف الله به محمد بن محمد بن عبد الرحمن
الشهير بابن هنو تغمده الله برحمته ثامن وعشرى شعبان عام تسعة وعشرين
ومائتين وألف.

٢٧١ - محمد بن أحمد بن الكبير العوفى قاضيا.

حاله: فقيه جليل، علامة نبيل، صدر نحير، فاضل كامل، قدوة بركة
شهير، حافظ حجة حفي، إمام خطيب، مصقع بليغ، تولى خطة القضاء بالحضرة
السلطانية مدينة مكناسة الزيتون، وقفت على رسوم بخطاباته وإعمالاته والتسجيل
عليه أحدها بتاريخ سابع ربيع النبوى عام ١٢٢٨ ثمانية وعشرين ومائتين وألف
وآخر بتاريخ ثلاثين ومائتين وألف.

حدثني من أثق به من أهل العدل أن أهل مكناس رفعوا شكواهم بالمرجم
للسلطان العادل مولانا سليمان وطلبوا منه عزله عنهم فلم يرفع لهم رأسا، وقد
كان عزم على الوقوع ببعض عتاة البرابر، وأظنه عين له زمر الشلح، فلما نزل
بهم ظهروا عليه فصار يقول: اللهم أشهد بأنى عزلت العوفى عن منصبه. فوقعت
الكرة حيناً على أولئك العتاة وظفر بهم وكسر شوكة بغيهم فنجز عزله فى الحال.

شعره: من ذلك قوله مضمنا الكلام على فروع أولاد ابن سودة ونسبهم وما
كانوا عليه قديما وحديثا حسبما وقفت على ذلك فى بعض الكنانيش ودونك
لفظه:

تدرى وتجد ما ترى قوما رووا	عنى أحاديث الصباة ما اختفوا
سل عن غرامك من وثقت بنصحه	لتكون من أهل المحبة إذ هووا
واجف الجوى وأرض الهوى مشبها	بشعاره كى لا ترى ممن جفوا

٢٧١ - من مصادر ترجمته: إنحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٧/ ٢٥٠٤.

فالصبر أجدر بالتلذذ فى الهوى
ودلّاهم فيه المنى لو بالمنى
وإذا الدليل تواصلت أفراحه
طابت حياة مساعدى ودنا له
ما كل من يهوى يراعى فى الهوى
والمدعى لو شاهدت عيناه ما
تركوا المآكل والمشارب عفة
هانوا النفوس تذللّا فحباهم
قرت العيون منهم بحبيبهم
فغدا الغرام شفيهم فتشفعوا
فهموا فهموا فى الحقيقة فأنجلي
والمقتدون على الشريعة خيموا
سهروا الدياجى فى العلوم فأصبحوا
مثل السراة السوديين فكم بفا
حفظا لدين الله من غرناطة
بزعوا بدورا موضحين سنا الهدى
جاءوا إلى نشر العلوم فيالهم
ما بان فى أفق السعادة طالع
فى كل عصر هم أئمة وقتهم

والذل عين العز فاصبر إن قضا
ياهل تمثل من أطاع بمن أبوا
هجر الألى عن باب ذلهم انثوا
فأعاق واشيه وسروهم بكوا
نهج الألى يهوى وما عنه نهوا
شاهدته يفنى كأقوام فنوا
وتمسكوا بودادهم وبه اكتفوا
عز الوصال وعانوا ما قد عنوا
ورضوا بذلهم له وبه اشتفوا
فى المدعين فخيروا فيمن عصوا
عنهم ظلام الجهل فيها واجتلوا
فسقوا معين شرابها حتى رووا
غرا جهابذة على الفضل احتوا
س من مجالس أظهروا ولها علوا
جاءوا وما زاغوا ومن كفروا قلوا
زمن المرينى فاستقروا وازدهوا
بالنسك والدين القويم لها أتوا
للدين إلا نحوه خببا سعوا
فتوى قضا نسكا به الفضلا اقتدوا

فسلن لسان الدين أعنى ابن الخط
جمعوا الفضائل والمكارم والتقى
فالسوديون جميعهم من متلد
سل عنهم صنعا بذى يمن وعن
فلهم بها مجد وعلم ثروة
وعصابة منهم بأندلس لقد
علموا بأن العلم أوفر قسمة
خاروا انتسابهم إلى علم وما
شيم إذا عدت يباهى بعضها
خل المزايا واثت بالخلق التى
تنسى الأواخر ما الأوائل أنهجوا
فالسوديون المريون ذوو الوفا
ما كان غيرهم استحق دراسة
ومن استمد سجية من فضلهم
ناهيك ما فى الغرب إلا دارهم
لا زالت الأحقاب تبدى عزهم
سل من تشا فى بابهم فهم الأولى
أكرم بهم يا نعم ما حازوه من
هذى شعارهم وهذا دأبهم

يب وصفوة والقادري عمن مضوا
وعلى معارج نسبة الشرف استتوا
منهم بأندلس ومن يمن ثروا
شرف شهير كالظهيرة قد حووا
ومروءة وعلى حبا الخير انطوا
نسبوا لمرة من قریش واكتفوا
بالإرث من طه فحازوا واقتنوا
بانوا عن الشرف الأصيل وما انتفوا
بعضا ولكن الفعال بها غموا
كرمت وكل العالمين بها سموا
فإذا الأوائل من أواخرهم حيوا
لهم المكارم والمنابر قد علوا
فى مدرس أو جامع وهم يروا
منحوا المريد مراده ولكم حبوا
وهم بها يعسوب سر ما انقضوا
والعز يتبع شوطهم وله مشوا
سادوا وشادوا ذروة ولها ارتقوا
مجد أثيل شامخ فيه اجتبوا
ما أن يحيدوا عن كريم لا ولوا

رانت مدائحهم نظام محبهم	فامتاز بين معانديه وإن عتوا
ما كل من مدح الكرام أصاب ما	فيهم وما كل إذا مدحوا صغوا
لكن مناقب هؤلاء جليلة	أنستك ذكر من مضى لما بدوا
دلوا على الهدى القويم بحالهم	ومقالهم ومن الجهالة قد شفوا
فالله يحفظهم ويبقى فرعهم	وهم هداة للأنام كما اهتموا

قلت: حدثني بعض العدول المبرزين الأثبات من شيوخ الأعلام، أنه وقف على هذه القصيدة بخط ناظمها عند الفقيه السيد المكي بن سودة فجل قاضى الحضرة المكناسية العلامة السيد الحاج المهدي آتى الترجمة خالية من الأبيات المصرحة بنسبة المدوحين بها للشرف، وإنما هى ملحقة بالهوامش بخط غير الخط المكتوب به الأصل. هـ.

وعليه فلا ريب أن تلك الأبيات مختلقة، وما يؤيد اختلاقها ويبرهن على براءة المترجم منها قوله فى البيت الرابع والثلاثين من نفس القصيدة: فالسوديون المريون ذوو الوفا، فإنه اقتصر على نسبتهم لمرة، وقد حقق النسابون أن مرة من مشترك الأنساب كما هى فى قريش فى غيرها من قبائل العرب، وقد تقرر أن الأعم لا إشعار له بأخص معين، وإذا كانت القرشية لم تتحقق فكيف بالهاشمية التى هى أخص، وقوله أيضا قبل ذلك فى البيت الثالث والعشرين فسلن لسان الدين الخ، فإن ابن الخطيب وصاحب الصفوة والقادرى فى النشر المحال عليهم لم يفة واحد منهم بكون السويدين من أهل النسبة الطاهرة الهاشمية.

هذا وقد وقفت على ما يقطع دعوى كل ناعق النسبة لبیت السويدين فى رسالة للعلامة الأصيل السيد أحمد بن سودة قاضى حضرنا المكناسية جوابا عن

مكتوب مخزنى صدر له فى الباب ودونك نص السؤال والجواب بعد الحمدلة
والصلاة:

«محبتنا الأعز الأرضى الخلفية عم مولانا المؤيد بالله مولاي عرفة أمنك الله
سلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: وصل كتابك معلما بأن الفقيه السيد التاودى بن سودة ورد عليك
بجريدة عرف بكتابها عدلان يريد إثبات النسبة الطاهرة طالبا منك توجيهها لشريف
الاعتاب بقصد اطلاع العلم الشريف عليها وإمضاء مضمونها بالطابع الشريف
تسليما لأمرها، وصار بالبال، فقد وصلت وأنهيناها لعلم سيدنا أعزه الله فاستفهم
أيده الله عما كان تقدم لأسلافهم فى ذلك، وهل كانوا يتمون إليها ويدعونها لأنه
قد مضى منهم عدد من فحول العلماء كالشيخ التاودى وأضرابه ويبعد كل البعد
عدم اطلاعهم على شىء من ذلك وجهلهم به، بل قد وقع الوقوف فى عدد من
التواريخ الصحيحة على دعوى انتسابهم لمرة بن كعب وبه كنانشه وتقاييده ولا
زالت قائمة الذات إلى إلا آن.

ولو قيل قد يفتح الله للآخر ما لم يفتح به للأول، لقال بذلك والده الفقيه
السيد المهدي رحمة الله، وعمه الفقيه القاضى السيد أحمد، فهل يدعى شيئا من
ذلك أو يقول بين ذلك عن أمر سيدنا أيده الله ليظهر، وها الجريدة ردت إليك طيه
وعلى المحبة والسلام وفى ثانى عشر قعدة عام ثمانية عشر وثلاث مائة وألف».

«الحمد لله حبنا الأجل الأمجد، الفقيه الكاتب السيد الحسين بن سعيد
حفظكم الله ورعاكم، وسلامه عليكم ورحمته، عن خير مولانا نصره الله وأدام
علاه.

وبعد: وصلتني نفولتك مع ما كتب به لسيدنا ومولانا الخليفة أسمى الله
قدره وعلمنا المراد من ذلك كله، وأن نجيب عنه بما عندنا، فاعلم رعاك الله أن

الذى أدين به الله سبحانه وألقاه به هو ما كنت أسمع من أشفتى ومنهم أخونا سيدى المهدي وعمى شقيق والدى وهو السيد حمو رحمه الله، هو أن يتنا بنى سودة يتهى إلى مرة بن كعب أحد أجداد النبى ﷺ، وعليه فما يرويه ابن أخى سيدى المهدي المذكور فالله سائله عنه يوم القيامة، وكفى حديث من انتسب إلى غير أبيه وهو يعلم فالجنة عليه حرام، اللهم إنا نبرأ إليك عما يدعيه هذا ابن الاخ وأمه قرميدية بنت هم أمى قرميدية، ولا نعلم له حجة فى ذلك لا باعتبار أبيه ولا باعتبار أمه، وبيننا وبين من يؤيده ويعضده الله تعالى.

وأما الجريدة التى أدلى بها فلا تقوم له بها حجة، لأنها مطعون فيها من وجوه كلها شرعية، إذ مبناها على هى بن بى، وقد قال التائى شارح خليل نقلا عن التوضيح قضية والناس مصدقون فى أنسابهم وتبعه بهرام ما نصه: وهذه العبارة واضحة بالنسبة للالتحاق، وأما إن ادعى شخص أنه شريف فينبغى أن لا يصدق، فكتب عليه العارف بالله سيدى عبد الرحمن الفاسى فى حواشيه على المختصر ما نصه، فقول التائى: فينبغى أن لا يصدق، يعنى حماية لجانب النبى ﷺ وغيره، فهو موافق لما نص عليه غيره من العلماء.

وكفى هذا فقها قاله وكتبه مشهدا به على نفسه فى ثالث، حجة الحرام متم عام ثمانية عشر أحمد بن الطالب بن سودة، ولا أقول السورى لأنه نسبة إلى قرية باليمن، مع أن سكنى أسلافنا غرناطة ثم بفاس زيادة أسلافنا قدموا فى جند الشام زمن بنى أمية إلى الأندلس، فنزلوا إلى البيرة ثم انتقلوا إلى غرناطة ثم إلى فاس وقاها الله من كل باس» من خط من كتب من خطه بحروفه وناهيك به حجة.

وفاته: توفى شهيدا رحمه الله بالطاعون الذى كان عام أربعة وثلاثين ومائتين وألف، ودفن بروضة المولى عبد الله بن حمد الولى الشهير آتى الترجمة بالمباح الموالى لكدية العشاق، كما وقفت على ذلك ببعض التقاييد الموثوق

بصحتها، بخط العلامة المتفنن أبي العباس أحمد بن محمد الأغزاوي الشهير بالجبلي الكناسي المترجم فيما مر.

٢٧٢ - محمد بن الكبير العوفي.

حاله: فقيه متفنن كاتب موثق فاضل خطيب مصقع ولى خطبة جامع بريمة من حضرتنا الهاشمية الكناسية.

مشيخته: أخذ عن والده وغيره ممن هو فى طبقته.

وفاته: توفى بعد المترجم قبله يليه بأيام قلائل مطعونا أيضا، ودفن بمباح ضريح ابن حمد المذكور آنفا.

٢٧٣ - محمد فتحا بن أحمد بن محمد بن الولي الصالح أبي يعقوب يوسف بن علي الحاج المدعو بروكشة^(١) بفتح الباء وكسر الراء وسكون الكاف الرهوني.

حاله: حامل لواء تحقيق الفقه المالكي فى زمانه، مرجوع إليه فى تمييز لجينه من لجينه، ورد فروعه لأصوله، أحد أفراد رجال الديار المغربية علما وعملا وفضلا وصلاحا وتقى وهديا وتواضعا وورعا ونسكا وصلابة دين، وضبطا وإتقاناً ومعرفة وتحريرا وتجبيرا ونقدا، وقبولا وردا، له مشاركة تامة وباع مديد، انتهت إليه رئاسة الفتيا فى زمنه ببلاد الهبط، وكان له القدم الراسخ فى إدراج الجزئيات تحت الكليات، والتصرف فى المذهب بقواعده، ينسب الأقوال لأربابها على طريق المتقدمين، وحاشيته على الزرقانى وبنانى أعظم دليل على تضلعه فى الفروع والأصول ومديد باعه، وسعة اطلاعه، وبلوغ الغاية القصوى فى إصابة المرمى،

٢٧٣ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٢٤٩٣/٧.

(١) فى إتحاف المطالع: «المدعو بروكشة».

والاقتدار التام على الخوض فى عباب الفقه المالكى، ومعرفة أسرار منطوقه ومفهومه، وتفوقه على كثير ممن تقدمه وعاصره، وكان سريع الدمعة دائم الخشية والذكر والتهجد بالأسحار، مجبا للصالحين منحاشا لأهل الفضل والخصوصية من المتقين لا تأخذه فى الله لومة لائم، وبذلك نما حاله وتم أمره وأثمر غرسه.

وكان أكثر مقامه بوران، وقد خطب بها بمولاي سلامة بن محمد بن عبد الله بن مولانا إسماعيل أول جمعة عندما بويغ له بها وذلك يوم الجمعة متم رجب الفرد الحرام عام ستة ومائتين وألف، وكان المتولى حمل راية بيعته سيدى على بن أحمد بن الطيب الوزانى المتوفى يوم الثلاثاء تاسع ربيع الأول عام ستة وعشرين ومائتين وألف، وأعانه على ذلك جماعة أبناء عمه وسيدى على بن ريسون، ودامت دولة المولى سلامة بوران شهرين، أفاض فيها الأموال الطائلة والملابس الفاخرة على أهل وران، ثم خلع نفسه وخرج فارا من وران ناجيا بنفسه ليلة السبت تاسع عشرى شعبان عام ستة ومائتين وألف على ما فى تاريخ الضعيف، ويأتى إيضاح ذلك بحول الله وقوته فى ترجمته وفى القسم الدولى.

ثم إن المترجم قد استوطن مكناسة مدة، وكان محل استقراره بها بمدرسة الخضارين كما يشير إليه ما يأتى عنه، وذلك مدة نقل شيخه الجنوى إليها.

ومن فوائد المترجم فى حاشيته على الزرقانى وبنانى ما قاله فى قول المتن فى باب قصر الصلاة ولا تنقل بينهما ولم يمنعه ولا بعدهما ونصه، انظر هل يدخل فى النقل بعده أى بعد الجمع ليلة المطر سجود التلاوة، كما إذا قرئ الحزب على الوجه المعتاد بعد الجمع بالمسجد، وقد وقعت هذه المسألة بمكناسة الزيتون زمن قراءتى فيها على شيخنا الجنوى بمدرسة الخضارين، فمن الطلبة من ترك السجود، ومنهم من سجد، ثم تنازعوا بعد الفراغ فى ذلك، ثم تكلموا أو بعضهم معى فى ذلك فقلت لهم: ترك السجود أولى، فلما أصبحنا سألت شيخنا الجنوى، فقال:

السجود أولى فقلت له: لم؟ فقال: لأنه أرفع رتبة من مطلق النوافل، بدليل أنه يسجد بعد الصبح قبل الإسفار وبعد العصر قبل الاصفار، فقلت له: ولم لا يسجد بعد الإسفار والاصفرار؟ فقال: لأن الكراهة إذ ذاك أشد، فقلت له: فإذا لم يفعل ذلك لشدة الكراهة فهنا أخرى لمنع النفل بعد الجمع، فقال لى: من قال بالمنع؟ فقلت له: المواق نقلا عن عرفة والزرقاني، فأمر طيب الله ثراه بإحضارهما فأحضرا، فوجد الأمر كما قلت فسكت فسكت فأنفصل الأمر على ذلك، ولم أزل بعد أبحث على النص فى ذلك البحث الشديد، وأطلبه الطلب الأكيد، إلى وقتنا هذا فلم أجد من تعرض لذلك أصلا، والظاهر عندى أنه لا يفعل لما ذكرته، ولأن القول بأن سجود التلاوة كمطلق النفل لا يفعل بعد الصبح ولا بعد العصر قوى. هـ وقد تابعه مختصره فيما استظهره والله اعلم

مشيخته: أخذ عن الشيخ التاودى ابن سودة المرى المتوفى يوم الخميس تاسع عشرى حجة عام تسعة ومائتين وألف عند صلاة العصر ودفن من غده بعد الظهر، سمع عليه موطأ الإمام مالك بقراءته عليه، وصحيح الإمام البخارى بعضه بقراءته وجله بقراءة غيره عليه وهو يسمع، وسمع منه مواضع من التفسير وشيئا من صحيح الإمام مسلم، وشيئا من لامية الأفعال لجمال الدين بن مالك فى التصريف، وذاكره فى عدة مسائل فقهية وأجازه عامة.

وأخذ عن الشريف أبى عبد الله محمد بن الحسن الجنوى المترجم قبل، وهو عمدته وعليه معوله لازمه فى الحضر والسفر، ومن ذلك ملازمته له بمكناس لما أسكنه السلطان بها بقصد بث العلم ونشره فيها كما تقدم، قرأ عليه التفسير إلى سورة الرعد، وصحيح البخارى ومسلم بقراءته عليه، والأربعين النووية، ومختصر الشيخ خليل غير ما مرة قراءة تحقيق وتدقيق، ورسالة ابن أبى زيد القيروانى، والمرشد المعين لابن عاشر، والتحفة لابن عاصم، إلا أنه لم يختمها

عليه أيضا، وألفية ابن مالك غير مرة، ومقدمة الشيخ ابن أجروم، وتلخيص المفتاح، وجمع الجوامع لابن السبكي إلا شيئا يسيرا من آخره، والحكم العطائية كل ذلك قراءة حسنة ذات أبحاث راقية، وتحريرات فائقة، كما صرح بذلك كله المترجم عن نفسه في ديباجة حاشيته على بناني والزرقاني قال: ولقد من الله عليّ بمعرفته وصحبته وخدمته سفرا وحضرا زمنا طويلا، قال: ومن أعظم منن الله عليّ أن غطي عنه مساوئي الكثيرة، وذنوبي الغزيرة التي لا يعلمها إلا الله تعالى، فكان يحبني حبا شديدا، ويظهر ذلك. هـ وأجازه عامة.

وأخذ الطريقة الوزانية عن سيدى على بن أحمد بن الطيب الوزاني وكان من خاصته الملازمين له المثبتين في محبته من غير غلو ولا تفريط شأن العلماء العاملين.

الآخذون عنه: أخذ عنه السلطان العادل مولانا سليمان بن محمد بن عبد الله وقرظ له حاشيته على البناني والزرقاني وكفى كلا منهما شرف بصاحبه، وأخذ عنه أديب الرباط العلامة ابن عمرو، وقاضى العدوتين ومكناسة العلامة السيد الطيب بن إبراهيم بسير وجماعة من الأعلام.

مؤلفاته: ناهيك منها بحاشيته على الزرقاني وبناني الموسومة بأوضح المسالك وأسهل المراقي، إلى سبك إبريز الشيخ عبد الباقي، وحاشيته على الشيخ ميارة الكبير للمرشد المعين، وأظنها لم تكمل، ومجموعة خطب، والتحصن والمنعة، ممن اعتقد أن السنة بدعة، وإظهار ما يفكر أهل الفطنة، ليعرض على ذوى الذكاء والفطنة، وهذا أدرجه في حاشية الزرقاني، إلى غير ذلك مما هو مدرج في الحاشية المذكورة وما هو مستقل بنفسه.

نثره: من ذلك قوله فى استدعائه الإجازة من شيخته التاودى ابن سودة ولفظه: الحمد لله الذى لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء،

الذى من استند إليه ارتقى فى ذروة الكمال وسما. والصلاة والسلام على أشرف خلقه سيدنا محمد أجل من أسند عنه الرواة والعلماء. وأفضل من ارتوى من رشح علومه وحكمه الأولياء والحكماء. وعلى آله وأصحابه الذين نقلوا من أقواله وأفعاله وتقريراته ما أزالوا به عنا كل غشاوة وعماء، صلاة وسلاماً دائماً ما أرسلت السماء قطراً وبدا بها صحو أو غما، والرضا عن ساداتنا التابعين لهم بإحسان وكل من انتسب إليهم إلى يوم الدين وانتمى.

وبعد: فليتفضل سيدنا وسندنا ووسيلتنا إلى ربنا الحبر الهمام، ذو الثبات والرسوخ شيخ الشيوخ الجهابذة الأعلام، الذى ألفت إليه العلوم كل زمام، فالناس له تابعون وبه مؤتمنون وهو الإمام، أبو عبد الله سيدى محمد، لتودى ابن سودة المرى، لأزال الكريم بنفائس المعارف إليه يقرى، بالإجازة لهذا العبد الضعيف، الذى قطع عمره فى البطالة والتسويق محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الحاج الرهونى، وهو وإن لم يكن لذلك أهلاً، فاقبلوه منكم وفضلاً، كى تهب عليه نفحاتكم العظمى، ويستوجب بذلك من الله مزيد الرحمى، ويرتفع بالإسناد إليكم قدر هذا الخسيس، وكيف لا وأنتم القوم لا يشقى بكم المجلس، أجازكم الكريم بأنفس ما أجاز به وفده المقربين، وأطال بكم النفع للخاصة والعامة من المسلمين، بجاه سيد الأولين والآخرين، وأختم استدعائى هذا بما قال القائل:

بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله وهذا دعاء للبرية شامل

ولادته: ولد فى ذى القعدة الحرام عام تسعة بتقديم المئنة وخمسين ومائة وألف.

وفاته: توفى بعد فجر يوم السبت ثالث عشر وقيل موفى عشرى رمضان سنة ثلاثين ومائتين وألف، ودفن يسار محراب روضة شيخه سيدى على بن أحمد المذكور بوزان، رحم الله الجميع بمته أمين.

٢٧٤ - محمد بن عبد الوهاب أجانا.

حاله: شيخ علامة مشارك نبيل ذكره السلطان أبو الربيع سليمان فى عناية أولى المجد.

مشيخته: أخذ عن أبى عبد الله محمد بن عبد السلام بن محمد فتحا الفاسى المتوفى بمرض الاستسقاء يوم الأربعاء ثانى عشر رجب سنة أربع عشرة ومائتين وألف عن نحو خمس وثمانين سنة.

ولم أقف على تاريخ وفاته.

٢٧٥ - محمد بن عمر الصنهاجى الأصيل المكناسى الدار.

أحد موالى أمير المؤمنين السلطان مولانا سليمان.

حاله: فقيه كاتب مشارك علامة محرر.

مشيخته: أخذ عن السلطان العادل مولانا سليمان وغيره، ذكره الزيانى فى الجمهرة، ولم أقف على تاريخ وفاته.

٢٧٦ - محمد بن حمادى الصنهاجى الأصيل المكناسى الدار.

حاله: فقيه علامة تولى قضاء الحضرة المكناسية.

مشيخته: أخذ عن أعدل الملوك، مولانا سليمان، صرح بذلك الزيانى فى جمهرته، وعن غيره من الأعلام ولم أقف على تاريخ وفاته.

٢٧٧ - محمد السلاوى أحد موالى السلطان مولانا سليمان والدك عن والد.

حاله: فقيه كاتب، نشأ بيت الإمارة وغذى لبان الأدب الغض، ولاه السلطان المذكور كاتباً بديوانه الملوكى، ثم رقاها إلى الوزارة، ثم إلى الإمارة فى

٢٧٧ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٧/ ٢٤٩٤.

الثغور البحرية والقبائل الفحسية ثم لقبائل العرب من المضربة اليمنية، ثم جعل له النظر والكلام إبراما ونقضا مع نواب وسفراء أجناس النصارى ولم يزل يتقلب فى المناصب العظام، ومعارفه وصدقه وإخلاصه تقدمه إمام، إلى أن لبي داعى مولاه.

مشيخته: أخذ عن مولاه أمير المؤمنين مولانا سليمان كما صرح بذلك الزيانى فى جمهرة التيجان، وعن غير واحد من جلة شيوخ وقته.
وفاته: توفى بمكناسة الزيتون عام ثلاثين ومائتين وألف.

٢٧٨ - محمد الزرهونى الأصل الفاسى الدار.

حاله: فقيه كاتب، رقاہ السلطان المولى سليمان من الكتابة إلى عمالة وجدة وأعمالها، ثم عزله وردة للكتابة ببساطه الملوکى، ولم يزل بها إلى أن نقله الله إليه.

مشيخته: أخذ عن السلطان المولى سليمان كما لصاحب جمهرة التيجان وغيره من أعلام وقته.

وفاته: توفى بفاس عام ثلاثين ومائتين وألف.

٢٧٩ - محمد بن الطاهر بن محمد بن محمد فتحا بن السعيد بن محمد بن محمد فتحا بن قاسم بن مولاى الحسن بن سيدى يوسف.

نجل مولانا على الشريف من شرفاء بوسلام، أحد قصور ملوية.

حاله: فقيه علامة مشارك نقاد، مدرس فريد عصره، وأعجوبة دهره،

٢٧٩ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٢٥٣٩/٧.

محقق إمام فى سائر الفنون عقليها ونقلها، ماهر فى التفسير والحديث وعلوم العربية، كثير المطالعة، غزير الاطلاع، محبوب مسموع الكلمة، محب فى الأولياء والصالحين المجاذيب والسالكين، صلب فى دينه، يقال: إنه كان يظعن ويقيم بكتبه العديدة النفيسة وكانت نحو أربعين جملاً.

وكان ذا جاه ووجاهة، وهمة جاوزت الجوزاء، ونزاهة، قال فى الشجرة الزكية: استورره إمام وقته مولاي عبد الرحمن ونوه به ولازمه فى حضره وسفره.

هـ.

أخذ مبادئ العربية بسجلماسة، ثم ارتحل لفاس واستوطنها، وكانت سكناه بزقاق الحجر منها حسبما أخبرنى بذلك بلدنا حفيده، ثم استوطن مكناسة الزيتون مدة مديدة، ولأزال عقبه بها إلى الآن، وكانت سكناه بها آونة بحومة زقاق القرمونى، وأخرى بحومة حمام الجديد.

مشيخته: أخذ عن سيدى حمدون بن الحاج ومن فى طبقته، وشاركه فى الأخذ عن الشيخ التاودى، واعتمد السيد عبد القادر بن شقرون المتوفى زوال يوم الخميس حادى عشر شعبان عام تسعة ومائتين وألف، والشيخ الطيب بن كيران.

الآخذون عنه: أخذ عنه السيد الطالب بن الحاج، وسيدى التهامى بن رحمون، وأجاز للآخرين عامة بتاريخ فاتح رجب عام ستة وثلاثين ومائتين وألف، ومولاي الزكى صاحب الشجرة الزكية، ومولاي الصديق، ومولاي الحبيب أبناء مولاي هاشم بن محمد الكبير.

وفاته: توفى بمراكش منتصف جمادى الأولى عام ثمانية وأربعين ومائتين وألف، ودفن بضريح مولاي على الشريف مع عمه رحم الله الجميع بمنه.

٢٨٠ - محمد بن منصور الفويسى المراكشى.

ذكره الضعيف فى تاريخه وحلاه بالأديب، وقال: إنه توفى بمكناس فى شعبان عام ثلاثة ومائتين وألف.

٢٨١ - محمد بن الطيب الشريف الحسنى العلوى البلغيشى.

حاله: فقيه عالم محقق عدل رضى وجيه، بركة فاضل منور السريرة وقور معتقد، على الهمة، صلب فى دينه، من أهل زاوية زرهون، تولى نيابة القضاء بالزاوية المذكورة من عام خمسين إلى ستين ومائتين وألف، ونسخ البخارى وغيره بيده، وبه اشتهر عقبه بأولاد ابن القاضى، وببلده الزاوية الإدريسية، توفى ودفن بالظهير المقبرة المعروفة بها.

مؤلفاته: منها شرح على الحكم العطائية فى جزئين وقنت على جزء منه بخط يده.

وفاته: بعد الستين ومائتين وألف، إذ تاريخ زمام تركته ثانى ربيع النبوى عام ثلاثة وستين ومائتين وألف.

٢٨٢ - محمد بن إدريس بن محمد العمراوى الوزير الأديب الكبير.

حاله: فقيه أديب شهير، ناظم ناثر، إمام الصناعتين، وحامل لوائهما بدون مين، تزرى ببديع الزمان بدائع وأوابده، وتخجل الفتح بن خاقان رقائقه وفرائده.

حلاه بعض حذاق الكتاب من معاصريه بما لفظه: رئيس الكتاب. الأخذ بحلقة الباب، الصدر الذى لا يحسن فيه التأخير، والحبر الذى لا ينبغي أن يعامل باليسير، برع فى الأدب، وساد بالحسب والنسب. أخلاقه تنبئ عن نسبه، وشيمه تفصح بعراقة حسبه، كان ذا همة عالية وسلامة صدر عن الحقد خالية، يكافئ المسىء بالإحسان، ويعامله بما يناسب من الامتنان، ذا وجه وسيم، وثغر بسيم،

ومروءة ورزانة، وعفاف وصيانة، يحلم إذا أودى، ويجيب بالسيادة إذا نودى، ويكرم نزله ويواسيه، ويتفقد أحواله ويدانيه، سهل المنال، لين المقال، صاحب همة عالية، ومائدة بأنواع الخيرات وافية، جاهد أولاده فى تعليم القرآن والعلم، ودربهم على الاحتراف بالحلم، أشد الخدم اعتناء بخدمة مولاه، راع وحافظ لما تولاه، ناصح فالح، قادح ماح، إذا أطلق عنان القلم فى القرطاس، أتى بكل غريبة وحجج مضيئة كالنبراس، لا يتوانى فيما أسند إليه من العمل، ولا يتراخى بطول الأمل، حنكته التجارب والخطوب، وعلمته المحن كل مكروه ومحجوب، هـ مختصرا.

وكان له معرفة بالحساب والتعديل والنحو واللغة والعروض والأدب، منحاش لجانب الله، محب فى الصالحين وأهل الفضل والدين، زوار لهم، متطارع على أعتابهم، يحب السماع ويستنعم به ويرتاح له.

وكان فى أول أمره ينسخ الكتب ويؤدب الصبيان، ثم انحاش إلى أبى القاسم الزيانى وصار ينسخ له مؤلفاته فى الدولة العلوية وغيرها، ثم وقعت بينهما وحشة أوجبت انقطاع المترجم عن الزيانى، ثم عادت الوصلة بينهما على ما كانت عليه قبل حسبما أوضح ذلك الزيانى فى بعض كتبه، وهو الذى قدمه إلى سيدنا الجدل من قبل إلام السلطان الهمام، مولانا عبد الرحمن بن هشام، أيام خلافته بفاس إثر خمود نار ثورة أهله على السلطان العادل مولانا سليمان ولم يزل يقربه ويصطفيه.

ثم لما جلس على كرسى الخلافة بعد عمه السلطان مولانا سليمان أبقاه من جملة كتبتة، بل رأسه عليهم لما رأى من حسن عقله وديانته، ثم استوزره فقام بشئون مأمورية وظيفه أحسن قيام لما أسند إليه الرياسة، واختص بالتدبير والسياسة، وصار لا يدخل إلا من بابه، ولا تنال الرغائب من غير ميزابه، واستمر

على هذا الحال، مرضى المقال، مجاب السؤال، إلى سنة ست وأربعين فعزل فى شوال منها عن الرياسة والكتابة، وأمر بلزوم داره وانقطع عند الوارد والصادر.

ثم سجن ونهب وثقل بالحديد، وأصيب بالتكال الشديد، وجفاه القريب والبعيد، إرضاء للأوداية الذين أوغروا قلب السلطان عليه، وصرحوا بأنه السبب الوحيد فى إيقاد نيران الفتى بينهم وبين السلطان أبى زيد مخدومه المذكور، وأنهم لا يرضخون للطاعة ما لم يقتض منه، ولا يرضون وساطته ولا يقبلون دخوله فى أمر ما من أمورهم.

ثم بعد مدة سرح من السجن، وبعد أيام خرج بقصد زيارة مولانا عبد السلام بن مشيش فوشى به بعض الحسدة للسلطان وقرر له أن مقصوده بهذه الوجهة هو الهرب بمال كان دسه، والاستيجار بذلك الضريح، فوجه السلطان فى أثره من رده على عقبه، ثم امتحن محنة أشد من الأولى، فبقى بفاس مدة يلتجئ إلى الله تعالى ويتعلق بأوليائه الصالحين، إلى أن أشار عليه من يشار إليه بالخير والصلاح بالتوجه لمكناسة الزيتون، والسلطان إذ ذاك بها، فذهب إليها واحترم بضريح جد الأملاك مولانا إسماعيل.

ولما بلغ خبره للسلطان أمنه وأمره بالطلوع لشريف أعتابه، فاستكتبه أولا مع وزيره الفقيه السيد المختار الجامعى، ولم يزل فى ترق ودنو إلى أن رده لمنصبه وأعطاه الطابع وعزز له الوزارة بالحجابة، وذلك سنة إحدى وخمسين، ولم يزل على وظيفته بعد عزيزا مكرما، ملحوظا معظما، إلى أن استهل هلال المحرم من سنة أربع وستين فمرض اثنى عشر يوما وقضى نحبه على ما سنذكره بعد رحمه الله.

وكان من عادته أنه يلازم الجلوس بباب القصر السلطاني حتى فى الأعياد وأيام البطالة، يذهب أرباب الوظائف والخدم لدورهم، ويبقى هو بالباب لا يبرح، فإذا تم أشغاله نام هنالك، ولا يذهب لبيته إلا فى أوقات محدودة، أو حاجة أكيدة، ويقول: الأيام حبالى لا يدرى ما تلد، فرما يحدث أمر وأكون غائبا.

وكان ذا ملكة واقتدار على الاشتغال، يَسُدُّ مَسَدَّ أربعة إذا اجتهدوا، وكان ينسبط إلى الكتاب ويمازحهم قصداً لإدخال السرور عليهم، وكان إذا تحدث مع جلسائه في فن التوحيد أحجم، وقال: كان شيخنا سيدي محمد الحراق يقول:

نحن في شرعة الغرام أذله إن أقمنا على الحبيب أدله

ويقول: يكفيننا قول من قال: اللهم إيماناً كإيمان العجائز، وكان يقنع فيه بالتقليد ويكره الخوض فيه، ويقول: الخوض فيه مما يوقع اللبس في ذهن العاجز، وكان لا يرى في غالب أوقاته غير كاتب أو مطالع أو مصل، وكان محافظاً على الطهارة كلما أحدث توضأ.

قال أبو عبد الله أكنسوس: وجدت بخطه يعنى المترجم في ذكر بعض آبائه الكرام محمد بن إدريس بن محمد بن إدريس بن محمد بن إدريس ثلاث مرات، فقلت له: ما هذا التكرار؟ فقال: هكذا بخط والدي السيد محمد بن الإمام إدريس ابن إدريس بن عبد الله الكامل، بتكرير محمد بن إدريس في عمود آبائنا تبركا بالجد المذكور، قال: فقلت لوالدي: هذا النسب صحيح؟ قال: هكذا كان آبائنا يتتسبون، وكانت عندهم ظواهر الملوك المتضمنة التعظيم والاحترام، وضاعت لهم في بعض الفتن الواقعة في باديتهم بعد انتقالهم لفاس هـ.

قال: وكان مقام سلفهم بقبيلة زمور من بني عمرو منهم من عهد قيام مغراوة على الإدارة واختفاء الإدارة في أغمار القبائل هـ.

قلت: وقد وقفت على تحليته وذكر نسبه وبعض آبائه في رسوم أنكحة بعض أولادها هكذا: «العالم العلامة، الصدر المكين الدراكة الفهامة: الوزير الشهير، الأديب الكبير، الذي نظم درر الفصاحة في أسلاكها، وضم درارى الأدب في أفلاكها، وأسكت كل لسان ببلاغته وأعجزه وأخجل، المرحوم المنعم بفضل الله عز وجل، سيدي محمد بن الفقيه الناسك الأجل، الواعظ المحدث المبجل، سيدي إدريس بن الخير الأرضى، سيدي محمد بن المكرم المرتضى، سيدي إدريس بن سيدي التهامي بن سيدي على بن سيدي محمد بن البركة الشهير الشريف المكين

الأَنور المرفوع نسبهُ إلى أحد ولدى مولانا وسيدتنا فاطمة الزهراء البتول، سيدنا ومولانا الحسن أحد رِيحانتى الرسول، أبى الحسن سيدى على الشريف الإدريسى الحسنى الشهير بالعمراوى الزمورى البويحياوى.

وكذلك عثرت على بعض الوثائق بيد أحفاده أحدها رسم يتضمن معرفة الشهود السيد أحمد بن يحيى ومن عطف عليه من المتعاشرين مع بنى عمر من البربر المستقرين بالدروج بأنهم يعرفونهم على أتم وجوه المعرفة وأكملها وبها ومعها يشهدون ويتحققون انتسابهم للجانب العلى، واتصال نسبهم للسيدة فاطمة الزهراء تاريخ الشهادة رابع محرم عام ستين وتسعمائة، وبعدها أعمال بعض القضاة لها منهم على بن حماد الحسنى، وقاضى سَلا، بتاريخ سادس عشر جمادى الثانية عام ثلاثة وخمسين ومائة وألف وغيرهم من القضاة المنطمس شكلهم، وبهذا الرسم بتر وانكماش.

والثانى ظهير إسماعيلى نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع السلطانى بداخله إسماعيل بن الشريف الحسنى:

«كتابنا هذا أسماء الله تعالى وأعز أمره. وأطلع فى سماء المعالى شمسهِ النيرة وبدره... بيد حملته الشرفاء أولاد سيدى أحمد بن يحيى الحسنى وهم السيد يخلف... عبد الملك بن أحمد، والسيد محمد بن أحمد، والسيد العميرى ابن أحمد، والسيد منصور بن أحمد، وكافة إخوانهم القاطنين بقبيلة بنى عمر يتعرف منه بحول الله وقوته، ونصره ومعونته، أنه لما ثبت عندنا، واتضح لدينا، وأنهم شرفاء يتسبون للشجرة النبوية وييدهم رسوم وبرאות الملوك المتقدمة على... فى ذلك وأسبلنا عليهم أردية التوقير والاحترام، وحملناهم على كاهل المبرة والإكرام،... عما يطالبون به العوام، بحيث لا... أو يحدث لشلهم... ولا زيادة... معارض يعارضهم ولا منازع ينازعهم، ومن نازعهم من قبيلة بنى عمر ولا غيرهم يخاف على رقبته، والواقف عليه يعمل به والسلام فى أوائل ربيع

النبوى عام عشرة ومائة وألف» وبعده شهد على الطابع الشريف صدره عدل فقبل، وانظر اتصال المترجم بهؤلاء المشهود لهم.

ودار سكنى المترجم بمكناس كَانَتْ أولا بحومة حمام الجديد، ثم عوضت لبنيه من بعده بأخرى أحسن بحومة تييربرين لا زالت تعرف باسمه إلى الآن.

مشيخته: منهم أبو عبد الله بن محمد بن الطاهر بن أحمد الحبابى رئيس الموقتين بمنار القرويين، والفقيه الأزمى، والسيد حمدون بن الحاج، والسيد محمد اليازغى، والعلامة سيدى محمد بن الطاهر العلوى المترجم فيما مر وغيرهم ممن هو فى طبقتهم، وأخذ عن الشريف سيدى الطيب الكتانى، والشريف سيدى عبد القادر العلمى دفين مكناسة الزيتون، وسيدى محمد الحراق، وامتجاز سيدى عمر ابن المكى الشرقاوى.

شعره: له شعر كثير، كالدرد النثير، جمع بعضه ولده الكاتب الأديب الحاج إدريس المترجم فيما سبق فى ديوان يقع فى سفرين وقفت على أولهما ينتهى بحرف النون، قال أوله: إنه كان لوالده القدم الراسخ فى موالة أهل البيت الشريف ومحبتهم، والانقطاع إليهم وخدمتهم، من عصر الشيبية إلى الشيخوخة والوفاة، وأنه كانت تصدر منه فى أغراضهم أشعار رائقة، وقواف فى أمداحهم رائقة، وعقود جواهر فى تعداد وقائعهم متناسقة، غير أنه لشغله بالخدمة، وأداء حق النعمة، لم يحتفل بجمعها، ولا ابتغى غير الآخرة من نفعها، ففترقت أوراقها شذر مذر، وحجب تعاقب الليالى محاسن تلك الغرر، فشرح الله الصدر لجمع ما بقى منها فى بطون الأوراق، وصدر أهل الأذواق، مما رق وراق، وأنه لما رأى ذلك من أكد الحقوق، والإعراض عن تلك البقية ضرب من العقيرق، فجمع منها علالة^(١) بين أمداح نبوية، وتوسلات وهبية، وفوائد وعظية، وتيجان ملوكية،

(١) العلالة: بقية كل شىء.

وحقائق سلوكية، ونسيب وغزل، وجد في المسامرات وهزل، وقدمه هدية لمخدومه
السلطان مولاي الحسن رحم الله الجميع.

ومن جيد شعره قوله من صدر ميلادية:

أعد الحديث عن الحمى وظبائه	فأسمع مشتاق إلى أنبائه
وصل الحديث عن اللوى وعقيقه	والنازلين الجذع من جرعائه
فهناك معترك النواظر والنهى	ومجال أفراس الهوى وظبائه
كم من صريع هوى بأفنية الحمى	فتكت عيون العين فى أحشائه
ومتيم لعب الغرام بقلبه	لما سقاه الوجد من صهبائه
وأسير وجد فى إसार جمالهم	قادته مرسله العيون لدائه
أن القتل من الغرام ودائه	مثل الشهيد مضرجا بدمائه
يا صاح إن وافيت منزلة اللوا	ومررت ما بين العذيب ومائه
ولقيت أسراب الظباء رواتعا	يمررن حول الحى فى أرجائه
فاحفظ فؤادك من ظبا تلك الظبا	فلكم كمى صيد فى أحيائه
وإذا بدا سلع فعرج نحوه	وتنشق الأرواح من تلقائه
وإذا مررت بحى قوم حيهم	وصل السلام على الحمى وظبائه
واخلع نعالك فى مقدس وادهم	واحطط رحالك خاشعا بفنائهم
فهناك طابت طيبة من طيب من	طاب الوجود بطيب طيب ثنائهم
وهناك روضة خير من ركب المطا	وأجل من لاذ الورى بعلائهم
وهناك قبر المصطفى من فضله	غمر الوجود بجوده وعطائهم

وهناك مَنْ أسرى الإله بذاته
وحباه قريبا لا يضاهى وخصه
وأراه من آياته وصفاته
وكساه من إجلاله وجلاله
إلى أن قال يذكر السلطان:

فاق الشواقب بالمناقب والحلى
قد فاخر الأعصار عصر وجوده
غمرتني أنعمه التي قد أعجزت
وايت من حر الكلام بمدحه
وجلوت عذراء المدائح غادة
أهدى القريض لها عقود جواهر
وأتى بكاملها الرفيع لكامل
والله أسأل بالنبي محمد
ويديم نصرته ويثبت عزه
صلى عليه الله ما حى الحيا
وعلى الأماجد آله وصحابه

وقوله يمدح السلطان مولانا عبد الرحمن بن هشام ويذكر إجراء الساقية
المسماة بتسلطانت حور مراکش إلى الغراس والجنات السلطانية:

وردت وكان لها السعود مواجها
وبدت طلائع بشرها من قبلها
وتسير ما بين الأباطح والربى
وتصوغ من صافى النضار سبائكا
هبطت إليك من الجبال وطالما
وأنتك راغبة تجر ذيولها
تنساب مثل الأفعوان وتشتى
خطب الملوك نكاحها فتمنعت
فلتهنك الخود الرفيعة منصبا
حمراء عباسية بدوية
وافتك وافدة صبغ الحيا
فكانها بلقيس جاءت صرحها
حاكت لك السيف الصقيل مضرجا
فكأنما ذبحوا بها زمرا فذا
علمت أناملك الشريفة أبحرا
فأنتك طالبة الأمان لنفسها
لبتك إذ سمعت نداك وأقبلت
ونزعته بالقهر من غصابها
حليت مراكشا بدر عقودها

والحسن مقصور على مواجها
كالشمس طالعة لدى أبراجها
ترمى فريد الدر من أمواجها
حلت بها الأعطاف من أثاجها
تعبت ملوك الأرض فى إخراجها
وتفيض غمر النيل من أفواجها
كالغصن بين وهادها وفجاجها
وأنتك واهبة حلال زواجها
وليهنها أن صرت من أزواجها
نشرت ذوائبها على دياجها
وجناتها وجرى على إدراجها
لكنه صرح بغير زجاجها
بدم العدا إذ أدميت للجاجها
قانى الدماء يسيل من أوداجها
غرقت بحار الأرض فى عجاجها
لتنال بعض الصيب من ثجاجها
مرهوبة تستن من إزعاجها
والسابقون رضوا ببعض خراجها
وفتحت مغلق نهرها وشراجها

وجلبت منها للرعية نفعها
كم من مزارع أخصبت وحدائق
يعلى على الإسكندر استدراكها
نالت من النيل المقدس شعبه
لو يعلم الحكماء ما فى مائها
فاق الرضاب حلاوة وعذوبة
لو مازجت ماء البحار بمائها
يغنى عن السكر طعم زلالها
تنسى الغريز ومعبدا نغماتها
حلت لنا دار الهناء وخصصت
أحيت نبات الأرض فى جنباتها
حيث الحدائق شاكلت زهر السما
نسجت زرابى فى الفلا مبثوثة
حفت بها حلل الأعارب رغبة
جعلت بساحتها ملاعب خيلها
وأنامت الأنعام حول فسيحها
يا أيها المحيى شريعة جده
والباعث الجرد السلاهب ضمرا
تهدى أستها ولع سيوفها

وحللت ما قد عز من أرتاجها
حلته بالاقراط من أزواجها
ويحار رسطاليس فى استخراجها
وزرى بطيب المسك طعم مزاجها
ما عاجلوا المرضى بغير علاجها
وحكى لباب الشهد حلو مجاجها
غلبت عذوبة مائها لأجاجها
وعن الغناء ينوب صوت لجاجها
ويحار إبراهيم فى إهزاجها
روض المسرة إذ أتته بتاجها
وأرت نجابة دوحها ونتاجها
فى زهرها الزاهى وفى أبراجها
من نورها كالمسك فى آراجها
فى مائها وكلائها ونتاجها
ومطالع الأقمار من أحداجها
فنمت بنجم جمالها ونعاجها
والمرشد الهادى إلى منهاجها
نحو العدا تستن فى أفواجها
نحو العدا كالشهب تحت عجاجها

تجتأب باسمك كل خرق سبب
الله يسر ما تروم أما ترى
لو شئت من زهر الكواكب وصلة
كم أمة شقيت بسيفك إذ عثت
وقبيلة تبعت سبيلك فاهتدت
ومرد لعب الهوى بضميره
ومحب حق قد جذبت بضبعه
تقد الوفود عليك طالبة الغنى
فتتال غاية قصدها ولو انها
عمت مواهبك الأنام فمالها
أنزلت رحلى فى حماية مالك
ولئن لجأت فقد لجأت لسيد
طود الجلالة أصل كل فضيلة
خذها أبا زيد نتيجة فكرة
طالت فطابت كالمثو به باسمها
والبس من المدح المنظم حلة
واسلم لدهر أنت شمس زمانه
وقوله فى العنب:

عرائس الروض تزهو فى عرائشها

وتعود بالإفلاج عند معاجها
عقم المنى عادت إلى استتاجها
لهذاك رافعها إلى معراجها
أخنى عليها الدهر باستدراجها
حاطتها حارسة العلا بسياجها
أرضته خطية القنا بزجاجها
فحبته أيدى المكرمات بساجها
تزجى الركائب تحت مبهم داجها
نادتك لبها ندى أفلاجها
إسآدها يهدى إلى إدلاجها
سامى المناقب والحلى وهآجها
كشاف معضلة الورى فرآجها
بدر الخلافة فى الورى وسراجها
بكرآ تهز العطف فى ديباجها
إن شئت سحر البابلى فناجها
قد طرزت واعطف على نساجها
ولأمة أنت الكفيل بحاجها

لها خدور لصون الحسن والحسب

قد ربيت فى مهاده ما يحركه
 وأرضعتها ثدى السحب درتها
 فأصبحت بعد ما تمت رضاعتها
 تكاد تسقط سكرًا فى أريكتها
 فيها لأهل التقى شكر ومهمله
 وقوله يداعب الشريف الفكه الظريف مولاي الحجازى العلوى الذى كان
 المولى عبد الرحمن يتأنس بمداعبته وكان قد مات له غلام يسمى بيدق وجارية
 تسمى شويطرة:

هى الأيام تفجع بالمصاب
 تكدر بالمنية كل عيش
 وتختلس النفوس ولا تبالى
 رمت عن قوس نبعثها سهامًا
 أصابت بيدقًا ورمت جهارًا
 فهذا كان يتبعنى نهارًا
 فتحسن عشرتى وتقم بيتى
 وذلك كان يحفظ لى مغيبى
 وكان الصدق شأنهما ولكن
 أأضحك بعد نيل الموت منى
 وقد علقت شويطرة المنايا
 وتمزج حلو نعمتها بصاب
 وتولع بانتهاب واغتصاب
 وتستلب النفيس ولا تحاب
 أتت من لم يكن لى فى حساب
 شويطرة ولم تشفق لمآب
 وتلك خديمتى عند الإياب
 وتحرسه وتغسل لى ثياب
 وأمتعتى ويحرس حول باب
 جيوش الموت تولع بالرباب
 وأنعم بالطعام وبالشرباب
 وجاورت البويدق فى التراب

فأفجعت الفؤاد بها وحسبى
وكانت أنفـس الأشياء عندى
وكنـت أعـدها لأمـور نفسى
وأطـمع فى اقتضائى لافـتضاضى
فوا أسفا على ما فات منها
مضت عنى شويطـرة وأبقت
ولانى أرتجى خلفا قريبا
من الرحمن مع حسن المآب

وقوله وقد وصله كتاب، من شأنى يريد السباب، فسد فى وجهه الباب:

ألا أيها الرامى بسهم سبابه
رويدك عندى للسفيه مثالب
رمىـت امـراء لا يعلـق الـذم ثوبه
ولى من لسانى صارم الحد فـاتك
فإن مضك الـذم الذى أنت أهله
وإن مزقت أسـمال عرضك نفـثى
نهيتك عن أمر تبينـت غـيه
فآليت أن لا ترعوى لنصيحة
إذا المرء لم يقبل نصيحة مشفق
فدعه وأحداث الزمان تنوشه
على جهة التعرض لى فى كتابه
ولكن أغض الطرف دون جوابه
وليس يحوم العيب من حول بابـه
يقـد حشا المغتاب لى فى قرابه
فأنت الذى أحوجبتنى لجوابه
فأنت طرقت الليث فى وسط غابه
وقلت لك التوفيق عند اجتنابه
وردت لجاجا فى عظيم اغتياه
ولم يتـحرج من قبيح اكتسابه
سيطره من لم يكن فى احتسابه

وقوله:

فهوئى الصب هواها وصبا	ذكرت ريح الصبا عهد الصبا
ونفت عنه العنا والوصبا	ما سرت إلا وسرت قبله
من لمى ثغر الأقاح الأشبا	باكرت روض النقاد وارتشفت
وأنت صبحا تشكى الوصبا	صافحت زهر اللواغب السرى
وجرت طلقا بأكتاف الربا	جررت ذيل دلال سابغا
نارعتها برد خز وقبا	شوشت أغصان بان عندما
وغدت تهدى إلينا السلبا	سلبت من كل نور نفحة
منذ اهدت من مواليه نبا	جددت وجدا لنجد والحما
سكنوا إلا استطاروا طربا	ما هفت يوما على القوم وقد
بشذا فاق العبير والكبا	وأنت من طيها فى حيها
جاورت جيرة سلع وقبا	كيف لا تسمو على الطيب وقد

وقوله:

كأنى لم أومن بيوم حساب	مضى فى المناهى والملاهى شبابى
ولم أتخذ عقبى وحسن مآب	ولم أدخر زادا ليوم مقامتى
وأعرض عن تقوى ونيل مثاب	أنافس مثلى فى البطالة والهوى
به خبط عشوا فى هوى وسراب	وأسريت فى ليل الجهالة خابطا
بياض مشيى فى سواد شباب	أنعم عيشا فى الورى بعد ما بدا

وقوله:

وأنفع النفثات السحريات رقى
وأكبر السحر تأثيراً وأصعبه
قاض على الكل مقبول وقد شهدت
لم يهرم الدهر ما أثنى على هرم

يئسها قلم الإنشاء فى الكتب
سحر تولد بين الخير والقصب
له المصاقع عند الحكم بالغلب
زهيره وفنى ما نال من نشب

وقوله:

أما الرسوم فلم ترق لما بى
ولقد وقفت بها أكفكف عبرتى
وأسائل الربع المحيل تولها

واستعجمت عن أن ترد جوابى
طوراً وأمسح فى فضول ثياب
حتى رثى صحبى ورق ركاب

وقوله:

أريد إقامة الحجج المواضى
وأدحض بالحقيقة كل وغد

لا محو زور أقوال الوشاة
يبين الود وهو من العداة

وقوله وقد كان فى سفر مع السلطان ماراً ببلاد رمور الشاح فبدا سرب من
نسائهم متعرضات للسلطان فاستنشه بعض الرفقاء فأنشده بديهة:

أطباء رمور سلبتم مهجتى
وهتكتم بالقهر حصن تنسكى
شنت علينا بالنواظر غارة
كفوا الحاظكم الكحيله وارردوا
أولا أأيحوا للشفاه شفاهها

بقنا القدود وصارم اللحظات
بجيوش حسن خريده ومهات
فأخذتم الأبواب فى الثارات
أسلاب الأبواب على المهجات
ولتستحلوا لثم تى الوجنات

قالت أفى شرع الغرام تحكم
نحن الملوك على الملوك وإنما
الجور عدل عندنا والظلم حـ

أرايت منحكم على الفتيات
أحكامنا بالقهر والغلبات
ق بيننا والذنب كالحسنات

وقوله فى معنى التغزل والوداع . وعرض لذلك داع . وتخلص منه لمذح
السلطان :

عرضت لنا كالظبية المغناج
هيفاء فوق قضيب بان أطلعت
ورنت بعين مهة رمل أودعت
لضعيف ذاك الجفن صولة قادر
خرسى الخلاخل والسوار وقرطها
يشكو لليل الشعر مدمج خصرها
والعين من فرط السقام شكت لنا
أعدى سقام جفونها جسمى كما
إن مت من فرط الغرام فقاتلى
دينى على طبيا تهن مواعد
كم من شفا بين الشفاء لذى الجوى
أصف الدواء لذى الهوى وأظنتى
إن التى سفكت دمي بلحاظها
حيث فأحيت صبها بمكحل

تختال فى حلل من الديقاج
بدر التمام بليل شعر داج
فتنا تنسى فتنة الحلاج
فى العاشقين كصولة الحجاج
والخلى مهما مشت كثير لجاج
ما مسه من ردفها المواج
ما يشكيه الخصر من إدماج
قلبي بنار الخد ذو إنضاج
غيد الغوان بكل طرف ساج
بالقرب منها الغرام علاج
ودواء صب فى لذيد نتاج
من لحظ عين العين لست بناج
وسبت فؤادى بطرفها المعتاج
أحوى ووجهه أبلغ وهاج

وتبسمت فأرتنا سمطى جوهر
لم أنس وقفة عيسها يوم النوى
والقلب من ألم الفراق على لظى
تشكو النوى لمحبتها بلواحظ
ساروا فكم من مهجة فى إثرهم
هم أودعوا قلبى الجوى إذ ودعوا
نعب الغراب بينهم فتفرقوا
بانوا فبان تصبرى من بعدهم
سقبا لمنزلة اللوى من معهد
أيام تسعدنى سعاد بقربها
والدهر غص جفون كل مكاشح
كم ليلة طلعت طلائع أنسها
إذ نطلع الكاسات فيها أنجما
وندير من خمر الصبابة بيننا
لا نقتفى غير العفاف ولا نرى
وعشية رقت وراقت منظرا
يبدو فتحسبه سماء أفرشت
لو كنت شاهده وقد هب الصبا
والشمس ناشرة دوائب شعرها

بفعلج لمدامة مجاج
والظعن فى الإلجام والإسراج
والعين تسخو بمد مع ثجاج
نعس الشفار ومقول لجلاج
ومدامع تستن كالأمواج
وطووا بدور التم فى الأحجاج
ليت الغراب مقطع الأوداج
وكلفت بالتأويب والإدلاج
فلكم قضينا بربعه من حاج
وتزيح عنى الهم حين تناج
أوقاته للأنس ذات نتاج
فجلت جيوش نوائب ودياج
تجلى على النغمات والأهراج
صبهاء صافية بغير مزاج
غير الوفا فى الحب من منهاج
فى شط بحر زاخر عجاج
أمواجه تلتاح كالأبراج
لعلمت كيف تلاطم الأمواج
تبدو لدى آفاقه كالتجاج

وتزين صفحته بمذهب نورها
والموج أمثال الكتائب يرمى
تهدى إليه بنفسجا من مائها
ويكاد يحكى الملك الرضا
المالك الميمون طائره ومن
ما عابد الرحمن إلا رحمة
وقوله:

قالوا أنراك عدلت عن سنن الهوى
فأجبتهم برد الزمان أصابنى
وقوله:

ترقرق فى وجه الصباح صبح
وعاودنى للأنس عيد مسرة
ولم أر مثل (المأمونية) معهدا
هو السهب للشهب الزواهر مطلع
قباب كأبراج السما ومنازل
بها للظباء الكائنات ملاعب
وقد صفقت تحت الظلال مذائب
ظللنا بها والسحب ينثر دره
تلون فيه الجو كالدهر بشره

فيهز عطف التيه عقبى الداج
ويغير نحو الشط فى أفواج
فيرده متكسرا كالعلاج
فى جودها لو كان غير أجاج
حياه وجه السعد بالآفلاج
ظهرت لحسم ضلالة وعلاج

مذ حدت عن نظم القريض ونسجه
فجمود نار قريحتى من ثلجه

فبان به اللهم عنى سرور
به لعهود الأنسات فتوح
بأكنافه تغدو المنى وتروح
وللفضل فيه والجلال وضوح
خلال بروج قد علت وصروح
سمت ولربات الجناح جنوح
وساحت فصاحت فى الغصون صدوح
وللغصن فيه والأضات طموح
يمارجه تحت الغمام كلوح

وللريح فى تلك الخمائل زفرة
وللكأس فى كف السقاة تبسم
فلا زال مأوى للملوك وللعلا
وقوله:

بنفسى روض من جمال جلوته
سقاها حيا حتى ارتوى ورد خده
وغرد ورق الحلى من فوق قامة
فعانقت منها الغصن يهتز بأعما
وقوله:

دعا داعى الشريعة للجهاد
فما هذا التناقل والتوانى
وكم هذا التغافل والتعامى
وقال من مولدية:

يا نسمة هبت مع الأسحار
وتقر من أهل المحبة أعينا
حيث بأنفاس الخمائل أنفسا
وافت تجر من الدلال ذبولها
تروى أحاديث العقيق وحاجر
فتسوق للصب المشوق صبا

كزفرة صب قد عراه نزوح
وللشرب تقطيب لها وكلوح
تقرر فيه للسرور شروح

وقد غفل الواشون عند صباح
حياء فحيانا بشفر أقاح
سمت فوق ردف كالكتيب رداح
وقبلت منها البدر غب ليح

فلبوا مهطعين إلى الجلال
وحزب الشرك يضرب فى البلاد
وقد حفت بكم امر الأعادى

تحبى القلوب بعرفها المعطار
لم تكتحل بعد النوى بغرار
تشرى اللقا بنفائس الأعمار
وهنا وتسمح أوجه النوار
عن بان نجد عن شذا الأزهار
وتشب فى الأحشاء جذوة نار

وتبث عن عرب برامة خيموا	سرا تنزهه عن الإضمـار
تتمایل الأشجار عند سماعه	طربا وتفصح ألسن الأطيـار
لم تدر دارين لسالب مسكها	طيب الأريج ولا ظفير ظفـار
لم لا تفوق وقد تلقفها الصبا	وروى شذها نسائم الأسحـار
وأنت على دار الحبيب فأذنت	منه بقرب مسرة ومزار
وتوافق السعدان فارداد العلا	فصل الربيع ومولد المختار
شهر به اهتز الوجود بأسره	لظهور سر الله فى الأسرار
وسرت مسرته على طول المدى	وتجددت بتجدد الأعصار
لاحت بغرته السعود وأشرقت	فرحا بوسطه سنا الأنوار
وتزينت فيه الجنان وحورها	وتبرزت بمنصة استبشار

وقال من قصيدة يهتـى بها مولانا على بن مولانا سليمان بدار أسكنه فيها
والده السلطان رحمه الله وقد جمع فيها العلماء والأعيان، لقراءة ختمات من
القرآن، وكان ممن جمعته تلك الجملة، وانخرط مع أولئك الجلة، :

حياك حياك رب العرش يا دار	ودار مع ساكنيك العز ما داروا-
ولن تزالى بإذن الله دار على	والمجد والجود والعلياء عمار
دار تود الشموس لو تحل بها	وتحسد النازلين فيها أقمار
شيدت بها غرف من فوقها غرف	وقد جرى تحتها كالخلد أنهار
بها سواري عواري كالجوار بدت	عليها للحسن والإتقان أنوار
قد نمت ببدع الحسن ساحتها	كأنها الروض والألوان أزهار

جرى بها سلسل مثل اللجين بدا
فما البديع بديع عند رؤيتها
أست على الدين والتقوى ألت ترى
عذراء قد بهرت حسنا وقد عنست
فكفؤها المرتضى الأسمى أبو حسن
وزادها شرفا فخما إلى شرف
بتنا بها ليلة ما كان أقصرها
للقارئین لدى أرجائها
بنعمة تدهش الأبواب مطربة
للند والعود فى أرجائها أرج
وللشموع سطوع فى مجالسنا
قابلن جيش الدجى ففر منهزما
وللمصاييح فى تأنيقها عجب
نردد الطرف فى أرجائها عجا
يقول مبصرها من حسن بهجتها
يا روضة الحسن منك الحسن مسترق
أنت التى جمعت للحسن أجمعه

فى خصه فيها للرائين أسرار
وليس يذكر للرهراء أخبار
ففىها مدى الدهر للرحمن أذكار
دهرا لكفاء لها فى الناس تختار
فنعم من حلها ونعمت الدار
أن قد غدا صنوه الأسمى لها جار
كذا ليال الوصال فيها أقصار
وللمصلين بالتسبيح إظهار
ليست تحاكيها قينة وأوتار
وللمدائح إقبال وإدبار
كأنهن قنا سنانها النار
إن الدجا من جيوش النور فرار
مثل النجوم لها فى الليل إزهار
فيرجع الطرف عنها فيه إحسار
وللورى ببديع الحسن إقرار
وللبها منك إيراد وإصدار
لما ثوى بك من للمجد مختار

وقال يهنئ أخاه فى أله الفقيه النزيه السيد محمد الشرفى بعرس:

هنيئًا أبا عبد الإله لك البشرى	فهذا زمان السعد قد أظهر البشرى
وهذى رياض الحسن تزهو أريضة	وهذى بشارات السعود أتت تترا
فرد من زلال الود غير مكدر	وجل برياض الحسن واقتطف الزهرا
فقد وصلت من بعد طول تشوق	غزال بليل الشعر قد أطلعت فجرا
سرت وظلام الليل أرخى سدوله	وزارت على بنعد الديار لنا بدرا
عجبت لشمس زارت البدر فى الدجى	وعهدى بأن الشمس لا تدرك البدرا
حكى ظبية وعساء جيدا وناظرا	وأزرت بقد الغصن والصعدة السمرا
تشوق منها القرط صوت خلاخل	فأرسل للإتيان بالخبر الشعرا
وقد غردت من فوق غصن قوامها	حمام حلى آذنت باللقا جهرا
تريك عقود الدر عند ابتسامها	وتسقيك من سلسال ريقتها خمرا
ولا عيب فيها غير سقم جفونها	وكفل رداح ثقله أنحل الخصر
وغير حديث قد حكى السحر رقة	له فى سويدا قلب سامعه مسرا
فواصل بها وصل السرور ودم على	ذرى المجد والعلواء مرتقيا فخرا
وخذها كما شاء الوداد خريدة	تفوق الذى أعطيت فى وصلها مهرا
ودونكها كالروض قد نشر الحيا	بأرجائه من دمع ديمته درا
ففتق من صوب الكمام أزاهرا	فأعبرت الأرجاء من طيبها نشرا
ونادت طيور الشكر فوق غصونها	هنيئًا أبا عبد الإله لك البشرى

وبحسن قد كالفضيب الزاهر
كدجنة فاعجب لحسن باهر
وردية ذات الأريج العاطر
يشفى الحشا من كل داء ضائر
والذ من رشف الرحيق لخطاير
وجلبت لى من شقوة يا ناظرى
وحصلت فى شبكات ظبى نافر
ورميتنى فى بحر حب زاخر
ما بين جيش قواضب وبواتر
بظبا ظباء لم أجد من ناصر
بشفا شفاه اللعس تحت غدائر
لتميم فى حاجز بمحاجر
بشفار الحاظ رمت بخناجر
فغدا أسير عوامل ونواظر
وشددن أسر وثاقه بمغادر
فتاكة بشفار شفر فاتر
طرفى بطرف بنابلى ساحر
والسحر أيد جنده بعساكر

سحرتك بالطرف الكحيل الساحر
وبغرة كالفجر تحت ذوائب
وبنقطة مسكية فى وجنة
وبريقها المعسول إلا أنه
ريق أعز على من نيل المنى
ماذا وكم أوقعتنى فى حسرة
ولكم جمحت بتيه ميدان الهوى
ولأنت يا قلبى فكم أصليتنى
أدخلتنى فى وسط معركة الهوى
وتركتنى فى حى ليلى مشخنا
يا سعد هل لى فى الهوى من سعد
أم هل بنجد هواهم من منجد
فتكت عيون العين فى أحشائه
وسطت عوامل قدهن بقلبه
أوثقنه بجبال وعد مخلف
نفسى الفداء لظبية فتانة
نامت نواظرها وقد سلبت كرى
وغدا الجمال بأسره فى أسرها

فلإذا بدت سجد العيون لحسنها
وترى القلوب خواشعا لجمالها
شمس على غصن تكون فى نقا
نصبت قسى حواجب موتورة
فكأنما هاروت عن أجفانها
ورعت رعاها الله فى ربع الحشا
غيداء قد ورثت محاسن يوسف
وتوطنت بالمنحنى من أضلعى
فغدوت ما بين الأنام متيما
وغدا عذولى عاذرا فى حبها
كم من عذول فى الهوى ومكاشح
ولكم رقيب فى الهوى ألفته
ولكم نظمت سلوكه فى عادة
ولكم ليال قد جلوت فريدة
ومديرنا رفع العقيرة منشدا
يشدو فيبدو الدر من أصدافه
سقىا لأيام الوصال وقربها
إنى لأذكره فأحسب أننى
وأقول للأيام هل من عودة
فعساه يظهر لى المتاب بعودة

تسبيحها سبحان ربي الفاطر
مكسورة من كسر طرف كاسر
من تحت ليل ذوائب وغدائر
بالسحر ترمى كل صب ناظر
يروى فيسند ساحر عن ساحر
حب القلوب ولم تخف من زاجر
ناهيك من حسن بهى باهر
ومحصب الأحشا رمت من حاجر
بجمالها ومهيما فى سائر
فاعجب لعاذل ذى غرام عاذر
غابت شواهد بوجه سافر
بالشعر حتى عاد عند أوامرى
فاقت قلائده بدر فاخر
والكاس نجم فى سماء أزاهر
قطعا ألد من المدام الدائر
ثغر وشعر مع عقود جواهر
وزمان أنس بالأوانس زاهر
من كثرة الأشواق بين محاضرى
لزماننا الماضى بوصل حاضر
ويكفر الماضى بحسن الآخر

وقال يمدح سيدى محمد بن السلطان الموالى عبد الرحمن وكان إذ ذك
خليفة والده بمراكش وولى عهده ووجهها له سنة ١٢٦٢ مع ولده الحاج إدريس:

عرضت وجيرتنا على أوفاز	فى سرب عين بالنسيم جواز
هيفاء يعطفها الدلال فتشنى	فرحا ويكسوها حلى الإعزاز
هزت من القد القويم مهفهفا	ومن اللحاظ الدجع حد جراز
حكمت بحلية الدماء ومادرت	أن الشريعة لم ترد بجواز
وقضت علينا بالوفاء ولم تدن	فى مطل موعدها لنا بنجراز
بانت فقلبي خافق ومدامعى	مرمضة والصبر فى أعواز
تلك الأطباء طباء رامة قد غدت	فى جيش أرباب الغرام غواز
من كل قاصرة تطول إذا رنت	حزب الكمأة وهى فى تجواز
تبدى التأنس بالنسيب وطالما	أعيت مكايدها على الغناز
جور الحسان على الكرام وظلمهم	عدل بلا شكوى ولا اشمئزاز
ما ذاك إلا أن أنصار الهوى	فى صولة تخشى وفى إعزاز
ملك الجمال على القلوب محكم	وجيوشه من أفخذ الأوشاز
تعنو لهيبته الرقاب كما عنت	لمحمد الحمود ذى الأحراز
علم تفرد بالجلالة والنهى	وغدا لخصل السبق ذا إحراز
زان الرياسة بالسياسة والعلا	بسخائه والوعد بالإنجاز
وسما إلى رتب الكمال بعزمة	لا تشنى وبصـارم هزهاز
فاق الثواقب بالمناقب وارتقى	عن طيب أخلاق وطيب نجاز

ساويت بين الصقر والخزباز
كلا ولا كل النسيم حجازى
ما صيد باشقها كصيد البار
إجلاله فى موقف الإعجاز
فوجدت بسط القول كالإيجاز
ما إن لفضلك فى الزمان موازى
ردت أبى النفس كالجلواز
وسواك سام السرح فى الأجرار
وقضى لوعده علاكم بنجار
لما اكتفى منها السوى بمجاز
بذكاء فهم رائد وحزاز
والسبق فى الميدان يوم براز
ونطق نطق مصدق ممتاز
ومشاهد مشهودة ومغاز
للمارقين وسيف كفك غاز
تذر الكماة الصيد كالحرار
مشهورة بالفتك فى الشراز
والضرب فى الأعناق والأجوار
جهزتها لحلاك خير جهاز

قل للمحاول شأوه أقص فقد
ما كل برق لاح برق تهامة
والطير يظهر فى المطاعم فضلها
حاولت مدح محمد فأقامنى
وأطلت فى أوصافه متطفلا
يا مفردا جمع الفضائل كلها
أرهقت أرباب الضلال بصولة
وأسمت سرحك فى رياض سعادة
وكساك والدك الرضا حلل الرضا
أدركت فى التقديم كل حقيقة
سابت أرباب العلوم ففقتهم
فلك اليد البيضاء فى أنواعها
فسعيت سعى موفق ومسدد
كم فتكة بكر لسيفك فى العدا
كيف النجاة وسيف سعدك طالب
قدت الخميس إلى الوطيس بعزيمة
واسود حرب غابها سمر القنا
لا يعرفون سوى التقدم فى الوغا
وإليكها أبكار فكر غضة

تاهت على شعر العراق لطافة
يهوى الرقيق الطبع رقة طبعها
قد جئت بالدر النفيس مفصلا
ولطالما طلب الغواة ذخائري
سمحت بها الأفكار وهى لواعب
وأنتك عفوا حرة من حرة
أنى يعارض الغوى وقد غدت
حصتها بعلاك خير تيمة
ترمى نجوم سمائها حرسا لها
ويحوط حوزة سرها ذو مرة
ولكم دعى رام عجم عقودها
أسدى وألحم فى مجال غروره
والشعر يعرف قدره من حاكه
دم فى ذمام المجد محروس العلا
وقال:

نادى السرور بسعدكم فتزهبوا
بسط الربيع به بساط زبرجد
قد كان كنزا فى التراب مطلما
أبدت خبايا الأرض من بركاته

وزرت بأهل الرى والأهواز
ويعدّها الجّهل فى الألغاز
عقدا وما أنفقت من أعواز
حرصا ففاقهم نفيس ركاز
فأتت بغنة قينة ميجار
والحر لا يحتاج للمهماز
بصفات حمدك فى صوان طراز
من كيد كل مكاشح هماز
شهباً لحرق الكاشح اللماز
فكانه باز على قفّار
والدر لا يمتاز للبرزاز
ما حرفة الصواف كالقزاز
نساجه أدري من البرزاز
فى نعمة موصولة بمفاز

فالروض قد أهدي حلاه وخزه
قد أحسنت أيدى السحائب طرزه
فتحت رقى كنز الغمام كنزه
ما أوضحت لسر الكمائم رمزه

طلعت طلائعه بكل ثنية
وجيوشه النوار تظهر في الربى
ملك الفصول له التقدم بينها
فخر الزمان بصفيه وخريفه
متصرف في الأرض عند وروده
تتنفس الجنات فيه أما ترى
وقال:

ما للظباء الجواز
فتكن بي فمن أفتى
بكل قد قناة
لهن في كل يوم
قد طال للعين جور
ولا شفاء لقلبي
سأشتكي الظلم يوما
فهو في الحب قاض
قد حاز كم من خصال
ففي الفصاحة فرد
إن قال أسكت قهرا
وهل لديك صراخ

تهدى بدائعهم وتنشر بزه
أعلامه يبدى علاه وعزه
من رام شأو سناه منها عزه
وشتائه يوم الفخار وبزه
فأشب نرجسه وشيب لوزه
أرجا سرى أحيا الفؤاد وهزه

أعرضن عند الجواز
في مهجتي بالجواز
وكل شفر جراز
لدى فؤادي مغاز
وهن حلف اعتزاز
إلا اللقاء والتجاري
إلى (الشريف الحجازي)
يقضى بحسن نجاز
فهو بها ذو امتياز
ما أن له من مواز
كل فصيح مماز
إن صاح في الأفق باز

أقسم بالبیت حقا

ما إن رأيت ظريفا

وقال يتغزل:

ألا خبروا ذات الخلاخل والقرط

لقد أودعت قلبي وربك لوعة

تميس كخوط البان غازله الصبا

رمتني بسهم الغنج عن قوس حاجب

وما كان الحب إلا بنظرة

عجبت لها مذ ورد الحسن خدها

وحلت بقلب المستهام وأهلها

وقال:

أبصر مقلتي فريد جمال

ظبي أنس قد قلبي بلحظ

همت فيه لما تطلع بدرا

بأنى ملك للجمال بلا شرط

غداة بدت بين الوشاحين والمرط

وتسفر عن بدر وتفتّر عن سمط

فأصمت فؤاد المستهام ولم تخط

وتبتدئ النيران من ضرم السقط

وزينة كف المحاسن بالنقط

بذات الغضا ما بين نعمان وأسقط

قد سبى مهجتي بشجر الرباط

حل في حبه على رياطى

فوق غصن هفا بـ(برج السراط)

وقال مجيبا لبعض أهل الرباط، ممن كان له به معاشرة وارتباط، وضمنها

مساجلة ومداعبة فى عتاب، وملا ما على تقصير فى كتاب:

فأنهلتني كأس الوداد على شحط

صبا للصبا النجدي ذو اللمم الشمط

كأنك قد عاطيتني كأس إسفط

أتانى نظام منك كالدر فى السمط

وذكرنى عهد الصبا ولطالما

هزرت به عطفى ارتياحا ونخوة

ودبت حميا لفظه فى مفاصلى
وقرظت أرضا بالجهاد تشرفت
أما فى رباط الفتح للفتح آية
ولكننى أملى عليك دعاة
وأبديت فى حكم الغرام تلونا
كأنك فى هذا خليع صباة
أراك استباك البحر والموج والهوى
وقابلتنى لما نأيت بجفوة
أما هذه شهران مرت ولم يجئ
إلى أن أتت من بعد نأى رسالة
وجئت بها بدعا لفرط اختصارها
ولولا اتضاح الصفح فى صفحاتها
لأرسلت من عتبى إليك كتابا
ولولا الحياء من صفى أبى العلا
لم يراعى السرى فى الأرى واغتدى
حماك حماه من سماع يراعى
وقم فى مقامى عنده وارع وده
وكن شاكرا للفضل والفصل ذاكرا
فلا زلتما فى نعمة وسلامة

جررت بها من نشوة طربا مرطى
وحلت من العلياء فى موضع القرط
لمن يفهم المعنى المراد من الربط
تلوح كأخت الظبى تختال فى الربط
فطورا أخو ضبط وطورا أخو خبط
يشبب بالسودان طورا وبالقبط
وهمت هيام البط بالماء والشط
ولم تجر فى شرع الوداد على شرط
رسولكم لا بالسلاام ولا الخط
خبطت بها عشواء فى مضمهر الخبط
ولم تسم الأخبار والود بالضبط
وما قد حواه الصدر من غرر البسط
مجللة بالزعف والبيض والخطى
أخى المجد والعليا والخلق البسط
على البعد يغرى الكف بالقدر والقبط
فلا ترع بعد مربع الأثل والخطم
وراع رعاك الله مالى من قسط
عهودى ولا تصبح لذاك أخا غمط
بجيد كما حلى المكارم كالسمط

وقال من قصيدة:

وأخفت بأفلاك السعود جمالها
عليها الغواني الحافظات حجالها
أم الشمس أبدت في السحاب اعتدالها
فأخفت لنا شهب السما وهلالها
تجل عن التمويه من أن ينالها
وقد سلبت غض الغصون اعتدالها
تأمل ترى أسلاكها وفصالها
تود ذوات الحسن منها دلالها
تروم ببذل الروح منها وصالها
بآفاقها والنور يبدو خلالها
فأهدت إلى نفس المحب خبالها
إلى القلب من قوس اللحاظ نبالها
تهد من الشم الرراسى جبالها
وقد سئمت نفسى الغداة مصالها
تصدى لها واشى الهوى فأمالها
من الوجد هل تسلو الجياد اختبالها
وقد جدل النوم الثقيل رحالها
يروم من الحسنة قهرا منالها

بدور أعارت للبدر كمالها
حوى كل خدر بدر تم وأسدلت
فقلت أفجر قد تبلج ضوءه
فقليل بلى شمس الجمال تطلعت
تأمل ترى حسن البداوة ساذجا
تعلم منها الظبي حسن تلفت
تشابه حسنا ثغرها وعقودها
وفى الكلة الحمراء بيضاء غادة
لديها قلوب العاشقين أسيرة
عجبت لها والليل أرخى سدوله
نظرت إليها نظرة يوم حاجر
وأخرى بأكتاف العقيق فأرسلت
فعدت وفى قلبى من الوجد لوعة
وعاشت لما منت من الوصل برهة
إذا أزمعت وصلى نجازا لوعدها
وإن رمت سلوان الهوى قال قائل
سموت إليها بعد هده وهجعة
فقالت ألى أنت أم أنت فاتك

فقلت لها إني محب فقههت
أتهوى وصال الغانيات وقد بدا
فأبت ولم تعلق بكفى ريبة
أشيب وعيب إن ذا غير لائق

وقال يصف أهل الزمان، وأن الإنسان لا يسلم منهم كيفما كان :

أرى الناس قد أغروا ببغى وريية
وقد لزموا معنى الخلاف فكلهم
إذا ما رأوا خيرا رموه بظنة
وليس امرؤ منهم بناج من الأذى
وإن عاينوا حبرا أديبا مهذبا
وإن كان ذا دين رموه ببدعة
وإن كان ذا زهد يسموه نعجة
وإن كان ذا صمت يقولون صورة
وإن كان ذا شر فويل لأمه
وإن كان ذا أصل يقولون إنما
وإن كان مجهولا فذلك عندهم
وإن كان ذا مال يقولون ماله
وإن كان ذا فقر فقد ذل بينهم
وإن قنع المسكين قالوا لقلة

وقالت لعا لو كان غيرك قالها
بفودك صبح الشيب ينفى اتصالها
وعدت على نفسى أقبح حالها
بمن يبتغى الأخرى ويبغى كمالها

وغى إذا ما ميز الناس عاقل
إلى نحو ما عاب الخليفة مائل
وإن عاينوا شرا فكل مناضل
ولا فيهم عن زلة متغافل
حسيبا يقولوا إنه لمخاتل
وسموه زنديقا وفيه يجادلوا
وليس له عقل ولا فيه طائل
مثلة بالعى بل هو جاهل
لما عنه يحكى من تضم المحافل
يفاخر بالموتى وما هو زائل
كبيض رماد ليس يعرف خامل
من السحت قد رابى ويس المآكل
حقيرا مهينا تزدره الأراذل
وشحة نفس قد حوتها الأنامل

وإن هو لم يقنع يقولون إنما
 وإن يكتسب مالا يقولوا بهيمة
 وإن جاد قالوا مسرف ومبذر
 وإن صاحب الغلمان قالوا ألا بنت
 وإن هوى النسوان سموه فاجرا
 وإن تاب قالوا لم يتب لزهادة
 وإن حج قالوا ليس لله حجه
 وإن كان بالشطرنج والنرد لاعبا
 وإن كان فى كل المذاهب نافذا
 وإن كان مقداما ما يقولون أهوج
 وإن يعتلل يوما يقولوا عقوبة
 وإن صح قالوا ليس لله حاجة
 وإن مات قالوا لم يمت حتف أنفه
 وما الناس إلا جاحد ومعاند
 فلا تتركن حظا لخيفة قاتل
 يطالب من لم يعطه ويقا تل
 أنه من المقسودور حظ ونائل
 وإن لم يجد قالوا شحيح وباخل
 وإن أجملوا فى اللفظ قالوا مبادل
 وإن عف قالوا ذاك خبيث وباطل
 ولكن لإفلاس ومأثم حاصل
 وذاك رياء أنتجته المحامل
 وللاعب ذا الآداب قالوا مداخل
 وكان خفيف الروح قالوا مثاقل
 وكان ذا ثبث يقولون ناكل
 لشر الذى يأتى وما هو فاعل
 بمن يتعمده الردى والغوائل
 لما هو من شر المآكل آكل
 وذو حسد قد بان منه التحامل
 فإن الذى تخشى وتحذر قاتل

وقوله مادحا السلطان المذكور ومهتئا له بشامخ تأييده لما خرج جيش الوداية
 عن الطاعة، وشقوا العصا ونبذوا يد الجماعة، وظهرت له مخايل الإعراض من
 جلالته قبل النكبة، واستجماع الهزبر للوثبة، وكثرت به الوشايات، ودبت له
 عقارب الإذايات، فخرج له المدح بالعتاب. وذكره بصالح خدمته لتلك الأعتاب،
 وما يغنى الدفاع إذا تمكنت الأسباب، وإلى الله المرجع والمآب:

أمولانا أمير المؤمنين
وزادك رفعة وعلو شأن
وحكم سيف عدلك فى الأعادى
فإنك غالب بالله مهما
كفاك به اعتصامك كل عاد
فقد حان حين مهلكهم ونادى
ولو لم تغزهم لكفاك ربه
وقد فشلت رياحهم وخابت
وقد ساموا كبارهم هوانا
وقل لعبيد سيدنا البخارى
ثقوا بالله واعتصموا وقولوا
فأنت ملاذنا وبك استعنا
سيخزيهم وينصركم عليهم
ولا تخشوا فأنتم فى جهاد
فإن الشرع فى الباغين أفتى
وقدم أهل مذهبنا جهادا ال
وحكم الشرع فى الأعداء ماض
فقد شقوا العصا وبغوا وخانوا
فكم من مثلهم صاروا حديثا

حباك الله نصراً مستبيناً
واسمعاداً وتمكيناً مكيناً
وأودى به البغاة المعتدين
غزوت حبالك الفتح المبين
فعون الله للستوكليتنا
فقم بالله ربك مستعينا
وكان لهم بمكرهم مهينا
مكايدهم وعادوا صاغرين
وأضحوا ما أتوه ناكرين
ومن فى حزبهم والمسلمينا
إلهى أنت خير الناصرينا
على هلك البغاة المارقينا
ويشفى صدور قوم مؤمنينا
ونصرة دين رب العالمينا
والحق فعلهم بالمشركينا
بغاة على جهاد الكافرينا
وليسوا فى الأنام بمعجزينا
بغدرهم أمير المؤمنين
وذكرا سائرا فى الغابرينا

وإن البغى مرتعه وخيم
فهم أهل الردى إن لم يتوبوا
وأنتم أهل مكرمة وحلم
يزيد الله أهل العفو عزا
أمير المؤمنين إليك أشكو
وأكبرها صدودك لا لشيء
وإهمال الخديم وذاك عار
فلا كتب تسر ولا سلام
وإصغاء السماع إلى أعاد
وقد أشفوا صدورهم وأضحوا
وكم قاسيت بعدك من أمور
بكيث لها دموع دم ولما
وضاقت هذه الأرضون عني
فلو كان الممات يباع يوما
ولكنى سأسأل عفو ربى
وأرجو الحق يبدى الحق حتى
فإن الله لا يخفاه شيء
وهل يخفاكم أمرى وأنى
وأفانيت الشبيبة فى رضاكم

عقوبته معجلة يقينا
ولم يأتوا لحكمك، طائعين
وعفو عن جميع المذنبينا
كما بحديث خير المرسلينا
أمورا خلفت قلبى حزيننا
سوى زور الوشاة الحاسديننا
على أهل الوفاء الأكرميننا
به يحى المشوق إليك حيننا
حسبتهم للملك ناصيحيننا
بنا بين البرية سامتيننا
يكاد الصخر منها أن يلينا
أجد بين البرية راحميننا
لزور المترين المفتريننا
لكنت لكأسه فى الشاربينا
فإن الله خير الراحميننا
يريك الأصدقاء والكاذبيننا
وليس يضيع صدق الصادقيننا
خدمت جنابكم تسعا سنينا
ولم أمدد لغيركم عيونا

ولست بناشئ في الخائنين
فأبدوا من مكايدهم فنونا
لكنك بمكرهم في الهالكينا
فلا تسمع كلام العار فينا
وتأباه قلوب العارفين
فعاملنا بذلك ما حيننا
على حسن المذاهب ما بقينا
وحسن تقدمي في الناصحين
عرفت ولا رضيت سواها دينا
يزيد علا بنار الموقدينا
لملتزم لحضرتك الحينا
يكن لك فهو خير الناصرينا
محمدنا شفيع المذنبينا
وآل والصحابة أجمعينا

ولم تكن الخيانة من فعالي
ولكن ضاق بي الأعداء ذرعا
فلولا حلمك البادي علينا
فديتك إن غدوت بعيد دار
فشيمتك الكريمة ذاك تأبى
وحسن الظن خلقتك قد عهدنا
فرجع حسن ظنك بي فلأني
وتعلم حالتي وصلاح أمرى
فما بدلت بعد البعد حالا
أنا الياقوت في طبع ونفع
وإني إن عدت عنكم عواد
وأسأل ربنا في كل وقت
بجلك سيد الأكوان طه
عليه صلاة ربك مع سلام

وقوله مخاطبا الأمير المذكور وقد بلغه أن أعداءه نسبوا له عنده الخوض مع
من خاض من أهل فاس في الفساد عند خروج الوداية، وتجردهم للفحش
والإذاية، وكان السلطان يعرف براءته ودينه، ويورده من حسن الوداد معينه:

إذا أنت بالحال الخفى عليم
والزور في خلق الورى معلوم

مولاي إني بعهد ودك واثق
قد أكثر الواشون من بهتانهم

ليس الملام عليهم فيما أتوا
إننى صبرت على المكاره حسبة
وكفى بعلم الله واسع قول من
حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه
خافوا فضيحتهم بردى فأنبروا
إننى ليحجزنى الوفاء عن الجفا
فالود باق والمحبة غضة
إن كنت ختتك فى المغيب فخانى
وإذا سمعت بما يسىء سماعه
إننى سعت ولا أزال بفضلكم
وبذلك نفسى وما ملكت لأجلكم
ولسوف تتضح الحقائق جهرة
وإذا علمت بحالتى ولم تصخ
إن صح لى منك الوداد فإنه
ظنى الجميل بكم لحسن وفائكم
أنا عبد إحسان له بولائكم
وعليكم حفظ الوداد لأنكم
حاشاكم أن تشمتوا الأعداء بى
والله أسأل أن يدوم لملككم
بالمصطفى وبآله وصحابه

بل من يصيخ إلى الوشاة ملوم
والله يعلم أننى مظلوم
قبلى وظلم الحاسدين قديم:
فالقوم أعداء له وخصوم
للسعى فى هئلى وذلك لوم
والدين عما زوروا والخيم
والصدر من داء الفساد سليم
حال المصاب الصبر والتسليم
أملت أن لو حل بى المحتوم
أسعى لنيل طلاحكم وأروم
وصبرت حيث المستعين عديم
ويلوح من أسرارها المكتوم
للحاسدين فأمرهم معدوم
حسبى وحسب الحاسدين الشوم
ولدينكم ولفضلكم معلوم
كولاء سلمان له التقديم
أهل الوفاء وعبدكم مكروم
أو أن يساء على الوفاء خديم
النصر والتمكين والتعظيم
فعليهم الصلوات والتسليم

وقوله فى حالة سجنه، وفقدان أمنه، يتضرع للسلطان فى إقالة عشرته،
واستنقاذه من نكبته :

والصفح والعفو والإغضاء شأنهم	الحلم شيمة أهل البيت والكرم
لطف وعطف فمهما استرحموا رحموا	والرفق ينشأ منهم والحنانة مع
طول الدوام ومنهم تحفظ الذم	حسن الوفاء وحسن العهد شأنهم
فبعد رعد وبرق تسكب الديم	لا يؤيسنك من غير عقابهم
قد سنها خير خلق الله جدهم	خلائق ورثوها عن أب فاب
وجئتهم تائباً والفضل فضلهم	أقررت بالذنب والغفران يشملنى
وسيلتى أرتجى الغفران عندهم	وقد جعلت شفيع الخلق كلهم
عبد مسىء بحلم منك يعتصم	ياسيدى عابد الرحمن عفوك عن
وعندك الحلم والإغضاء والكرم	قد تاب توبة صدق من جنائته
فقد أضر به التعذيب والعدم	عامله لله وأعتقه ورق له
فكيف يخرج عنه مفرد علم	قد عم حلمك كل الناس من كرم
والفتح والنصر وألغيا لكم خدم	لا زال ملكك فى عز وفى شرف
صلى عليه إلهى ما بدا كرم	بجاء جدك خير الخلق قاطبة
نسائم اللطف للقصاد فاغتنموا	والآل والصحب ما هبت بجاهم
وجاء العفو والتسريح والنعم	وما سرى فرج للمستجير بهم

وقال وهو بحال الاعتقال، وكان الحكيم محمد يفرح رحمه الله رمز له
بمقال، وأوضح له لغز فال، فكتب له يستدعيه، كى يستفيد منه ما يعيه :

عسى نفعه من حضرة القدس تسرح
وتأتى بتفريج وأمن وبسطة
لقد غاب عنى النهار وضوؤه
لئن صدر عنا النهار وضوءه
عليه سلام الله ما هب ناسم
وقال:

ألا عطفة يا آل بيت محمد
أضر به ثقل الحديد وبرده
يحاكى الذى الموصول معنى وصورة
وقال:

ألا يا سيد الشفعاء غوثا
وآله الثقاف وعظم حزن
دعاك وإنه فيك ذو يقين
وأنزل رحله بك مستجيـرا
عليك الله فى القرآن صلى
وقال من قصيدة:

أسيـدنا إني بعفوك لاأثـد
تكدر عيشى مذ رأيـتك معرضا
فإن كنت قد أذنبـت فالعفو واسع
وفى سارعوا خير لمثلـك نيله

فيزهو بها قلب المعنى ويفرح
ويصدق ما قال الموفق يفرح
فلا سره يبدو ولا الكتب تشرح
فبعد غروب الشمس مسرى ومسرح
وما دامت الأرواح فى الكون تسرح

على ضائع فى السجن من غير فائدة
وهذى الليالى بالبرودة شاهدة
هبوا صلة بالفضل منكم وعائدة

لعان قد أضر به الحديد
يخر لبعضه البطل الشديد
يعالجه بك الفرح العتيد
فداركه بجاهك يا حميد
وسلم إنه الرب الحميد

من العتب أو من ظنة وملال
وأسهرت فى عد الذنوب ليال
وفى العتب للأحرار ضرب نكال
وأخذك بالآداب خير منال

يافهم حال أو بلحن مقال
رقابهم يوم الفخار نعال
فلانى إن تولوا المبرة غال
وداء عفاكم رينا المتعال
وسابقت فى الميدان كل مغال
صباح مشيى فى سواد قذال
خبير بواش فى الأنام وقال
ولست بحزب المبطلين أبال
فلا تجعلنى بعدها فى شمال
وبالرعى للخدام خير موال
ومن خلقك المحمود حسن فعال
ونحننا فضلاً غير سؤال
وتلك لعمرى شيمة المتعال
وأنتم - حفظتم - تعلمون بحال
ولى ذمة منكم وحرمة وال
وأمدح من والاكم وأوال
أنافس فى أمداحكم وأغال
بحمدكم فاقت سلوك لآل
ولا تقطعونى بعد طول وصال

وسر العلا والود يظهر للفتى
فلا تشمت الأعداء بى بعد ما غدت
ولا ترخصوا عرضى لهم بصدودكم
ولا تجمعوا هجرا على وغربة
خدمتكم عشرا سنين أعدها
قطعت بها شرخ الشباب وقد بدا
ومثلنى محسود عليكم ومثلكم
إذا ما حوت نفسى رضاك فحسبها
وقد كنت فى يمينى يديك جعلتنى
وأنت بتتميم الصنائع كافل
وعودتنا من حسن عهدك شيمة
تسائل عنا حيث غبنا وتعتلى
وتولى الذى تلقى البشاشة راضيا
ولم يك عن سوء يظن تأخرى
وإنى لمولاكم وكاتب سركم
أعادى الذى عاداكم وأذمه
وإنى لعمر الله حسان مدحكم
وقلدت جيد الدهر كم من قلادة
فلا تحرمونى قربكم بعد نيله

ولا تطردونى بعد ما بعلاكم
بقيتم بقاء الدهر كهفًا لأهله
بجاه رسول الله جدك أحمد
عليه صلاة الله ثم سلامه
وقال:

لمكناسة الزيتون عرج على صحب
وحى به من صفوة الود جيرة
وأوطان أوطار سقى ربعا الحيا
وقال:

نأت قوت قلبى فالصبابة عائدة
قد استأنفت نفسى لمكناسة هوى
وقد كان قبل بالقديمة لى هوى
وقال:

أحن إلى ثغر الرباط وأهله
وأصبو إليه كلما عن ذكره
وما ذاك إلا أن قلبى ساكن
متى تجمع الأيام بينى وبينه
ويبدى الرضا والشوق منا تعانقًا
فأجنى ثمار الوصل من روضة المنى

عرفت فأنتم سادتى وموال
وهنيتم النعمى بغير زوال
شفيع الورى السامى بكل كمال
وآل وصحب ماجدين وتال

وخيم به فى ذروة السعد والرحب
كرام السجايا عاكفين على الحب
وطيبها العرف الأريج من القرب

وزائدة فى حرقرة القلب زائدة
لواذع شوقى نحوها متزايدة
ولكن نفسى باخذيدة واجدة

حنين غريم للصبابة والوجد
صبابة قيس أو مضاض إلى هند
لدى سكن فيه قريب على بعد
وأشكو إليه ما لقيت من البعد
بصدر إلى صدر وخذ إلى خد
وأسقى كئوس الأتس من خمرة الود

وقال:

أخلى بالحمراء هل شفكم بعدى
وهل عهدكم باق كما قد عهدته
وهل عهدكم صافى المناهل سلسل
فلانى وإن شطت بى الدار عنكم
فإن تدعوا فى الشوق أبعد غاية
سلوا الليل عن وجدى بكم وصبايتى
أكن الجوى والدمع يبدى سرائرى
عسى نفحة أو لمحة من جنابكم

وهل شاقكم ذكر المعاهد من بعدى
فلانى لعمر الله باق على العهد
جميل صفات الود مستحكم العقد
لأكثركم شوقًا ووجدًا بذى ودى
فأضعف ما تعنون عندكم عندى
وبزل المطايا عن حنينى وعن وجدى
فله ربي ما أكن وما أبدى
تعلل صبا مستهائمًا على بعد

وقال وقد لقي بعض السلويين فسألهم عن أدباء بلدهم فأخبروا عنهم
بالعجب فشوقه لرؤيتهم والرواية عنهم فأنشد:

أهل سلا إنى مشوق لربيعكم
وما هو إلا الدر نظم عندكم
وللقلب سرفى سماع حديثكم
لألقط من أشعاركم حلية النحر
ولا غرو يلفى الدر فى ساحل البحر
ليعلم كيف النفث فى عقد السحر

وقال على شاطئ البحر بسلا فى ٢٠ محرم سنة ١٢٣٨م وكان قد توجه مع
وفد إعلام، ذوى آراء وأحلام، قاصدين السلطان المولى سليمان فمكثوا بالعدوتين
مدة، وخامرهم شوق جاوز حده:

عرانى من ذكر الأحبة وحشة
لطيف سرى بالوهم وهنا خياله
عجبت له أنى اهتدى ومتى ارتقى
تضاعف وجدى عندها ونأى صبرى
فزار على بعد وقد كان لا يسرى
إلى وكم من مهمه بيننا قفر

وولى فكم نار توقد فى الحشا
فبت وجنبى عن قتادة مسند
فقلت أسلى الهم عنى بنظرة
فما زادنى إلا اشتياقا كلاهما
لعل الذى كان التفرق حكمه

وقال:

يا ظبية الأنس ذات الدل والخفر
تخذت قلبى كناسًا تنزلين به
متى أفوز بوصل منك مفردة
ولا رقيب سوى كأس نروقتها

وقال:

حت لأحمال أثقال النوى عيرى
يا عيرى حثى الخطا واستنشقى أرجا
فما مقامى بأرض لا أنيس بها
إيه فما البعد عن أرض بها سكنى
فى كل قطر بها روض وساقية
تلقى بها أوجها راق نضارتها

وقال:

رأيت العز أجمع والمعالي

اشتياقا وكم دمع على أثره يجرى
وعينى حديث السهد تروى عن الزهرى
إلى خضرة أو بالتعجب فى البحر
وصرت كمثلى مطفئ الجمر بالجرى
سيجمعنا بالقرب من حيث لا ندرى

كم صدت صبابهم الغنج والخور
والقلب منزلة تعزى إلى القمر
يا منية القلب والإسماع والبصر
ولا مؤنس غير رنة الوتر

فذكرتنى أصوات النواعير
من نحو فاس وإن عز الخطا طيرى
ولا شراب سوى ماء الخطاطير
أهل الحضارة فيها والقناطير
فلا مجاز سوى على القناطير
مثل الدنانير فى زى النواوير

بظل المشرفية والعوال

وضرب الخيل المذاكى
وإن خطابهم بلسان سيف
إذا أبدى على الراحة وعظا
ومرهم بندق الجعبات شاف
إذا ومضت بوارقه وحنث
رقت روح الكماة إلى التراقى

وقال:

عسى نفخة الألفاف يهدى نسيمها
فلانى بباب الله أنزلت حاجتى
وجاه رسول الله أفضل شافع
فما خاب من إفضاله متوسل
ومالى مع حسن الرجاء وسيلة
وقولى وقد ضاق الخناق ضراعة
ألا يا رسول الله غوثاً لضارع
وإنى وإن علقت كفى بصاحب

وقال:

حيث فأحييت بروج اللطف والفرج
صباً صبا كل صب نحوها شغفا
عجيبة الصنع لو مرت على جدث

وتسليط الرجال على الرجال
لأفصح من مخاطبة المقال
هدى رشداً وأنقذ من ضلال
لأهل البغى من مرض الخبال
رعود الوند من طلب التزال
وطار القلب من خوف اغتيال

شذا فرح يشفى القلوب شميمها
وفى فضله آمال نفسى أسمىها
إلى الله فى حاج لعبد يرومها
به فهو مقبول المساعى عظيمها
سوى دعوات بالخضوع أديمها
مقالة مكسور الجناح هضمها
فلأنك محمود الخلال كريمها
وقربى بباب الله لست أريمها

وانشقت من شذاها أطيب الأرج
إذا هفت أذهبت ما كان من حرج
أحييت به ميت الأشباح والمهج

ولو سرى نفس منها على كبد
ولو تنسم يوما عرفها دنف
وافت وقد حملت من كل نافحة
فى ضمنها من ربي نجد وجيرته
جاءت بنشر الخزامى فى تنفسها
فلو درى مسك دارين بهبتها
وهل يقاومها طيب وقد نفحت
محمد صفوة الأكوان من خلقت
ما زال يدعو إلى الرحمن حتى هدى
وكانوا من قبل فى ظلماء مجهلة
خير الوسائل أركاها وأشرفها
به تبوسل آدم فنال عـلا
وكل فضل بدا فى الكون منشؤه
وكل من نال تشريقاً ومكرمة
عمت شفاعته دنيا وآخره
بالمصطفى كل صعب يستلين لنا
وباسمه إن دعونا يستجاب لنا
فسل بجاه النبی كل ما أمل
فجاهه عند رب العرش ذو عظم

حرا لأطفأ ما تلقى من الوهج
عان لعالجه الرحمن بالفرج
شذا به يدرك الإفراج كل شج
ما فواح العنبر الشحرى فى أرج
وحنة وعبير عبهر بهج
إذا سرى سرقا من نشرها الأرج
من نحو طيبة مأوى صاحب الفرج
لأجله واكتست من نوره البهج
من اهتدى لسبيل الرشد والفلج
حتى استضاءوا بصبح منه منبلج
عند الإله وأوفـاها بمترعج
وفاز بالتوبة الخالصاء والعلاج
من سيد الرسل والخيرات منه تجى
فمن علاه رقى لأرفع الدرج
لكل فرد بذاك الجاه مندرج
فى كل ضيق بإذن الله منفرج
أو استجرنا ننال الأمن فى اللجج
وافتح بجاه الرسول كل مرتج
وقدره أرفع الأقدار والحجج

إنى نزلت حماه الرحب محتميًا
وإن عـررتنى من الأيام نازلة
وإن تخوفت مكرًا أو خشيت أذى
فلن يخيب امرؤ حط الرجال به
أستغفر الله مما ضاع من عمر
وما اقترفت من الأوزار مشتغلًا
يا ليتنى قد خلصت من حبالتها
وليس لى عند حسن الظن أو لجأى
يهيج الوجد شوقى من تذكره
أقول للنفس إذ جد الرحيل بنا
قدمت شيئًا تنالين الأمان به
ما خاب قاصد خير الخلق من مضر
كم ذا التوانى وركب القوم قد سبقوا
فإن حضرة خير الخلق قد فتحت
وسر على نهج أهل الخير مقتفياً
وتب إلى الله واضرع فى القبول له
والجأ إلى الله فى التوفيق مبتهلاً
يا رب بالمصطفى والآل عـترته
دارك عبيدك يا رب بمرحمة

بجاهه دافعًا للضيـق والـحـرج
ناديت يا أزمـتى بالمصطفى انـفـرج
فليس إلا على علياه منعرج
وإن غدا عن سبيل الرشـد ذا عوج
فى سكرة الجاه محسودًا على الهوج
فى كل ممشى إلى نيل الدنا ومـج
رأساً برأس ولم أحصل على حـرج
لباب خير الورى بمنطق لهـج
وأى قلب بذكر الحب لم يهـج
ونحن من خـدع الأيام فى وهـج
قالت نعم برجاء المصطفى فلـج
وكيف وهو بكل المكرمات حج
لحضرة الله والمغـبون فى هـوج
بالطف بادر إلى أبوابها ولـج
أثر الثقات وإن أصبحت ذا عـرج
وابك الذنوب بدمع غير ممتـرج
بالمصطفى ولتـقل بمنطق هـزج
وكل قلب بذكر الله مـبتـهـج
وستر لطف بسر العطف متـسـج

واحفظه فى أهله وماله أبداً
وصل رب وسلم دائماً أبداً
والآل والصحب والأخيار أجمعهم
وارض عن الأولياء الصالحين فهم
إنى بكم يا رجال الله فى وزر
وقال:

والله لولا سبعة أرجو بها
ما قمت فى باب الخلافة أمرا
إبلاغ حاجات وغوث مؤمل
وعلاء إسلام وبث نصيحة
وقال:

أدر كاس البشارة يا نديم
وقابله بإقبال ورفق
علمت بأننى عبء لمولى
يعود على الجناة بفضل حلم
أضعت الحزم من جهلى فأغضى
درى إنى سبيل رضاه أقفو
فلم يهمل لحسن العهد أمرى
ولولا فضله ما كنت شيئا

وامددهم مدد الخيرات فى فرج
على حبيبك هادى الخلق للنهج
فالكون من نورهم فى منظر بهج
حصنى وأمنى وهم بين الورى سرج
فدار كونا بخير الخلق بالفرج

نيل المفاز ورحمة الرحمن
أو ناهيا فى خدمة السلطان
ودفاع مكروه وبذل أمان
وإعانة الإخاران والأخذان

فقد رضى الإمام على الخديم
وعاتبه معاتبة الكريم
سما بالفضل والصدر السليم
إذا صدقوا ويعفو عن المظلوم
وأدبنى بتأديب كريم
فعلمنى وناهيك من عليم
وأجرانى على العهد القديم
ولكنى انتسبت إلى عظيم

إذا ظفرت يدي برضاه عنى
وإن أنست منه وحاش غيرا
أدام الله رفيعته وولى
وأسأله رضاه فى رضاه
بجاه جده المختار من قد
سلام الله والصلوات تترا
وآل والصحاب ومن تلاهم
وقوله متغزلاً:

حوراء لو نظرت إلى صم الصفا
ولو انتمت يوماً لعزة حسنها
وقال:

من لى بأهيف أحوى الطرف أحوره
بدر ولكن قلبى من مطالعه
رفعت راية حبى إذ خفضت له
لو لم يكن مفرداً فى الحسن ما كتبت
لو لم يكن حبه قد حل فى خلدى
أقول للنفس إذ لج الغرام بها
وقال:

أحب القدود الهيف والأعين النجلا

حصلت على الكرامة والنعيم
يلملنى ممللة السليم
كرامته على النهج القويم
وفوراً بالنجاة من الأليم
حبا الرحمن بالخلق العظيم
على علياه من رب رحيم
على نهج الصراط المستقيم

عادت كثيلاً باللحاظ مهياً
لا ترتضى غير النجوم قبلاً

ممزق الود حلو الوعد كاذبه
ظبى ولكن فؤادى من ملاعبه
قدرى فجاد بجرى عن نواصبه
يد العذار سطوراً حول شاربته
ما بت ليلى أرعى فى كواكبه
أما ترين الجوى الذى كواك به

وأهوى الثغور البيض والساعد العبلا

وأهفو لذات الردف والعطف إن مشيت
فيا رب نعمنى بإدراك غادة
وقال:

وافت تجر من الدلال ذيولا
هيفاء تخطر فى برود شبابها
وتهز مرط قوام قد مثمر
وقال:

سل الرواة عن نفثات شعرى
وكم أظهرن جودا من بخيل
فإن الشعر فى التحقيق سحر
ولى فى نظمه القدم المعلى
فأنظم حين أنظم رائعات
وأرفع بالمديح مقام قوم
وأحمل بالهجاء منار قوم
ولى قلم به بأس شديد
يلين بالبلاغة كل قاس
ويترك ضربه الأقران صرعى

تحمل ضعف الخصر من عظم ثقلا
فإنك يا مولاي عودتنى الفضلا

ومن الهوى تجرى إلى خيولا
فتزيد نظرتها المحب ذبولا
بدرا كسا بدر السماء أفولا

فكم أبرأ من قلب سقيم
وكم أولدن من بكر عقيم
كما قد جاء فى الأثر الكريم
وأسرار تغيب عن العليم
تفوق الدر فى العقد النظيم
وإن كانوا ذوى أصل لئيم
وإن كانوا ذوى قدر عظيم
يثلم حده حد الصريم
ويسحر بالبيان لهى الصريم
لدى الميدان بالضرب القويم

نثره: من ذلك فى ظهير شريف، علوى متيف، أصدره السلطان مولاي عبد
الرحمن لولده ولى عهده سيدى محمد معلماً له بما أتاح له المولى من الفتح

والظفر بمردة قبيلة زمرور الشلح فى واقعة سنة تسع بتقديم المثناة على السين وخمسين ومائتين وألف، تلك الواقعة التى فات منهم فيها الأحزاب، وتقطعت بهم الأسباب: «ولدنا الأرضى الابن الأرشد، سيدى محمد أصلحك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد كنا أردنا الإبقاء على قبيلة زمرور رحمة وإشفاقاً، وحملهم على الاستقامة بالإرهاب من الشدة فى بعض الأمور هداية وإرفاقاً، فلم يرد الله بهم خيراً لفساد نيتهم، وخبث طويتهم، واتكأهم على حولهم وقوتهم، فما رأوا منا ميلاً وسداداً، إلا ازدادوا شدة وفساداً، ولا أظهرنا لهم عظة وإرشاداً، إلا أظهروا تطاولاً وعناداً، وما أخرنا المحلة المنصورة عن الركوب إليهم إبقاء وإلفاً، إلا ظنوا ذلك عجزاً وضعفاً، قد طمس الإعجاب منهم بصرا وسمعا. ولم يروا أن الله قد أهلك من قبلهم من القرون من هو أشد منهم قوة وأكثر جمعاً:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا
ووضع الندى فى موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف فى موضع الندى
فلما رأينا لجأهم وعماهم، وعدم رجوعهم عن هواهم، وأنهم لم يعتبروا
بجلالهم عن بلادهم، ولا بما أصابهم من الفتنة فى أنفسهم وأولادهم، ولم يرعوا
ما نهب من زرعهم القائم والحصيد، ولا ما استخرج من مخزونهم الكثير العتيد،
رأينا قتالهم شرعاً، وجهادهم ذباً عن الدين ودفعاً، فاعتمدنا على حول الله وقوته
وأمرنا بالزيادة عليهم فى الأخذ والتضييق، والمبالغة فى النهب والتحريق، وتركهم
محصورين فى أوعارهم، ومقهورين فى أوكارهم، إذ رُبَّ مطاولة؛ أبلغ من
مصالوة، فتوالت عليهم الغارات، وتتابعت عليهم النكبات، لا يجدون إلى الراحة
سبيلاً، أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً، ففى كل يوم تثر العوالى رءوس

رؤسائهم، وتختطف أيدي المنايا أهل بأسائهم، وكلما زادوهم إقبالا وطلبًا، ازدادوا توغلاً في الجبال هرباً. حتى نهكتهم الحرب، وضرستهم موالاة الطعن والضرب، وضاع بالحصار الكسب والمال، ولحق الضرر الأولاد والعيال، فجعلوا يرحلون لقبائل جوارهم، طالبين لحفهم وجوارهم، وبلغ البئس فيهم غايته، وأظهر الله فيهم آيته.

وهم في خلال هذا كل حين يتشفعون، ويتذللون في قبول توبتهم ويتضرعون، ونحن نظهر لهم التمتع والإبابة لنبنى أمرهم على أساس الجد، ونجازيهم على ما ارتكبوه من خلف الوعد، فلما أنجزت القهرية فيهم وعدّها، وبلغت العقوبة فيهم حدّها، قابلنا إساءتهم بالإحسان، ورعينا فيهم وجه المساكين والنساء والصبيان، فولينا عليهم منهم ثلاثة عمال، ووظفنا عليهم خمسين ألف مثقال، وشرطنا عليهم تقويم مائتين من الحراك مثل قبائل الطاعة، والتزام الصلاح والخدمة جهد الاستطاعة، فقاموا بذلك أحسن قيام، وأعطوا المراهين في أداء المال بعد أيام، وكان أخذهم بعد تقديم الأعدار، وتكرير الإنذار، وعفونا عنهم عفو غلب واقتداء، ورب عقاب أنتج حسن طاعة، وتوبة نصوح تداركت ما سلف من التفريط والإضاعة، وفي الناس من لا يصلح إلا مع التشديد، وربك يخلق ما يشاء ويفعل ما يريد:

وما عن رضا منها عطية أسلمت ولكنها قد قادها للهدى القهر

أردنا بها الإبقاء فازداد عجبها وأد بها التشديد والفتك والأسر

ولو قيدوا النعمة بالشكر لأمّنوا الزوال، وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال، والسلام فاتح رجب الفرد الحرام عام تسعة وخمسين ومائتين وألف.

وقوله في مقامة:

«الحمد لله. حدثنا فتح بن سلامة، عن نصر بن كرامة، قال: ألحفتني السعد ببرده، وأتحفتني بحلو عيشه وبرده، وبوأنى من حمى الخلافة العلوية العلية ظلالة، وأعلق كفى فى خدمة الحضرة المولوية العبد الرحمانية حبالة، فى دولة علوية أعلى العلا أعلامها، وحمى الإله حماها، عقد السعود على التناصر عقدها وضمامها، واليمن قد واخاها، فبلغت بطلعتها أمنها ومرامها، وتوصلت لمناها، وبني الأئمة من قریش مجدها ومقامها بين الورى وعلاها، حموا الشريعة بالسيوف وأوضحوا أعلامها وتوروا بسناها، فكنت منتظماً فى سلك كتابها، ومعهود فى خدمة اعتابها، وصحبت ركاب مولانا العلى العلوى، وجيشه المنصور المولوى، فى إحدى قدماته من الحوز، فى سفر أسفر طالعه عن وجه الظفر والفوز:

فى عسكر ملأ القلوب مهابة والأرض خيلاً بالعوارف يفهق
للفتح والتمكن فيه دلائل وعليه ألوية السعادة تخفق

نهض لها أيده الله غرة ذى الحجة متم عام ناشر، والسعد لمعهود العنانة ناشر، والرعب يقدم جنوده، والسعد ينشر ألويته وبنوده، والنصر تحت ظلال أعلامه، وحفظ الله من خلفه وأمامه:

والدهر معتدل الآناء مقتبل والشمس حلت ببرج السعد والشرف
ومطارف السندس بالآفاق قد نشرت، وجنود النور حشدت ألوانها وحشرت:

والأرض تجلى عروساً فى ملابسها وشت حلالها يد الأنواء بالزهر
والنسيم قد عطر بنشره الأودية، وغازل الأغصان فنازعها المطارف والأودية، وجر ذيل دلالة فى الأكام والأودية.

والريح تلطم أرداف الربى مرحاً وتلثم أوجه الأزهار

ومناير الأغصان قد قامت بها خطباء مفصحة من الأطيّار
والسن الحال تهدي إلى التفكير فى مصنوعات الله وترشد، وكأنها تتمثل
بقول أبى نواس وتنشد:

تأمل فى نبات الأرض وانظر بدائع ما بها صنع المليك
عيون من لجين شاخصات على أطرافها الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات بأن الله ليس له شريك

والناظر الأديب المتأمل، ينشد قول المجنس الممثل:

إن هذا الربيع شىء عجيب تضحك الأرض من بكاء السماء
ذهب حيث ما ذهبنا ودرّ حيث درنا وفضة فى الفضاء
والجيش المنصور بحر متلاطم الأمواج، يسير فيملاً الفضاء ويغص الفجاج،
ويقيم فيكون هالة على بدر سعود وشرف، وسور حفظ لا يعرف له طرف، قد
رصت صفوفه، وتعددت ألوفه، وتنوعت أجناسه وصنوفه:

من كل أبيض قد تقلد أبيضاً عضبا وأسمر قد تقلد أسمرا
والخيل تمرح فى أعتتها، وتمضى فى الخيلاء على سبتها، قد خليت من
الأسلحة بما راق وراع، وأعجز وصفه ألسن اللسن وأهله اليراع:

مؤصلة من ذى العقال وداحس وآل الوجيه والنعامة والخيفا

فمن أشهب لبس النور رداء، وسابق البرق عداء:

فكانه فى حليه وسلاحه صبح تقلد حلية الجوزاء

ومن أدهم خلع الليل عليه إهابه، وأثبت بين عينيه شهابه:

فكأنما لطم الصباح جبينه فاقصص منه فخاض فى أحشائه

واحمر فأما وصفه فمطهم عتيق، وأما لونه فعقيق، واصفر كأنما صيغ من ذهب، أو خلق من لهب:

ألقى الأصليل عليه من نضارته غلالة وشت الظلما حواشيها
ومن أزرق قد تسربل حلة السماء وتحلى بالنجوم، أو رام استراق السمع
فرمته بشهب الرجوم:

عطايا أمير المؤمنين وبره	بأجناده والبر بالجند يحمده
ملك حليفاه التوكل والرضا	وأوصافه علم وحلم وسؤدد
يصاحبه أمن ويمن ورحمة	ويعضده فتح ونصر مجدد
فتى المجد أما هديه فموفق	رشيد وأما رأيه فمسدد
به الدين سام والشرعية غضة	تروق وركن المجد عال مشيد
وإن له فى مقعد الحكم حكمة	يحل بها فى الله طورا ويعقد
فلا زال محمود المساعى مؤيدا	يغور ثناه فى البلاد وينجد

فسرنا تحت ظلال العدل والأمن، نستجلى كل حين من غرته الميمونة طالع
الفتح واليمن، ونرفل فى أردية المعالى الضافية، ونكرع فى بحار الجود الصافية،
ونتمسك من النجح بالعهود الوافية، ونرتع فى روض الأمانى والعافية:

وقد بدت لنا وجوه الهدى مسفرة ولاح نور الفلاح

فلما خيمنا بشاطئ وادى العبيد، قابلنا بوجه الجبار العنيد، وأبدى من مده
آية الإعجاز، وقال بلسان حاله لا مجاز لا مجاز، واستعان من ثلج الجبال
بالمذاب، فأرانا بحرا طامى العباب:

نهر يريك السهم سرعة جريه والبحر عمقا والشفير سعي را

فليسلم النفس المريد عبوره إن لم يكن لطف الإله ظهيراً
فأحجم عن عبوره القوم، واستبشر بالزبون العارف بالسباحة والعموم، وبات
الناس فى الآراء يترددون، ولقصص الناجين والغرقى يعدون، وقصارى أمنية كل
واحد عبور ذلك الصراط، والانتظام فى سلك الناجين والانخراط، حتى أنشد
بعضهم واستحسن، وتمنى ما تمنى الحسن:

ألا ليت شعرى هل أبيت^(١) ليلة بسهب الثنين أو بسهب بنى ورا
وهل تعبرن نهر العبيد ركائبى وهل أتركن دايا وأدواءها ورا
فلما تبلىج أدهم الليل عن أشهب الصباح، وحيعل الداعى بحى على
الفلاح، وتولت نجوم الليل تقفو إثره، وغدت سيوف ذكاء تخرق ستره، وأدى
الناس النفل والفرض، وأشرقت بنور ربها الأرض.

ولاحت لنا شمس النهار كغادة بدا حاجب منها وضنت بحاجب
صدر الإذن المولوى بالعبور، وقدم له الصبور فالصبور، وجعل فاتحة ذلك
نجله الأسعد، وفرعه الأنجب الأصعد، سيدنا ومولانا محمد، تفاؤلاً لتستحسن
العاقبة وتحمد، وكان قد تقدم الأمر المطاع بإعداد المعادى، للإعانة على عبور ذلك
العدو العادى، فلم يكن إلا أن عبر الأول مكتفياً بالمختصر عن المطول، وظهر من
لطف الله وسعادة مولانا ما عليه المعول، وحمد الناس الله على ما سهل من ذلك
وخول، وتتابع العبور على الريح والأعواد. مع سلامة الأنفس والأزواد. وشاهد
الناس لجيش مولانا المنحى، شبه ما ظهر من الكرامة لعبد الله بن الحضرمى، ولا
غرو أن يعطى التابع حكم المتبوع، ويظهر للعيان حقيقة ما هو مروى ومسموع،
ولله قوم يسعدهم ويسعد بهم، ويظهر عنايته على من تعلق بسببهم.

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «أبين» وهو غير صحيح عروضياً، والبيتان من بحر الطويل.

وإذا السعادة أحسرتك عيونها نم فالمخاوف كلهن أمان

واصطد بها العنقاء فهي حباله واقتد بها الجوزاء فهي عنان

ولما خيمت الجموع بالعدوة الأخرى، ورأوا السلامة غنيمة وذخرا، وعان
الناس ما تعودوه مع أمير المؤمنين من النجاة والصعود، والفوز المشهور المشهود،
والتيسير المعلوم المعهود، هنا بالسلامة بعضهم بعضاً، وجعلوا ذلك بينهم سنة
وفرضاً، فلا تلقى غير حامد وشاكر، ومقر بنعم الله ذاكر، واتسع لديهم المجال،
فى الروية والارتجال، فمن ناظم وناتر، ومقصر ومكاثر. ومن قائل:

أرى نهر العبيد غدا عنيذا يعاملنا بجور واشتطاط

عبرناه على خطر وخوف على غير اختيار واحتياط

وذللّه الإله لنا فسـرنا من الريح المسخر فى بساط

يهنى بالعبور البعض بعضا كأنا قد عبرنا على الصراط

ومن متمثل فى عبور الوادى . على المعادى :

لئن كنا ركبناها ضلالا فيا لله إنا تائبونا

فأخرجنا عن المرغوب منها فإن عدنا فلإنا ظالمونا

ومن منشد، وإلى لطف الله مرشد:

عبرت نهر العبيد قهرا على بساط من الهواء

ولما حمد الناس الإيراد والإصدار، واستقرت بهم بعد العبور الدار، وشكروا
على فضل الله إمامهم، وجعلوا القبيلة التادلية أمامهم، وذكروا معاهد البلد
ورجالها، وأطالت الألسن فى ذلك مجالها، وأوضحوا بذكر كراماتهم غرر السيادة
وأحجالها، فقام زعيمهم، فقال: يا قوم إن الشعر ديوان العرب، ووسيلة لقضاء

الأرب، ومفتاح لكنوز الأسرار، ووصلة إلى عطف الأبرار، وحلية للفضلاء والأحرار، تنفعل النفوس الكريمة لنشيدته، وتعنو الهمم العلية لبديعه ومشيدته، وترتاح إليه الطباع العربية، وتهتز له النفوس الأبية، فتستجلب الأرباح بتقليد أعلام فريده، وتستحلب أخلاف الفضل بحديثه الغض وجريده:

فكم شفع القريض فنال سعادا وقرب للسيادة من قصى
وكم أغنى أخا فقر وأقنى وكم أعلى أخا قدر دنى
وحسبك آية إكرام كعب وما قد نال من عطف النبی

فهل فتى منكم يورى فى مدحهم زنده، وينفق على أخوته مما عنده، ويجلب للجميع ببديع الاستلطاف، ورفيع الاستعطاف، ما تفيض به أبحر المواهب، وتستجلى به وجوه المذاهب. فقال أحدهم أجل، وقام وارتجل:

أرجال تادلة إليكم عزمى تسمو وعطفكم الذخيرة والسنا
أنزلت رحلى فى حمى عرصاتكم فعلى الكرام لضيْفهم نيل المنى
فتعطفوا لنزيلكم وتلطفوا ونداكم يقضى بإدراك الغنى

فقالوا لقد دعوت منهم مجيبًا، وسترى من سر الله عجيبًا، غير أنك اقتصرت واختصرت، وقصرت لما اختصرت، فهلا آثرت من نحن جميعًا تحت ظلاله الوارفة، وخصصت من ملكنا بفضلته تالد المجد وطارفه، واستجلبت فإن المولى، أحق بالأثرة وأولى، مع أن نواله للبرية شامل، وأفضل ما به يدين الإنسان الله ويعامل، وقد أفصح عن ذلك وأعرب، أثر الدعاء إذا كان أعم كان إلى الإجابة أقرب، فأنشد فتى وما روى، وأنقع غلة السامعين وروى:

أرجال تادلة الأكـ	رم أنتم خير الرجال
واليكـ تنمى العـوا	رف والمعارف والمعال
ولديكم يرجـو المؤمـ	ل عطف أرباب الكمال
هذا أمير المؤمنين	ن بحيكـم حظ الرحال
متفينا من ظلكـم	وعلاكـم ضافى الظلال
وقراه نيل العطف من	كم والقبول والوصال
راج منكم فتحا ونصـ	رأ ظاهرين بلا قتال
وصلاح أحوال الرعـ	ية فى مقام وارتحال
ومنال تيسير المقـا	صد كلها فى كل حال
فلأنتم أسـمى الوسـا	ثل فى السؤال والابتهاـل
ولأنتم الحصن الحـصـيـ	ن إذا طغا خطب وهال
ولأنتم العضد القـو	ية والقواضب والنبال
وحماكم الحرم الأمـيـ	ن لذى اعتلاء واعتلال
ما أمكم متوسـل	بعـلاكـم إلا ونال
كلا ولا انتصر امرؤ	بجنايبكم إلا وصـال
فلتقبلوا ولتقبلوا	بالفضل يا أهل الكمال

إلى أن قال: فلما أكمل الإنشاد، وأشاد من المفاخر ما أشاد، بلغت النفوس مرادها، واستحسنوا ختام المجلس بذكر أهل الفضل والنسك، واستنشقوا مسك ختامه وكان ختامه مسك.

بعض ما قيل فيه: من ذلك قول الأديب الشيخ بدر الدين يوسف المدني لما وفد على حضرة السلطان سنة ١٢٥٧:

لله درك من بليغ معرب	شنت أسماعى بقول مطرب
ولقاء شمس علاك غاية مطلبى	لاطفتنى وجبرتنى وسررتنى
ألبستنى حلال الثناء الأطيب	ورضاك حسبى فى الفخار فكيف إذ
جيدى لذاك العقد بالمستوجب	ما كنت أهلاً للثنا كلا ولا
بيت على هام السمك مطنب	أنتم أولو المجد الذى يأوى إلى
والحلم زينتم جلال المنصب	وبحلية العلم الشريف وبالتقى
مستنجع لوميض برق خلب	فلکم بدا الفضل المبين وغيرکم
فيها وكان الفخر حال المطنب	وعقود درك سيدى جمع الثنا
رقى وضاق بنيل كفؤك مذهبي	شكراً فإن جميل برک قد حوى
نى خاملاً وأزلت حالک غيهبى	حليت منى عاطلاً وذكرت مـ
بالوسع جاد فذاك غير مؤنب	لن أستطيع لك الجزا لكن من
هذا مقام العائذ المستعتب	فاعذر وإن قابلت درك بالحصا
أذكى وأشهى من سلاف الأكؤب	وعليك من محض الوداد تحية

وفاته: توفى ضحى يوم الاثنين الرابع من المحرم الحرام فاتح سنة أربع وستين ومائتين وألف.

٢٨٣ - محمد أبو عبد الله بن على بن حرزهم المكناسى أصلاً ومنشأ وداراً.

حاله: فقيه أستاذ حافظ، أعدل أديب خطيب بجامع مكناسة الكبير، كان

قد حاز قصب السبق فى ضبط القرآن وحسن الصوت، فكان يخطب بأمير المؤمنين مولانا سليمان، هكذا ذكره أبو العباس الأغزاوى الجبلى فى بعض تقييده.

٢٨٤ - محمد فتحا بن أبى سالم عبد الله بن الطاهر الشريف الأمرانى.

والد المولى الكامل المتقدم الترجمة، وقد تقدم رفع نسبهم الكريم فى ترجمة ولده المذكور.

حاله: علامة مشارك، خطيب مصقع، صالح عابد، ذاكر ناسك، فاضل جليل القدر، ولد بأفران ونشأ بزرهون، وقرأ بفاس وسكن مكناسة الزيتون، وتولى خطبة الجامع العتيق بها، وكان لا يخطب بخطب غيره ينشئ كل جمعة خطبة بحسب مقتضيات الأحوال، وكان ناصرى الطريقة ناهجاً نهج السنة والجماعة فى سائر شئونه.

صاهره السلطان أبو الربيع سليمان ببنته المصونة السيدة أم هانى، وكانت صاحبة عابدة ناسكة، تقرأ دلائل الخيرات، والورد الناصرى، لم يكن فى وقتها أجمل منها، فما مات والدها السلطان أبو الربيع ولم يكن دخل بها بعلمها هم السلطان بعده أبو زيد بن هشام بالعقد عليها لنفسه، فلما بلغها الخبر ذهبت إليه وقالت له: يا فلان، اتق الله فإن هذا لا يحل، ألسنت تعلم أن والدى كان زوجنى من الأمرانى، فتراجع وأمر بزفافها لزوجها المذكور ودونك نص عقد الصداق:

«بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد المصطفى الكريم، وعلى آله وأصحابه أولى البر والتعظيم، ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، الحمد لله الذى خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهرًا وكان ربك قديراً، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث إلى سائر الخلق بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

٢٨٤ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٧/ ٢٦١٢.

أما بعد: فإن سيدنا ومولانا أمير المؤمنين المنصور بالله . المتمسك بأذيال سنة رسول الله، المصحوب بالأمن والأمان، أبا المواهب سيدنا ومولانا سليمان، زوج بنته المصونة البكر التي في حجره، وتحت نظر أمره، سيدتنا أم هانى شقيقة سيدنا ومولانا إدريس أصلحه الله وحفظه وأقر به العين أمين للشریف الأرضى، الفقيه المرتضى، مولای محمد بن مولای عبد الله الأمرانى لمروءته، وطلبه وقرابته ومسكته، على صداق مبارك قدره ونهايته أربعون مثقالاً سكية حلولا حضر الزوج المذكور وقبل ما ذكر وارتضاه، وألزمه نفسه وأمضاه، شاكراً فعل سيدنا وداعياً له بأن يجعل جزاءه رضا الله والنظر فى وجه رسول الله ﷺ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، إشهداك تاماً وقبولاً عامماً، كما يجب على سنة المسلمين، وطريقة سيد المرسلين، شهد على مولانا دام نصره وهو على كرسى ملكه وعلى الزوج بحال الكمال من أشهاده به وعرفه فى عشرى رمضان المعظم عام أربعة وثلاثين ومائتين وألف عبد ربه تعالى محمد التهامى البورى، لطف الله به وعبد ربه تعالى أحمد بو عشرين لطف الله به».

ووقفت على كتاب للوزير المختار الجامعى بعثه للمترجم يستدعيه للحضرة السلطانية نصه بعد الحمدلة والصلاة:

«سيدنا الشريف الجليل، الماجد الأصيل، والفقيه العلامة الداركة مولای محمد بن عبد الله الأمرانى سلام عليك ورحمة الله بوجود مولانا أيده الله ونصره».

وبعد: فاعلم بأن والدكم البركة مولای عبد الله شاور عليك سيدى نصره الله فأثنى عليك سيدى غاية، وأمرنى أيده الله بأن نكتب لك بأن تقدم لحضرته العلية فبوصوله إليك جد السير ولا تتراخى بارك الله فيك، وعلى عهدك ومحبتك والسلام فى ٢٣ من جمادى الأولى عام ١٢٤٧ المختار خار الله له ولطف به»:

مشيخته: أخذ عن الأزمى وغيره ممن فى طبقتة العلوم العقلية والنقلية الأصلية والفرعية، أخبر المؤرخ الثبت الفقيه القاضى حينه بقبيلة بنى حسن السيد عبد الحفيظ الفاسى أن نجل المترجم العلامة مولاى الكامل حدثه أن والده المترجم حدثه أنه قرأ مختصر الخليلى على شيخه الأزمى فى أربعين يوماً فى كل يوم يقرأ الشيخ درسين أحدهما صباحاً والآخر مساءً فى كل درس نصف حزب، وأخذ الطريقة الناصرية عن الشيخ أبى بكر بن على الناصرى، عن والده على المذكور عن والده سيدى يوسف، عن ابن عبد السلام بنانى، عن أبى العباس أحمد بن ناصر، وأخذها أيضاً عن والده عن سيدى على بن يوسف المذكور وعن غيرهما.

وفاته: توفى بفاس متم سنة خمس وسبعين ومائتين وألف، ودفن بالزاوية الناصرية هناك.

٢٨٥ - محمد بن العربى بن عمر الصنهاجى أصلاً المكناسى داراً ومنشأ.

حاله: فقيه صوفى منور السريرة، درقوى الطريقة، لقنه إياها الشيخ المحبوب المدعو بأيوب.

مؤلفاته: منها تقييد على الأبيات الثلاثة المنسوبة للإمام الجنيد وهى:

توضاً بماء الغيب إن كنت ذا سر	وإلا تيمم بالصعيد أو الصخر
وقدم إماماً كنت أنت إمامه	وصل صلاة الفجر فى أول العصر
فهذى صلاة العارفين بربهم	فإن كنت منهم فانضح البر بالبحر

وقفت على مبيضته فى نحو الكراسية فرغ من تبييضه ليلة الأربعاء ثانى شهر رجب عام أربعة وسبعين ومائتين وألف.

٢٨٦- محمد فتحا ابن الهادى غريط المكناسى النشأة والدار المراكشى الإقبار.

حاله: من أهل المشاركة فى العلوم، ومن يشار إليهم فى تحرير المنطوق منها والمفهوم، حصل على الإجازة والإتقان، وأصبح علما يهتدى به، قوى العارضة، جيد النظم والنثر، ماهر فى علم الطب وخواص النباتات، تقى نقى، هين لين، صالح خاشع متواضع، انتقاه سيدنا الجدد السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام لنفسه وحرمه وجعله الطبيب الخاص به، له فيه الثقة الكاملة، يعتقده ويعظمه ويقدره، ويأتمنه على حياته، لا يفارق على بابه، يظعن بظعنه ويقيم بإقامته.

وكان رحمه الله مغرمًا بحب الصالحين وأهل الفضل، معتقدًا خصوصيتهم متسبًا ظاهرًا وباطنًا إليهم، وعلى الأخص العارف الكامل أبو محمد عبد القادر العلمى فكان ملازمًا لخدمته، فانيًا فى محبته. مستغرق الأوقات فى مجالسته. والثناء عليه والحض على صحبته. والعض عليها بالنواجذ، وقفت على عدة مكاتيب له أصدرها لخاصة أصدقائه بما ذكر ودونك بعض نصوص بعضها ومن خطه نقلت:

عوض أخى وولدى حقًا وصدقًا، الطالب السيد الهادى بصرى أصلحك الله وحفظك، وسلام عليك ورحمة الله عن خير ولله الحمد.

وبعد: فقد وصلنى يا أخى كتابك، وأفهمنى مضمونه خطابك، وقد لوحث إشارتك، ووضحت عبارتك، وإنى وأنت يا أخى كلمحة برق فى بعض العوالم، غير أن الله تعالى تفضل علينا جميعًا بنفحة كرمه تنسمت نسمات طيبها العاطر فى مظهر منة العلمية، فاستوجبت منا جميعًا أن ننفق بضاعة عمرنا فى أداء شكر من بسط ضياء شمس وجودها علينا جميعًا، ومتعنا بوسع كرمه اللدنى فيه حتى شملتنا مبرته فأوسعنا خاطره رضى الله عنه بالتتزل الرحمانى الربانى، حتى إنه

رضى الله عنه مع ثقبوب نورانية كوكبه الدرى فى بسط خلقه معنا جميعا كأحدنا، وأحنى وأشفق علينا جميعا من والدينا، يهتم لما أهمنا وما يهمننا أكثر من اهتمامنا لأنفسنا.

وهذا الأمر يا أخى فى كثير من المعارف والأحباب صار كعنقنا مغرب فى زماننا، بل وفيما قبله فى غالب غابر القرون الماضية، فلم يبق لنا جميعا يا أخى والله إلا حصر الشوفة القلبية والقلابية فى انتظار كرم الكريم فيمن أظهر لنا كرامته، وأوسعنا مبرته، ففيه بربنا ورب غاية المنى، وشفاء الضنا، وفى إقبالنا بالله عليه تسهيل المقاصد، لكل قاصد، وسترى أنت وأنا وجميع أهل محبته رضى الله عنه من فضل الله ورحمته ما لم يكن لنا فى حساب، فالله يا أخى معنا حيثما كنا حاضر لا يغيب، ودائم الحياة لا يموت، وعلى ما يشاءقدير لا يعجز أبداً.

هذه مذاكرة معك فيما لا يخفى عليك، والحمد لله يقننا الله وإياك بكمال اليقين، وطوى طويتنا وطويتك على إخلاص الموقنين، ورزقنا وإياك شكر الصابرين وتوبة الصديقين إلى الآخرة.

وما أوسع يا أخى حلم الحليم، ورحمة الرحيم، وإن ربى لطيف لما يشاء، ولا تغفل يا أخى عنى وعسى نصر من الله وفتح قريب، متعنا الله جميعاً يا محل إخوتى فى مطالعة كتب محاسن قدرته، ومحاضرة أنس بشائر ذخائر مبرته، فيما تفضل الله علينا به، فجعله لنا قدوة الاهتداء، وجمعنا به إليه فصار لنا خير دليل عليه، وبالحقيقة كان الله ولا شىء معه، وفى قريب يرى عبد الله حسن الشفاء والعافية بالضامن الملى جل وعلا، وطالع يا أخى والخير العظيم فى قراءة ما شاء الله من القرآن العظيم بالترتيل والتأمل، وفى الأسحار ربيع الأبرار، وملازمة ما تيسر من دلائل الخيرات بالتأمل التام أيضاً، تستلزم جلب المسرات، ودفع المضرات

بمنة الله، واذكرنا بقلبك لله وعلى المحبة والسلام فى سابع عشرى محرم عام ثلاثة وستين ومائتين وألف هـ. من خطه.

فانظر هذا النفس النفيس، وتأمل ما منحه صاحبه من الرسوخ وثبوت القدم فى توحيد الله وانغماسه فى بحر الحقيقة الذى هو عبارة عن مقام الإحسان من الله علينا بالولوج فيه على أكمل الحالات وأرضاها لله وكم للمترجم من رسائل على هذا المنوال.

مؤلفاته: منها رجزه المسمى رياض الأنس والفكر والقلب فى التصوف والنصائح والمواعظ والرقائق وأحوال طريق القوم وآدابها، وسيرة شيخه العلمى وأوصافه من نشأته إلى وفاته ومعاملة أصحابه وما تلقاه منه من الحكم والأسرار والآداب، يزيد هذا الرجز على ثلاثة آلاف بيت قال فى طالعته:

سبحان من كون ما أرادا	تكوينه إعدامًا أو إيجادا
والكون محتاج إليه وفقير	لفضله سواء صغير وكبير
وفى تسميته يقول:	

سميتها رياض أنس الفكر	والقلب كى يروى بنيل الشكر
لله فى مستودعات الإنسان	من فضله جل بمحض الإحسان
وفى بعض أوصاف شيخه المذكور قال:	

والجذب معه نحو أربع سنين	وبعضنا به من المستيقنين
ومع ذا بسائر الأذكار	يصدع بالليل وبالنهار
حتى قضى بفجر يوم الاثنين	ليلة يوم سادس وعشرين

شعره: من ذلك قوله متوجًا بحروف حسبنا الله ونعم الوكيل:

بحفظ الحفيظ من أذى الغى والأعدا
حفظنا وعين الله تكلؤنا ومن
سلمنا من الآفات والله ناصر
بك الله لذنا واعتصمنا وحسبنا
نواصي العباد فى يدك زمامها
أجرنا من أيدى الجائرين ورد من
أعدنا من الخذلان وأجعل مآلنا
لو المجد ملجأ اللائذين فكُن لنا
لنا كنت قبل الكون فاجعل عناية
أسأنا وحمل الوزر أثقل ظهرنا
هداك لنا المطلوب منك مع الرضى
ومجدك يا ذا النول حتى تصوننا
نصول بك اللهم فاحم جنابنا
عوائدك الحسنى لنا قد تكاثرت
موائدك العظمى إلينا تواردت
أيقوى جميع الخلق شكراً لبعضها
لك الحمد حمداً بالمزيد على المنى
ونشكرك اللهم شكر موفوق
كفى بك برا واهباً متفضلاً

وساتر منه يرعاه من سائر الأدوا
يكدنا بسوء فى مكايده يهوى
مجير لنا وقاصد الشر لا يقوى
حماك فلا تلمم بساحتنا بلوى
وتصريفها إلى نهايتها القصوى
يروم أذاً فاقدا نيل ما يهوى
إلى جنة الفردوس يا سامع النجوى
وبالفضل تؤوينا إلى ذلك المأوى
لنا منك تحمينا من الضر والأسوا
ولكن من الغفران أوزارنا تطوى
وخيرك يا ربى يزيد ولا يطوى
وتنقذنا من المهالك والأهوا
ومن كادنا رغباً على أنفه يلوى
ولولا رضاك ما على نيلها نقوى
ولا الشكر وديننا وما قدرنا يسوى
وهيهات يحصى الرمل أو تحصر الأنوا
كفياً لنا أشهى من المن والسلوى
تبر به من دون سؤل ولا شكوى
وفضلك مع رضاك من أعظم الجدوى

يوارى جميع العيب سترك منه
لو أذى بوجهك الكريم وقدرك الـ
بجاه عظيم الجاه أعظم شافع
عليه الصلاة والسلام مع الرضا
وقوله:

وسيلة خير بالخيار محبره
مشيش أبو بكر على وحرمة
محمد إدريس فإدريس كامل
وبالخل فى ذات المهيمن يخلف
وأسلافه الغر الكرام ومن لهم
كمثل عبيد القادر العلمى ومن
وكل محب مخلص فى جميعهم
بصفو اليقين الراسخين به فهم
تجلى لهم نور الرسول وسره
فيا ربنا بالفضل عامل جميعنا
إليك بجاه الأصل والفرع كن لنا
وصل وسلم ثم بارك على الذى
وأصحابه والآل مع كل تابع

فللذنب أول الصفح يا رب والعفوا
عظيم التماسا للإجابة والدعوى
ومن شربوا من هديه المشرب الصفوا
على حزبه الألى فضائلهم تروى

بعبد السلام للرسول مشوره
وعيسى وسلام ومزور حيدر
وبالحسنين أختم بدور منوره
أخى ابن مشيش فى الطريق المبرره
من أخلافهم وأولى المعالى المقرره
له الله بالمختار فى الحب خير
من أهل القلوب النيرات المعمره
سرائرهم لله فيه محرره
فنالوا الكرائم العظام المسطره
وصير لنا الخيرات منك مسخره
وللشيخ والأحابى دنيا وآخره
أتى رحمة للعالمين مبشره
ولله أبهر المواهب زاخره

وقوله:

وحمداً حامداً رب العباد	يملح ابن مشيس الرشاد
بنجمله قاسم المستشاد	ومن نوره منهم فى ازدياد
بعبدك يا قادر يا جواد	ضياه بمكناسة فى اتقاد
بفضل مديد ليوم المعاد	تفضل علينا بعير نفاد
لنيل الرضى وكمال المراد	فترجوك والمصطفى خير زاد

وفاته: توفى بمراكش عام واحد وسبعين ومائتين وألف ودفن بضريح مولانا على الشريف رحم الله الجميع.

٢٨٧ - محمد بن عبد السلام بن عبود أبو عبد الله المكناسى أصلاً ومنشأً
السلامى الدار والمدفن.

حاله: صوفى ينحو منحى أرباب الحقائق، فصيح اللسان ذو ذكاء وحذق تام، كان لهجاً بالقرآن، متديراً لمعانيه، مستشهداً به فى كل أحواله، حاد المزاج ضيق العطن، قل ما ترى العين مثله فى حاله، تجرد على طريق أهل التجريد، ولازم العبادة على الحالة المعروفة عند كمل الطائفة الدرقاوية من رفع الصوت بالهيللة فى الطرق، ووضع السبح المتنوعة فى العنق.

ثم رحل إلى فاس واشتهر اسمه بها، وأخذ الطريقة عنه بعض المنقطعين بها والراجلين إليها، ووقع بعض الإنكار عليه من أفرادها، ولم يزل يلقي أذكاره بها إلى أن أخرجه منها قاضيهما أبو التقى الهادى الصقلى المتوفى بالمدينة المنورة بعد أدائه فريضة الحج وزيارته لجدّه صلى الله عليه وآله وسلم فى محرم الحرام عام أحد عشر وثلاثمائة وألف، ودفن ببقيع الغرقد رحمه الله.

٢٨٧ - من مصادر ترجمته: سل النصال فى موسوعة أعلام المغرب ٢٩٤٨/٨.

فتوجه المترجم إلى ثغر سلاً، واعتنى به عاملها إذ ذاك الخير الناسك الطيب
الذكر الحاج الطيب الصيحي مع بعض المحيين له، واشتروا له داراً قرب المسجد
اتخذها زاوية لنفسه، ووقعت له مع معاصره علامه سلا، ومؤرخها سيدى أحمد
ابن خالد الناصرى مراسلات بمناسبة ما كان الناصرى المذكور ينكره على الطرق،
وبالأخص على الطائفة الدرقاوية، وجهها له فى معرض النصح له والتحذير من
الإنكار على أهل النسبة، فلم يحتفل أبو العباس طبق ما أراد المترجم لعلمه بطرق
الإنكار، وأما أنكرته الشريعة لا محاباة فيه، ولم تزل زاوية المترجم مزاراً
للوافدين على سلا المتسبين لطريق القوم رضوان الله عليهم، والمترجم فى كل
ذلك لائح عليه أثر الجذب، كثير النطق بذكر هادم اللذات إلى أن أجاب داعى
مولاه رحمه الله ورضى عنه.

مشيخته: أخذ القرآن بمكناسة الزيتون عن أبى العباس أحمد الأعرج والمكى
القصرى، وأبى عبد الله بن عزور الحسنى، وقرأ العلم بها على أبى عبد الله بن
عزور المدعو الهويج، وسميه ابن الجيلانى السقاط، والمختار الأجرأوى، وأخذ
الطريق الدرقاوية عن الحاج محمد العياشى أبى الشمع المكناسى المتوفى سنة أربع
وتسعين ومائتين وألف، عن سيدى مالك الزرهونى، وأخذ أخيراً عن أبى عبد الله
محمد العربى المدغرى العلوى وعنه تلقى الحفيظة الدرقارية.

الأخذون عنه: أخذ عنه الطريقة الدرقاوية على قاعدة أهل التجريد جماعة
منهم العلامة أبو بكر بن محمد التطوانى السلاوى قاضى قبيلة زمر الشلح المتوفى
بسيدي سليمان من بنى حسن سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وألف ١٣٣٧، وأخذ
عنه الطريقة العلامة المشارك الميقاتى الفرضى سيدى المهدي متعجينوش الرباطى،
والعلامة المحقق شيخنا سيدى أحمد بن الجيلانى الأمغارى الفاسى، وصديقنا
المؤرخ القاضى سيدى عبد الحفيظ الفاسى فى آخرين.

آثاره: له رسائل عدة على نمط رسائل مولاى العربى بعث بها لبعض مريديه
والمحبين له، ورسائل فى كراريس بعث بها إلى العلامة الناصرى، أخبرنى من
وقف على بعضها، وأشعار ملحونة ومترنة كما أخبرت من طريق البعض ولست
على يقين، كما أن له رسالة بعث بها إلى أبى عبد الله الحجوى.

وفاته: توفى فى رابع ربيع الأول عام أربعة وأربعين وثلاثمائة وألف.

٢٨٨ - محمد الوزير أبو عبد الله بن محمد بن عبد الله غريظ.

يدعى الفقيه بوغنبور الأندلسى الأصل المكناسى النشأة والدار، الفاسى النقلة
والإقبار.

حاله: قال حفيده صديقنا الأديب الكاتب أبو عبد الله محمد بن
الوزير الصدر المفضل غريظ فيما ترجمه به ومن خطه نقلت: رجل الوقار والجد،
أصيل السؤدد والمجد، شاعر تنبع الحكم من لسانه، وتمد أكف التسليم لإحسانه،
كاتب حسن الشمائل، ذو رأى لا متأود ولا فائل، وحال عن العرض الزائل مائل،
وخط تحسده الخمائل، ويحفه القبول عن اليمين والشمائل، وتبتهج العيون برونقه،
وتنعطف النفوس لنسقه، كما قال المتنبى وأبلغ به من قائل:

من خطه فى كل قلب شهوة حتى كأن مداده الأهواء

وله يد فى الرباعيات والأزجال، وحظوة لدى بلغاء صلحاء الرجال، كالولى
الصالح السمى، سيدى عبد القادر العلمى، والولى المجذوب الذى لا زالت
كراماته تبدو، سيدى حفيد بن عدو، وذى الأحوال الباهرة والمدد العرفانى،
مولاى الطيب الكتانى، قدم من مكناسة مسقط رأسه، ومنبت غرسه، إلى فاس
مطلع شمس، بعد أن حصل من العلم قدرًا كافيًا، وورد من الآداب منهلاً صافيًا،
فاستكتب لعاملها الودينى مدة ولايته، اقتصر على صروف الدهر براية رعايته، إلى
أن عزل العامل لسيئة اجترحها، وفنته اقتدحها.

قيل : إنه عبث بنسوة بعض الأعيان، وأطاع فيهن داعى انعصيان، فاستجار أزواجهن بمن لهم كلمة مسموعة، وأسرة مجموعة، من الشرفاء الطاهرين أهل العدو، وأثاروا ما لهم من نجدة ونخوة، فخرجوا عن طاعته وتمالئوا على الفتك به، وأعلنوا بعد صلاة الجمعة بحرم مولانا إدريس نور الله مضجعه بلعن القائد وسبه.

وخشى السلطان مولانا عبد الرحمن أن يتسع الخرق بسببه، فأطفأ النار بحبسه، وسد ثلثة الهيعة برأسه، وحمل إلى سجن المدينة، بهيئة مهينة، وولى على أهل فاس القائد الأحمر، فأذاقهم البلاء الأكبر والوبال الأمر، ونفى بعض أولئك الشرفاء إلى مرسى الصويرة جزاء على فعلتهم الخطيرة، ونقل الوزير المذكور لأعتابه، مؤمناً من ملامته وعتابه، وأدرجه فى خاصة كتابه، وأغنائه الله بالبحر على النهر، ومكث على ذلك حيناً من الدهر، ولما كان فذاً أهل أهل طبقة فى الاختصار، والتجافى عن الإسهاب والإكثار.

كان الإمام المذكور يؤثره لذلك بتنقيح واختصار ما استطوله، وتوضيح ما أشكله، فيرتب فصوله، ويلغى فضوله، ويبقى محصوله، ويغص به من يجزى فى مقام التشمير ذيوله، ثم ولاه الصدارة فأوسع لها درعه، واستفرغ فى إدارتها وسعه، ولما رأى أن هذا المنصب محك القول ومحط الأهواء، وهدف سهام الوشاة والأعداء، صاحبه على غرر. وإن استخرج منه الدرر. ومعتقده فى هم وتعب، وإن افترش السندس ومشى على الذهب، فهو كراكب الأسد، يخافه الناس وخوفه منه أشد:

قرب الملوك يا أخا البدر السنى حظ جزيل بين شدى ضيغم

قدم للسلطان طلب إعفائه. واعتذر بأنه ليس أهلاً لهذا الأمر ولا من كفاؤه. لكبره وضعفه عن تحمل أعبائه. فقال الملك ما معناه: مالك أيها الرجل كلما أردنا لك رفعا ونفعا. أظهرت إباء ودفعاً؟ أما الكبر والضعف. فكلنا بذلك الوصف. فاصبر واحتسب. فى مصالح الأمة على ما لا تحب، فأجابه بما معناه: يا مولانا إنى لا أصلح أن أكون رئيساً معلماً، بل يجب أن أكون مرؤوساً مسلماً، ثم أعفى بعد مراجعة، وعتاب فى طيه منازعة.

واستشاره السلطان فيمن يولى هذا المحل بعده، ويطوقه عقده، فأشار بجماعة كلهم للتقديم طامح، وللانتخاب لامح، ولسمك تلك المرتبة بسنان أمله رامح، حتى وقع الاختيار، على الفقيه الكاتب أبى عبد الله الصفار، وهو إذ ذاك متعلق من المسكنة بسبب، عاطل إلا من العلم والكتابة والأدب، فأنته الوزارة على قدر، تقود البدور والبدور، وبقي المترجم له محفوظ الحرمه، كاتباً مستشاراً فى كل مهمة.

ثم استوزر لأمير المؤمنين سيدى محمد زمن استخلافه عن أبيه ولخليفته بفاس إلى أن خبت ريحه، واشتمل عليه ضريحه.

ومن مناقبه المحموده. ومآثره التى هى على هامة الاعتبار معقوده، أن السلطان مولانا عبد الرحمن قدسه الله لما جرى عليه من الجيش ما جرى، واعتري عبيده من التشريد ما اعتري، بعد أن تفانوا على حماية جنابه، وتباروا فى التزام ركابه، حتى تغير شكل موكبه، ونهب ما عدا علمه المقدم ومركبه، واشتد عليه الظماً، حتى لا ساقى ولا ماء. التفت فلم ير سواه، فاستدناه وآواه، فأسقاه بخفه حتى أرواه. ودخل صحبته إلى مكناسة الزيتون، فأحله حبث تجله العيون، واستنجد بأفكاره على استتاج أطواره، حتى أدبر جيش الفتنة بسنان قلمه وفیصل رأيه، فاعترف بمزيد فضله وحמיד سعيه.

ولم تزل تلك اليد محفوظة له ندية، متلوا حديثها فى جميع الأندية، وحضر مع أمير المؤمنين سيدى محمد زمن خلافته، بوصف القيام بوزارته، فى الليلة التى أسفر عن وجه النصر صبحها، وكسر سورة الخسر ربحتها، ليلة أجلب الحاج عبد القادر بن محبى الدين على ملحته بخيله ورجله، وألقى بكيده وحيله.

أخبرنى من سمعه أنه قال: لما انسدت جلايب الظلام، وتكافأ الساهرون والنيام، وابتسم ثغر البسيط لبكاء الغمام، جاء المذكور بمن اقتفاه من صحبه، المستميتين لإعلاء كعبه، فأطلقوا على سمت المحلة من الرصاص شؤبوا، وعبابا مشبوا، بعد أن أوقدوا ناراً على متون الركاب، وشردها بين الأخبية والأطناب، فامتلات القلوب والجوانح قرحاً، والجوانب قتلى وجرحى، وصارت الجيوش السلطانية ترمى بعضها، وتهم أن توسع فى الفلاة ركضها، حيث لم تدر للعدو ناحية، ولا شعرت بالدهاية، ولسان حال الزعيم يقول رب حيلة، أنفع من قبيلة.

ثم نودى بالنهى عن الركوب، والصبر على الأمر المكتوب، فتراجع الطبجية إلى المدافع ففجروا منها بحاراً ذات أمواج، اهتزت لها الجبال والفجاج، وتلتها شهب منقضة من أفواه المكاحل، كحلت بميل الردى كل مدبر وواحد، فشرق الزعيم، لا يلوى على حميم، وأصبح جمعه كسيراً، ووزيره البوحمدى أسيراً، فى جماعة من تلك الفئة، التى كانت نحو الألفين وخمسمائة، ووجد على أصحابه أقبية الحرير، والعمائم الموسومة بالتذهب والتحبير، إغناء منه فى الترفيه، وزيادة فى الأثرة والتنويه، وكان ذلك فى المحرم فاتح عام أربعة وستين ومائتين وألف. هـ بمعناه.

وعلى الإجمال ففضل هذا الوزير عند أهل الفضل معلوم، وأثره فى صحف المفاخر مرسوم، ولولا تمسكه بذيل العفاف، وقناعته من الدنيا بالكفاف، وانقباضه عن غير من ترجى بركته، وتحض على السكون حركته، لسا رصيته مسير

الشمس، وأشير إلى محله بالخمس، وتغنت طيور الطمع بمدحه، وغما نتاج النفاق
بسرجه. وما أحسن قول ابن الحسين:

وإذا خفيت عن العيون فعاذر أن لا تراني مقلة عمياء

مشيخته: أخذ عن السيد اليمنى بو عشرين أصول الخط، أخذ إحكام
وضبط، وعن العارفين الجليلين الشريف سيدى عبد القادر العلمى وسيدى حفيد
بن عدو وغيرهم ممن يقتدى به علما وعملا:

شعره: من ذلك قوله مجيئاً أبا عبد الله أكنسوس وقد أبدع فى ترصيع
نفائس الحكم، وأتقن وأحكم:

من أوتى الدين عالى القدر مغبوط	وغيره معلوماته أغاليط
والنقط ليس يزيد الحرف تكرمة	كم مهمل دونه ما هو منقوط
والجد ليس بمجد من مقاصده	يلقى بها عند الانتقاد تخليط
وأحمق الناس من قد غره عرض	به الذهاب والاضمحلال مربوط
وليس يسلم فى حال القيام به	من ذى قلى قوله بالزور مخلوط
ومن عجائب ما أبداه ذا الوقت أن	يعز شرط ولا يعز مشروط
ومن تحقق فيه ثمة لم	يفز بمشروطه لا شك مغموط
يا فاضلا فوق هام المجد أخصه	ماذا يكافى به ثناك غريط
ألبستنى منه أبهى حلة فغدا	بها لنفسى تفريج وتنشيط
كأننى قد شربت فى معتقة	ما أن يمس بها الأعضاء تثبيط
لله من قطعة عنى قطعت بها	موصول هم به الفؤاد مضغوط
ما حاك نجل الحسين مثل بردتها	ولا ابن حجر إذا ما كان تمليط

كل المسامع تهوى أن تكون لها
وكل جيد مجيد قد تشوق أن
تنشيه ثم توشيه الأنامل من
بمثلكم دولة الأشراف تفخر لا
وأنت غرة هذا العصر دمت وما
وقوله:

عبيد العصا فاضرب منهم كل من عصى
وإن كنت في شك فجرب تجدهم
وفاته: توفي بفاس عام ثمانين ومائتين وألف ودفن بالمسجد المجاور لضريح
الولى الأشهر سيدى على أبى غالب وكتب على قبره هذا البيت^(١) المضمن تاريخ
وفاته:

فرش السعادة فى ذا القبر تاريخ
هـ من فصول الجمان، فى أبناء وزراء وكتاب الزمان، لأبى عبد الله بن
المفضل غريط المذكور.

قلت: وقد كان المترجم زاهداً ناسكاً، حدثنى ولده الفقيه الكاتب السيد
المهدى وزير الشكايات فى العهد العزىزى سابقاً ووزير الخليفة السلطانى بمراكش
حينه، أن فريقاً من قبيلة عبدة وردوا عليه ذات ليلة بأمة وحمل سكر وجراباً من
الريال الدور وهدية إليه مدة وزارته، فرد ذلك عليهم وعنفهم وقسم لهم بالله أنه
لا يسمع منهم كلاماً إلا إذا حملوا هديتهم، فلم يسعهم إلا الامثال، ولما حملوا

(١) فى هامش المطبوع: «البيت لولده السيد محمد».

هديتهم قالوا له: إننا نأمل أن ترفع شكايتنا للجلالة السلطانية بطلب رفع ضرر عاملنا فلان، وكامل العامل من خاصة المولى عبد الرحمن، فأجابهم بأن السلطان لا يقبل فى ذلك العامل كلاًّ لإفراطه فى محبته ولكن لا بد لى من أن أبلغ كلامكم لمحلّه، ولما كان الفجر توجه لشريف الأعتاب طبق عادته ولما أخبر الأمير بحضوره وجه عليه، وقال له: يا فقيه أراك لا تنفع نفسك ولا تنفع غيرك، فقال له: يا سيدى ماذا فعلت؟ فقال له الأمير: الهدية التى رجعت البارحة على أصحابها لم تحزها لا لنفسك ولا لبيت المال، وكان اطلاع السلطان على ما حصل غريباً إذ لم تكن له عيون للمراقبة مبثوثة تراقب الأمور ثم تطلعه عليها بسرعة فائقة.

وللمترجم أيضاً:

وعار على الحر المقام ببلدة يكون بها نذل العبيد شريقاً

قاله لما أخرج عن منتصب الوزارة، وأكثر عبيد البخارى من التعريض به وإظهار الشماتة وحاول التنقل من مكناس لفاس، وله شعر جيد فى احتلال تلمسان وتطوان.

٢٨٩ - محمد أمزاج المكناسى الأصل الفاسى النقلة والدار.

حاله: فقيه صوفى تال لكتاب الله ذو ذوق عجيب، وإدراك مصيب، له معرفة كاملة بالرقائق وطريق القوم ودقائقها متأدب بأدابها، ولوع بحضور مجالس العلم، متكشف معرض عن زهرة الدنيا وزخارفها، كثير الخمول متجرد لا يتشوف لما فى أيدي الناس، ولا يرضى بالدون، لباسه لباس الزهاد والبهايل، إلا أنه لا ينعق فى الأسواق ولا يدعى لنفسه مزية، وربما سأل الناس إذا دعت الضرورة لقمع سطوة الجوع.

كان فى ابتداء أمره يحترف بصناعة الدباغة بجدة واجتهاد وحزم وعزم، يلبس الثياب الرفيعة، ذا تودة ونخوة وافتخار، طوفا على حلق العلم، وكراسى الوعظ، متبعاً للسنة مستحضراً للسيرة النبوية، حافظاً للأمداح المصطفوية، يحفظ جل ما فى سيرة الكلاعى من الأشعار، قال الزبائى فى سلوك الطريق: إنه سمع منه أنه يحفظ من كلام ابن الفارض ستة آلاف بيت، وكثيراً من كلام الششتري وغيرهما من كلام الصوفية.

مشيخته: أخذ عن سيدى محمد جسوس الحكم العطائية، وكان يباحته ويعجب الشيخ بأبحاثه ويستحسن سؤالاته، وأخذ عن أبى محمد العربى بن أحمد ابن محمد فتحا بن عبد الله معن وغيرهما رحمهم الله جميعاً بمنه.

٢٩٠ - محمد بن هاشم العلوى الحرونى المكناسى الدار والإقبار.

حاله: فقيه بركة عفيف منيف، أستاذ فاضل جليل، محب فى الصالحين معتقد لهم، صاحب الولى الكامل سيدى عبد القادر الشريف العلمى وانتفع به واغترف من بحر معارفه، حدث عنه أبو عبد الله محمد التاودى السقاط الفاسى فى رحلته الموسومة بالمنح الوهية، فى الرحلة الحجازية، أنه أخبره أنه سمع من الشيخ يعنى العلمى المذكور أن كل سارية من سوارى جامع الزيتون الشهير بولى وأوصاه بزيارة المسجد المذكور والمواظبة عليه، وأنه ذكر له أنه لازم الإمامة به فى الصلوات الخمس أربعين سنة احتساباً بالله تعالى، وأنه صلى به الضحى مرة وسأل الله بجاء النبى أن يجمع بينه وبين صاحب الوقت بالمسجد المذكور، فإنه لا يخلو من حضوره هناك وفق ما تلقاه من الشيخ المذكور، قال: فلما فرغت من الصلاة والباب مغلق وإذا بسيدى قدور بسارية بالقرب منه فأتى إليه فقال هو هذا الذى طلبت، يشير إلى نفسه.

مشيخته: أخذ عن مولاي عبد القادر العلمى وغيره.

وفاته: توفى فى ثالث عشرى قعدة الحرام عام خمسة وثمانين ومائتين وألف
ودفن بضريح سيدى الحاج القدوة من الحضرة المكناسية.

٢٩١ - محمد بن محمد بن التهامى بن حمادى الحمادى المدعو السريح
المكناسى.

حاله: فاضل وجيه نزيه، فقيه مدرّس نفاع، حافظ حجة لافظ، متضلع
مطلع متقن، شهد له بالتبريز جماعة من الأئمة الأعلام المقتدى بهم فى الحضرة
الفاسية، وقفت على موجبين متضمنين للشهادة له بالاشتغال بالإفادة والتصدي
للتدريس نص الأول منهما:

الحمد لله، يشهد من يضع شكله إثر تاريخه بمعرفته للفقهاء الأنجب سيدى
محمد بن الفقيه الأماجد سيدى محمد المكناسى، المعرفة التامة بها ومعها، يشهد
بأنه مشغول بتدريس العلوم مدة تزيد على ثمان سنين، فمن علم ذلك قيد به
شهادته مسئولة منه فى حادى عشر من شهر الله المحرم من عام أربعة وسبعين
ومائتين وألف عبيد ربه أحمد بن محمد المرينى، ومحمد بن الحاج، وعمر بن
سودة، والحاج محمد الفيلالى، ومحمد البدرأوى وبناصر النسب، وحفيد
الأمرانى، وعلال المرينى، وأحمد بن الحاج، وحفيد بن محمد -أسنى، كل هؤلاء
العشرة من الأعلام المحققين المدرسين بكلية القرويين عمرها الله بدوام ذكره.

ونص الثانى:

الحمد لله الذى اختص بفضله ورحمته من شاء، وأقدره على التصرف
بالإخبار والإنشاء، وتوجه بعقل الكمال والتشريف، وحلاه بعد التنكير بأداة
التعريف، والصلاة والسلام على سيدنا محمد مادة الوجود، ومعدن الفضل
والكرم والوجود، صلى الله عليه وعلى آله النجباء الأقطاب، وأصحابه الذين آتاهم
الله الحكمة وفصل الخطاب.

وبعد: فإن ماسكه الفقيه الحبي العفيف النزيه، العالم الوجيه، سيدى محمد ابن الفقيه العلامة الأريب، الحافظ الحجة الصدر الخطيب، سيدى محمد بن الحمادى المكناسى ممن تصدر هذه مدة مديدة، وسنين عديدة، لنشر العلم والتدريس والتعليم، وتصدر بين الصدور للتبليغ والتفهيم، وأنفق يواقيت عمره فى حل المقفلات، واستعمل دقائق فكره فى النتائج والمقدمات، وسبر أقسام المسانيد والعلل والألقاب، وكشف عن وجوه مخدرات المعانى والبديع النقاب، واقتنص من المهمات شواردها، واقتنى من النكت فرائدها وفوائدها، وسائر أرباب البلاغة فى مجالها حتى ظهر أنه من أفضل رجالها، مع ماله من الحياء والمروءة والاستكانة، وعدم الدعوى والمحافظة على دينه والصيانة، لكن قد تقرر واشتهر، وعلم لدى الخاص والعام وانتشر، أن الاهتمام بالرزق والكد على العيال، يخل بالجد والاجتهاد فى نشر العلم فى الحال والمآل، ويوجب الفتور والكسل والكساد، ويقطع الإنسان عما هو بصده من نفع العباد.

ومقصود مولانا أيدى الله، وأدام وجوده وعلاه، كثرة نشر العلم وتكثير طالبيه، وصيانة أهل العلم عما يدنس حرمتهم وحفظ ذويه، فمن المستحسن بالنظر والقياس، أن يقوى على نشر العلم بمرتب من الأحباس، ليحصل غرض مولانا من تكثير العلماء فى الناس، وأن يعان بما يكون سببا له فى كثرة اجتهاده، أبقى الله مولانا رحمة لعباده، آمين. وفى مهل رمضان الأبرك عام خمسة وسبعين ومائتين وألف عبيد ربه تعالى أحمد بن محمد المرينسى وفقه الله بمنه، وعبد ربه أحمد بن أحمد بنانى ستر الله عييه آمين.

رحل المترجم لأداء فريضة الحج وزيارة خير الأنام سنة أربع وتسعين ومائتين وألف وهو من جملة الأعلام الذين شهدوا بصحة نسب الشرفاء الدباغيين المنتقلين للحجاز ورفع له لخير الأنام.

مشيخته: أخذ عن والده ومن فى طبقته .

الأخذون عنه ، ممن أخذ عنه الشيخ عبد الكريم الكتانى والد صديقنا المحدث
أبى الإسعاد عبد الحى ، وشيخاننا أبو عبد الله محمد فتحاً بن قاسم القادري ،
والمرحوم أبو محمد عبد السلام الهوارى قاضى فاس ، وأبو العلاء إدريس بن أبى
العشرين .

وفاته: توفى بالحجاز عام حجة المذكور رحمه الله .

٢٩٢ - محمد بن الهادى بن عبود المكناسى النشأة والدار والقرار والإقبار .

حاله: فقيه عالم ، عدل نزيه ، تقى نقى ، مدرس فاضل واعظ خطيب بليغ ،
من أهل الخير والصلاح والزهد والرغبة عن الدنيا وزخرفها ، سرادكاً للأحاديث
النبوية وبالأخص صحيح الإمام البخارى فى الأشهر الثلاثة رجب وشعبان
ورمضان ، ذو صوت حسن لا يمل سامعه ، تولى الإمامة بالمسجد الأعظم ،
والخطبة بمسجد باب البرادعيين ، ونيابة القضاء عن السيد العباس بن كيران والحاج
المهدى ابن سودة .

وقفت على رسم مسجل عليه بتاريخ ثالث رمضان عام ثمانية وسبعين
بتقديم السين على الموحدة تحت ومائتين وألف محلى فيه بالعلم والإمامة
والتدريس والنبيل والنزاهة .

وآخر بخطه وشكله بتاريخ ثالث شوال عام تسعين بتقديم المثناة على السين
ومائتين وألف يتضمن تحييس الحاج محمد بن يعيش البخارى قائد مشور السلطان
إذ ذاك جميع النصف الواحد من العرصة الكائنة بسيدى عبد العزيز من ناحية حارة
بنى موسى من الحضرة المكناسية على من يقرأ ذخيرة المحتاج بمسجد الشافية من
روى مزيل قرب داره هناك ، كل يوم بعد الفجر وقبل صلاة الصبح إلا أن القراءة
صارت اليوم قبيل العصر وشرط المحبس يلبى ذلك .

وفاته: توفى بعد التسعين بالحضرة المكناسية، ودفن بمسجد أبي العباس أحمد الشلبي بالصف الأول منه.

٢٩٣ - محمد العياشى بن المكى بوشمعة^(١) المكناسى.

حاله: فقيه فاضل صوفى عالى الهمة منحاش إلى الله دال عليه فى سره وعلايته، ملازم للذكر وتعمير الزاوية الدرقاوية فى سائر الأوقات، محافظ على صلاة الجماعة، إذا رُئى. ذكر الله، يحض أصحابه ورفقاه على الذكر والمذاكرة فى أحوال السلف الصالح، والتأسى بأقوالهم وأفعالهم، مشغل بقراءة الحكم العطائية، والمباحث الأصلية، ورسائل مولاي العربى الدرقاوى.

وكان يسرد صحيح البخارى مع جماعته فى الأشهر الفاضلة الثلاثة رجب وشعبان ورمضان، ويحتفل لختمه كل سنة، وكان كثير السيادة، رحل إلى حج بيت الله الحرام، مجلسه مجلس علم وخير وخشية، وكان يكتبه بعض شيوخه بعيش القلوب، وكان يقول كثيرا: لا يعتبر فى الفقير المقال ولا الكرامة، وإنما يعتبر فيه الحال واتباع السنة، ولما حضرته الوفاة ازدحم الفقراء أتباعه عليه وأكثروا الإلحاح عليه فى الدعاء لهم، فكان جوابه ما معناه دعونى الله الغنى.

مشيخته: أخذ عن الولى الصالح السيد مالك الغرباوى دفين زاوية مولاي إدريس الأكبر من جبل زرهون وعن غيره.

الآخذون عنه: منهم السيد محمد بن عبود المكناسى الأصل والنشأة السلوى الدار والاستيطان وخلق.

مؤلفاته: منها تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا

٢٩٣ - من مصادر ترجمته: إنحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٧/ ٢٦٥٧.

(١) فى المطبوع: «بوالشمع» والمثبت من إنحاف المطالع.

فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ ... ﴿٣٢﴾ [سورة فاطر آية ٣٢]، وشرح على الصلاة المشيشية حل فيه ألفاظها.

وفاته: توفي في حجة الحرام سنة أربع وتسعين ومائتين وألف.

٢٩٤ - محمد بن المجذوب ابن عزوز يدعى الهويج بالتصغير المتكاسى.

حاله: فقيه علامه، جليل مشارك نقاد، دراقة، نبيل عدل مبرز مدرس نفاع، تحرير ذو خط بارع، وربما قال الشعر وإن كان لا يحسن دهناعته ولا يجيد، وسيمر بك بعض شعره.

مشيخته: أخذ عن ابن عمه العلامة السيد فضول بن عزوز، وعمن فى طبقته، وشاركهم فى بعض مشايخهم كالحاج المهدي ابن سودا، والسيد مبارك، وابن كيران رحم الله الجميع.

الآخذون عنه: أخذ عنه العلامة السيد الغالى الستيسى، وشيخنا العلامة الناسك سيدى محمد العرائشى، والفقيه السيد محمد الواستري، وعمنا مولاي عبد القادر، وسيدنا الوالد، وقاضى أحواز مكناسة الحالى السيد أحمد الناصرى وجماعة.

شعره: من ذلك قوله:

تبسمت الأيام واحتفت سعدها	وقد لبست من كل حلى زيهجرا
دنا قطف آمال لصب له رنا	بلحظ ذكى قد ألهب من الكرا
تفتحت الأزهار فى كل شارع	وفاح لها ريح بمسك تعطرا

وقال:

إليك رسول الله أرفع حاجتى ومنك رسول الله أرجو قضاءها

وأنت لها يا سيد الناس كلهم
وأنت لها يا من يقول أنا لها
وأنت الذى ترجى لكل عزيمة
وأنت الذى تحبى القلوب فتهتدى
وأنت الذى لولاك ما كان مهتد
وأنت الذى أوليت كل فضيلة
ومن شرك الأسرار فاض عبابها
ومن روضك الزاهى الأزاهر فتحت
ومن برك الطامى الحياض تدفقت
إذا عقدت يمينك فيهم لواءها
إذا نكصت رسل الأنام وراءها
إذا قطعت نفس المريد رجاءها
بأنوارك الحسنى وتجلو جلاءها
ولولاك لم تدر النفوس اهتداءها
فلا نعمة إلا وصلت عطاءها
ومن نورك الأنوار تبدى ضياءها
ومنه استمدت حسنها وبهاءها
فلله ما أحلى وأعذب ماءها

نثره: من ذلك ما خاطب به تلميذه عمنا مولاي عبد القادر: سيدنا الشريف، العالم المنيف، ذا الأرج الأدبى العاطر، مولانا عبد القادر، أسعد الله صباحك وشرف أيامك، ونشر فى ميادين المجادة أعلامك، وسلام على شريف سيادتك ورحمة الله.

وبعد: فنحب حضورك ختام الخلاصة، ليكمل سرورنا بلا خصاصه، وأعط حامله عروش إقامة، أمدك الله بسر الاستقامة.

وفاته: توفى يوم الاثنين رابع حجة الحرام سنة سبع وتسعين ومائتين وألف، ودفن بزاوية سيدى على بن عبد الرحمن أمام فرن الكدية حذو حمام مولاي عبد الله بن حمد.

٢٩٥ - محمد بن محمد بن أحمد المصمودى.

حاله: فقيه موقت، متقن محقق، حيسوبى، نبيل فاضل.

مشيخته: أخذ عن الموقت الماهر السعيد السعيدى المدعو الفاسى آتى
الترجمة.

الآخذون عنه: أخذ عنه السيد محمد بن سميه بصرى صاحب إتحاف أهل
الهداية، علم التوقيت علما وعملاً وغيره.

٢٩٦ - محمد بن الهادى الشريف الحسنى العلوى حفيد السلطان مولانا
سليمان نزيل مكناس ودفينها.

حاله: فقيه أستاذ مجود مقرئ له معرفة شافية بعلم القراءات وإتقانها
وتوجيهها، انتهت إليه رئاسة ذلك الفن فى زمن، حكى عنه أنه سئل عن الإشمام
والروم، فأجاب سائله عن ذلك بالأبيات الآتية، ولما تم الأبيات ذهب للحجج
وأمره بقلع ثنيتيه ليتمكن من النطق بالإشمام على حقيقته، وقد كان مدرراً يعلم
الصبيان ويرشد الشيوخ الأساتيد نفع الله به خلقاً.

الآخذون عنه: منهم العدل البركة سيدى محمد بن الرضا الطاهرى ومنه
استفدت ترجمته، وآخرون:

شعره:

يا سائلى نظماً على الإشمام	والروم فاستمع أخى كلامى
الرفع فيه الروم والإشمام	والخفض بالروم فقط يرام
النصب لا روم ولا إشماما	فى مذهب القراء خذ أحكاما
وفى عريض شكل قل بالمنع	وهاء تأنيث وميم الجمع

٢٩٧ - محمد بن سميه بن العناية ابن فقيرة الأنصارى المكناسى.

حاله: فقيه علامة، متقن محرر متبحر، مدرس نفاع، ذو سر وبركة، لقى

الشيخ الرباني أبا العباس أحمد التجاني وصحبه وانتفع به، وكان من أخص أصحابه.

مشيخته: أخذ عن الشريف القاضي مولاى أحمد بن عبد المالك العلوى المطغرى، وعن السيد العباس بن كيران وطريق القوم عن أبى العباس التجانى. الأخذون عنه: منهم أبو حامد العربى بن السائح العمرى الشرقاوى دفين الرباط، وناهيك به مفخرة للمترجم، والسيد المختار الأجرأوى وجماعة، حسبما أفادنى بهذا كله حفيده الفقيه السيد أحمد الكاتب الأول بالصدارة حينه ولم أحفظ وفاته.

٢٩٨ - محمد بن محمد المترجم قبله يليه ابن محمد بن فقيرة.

حاله: أستاذ فاضل مقرئ، مجود متقن، حسن التلاوة، أخبرنى ولده أنه أخبره أنه حفظ قراءة البصرى قبل بلوغه.

٢٩٩ - محمد الأمرانى.

حاله: فقيه علامة معدل ماهر، ذكره خاتمة المحققين ذو الباع الطويل فى سائر الفنون والعارضة العريضة أبو إسحق إبراهيم بن عبد القادر التادلى الرباطى فى إجازته لأبى عبد الله محمد بن خليفة المدنى أتى الترجمة قائلاً فى حقه: كان آية فى علم التعديل، كان يجرى إلى المدرسة العنانية بمكناس يقرأ معى كل يوم منهاج ابن البنا فى التعديل الذى لا أصعب منه فى كتبه هـ.

وناهيك بهذه الشهادة من هذا البحر المتلاطمة بالتحقيق أمواجه فى حق المترجم، وكفاه فخراً وشرفاً كون أبى إسحاق هذا من تلاميذه.

وقد ذكره أيضاً فى فهرسته التى لا تزال مسودة بخطه بما نصه: وكان شيخنا الشريف سيدى محمد المرانى السجلماسى المكناسى المجاور الآن ١٣٠٦ بأهله

وأولاده بالمدينة المنورة غاية فى المسكنة والصمت، لا يتكلم إلا نى علم أو ذكر، ولا يعلم سوى التعديل والتوقيت والحساب والكيمياء، والغالب الأول، كان شديد النصيحة فى التعليم، سافرت من فاس لأجله بمكناس فقعدت فيها شهرين فى دار ساداتنا الكرماء العلماء دار العلم والولاية والكرم سيدى بصرى نفعا الله به، وقرأت عليه المنهاج لابن البنا فى التعديل إلا قليلا بلا مطالعة منه.

ثم تلاقينا بشيخنا الشريف المذكور المكناسى بالمدينة أيام مجاورتنا بها، فوجدته ملازما للمسجد لا يخرج منه إلا لحاجة، لا يعرف ولا يخالط أحداً فى غير علم، فقرأت عليه شيئاً من ذلك أيضاً وأخذنى لبيته وأكرمنى وأعطانى تقويم كسوف بعمل يده فى قطعة كاغد بعمل المنهاج وغريتم يتحير الماهر فيه، وأتقنه رضى الله عنه كل الإتيقان، ربما يبقى غيره فى استخراجة نحو شهر فأخذته لمكة، وأطلعت عليه تلامذتنا الشرفاء الذين قرأنا معهم التعديل باللمعة فتعجبوا من ذلك ووضعه ورصدوا وقت الكسوف كما هو مؤرخ فى القطعة المذكورة فصادف الوقت واليوم وصلينا مع أهل مكة صلاة الكسوف عقب صلاة الظهر بالخطبة. هـ من خط من نقل من خط التادلى مباشرة، وكذلك عدة من شيوخ أبى إسحاق المذكور تلميذه العلامة الشريف الربانى سيدى محمد بن الحسنى الرباطى فيما كتبه بكناشته ترجمة لشيخه أبى إسحاق رحم الله الجميع.

الآخذون عنه: منهم أبو إسحاق التادلى وناهيك به.

٣٠٠ - محمد الزهنى الزرهونى.

من أهل زاوية مولانا إدريس الأكبر.

حاله: فقيه عدل رضى من وجوه أعيان عدول الزاوية، تولى نيابة القضاء بها عن قاضى وقته.

٣٠١ - محمد فتحا الأمراني.

يدعى البيصارة بياء موحدة مفتوحة بعدها ياء ساكنة ثم صاد مفتوحة مشبعة فراء فهاء.

حاله: فقيه علامة،، تحرير ماجد، أصيل ألمعى، نبيل عدل، مبرز، كان يتعاطى الشهادة بسماط العدول، دين فاضل مشغل بما يعنيه.

مشيخته: أخذ عن الحاج المهدي ابن سودة، والسيد العباس بن كيران، والحاج مبارك الفيضى وغيرهم من الجهابذة النقاد.

٣٠٢ - محمد بن على النيار أبو عبد الله الأندلسى القصرى مولداً ومنشأ المكناسى داراً ووفاة.

حاله: صالح بركة، منقطع إلى الله تعالى، هذا ما وقفت عليه من ترجمته.

٣٠٣ - محمد بن محمد بن الجيلانى بن المعطى السقاط الأندلسى الأصل المكناسى النشأة والدار والإقبار.

وجزم بعضهم فى نسبه غير هذا مما لا أتحمقه والله أعلم.

حاله: فقيه علامة مشارك، مدرس نفاع، عدل رضى، مبرز خاشع، ذاكر ناسك، صالح أواه، ذو دين متين، وإقبال على الله فى كل حين، وخشية وحشمة ووقار وسمت حسن، تولى نيابة القضاء، وإمامة مدرسة الشهود، ثم إمامة المسجد الأعظم وكان من صدور مدرسيه مشاراً له بالخير والفضل، متبرك به فى السر والعلن، منظور إليه بعين الإجلال والإكبار، وكان ذا صوت حسن له حلاوة، عليه طلاوة، يسرد ذخيرة المحتاج بالمسجد الأعظم فما تسمع الأذان أحلى من صوته بها، وكانت بينه وبين الشريف البركة المعتقد المشهود له بالمعرفة والفضل العلامة المتضلع أبى مروان عبد الملك الضرير محبة ووداد.

٣٠٣ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٧٦١.

حدثني ابن عمنا العلامة المفضل مولاي عبد السلام بن عمر العلوي، أن شيخه المولى عبد الملك رحمه الله، كان يقول له: ربما حملني على السفر لمكناس زيارة ولدنا ابن الجيلاني، كان ملازماً للمولى عبد الملك المذكور مدة رحلته في طلب العلم بفاس، وأنه ربما سمع شيخه يقول للمترجم: ستكون رأس علماء مكناسة فكان كذلك، كان في وقته من هو مشهور بالعلم والتحقيق، ولكنه لم تكن له منزلة صاحب الترجمة في الإقبال على الله والشهرة بالديانة، وأنه وقعت له معه كرامة، وذلك أنه أي المترجم توجه لزيارة مولانا إدريس الأكبر وهو - أعني ابن عمنا، المذكور - إذ ذاك صغير يحفظ شيئاً من المختصر الخليلي، فسأل عنه بعد دخوله لدارهم هل قرأ شيئاً من العلم، فأخبروه أنه يحضر بعض المجالس، فذكر له بعض الأمثلة وطلبه في إعرابها فأعربها له، فسكت قليلاً ثم قال: أنت سنعطيك شريفة بفاس وتكون من أهل فاس أو من علمائها، شك المحدث، قال: وما خطر لي شيء من ذلك قبل، ثم كان ما أخبر به كما أخبر.

ومن إفادته ما حدثني به ابن عمنا العلامة الثبت سيدي محمد بن أحمد العلوي قائلاً: إنه حدثه تلميذ المترجم شيخنا ابن عبد السلام الطاهري عاشر شعبان عام ثمانية وثلاثين وثلاثمائة وألف سماعاً منه، أن التجربة العادية حكمت بأن رابع شوال إن كان هو الجمعة أو السبت أو الأحد، فإن صابئة صيف العام تكون تامة كاملة، وإن كان الاثنين فالصابئة على النصف، وإن كان الثلاثاء فعلى الثلث، وإن كان الأربعاء فعلى الربع، وإن كان الخميس فإنما يرجى لطف الله وقد جربها الشيخ زروق السنين الطويلة فوجدها صحيحة.

مشيخته: أخذ عن شيخ الجماعة السيد مبارك الفيضى، والقاضيين السيد العباس بن كيران، والسيد الحاج المهدي ابن سودة، والسيد الهادي بادو، والمولى عبد الملك الضرير، ومن في طبقتهم من شيوخ فاس ومكناس.

الآخذون عنه: منهم شيخنا القاضى سيدى محمد بن عبد السلام الطاهرى،
وشيخنا سيدى محمد القصرى، والسيد التهامى بن عبد القادر لسوسى، والغالى
الستيسى وغيرهم من الأعلام.

وفاته: توفى صبيحة يوم الجمعة ثالث ربيع الثانى عام واحد وثلاثمائة
وآلف، ودفن بضريح السيدة العلمية من حومة حمام الجديد با-تضرة المكناسية،
ولم يتخلف أحد من وجوه أهل البلد وأصحاب الحிثيات وأعيان رؤساء البساط
الملوكى عن تشييع جنازته.

٣٠٤ - محمد بن عبد الله الغريسي المشرى الحسنى نزيل معسكر.

حاله: كان فقيهاً نابغة، نبيلاً قاضياً، رحالة شاعراً دراقة، وجيهاً، ورد على
أمير وقته مولانا عبد الرحمن بن هشام فى سنة خمسين ومائتين وآلف لدار المملكة
مكناسة الزيتون.

آثاره: لم أقف على شىء من آثاره إلا على قطعة شعرية ألفيتها على ظهر
كتاب بخط بعض الأثبات، نظم فيها صور الشغار الثلاث ونصها على ما فيها:

غريس خلا مذ غاب عنه الإمام	عليه من الله الرضا والسلام
وقد صار مفتى الوقت من آل واشق	عليه من الطود العظيم سلام
مررت به يقرى الشغار كنائم ثم أيقظته سلام
فلم يدر ما قد قاله فى منامه	ولا ما عراه يقظة أم منام
فقلت له والقوم محذقة به	كحوض بلا ماء عليه زحام
فهاك نظاما ما فى الشغار وحكمه	نظاما بديعا ما حكاه نظام
فإن صرحوا بالمهر قل ذلك جمعه	وإن سكتوا فهو الصريح الحرام

وإن قرنوا بين السكوت وضده
فهذه أصول للشغار ثلاثة
وحكم الجميع الفسخ ما عدا جمعه
وقيل بمهر المثل مثل صريحه
ولا مهر من قبل البناء في ثلاثها
كذا فصل الأشياء يا جاهلاً بها
وصل في بلاد الله تلو أئمة
وقل لهم يا آل ودي تكرموا
وراقب فجر شمس علومهم
ولم يبق يا من في دجا ظلماته
وجانب مزاج الأذلين من الملا
وسلم لأهل العلم تسلم ولا تكن

فذلك قسم منهما مستقام
وبالقبلى والبعدى ست تقام
إذا تم يمضى بالكثير التمام
وإن كان هذا فيه لا يستدام
وقس قسمى التركيب كى ترام
وداو سقام الجهل فهى حرام
أقاموا بحق الله ثم استقاموا
على عبدكم من جودكم يا كرام
فأنت إذا راقبت ذاك همام
إذا طلعت شمس العلوم ظلام
فإن مزاج الأذلين حرام
ملوما مشوما فى الملا فتلام

٣٠٥ - محمد الخرزة .

رفيق المترجم يليه .

حاله : فقيه كاتب نشيط نبيل ، ورد على المولى عبد الرحمن بن هشام رحمه الله فى سنة خمسين ومائتين وألف ، صحبة صديقه سيدى محمد بن عبد الله الغريسى .

٣٠٦ - محمد بن عبد الله بن محمد الطاهر بن عبد القادر بن عبد الله بن فخر الملوك مولانا إسماعيل .

حاله : من أنجب أقرانه وأفقههم وأجلهم وأفضلهم وأبرعهم وأتقنهم ، نسخ

بخطه البارع كتباً عديدة حديثة وفقهية ونحوية، وكان من أهل الفضل والدين المتين والاشتغال بشأنه.

مشيخته: أخذ عن السيد الطاهر بوحدو، والسيد فضول بن عزوز، والسيد محمد الهويج، والسيد فضول السوسى وغيرهم، وحفظ القرآن وجوده على سيدنا الجد المولى عبد الرحمن بن زيدان.

ولادته: ولد بمكناس بدارهم من الستينية سبع ذى القعدة الحرام سنة ستين بتقديم السين على المثناة فوق ومائتين وألف حسبما وقفت على ذلك بخط يد والده.

وفاته: توفى فى متم ربيع الثانى عام أربعة وثلاثمائة وألف، ودفن بروضة سيدى عمرو الحصينى الشهيرة بالحضرة المكناسية.

٣٠٧ - محمد بن الأمين السيد المعطى المسطارى المكناسى النشأة والدار.

حاله: فقيه عدل، مبرز موثق ماهر، فرضى جليل، أديب بل ناظورة الأدب، ومصدر مفاخر لسان العرب، بارع القلم واللسان، له فى الارتجال أكبر باع وشان، جامع لأشتات معانى الكلام فى بديع خطاب، مجيدا فصيحاً دون عى ولا إغراب، يراعه يسيل أدبا، وفكره يبدى عجباً، له اقتدار تام على الإنشاء، صرفه الله تعالى فيه كيف شاء، من أجل ذلك كانت له المرتبة السامية، والمكانة العالية، ومزيد الخطوة والعناية لدى أفخر الملوك العظام، وسلالة آل بيت الفخام. أمير المؤمنين المقدس أبى عبد الله سيدى محمد، ونجله مولانا الحسن ذى الخلق الحسن الأحمد، أفنى رحمه الله جل عمره فى خدمتهما، والتشرف بملازمة عتبتهما، مواظبا على الكتابة فى بساطهما الملوكى من أعيان الشعراء والكتاب، محافظاً على

٣٠٧ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٧٧٣.

الآداب اللائقة بذلك الجنب، مخصوصًا بمزيد الاحترام والاعتناء، أعطى اسم شاعر الحضرة دون من عداه من الشعراء.

مشيخته: أخذ عن جلة أعلام بلده مكناسة الزيتون كالشيخ عبد الرحمن بصرى ومن فى طبقته.

شعره: من ذلك قوله:

عذب فتعذيب هذا الصب فيك حلا	فالكل لما هواك من سواك خلا
لو قلت طأفى لظى وطئت مبتدرا	طوعا ولا أتقى حرا ولا وهلا
يامن إذا نظرت عيناي طلعتيه	قبلت موطنه وصرت مبتهلا
دل الكتيب على وصل فقد لعبت	به عواصف أشواق بها ذهلا
ورد طيف الكرى لطرفه كرما	عسى يراك خلال النوم إن حصلا
وارع لذمة رق يشتكى لهفا	كى يستقى من كريم عطفك العسلا
وانظر لفرط جواه فهو متحل	جفا المضاجع والسلوان والبجلا
لم يبق يرقب إلا لسانك ومن	سواك لا يرتجى عطفا ولا بدلا
انى وحقك لم أزل أقارع ما	قد هالنى من جوى بين كفى شغلا
يا من شمائله جلت فليس لها	حد ويا مالكا به المنى كملا
وقوله:	

مضى الحسن لا تسأل فقلبي فى أسر	وقلبك جذلان تسارع للفخر
ولا عذر لى دون التشبث بالرضا	وأما الهوى يقضى بما شاء من قهر
وأى فتى يهوى ولم يذق الجوى	وأقرب ما فى الحب وقف على الجمر

وأعذبه هو العذاب فلا تقل
ففيما مضى كان الحسان إذا رأوا
ورقوا له ثم انتحوا لوداده
فدام عليهم رونق الحسن والبها
لذاك رأيت العاشقين تميلوا
ولو عاينوا ما شتمه اليوم لم تجد
فكنت غبيا بالزمان وأهله
وصرت على حكم الغرام علامة
وقوله:

عبث النسيم بقده فتأودا
رشأ تفرد فيه قلبى بالهوى
قمر هدى أهل الضلال بوجهه
مغرى بإخلاف المواعد فى الهوى
سلبت محاسنه العقول بناظر
يا صاحى الأعطاف من سكر الطلا
قاسوك بالغصن الرطيب جهالة
حسن الغصون إذا اكتست أوراقها
إن كنت محبوبا فقلبي حاجب

مذاق الهوى عذب فكم فيه من مر
عفيفا أنالوه الأمان من المكر
ومالوا إليه ميل من شاق للبر
ونال الذى يهواهم الفوز بالبشر
بمدح شمائل المحسن فى الشعر
أديبا أتى إلا بهجوا بلا نكر
وهمت بأنسى سنين من الدهر
سميعا مطيعا صتته فى دجا فكر

وسرى الحياء بخده فتوردا
لما غدا بجماله متفردا
وأضل بالفرع الأنيث من اهتدى
يا ليته جعل القطيعة موعدا
يصدى القلوب وباسمه يروى الصدا
ما بال طرفك لا يزال معريدا
تالله قد ظلم المشبه واعتدى
ونراك أحسن ما تكون مجردا
لك فاطمئن النوم لا تخش الردى

وقوله وقد طلب منه بعض الطلبة تخميس الأبيات الأربعة المشهورة وهى :

صبرت على النيران الخ فخمسها فى الحين فقال :

إلى الله رد الأمر وارض وقل عسى ولا تكثرت مهالك، القنط عسعسا

فكم سر مضنى حيث قال منفسا صبرت على النيران والضرب والأسا

فأبلغنى صبرى لرشف المباسم

فذو الملك ييدى ما يشا ويعيده وفى يده بسط القضا ومديده

فالصبر ما قد غاب تصيده تأن ولا تعجل لأمر تريده

وكن راحما بالناس تبلى براحم

فداج القضا بدر الرضا قد أناره وما موقد إلا سيصلى جماره

ومن ظن شرا للهوان أصاره ومن يزرع المعروف يحصد ثماره

ومن عاند الأيام ليس بسالم

فما ضل حادى البزل أحسن سوقها وما خاب والى الناس يرفأ خرقها

فتحمدته نفس قد أحمده شوقها وما من يد إلا يد الله فوقها

ولا ظالم إلا سيبلى بظالم

فلما فرغ منها قال مؤذن الظهر الله أكبر، فقال للسائل: قد استجيب لك قد

استجيب لك.

وفاته: توفى أواسط جمادى الأخيرة عام خمسة وثلاثمائة وألف، ودفن

بصحن روضة ولى الله تعالى مولاى عبد الله بن حمد من الحضرة المكناسية.

٣٠٨ - محمد بن إدريس بن الطيب الواستري المكناسي.

حاله: فقيه علامة أديب نجيب له مشاركة وخط بارع نساخ للكتب، تولى خطة الكتابة بالحضرة السلطانية وخدمها نحو الستة أشهر ثم اخترمته المنية.

مشيخته: أخذ عن السيد الطاهر بوحدو، والسيد فضول بن عزوز، والسيد فضول السوسي، والسيد محمد بن الجيلاني السقاط، ومن في طبقتهم من أهل التحقيق.

شعره: من ذلك قوله:

يا من يرى ذلى وضعفى وغربتى	إنى ببابك واقف يا عمدتى
يا من تفضل بالوجود على من	بعد انعدام مكونا من نقطة
يا من تكفل لى برزقى مذ أنا	طفل صغير إلى انقضاء مدتى
يا من يتوب على العصاة بمنه	إنى سألتك أن تمن بتوبتى
مالى سواك وسيلة فلإن رجعت	ت من ندائى خائبًا يا سواتى

وفاته: توفى بعد الثلاث مائة وألف.

٣٠٩ - محمد بن الخليفة التونسي الأصل المدنى الدار، المغربى الرحلة والجوار، المكناسى الإقبار، يعرف فى تونس بالرقاع.

حاله: فقيه علامة، مشارك ناقد، راوية مسند متقن، رحال، ناظم ناثر، مجيد ناثر، مجيد فى الصناعتين، ماهر مقيد جماع، قلّ بلد إلا وله فيه أثر، وعنه بها آخذ، وله كثير من التقايد والإنظام، ذو همة عالية فى جمع الكتب واقتنائها، وبذل الأمور فى استنساخ الغريب منها، حتى تجمع له من ذلك عدد وافر.

٣٠٩ - من مصادر ترجمته: إنحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٨٠٤.

رحل فى صغره إلى المدينة المنورة وأقام بها مدة فى طلب العلم وخدمته حتى برع وفاق، ثم رحل إلى مصر وتونس والقيروان والجزائر وفاس ومراكش والصويرة وآسفى والرباط ومكناسة الزيتون وبها كانت منيته كما يأتى، ووقفت فى دفتر مرسى ثغر الصويرة على ظهير حسنى لأنائها نصه بعد الحمدلة والصلاة والطائع:

«خدامنا الأرضيين، أمناء مرسى الصويرة المحروسة بالله، وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله.

وبعد: فنأمركم أن تتركبوا الطالب محمد بن خليفة المدنى مع صاحب له واصلين للإسكندرية من غير كراء يلزمهما، والسلام فى ٧ شعبان عام ١٣٠٨»، وقد ذكر فى فصل الصوائر المختلفة من باب الصائر من الدفتر المذكور المبلغ الذى أُرْكِبًا بِهِ «اللقيه الشريف محمد خليفة مع صاحبه بريال ٤٠».

مشيخته: أخذ بالمدينة عن الشيخ أبى خضير الدمياطى المدنى، وأبى حفص عمر بن إبراهيم برى المدنى، والمفتى محمد بن عمر بالى المدنى الحنفى، والسيد جعفر البرزنجى، وأبى المحاسن محمد بن خليل الطرابلسى.

وبمكة عن الشهاب دحلان، والشيخ محمد حقى النازلى، صاحب خزينة الأسرار والشيخ رحمة الله الهندى صاحب إظهار الحق.

وأخذ بمصر عن الشيخ عبد الهادى الأييارى، والشمس الأنبانى، والشيخ إسماعيل الحامدى وغيرهم.

وبالقيروان عن الشيخ الصدام، والشيخ محمد بهاها الصغير.

وبتونس عن الشيخ سالم بو حاجب المتوفى فى الرابع عشر من رجب عام اثنين وأربعين وثلاثمائة وألف، والشيخ الطيب النيفر المتوفى فى رجب عام أربعين وثلاثمائة وألف، والشيخ الطاهر جعفر.

وبالجزائر عن المفتى الشيخ على بن الحفاف، والشيخ على بن موسى.

وأخذ بفاس عن سيدى جعفر الكتانى، وولده سيدى محمد، وقاضيه
حميد بنانى، وأبى محمد عبد الله بن خضراء السلوى، وأبى محمد عبد الهادى
الصقلى، وأبى محمد عبد الله بن إدريس البدرأوى وغيرهم.

وأخذ بالرباط عن أبى إسحاق إبراهيم التادلى وتديج فيه مع قاضيه سيدى
أحمد بنانى.

وأخذ بمراكش عن الحاج محمد أزنيت، وأبى حامد العربى بن السائح،
وأبى العباس أحمد الوعزوفى التتانى الصويرة وغيرهم من شيوخ المشارق
والمغرب، وجل هؤلاء أجازه عامة ومنهم من تديج معه.

الأخذون عنه: أخذ عنه السيد أحمد بن العباس البوعزاوى، والشيخ فتح
الله بنانى الرباطى، وأخوه أبو محمد زين العابدين وغيرهم.

مؤلفاته: منها رسالة فى جدار المحراب أهو من المحراب، وفى صورة أنه من
المحراب فالمصلى بحذاء المحراب إذا لم يسجد فى المحراب فهل يكون مصليا
خارجه أو يكون مثل مصل سجوده فى المحراب وقدماه خارجه، وعلى تقدير أنه
يعد مصليا خارجه فهل يكره.

شعره: من ذلك قوله مقرظاً رسالة شيخه الشيخ عمر بربى المسماة رسالة
الأفراح والبشائر، لطالب العلم والمجاهد والحاج والزائر، فى نحو الكراسة:

يا مغرماً بمنصب الدنيا ارعوى	أو ما دريت بموتك المستقرب
فالعلم أنفس منصب فى دارك الـ	أخرى فما لك نحوه لم تذهب
أو ما ترى البرى كيف زهت له	أيامه وحبى بأصفى مشرب
ترك المناصب واستعد لنصرة الد	ين القويم وذاك أعظم مأرب

ولئن تخلى عن مناصب أرخت

برسالة الأفراح أكد منصب

وقوله فى تقرّظها أيضاً:

لله درك أيها المفضّال إذ

أبديت لؤلؤ ففكرك السماح

وأجلت ففكرك فى فرائد سنة

فجمعت منها نزهة الأشباح -

وجنيت من روح البيان دقائقا

تورى الجهول محجة الأفلاح

وأزلت عن غرر الأدلة برقعا

حتى غدت فى غاية الإيضاح

واخترت أقوى حجة تتلى بها

أبكت كل معارض ملحاح

قد كان يبطل حكم هجرتنا التى

أفصحت عنها أكمل الأفصاح

يا زائرين عليكم بزيارة الـ

برى مولى البر والإصلاح

عمر العمر للمدينة بالتقى

والعلم معجز ألسن المداح

يا حادياً عرج بساحته وقل

نفديه بالأجسام والأرواح

إذ قد أفاد جنانه ولسانه

وبنانه بنظيرة المصباح

أضحت به مفتاح كل عويصة

لكنها تسمو على المفتاح

بعذيب مشربها فارخ طاب لى

من مبدع لرسالة الأفراح

ونظمه رسالة الجانى، ومزيلة ترح العانى، فى مدح القطب الصمدانى،

مولانا أحمد التجانى، بها أبيات سبعمائة.

وقوله معارضا قول من قال:

فلإن إعارتى للكتب عار

ألا يا مستعير الكتب دعنى

وهل أبصرت محبوبا يعار

فمحبوبى من الدنيا كتابى

ومن خطه نقلت:

فما بإعارة للكتب عار

ألا يا مالكا للكتب عرها

فمحبوب الأحبة قد يزار

لئن أحببت من دنيا كتاب

وقول من قال:

واجعل العذر جوابا

لا تعيرن كتابا

إن فى الرهن صوابا

واقبض الرهن عليه

بقوله:

لا يك العذر جوابا

عرا لى الخل كتابا

لا ترى فى ذا صوابا

واترك الرهن عليه

أنت ضعيف الصوابا

فإذا خالفت قولى

وفاته: توفى سن الخمسين بمكناسة الزيتون بالعلی الذى بالزاوية التجانية

منها ربيع الأول عام ثلاثة عشر وثلاثمائة وألف، ودفن بروضة الشيخ محمد بن

عيسى خارج باب السیة أحد أبواب العاصمة المكناسية.

٣١٠ - محمد بن العربى المنونى المكناسى الأصل والنشأة والدار والإقبال.

حاله: فقيه علامة، مشارك مدرس، خطیب مفوه، تقى نقى، عدل فصیح

خلو الشمائل، حسن الصوت لا یمل سامعه، كان الناس یأتون لسماع قراءته

وسرده الأحادیث والواعظ والأمداح المصطفیة من الحومات البعیده عنه لما رزقه من

الحلاوة والطلاوة، وتأثیر ما یرخرج من فیه بالقلوب التأثیر العجیب.

وكان ميالا لجناب الله محبا فى المنحاشين إليه، ملازما للتدريس، وغالب
تدريسه كان بزاوية شيخه التجانى، وكانت له معرفة بعلم الأسماء والأوقاف، وكان
من يرجع إليه فى الطريقة التجانية غير متغال ولا متنطع فيها ولا مقتول على
الشيخ رضى الله عنه ما لم يقله، ولا ملصق به ما هو برىء منه براءة الذئب من
دم يوسف، بل كان لا يحيد فيها عن نهج السنة الذى بنيت عليه، مقتد فيها بقول
الشيخ: ما سمعتموه منى فزنوه بميزان الشرع، فما وافق فخذوه، وما خالف
فاضربوا به وجه الحائط، شأن السلف الصالح، تولى آخر عمره عدالة المرس
المخزنى الذى تجبى إليه الأعشار.

مشيخته: أخذ عن العلامة ابن الجيلانى السقاط وهو عمده، وعن أبى
العباس قاضى الحضرة المكناسية السيد أحمد ابن سودة المرى، وعن الشيخ السيد
المفضل بن عزوز، وعن أبى حامد العربى بن السائح العمرى، دفين الرباط،
وتلقى منه فوائد عملية مشافهة مدة مقامه بمكناس وغيره ومراسلة، وعن غيرهم
من حاملى لواء التحقيق والإتقان من علماء وقته.

الآخذون عنه: أخذ عنه شيخنا وابن عمنا مولاي الحسن بن اليزيد العلوى
المحمدى، والشريف الفقيه العدل سيدى محمد بن إدريس الإدريسى الشيبهى،
والفقيه الشاعر العدل السيد عبد القادر بن أحمد العرائشى، والأستاذ الفقيه
النجيب السيد محمد فتحا بن العربى بن شمسى وجماعة.

وفاته: توفى ثالث جمادى الأولى عام ستة عشر وثلاثمائة وألف، ودفن
بضريح العلامة الصالح سيدى يوسف الخطيب من حومة براكا بفتح الباء وتشديد
الراء مشبعة.

٣١١ - محمد بن أحمد بن المكي السوسي.

حاله: فقيه نجيب، علامة فاضل، عدل مبرز، مدرس نفع، قليل العبارة، لا يستطيع أن يعبر عن مقصوده كما يريد، كثير الانحياش لجانب الله، محب في أهل الخير والدين، زوار للصالحين، وكان فيه انقباض وضيق صدر حتى ربما يقع له ذلك بأدنى سبب في مجلس درسه فيقوم قبل تمام الدرس مغضبا منقبضا، وكان يفر من كل هرج ويحب العزلة.

مشيخته: أخذ عن عمه السيد فضول، وعن قاضي الحضرة أبى العباس أحمد السودى المرى وغيرهما ممن هو فى طبقتها.

الآخذون عنه: أخذ عنه أخوه شيخنا السيد محمد فتحا السوسي، وابن أخته مولاي إدريس بن عمر المطهرى، وشيخنا أبو على الحسن بن اليزيد وجماعة من نجباء وقته.

وفاته: توفى فى أواخر عام ستة عشر وثلاثمائة وألف.

٣١٢ - محمد بن محمد فتحا المتونى الحسنى المكناسى النشأة والدار والوفاة.

حاله: عدل رضى، فاضل من أهل الخير والصلاح، كثير الاعتناء بمطالعة كتب القوم والمذاكرة فيها، حسن السميت والهيئة والمروءة، وافر الحياء، هين لين، عالم بالحساب والتوقيت بالمسجد العتيق من حضرتنا المكناسية كأبيه وجده من قبله، ثم رشح لنظارة الأحباس الصغرى مدة، ثم كاتباً بالحضرة السلطانية زمن السلطان المقدس مولانا الحسن برد الله ثراه ببنيقة الداخل من الأعتاب المولوية، ثم

٣١١ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٨١٦.

٣١٢ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٨١٥.

بعد وفاة السلطان تنازل عن خطة الكتابة ورجع لوطنه مكناسة، وتصدى لتعاطي خطة الشهادة بسماط العدول إلى أن لبي داعي مولاه.

وفاه: توفي رحمه الله فى سابع جمادى الثانية عام ستة عشر وثلاثمائة وألف، ودفن بضريح سيدى غريب من حومة الأنوار بمحروسة مكناسة.

٣١٣ - محمد أبو عبد الملك بن زيدان.

ابن جد العائلة المالكة الأعلى المولى إسماعيل السلطان الأعظم الطائر الصيت فى المشرقين والمغربين.

حاله: فقيه خير دين ناسك، متواضع كريم الأخلاق، ذاكر تال لكتاب الله له معرفة كافية بالفقه والعربية، ومزيد تثبت، لا يرى نفسه شيئاً ولا تهمة زهرة الحياة الدنيا، راض بما قسم له، كان يؤدب الصبيان فى آخر عمره، وعليه حفظت القرآن وجودته، تخرج على يده عدة من حملته، وكان له خط بارع، ومعرفة بالرسم والتجويد.

والله ما خرج من الدنيا حتى كاشفنى بأمور جاءت بعد وفاته وفق ما أخبر، من ذلك أنه ورى لى محذرا إياى من بعض أبناء العم، وقال لى ما معناه: ما لى ولفلان عينه لى مهما أغمضت عينى فى هذه الليلة يقف أمامى يريد كيت وكيت ثم يأخذه رحمه الله مثل السنة ثم يستيقظ يكرر مقالته.

ومن ذلك أنه ورى لى بانقضاء أجله، وأنه يموت صبيحته قائلاً جاءنى الآن الشيخ فلان رجل صالح عين لى اسمه وناولنى مفاتيح وشيئا آخر وقال لى: خذ أجرك فقد تم بناء دارك.

ومن ذلك أنه حدثنى بتشاجر عظيم بين رجلين كانا على قلب واحد إذ ذاك

٣١٣ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨ / ٢٨٢٠.

فوقع بينهما من التشاجر ما أخبرني به، وتصدى كل منهما لإذاية صاحبه كما تصدى لإذائتي من حذرني منه بكل ما فى طوقه فكفانى الله شره، وأوقفنى سبّحانه على ما دسه لى بخطوط يده بعد وفاته سامحه الله، وجزاه على إذائته لى بالجنة، والكل حدثنى به قبيل انسلال روحه بنحو ثلاث ساعات برّد الله ثراه.

مشيخته: أخذ عن شيخنا أبى عبد الله القصرى، والطاهر بوحودو، والمفضلين ابن عزوز، والسوسى، وأبى عبد الله الهويج، وشيخنا أبى عبد الله محمد بن عبد الهادى الفيلالى، وشيخنا المعطى بن عبود، وقرأ القرآن والتجويد على والده، وأتقن حفظه على شقيقه الأستاذ أبى محمد عبد القادر.

الأخذون عنه: منهم عمنا المولى الطاهر حفظ عليه القرآن العظيم، والمولى الطيب بن عبد الله المترجم فيما سلف، والمولى العربى بن إبراهيم بن عبد الله وجماعة من حملة القرآن، وعليه حفظت الكتاب المبين، وجملة من المتون، وعليه تعلمت أحكام الوضوء والصلاة ومبادئ النحو، رحمه الله وجزاه عنى أفضل ما جرى به أبا عن ولده.

وفاته: توفى بعد طلوع شمس يوم الثلاثاء سابع عشرى حجة الحرام متم عام سبعة عشر وثلاثمائة وألف، ودفن بروضة ضريح الولى الكامل أبى زيد عبد الرحمن المجذوب جوار ضريح جده الأكبر السلطان الأعظم مولانا إسماعيل، حيث مدفن سلفه.

٣١٤ - محمد أبو عبد الله السوسى الأصل.

حاله: أستاذ مقرئ مجود يحفظ العشر ويحرره، حافظ متقن ماهر، له معرفة بعلم النار، أخبرنى من شاهد مباشرة عمله لذلك من أهل العدل الثقات الأتبات، وأنه خرج بمحضره سبيكة فضة خالصة، وكان يستحضر الألفية، وابن

عاشر، وصدرًا من المختصر الخليلي، ولامية الشاطبي، ودالية أبي العباس بن المبارك، ومنظومة ابن الجزري في التجويد وغير ذلك.

وكان خيرا دينًا فاضلا، تقيا نقيًا، زكيا مرضيا، كثير التلاوة لا يعرف كللا ولا مللا، قدم مكناسة الزيتون بعد الحادية عشر من القرن الرابع عشر، وأقام بها مدة ودخل الأستانة والجزائر وغيرهما في طلب علم النار.

مشيخته: أخذ عن شيخنا العلامة أبي الفضل الفاطمي الشراذى، ولازم دروسه بفاس نحو ستة أعوام، وأخذ القراءات السبع عن المتبرك به الشيخ الزوين، والعشر الكبير عن القاضي الفلاق، والولى الصالح ابن يرمق.

الآخذون عنه: منهم صديقنا الأستاذ المقرئ المجود أبو عبد الله محمد بن أحمد الحميدى، أخذ عنه العشر الكبير.

٣١٥ - محمد أبو عبد الله الريفى.

حاله: علامة مشارك، أستاذ مجود يحفظ السبع ويتقنه، فاضل زكى، كان يؤم بمسجد باب عيسى، وكان العلامة الناسك أبو عبد الله محمد جنون لا يبغي بالصلاة خلفه بدلاً إذا كان بمكناس، يأتى الصلاة خلفه من حومة أبي العباس أحمد بن خضرا، ف قيل له فى ذلك، فقال: إن نفسى تطمئن بالصلاة خلفه لما اجتمع فيه مما تفرق فى غيره، فإنه عالم بأحكام الصلاة، عارف بفن التجويد، كذا حدثنى الفقيه الحميدى المذكور فى الترجمة قبله يليه قائلا هكذا: حدثه شيخه بل شيخ جماعة الأساتذة المقرئين بالعاصمة المكناسية أبو الحسنات الدربى بن شمسى، وهو ثقة صدوق، أخبر عن مشاهدة، ويكفى صاحب الترجمة فخرا شهادة أبى عبد الله جنون له.

٣١٦ - محمد بن الهادى فرمُوج الصنهاجى الأصل المكناسى النشأة والدار والإقبار.

حاله: عدل مبرز فقيه، نبيه مدرس، تولى نيابة القضاء عن العلامة أبى العباس ابن سودة المترجم فيما مر، وكان تدريسه بالزاوية المعروفة بزاوية حمادشة. مشيخته: أخذ عن شيخ الجماعة السيد مبارك الفيضى، وعن السيد المهدي ابن سودة، والسيد الهادى بادو، ومن فى طبقته. الآخذون عنه: أخذ عنه السيد محمد الزيانى، والسيد عبد القادر الريو، والسيد قاسم بن حمدوش. وفاته: توفى فى جمادى الأولى عام ثمانية عشر وثلاثمائة وألف، ودفن بالزاوية الناصرية من الحضرة المكناسية.

٣١٧ - محمد بن المهدي المتونى الحسنى المكناسى.

حاله: فقيه مجود مرتل له الطولى فى معرفة الرسم وتعليم الصبيان، وإفادة المقرئين، لا يرى فى غالب أحواله إلا تاليا أو ذاكرا أو معلما، وقور مهاب، معتقد عند الخاصة والعامة، محبوب لديهم، متبرك به، اتخذ عدة مكاتب لتعليم القرآن العظيم عامة وخاصة، ونفع الله به أقواما، ثم رشحه السلطان مولانا الحسن لتأديب بناته بداره المحروسة المحوطة، وأفاض عليه من سجال البر والإحسان ما هو له أهل، ورتب له أحسن قيام إلى أن لى داعى مولاه وانتقل لما اختير له رحمه الله.

الآخذون عنه: منهم شيخنا الشريف سيدى الحسن بن اليزيد ختم عليه ختمات من القرآن، وغيره ممن لا يعد كثرة.

٣١٦ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٨٢٣.



الخليفة سيدى محمد الأمرانى

وفاته: توفى فى حجة الحرام عام اثنين وعشرين وثلاثمائة وألف، ودفن بضريح الولى الصالح سيدى محمد فتحا الغمارى حذو سيدى عمرو بوعودة، من حومة حمام الحرة من الحضرة المكناسية.

٣١٨ - محمد بن الشريف الفقيه العدل مولاي عمر بن هاشم العلوى المدغرى.

حاله: فقيه وجيه عدل رضى، من صدور العدول، وأعيان الأشراف، ملحوظ بعين التبجيل والتكريم بين قومه، كريم السجايا، سمح الأخلاق، فاضل نبيه، كان يتعاطى خطة الشهادة بالزاوية الإدريسية مدة، ثم رشحه أبو العباس بن سودة للنيابة عنه فى القضاء بالزاوية المذكورة إلى أن أعفى.

مشيخته: أخذ عن العلامة الصالح المتبرك به مولاي عبد المالك الضرير، وعن غيره ممن هو فى طبقته.

وفاته: توفى زوال الاثنين ثانى جمادى الثانية عام اثنين وعشرين وثلاثمائة وألف، ودفن أمام الخارج من باب جامع الموتى بالمزارة الفوقية من الزاوية الإدريسية.

٣١٩ - محمد بن سمية بن هاشم العلوى الحرونى المدعو الشيخ التيكر.

حاله: فقيه نبيه، مسن بركة نزيه، ذاكر متبتل، محاضر مستحضر، مقبل على شأنه، خلع لباس الدعوى وارتدى برداء الخمول والوقار، له اليد الطولى فى نسج الأزجال الملحونة على أبداع منوال وأحسن أسلوب، وكان يميل إلى التقشف، ولباس ما خشن من الثياب، وربما احترف بخدمة حب الزيتون ونصره زيتا.

عنَّ له يوما من الأيام لدى الوزير الصدر غرض من أغراضه الشخصية فذهب إليه لحل مأموريته بالحضرة السلطانية، فوجد معه جلة أعلام منهم

أبو محمد العربي بن السائح، وجماعة يتجاذبون أطراف المذاكرة إلى أن قال بعضهم لمزيته عليه السلام، والمترجم وراء الباب مع أوباش الشرطيين غير مبالي به، وعليه أثواب رثة وسخة، فناداهم قائلاً: يا فقيه المزية لا تقتضى التفضيل، فبهتوا وانقطع حديثهم، وصار بعضهم ينظر لبعض فقال لهم الوزير وهو إذ ذاك موسى بن أحمد: ما لكم سكتكم؟ فقال المترجم مجيباً له من وراء الباب بقوله تعالى: ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾ [سورة النمل: آية ٨٥].

فاستدنوه إذ ذاك منهم، وقالوا له مثلك لا يجلس هنالك، وسألوه عن حسبه ونسبه وأين قرأ، وعمّن أخذ فعرّفهم بذلك وشاركهم في المذاكرة، فقالوا له: بين لنا معنى كون المزية لا تقتضى التفضيل، فقال: إن الوزير رعاه الله وأعز أوامره له من نفوذ الكلمة والأوامر المطاعة ما لا يحتاج إلى إقامة دليل عليه، إذ قد ميزه المولى تبارك وتعالى بجعل سر كلمة التكوين بين شفّيته، أرايتم لو أمر بضرب أحدنا أو سجنه وإخراجه من هذا البساط مذموماً مدحوراً لامثّل أمره على الفور ونفّذ بالفعل وفق ما أمر به، فهذه مزية له امتاز بها دوننا وهي لا تقتضى تفضيله، بل منا من هو أفضل منه، فأنصت الكل لمقاله وأنصف، وله بالفضيلة الجميع اعترف، وأقدوه قدره، وقضى الوزير في الحال أمره، ثم إن المترجم تخلى في آخر عمره عن جميع الأشغال الدنيوية، ولازم الضريح العلمي، واشتغل بعبادة ربه حتى أتاه اليقين، ولم يزل نهما يتطلب العلم ويحضر مجالسه ويذاكر أهله إلى أن ختمت أنفاسه رحمه الله.

مشيخته: أخذ عن السيد المفضل بن عزوز، والسيد فضول السوسى، والسيد المختار الأجرأوى، والسيد محمد بن الجيلانى السقاط، والسيد أحمد ابن سودة المرى، والحاج المختار بن عبد الله وشاركهم في جل شيوخهم، كالسيد مبارك بن عبد الله الفيضى، والسيد الهادى بادو، والسيد المهدي ابن سودة، والسيد العباس ابن كيران.

وفاته: توفى رحمه الله بالحضرة المكناسية فى يوم الجمعة تاسع عشر حجة الحرام، متم عام ثلاثة وعشرين وثلاثمائة وألف، ودفن بالزاوية الكتبية بالصف الأول منها.

٣٢٠ - محمد القصرى شيخنا أبو عبد الله العبدري^(١) المكناسى الأصل والاستيطان والوفاة.

حاله: فقيه علامة مشارك، مدرس نفاع، كان فى أول أمره يحترف بعمل الخبز، ثم أقبل على التعلم بجد واجتهاد حتى وجد ضالته المنشودة، فأكب على التدريس بحزم وعزم، وكانت له ملكة كاملة يقتدر بها على التدريس بدون مطالعة، وكان مقترأ عليه فى الرزق، ثم رشحه السلطان المولى عبد العزيز لإقراء إخوته وأعمامه ونفذ له مؤنة ضافية طعامية يومية وشهرية، تحسنت بها أحواله المادية، ثم حالت الأحوال وأسقطت عنه تلك المؤنة ورجع لأشر مما كان عليه، ولم يزل صابرا محتسبا إلى أن لقي الله مع همة عالية، ونفس آبية.

مشيخته: أخذ عن العلامة السيد فضول بن عزور، والعلامة السيد فضول السوسى، والعلامة السيد محمد بن الجيلانى الساقط وهو عمدته وغيرهم ممن هو فى طبقتهم.

الآخذون عنه: أخذ عنه قاضى الأحواز المكناسية أبو العباس الناصرى، والعلامة السيد محمد الواستري، وشيخنا السوسى، والفقيه السيد محمد فتاح بن مبارك الهلالى، والفقيه مولاى إدريس بن عمر المطهرى، ووالدنا المقدس، وشيخنا أبو على الحسن بن اليزيد، وجامع هذا الديوان عفا الله عنه وغيرهم من أعيان نجباء فقهاء مكناس.

٣٢٠ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٢٨٤٣/٨.

(١) فى الإتحاف: «العبدوى».

وفاته: توفى ليلة الاثنين خامس صفر الخير عام أربعة وعشرين وثلاثمائة وألف، ودفن بضريح سيدى الدغوغى من حومة جامع الزرقاء.

٣٢١ - محمد بن عبد الواحد بن محمد بن محمد بن عبد الواحد بن عبد الله بن محمد بن عبد القادر النقيب بن عبد الواحد بن الولي الصالح المتبرك به حيا وميتا أبى العباس أحمد الشبيه.

دفين روضة رأس التاج المعروفة اليوم بروضة عمرو الحصينى، إحدى الروضات الشهيرات بالحضرة المكناسية، وإلى أبى العباس هذا يتنسب كافة الشبهين.

وهو ابن عبد الواحد بن عبد الرحمن بن أبى غالب بن عبد الواحد بن محمد بن على بن عبد الواحد المجاهد، وهو أول نازل من الجوطيين بمكناسة، وفيه يجتمع الشبهيون والطاهريون.

وهو ابن عبد الرحمن بن عبد الواحد بن محمد بن على بن حمود بن يحيى ابن يحيى مرتين بن إبراهيم بن يحيى الجوطى على قول ابن القاسم بن إدريس الأزهر، باني مدينة فاس ودفنها ابن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن ابن الحسن بن على وفاطمة الزهراء ابنة سيد المرسلين ورسول رب العالمين، مولانا محمد الصادق الأمين، صلى الله عليه وآله وأصحابه والتابعين، الشريف الحسنى الإدريسي الجوطى الشبيه من أهل زاوية جده مولانا إدريس الأكبر رضى الله عنه وأرضاه.

حاله: فقيه علامة، مشارك محاضر، متمع، باقعة فى السياسة والكياسة، كان إليه المرجع فى الفتوى بالزاوية الإدريسية، ويده أزمة نواب قضاتها، وعليه

٣٢١ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨ / ٢٨٤٤.

التعويل فى التعديل والتجريح ، وعند إشارته يقف الولاة وغيرهم من الأكابر فى كل مهم ، مع السمت الحسن ، والهدى المستحسن ، والدين المتين ، والأخلاق الحسنة ، والكرم المبذول ، والتحبب إلى أهل الخير ومواليتهم والسعى فى مرضاتهم ومجاملة كل فريق ، بما هو به خليف ، مع المبادرة إلى كل فضيلة ، والتخلى عن كل رذيلة ، مرت عليه سنون عديدة وهو لا يرى إلا فى مسجده أو فى داره ولا تراه خارجا عنهما إلا فى النادر لموجبه القوى .

أما الولاثم فقد كان تاركا لحضورها ، عكس عيادة كل مز له حق يقتضيها من المرضى ، ولا يكاد يتخلف عن حضور جنازة تجده فى كل ذلك من أهل الرعيل الأول ، ولقد كان الإمام فى الخمس بالضريح الراشدى ، والواعظ الوحيد بالمسجد الجامع من بلده إثر صلاة الصبح يصعد كرسى الوعظ وهناك ويشنف آذان السامعين برقائق التفاسير القرآنية ، وجوامع الكلم المصطفوية ، ونافع معارف السادات الصوفية ، فترتاح لذلك القلوب وتنشرح الصدور لحسن تحبيره ، وتمكن تصديره .

ولقد كان مع هذا كله لم يترك نصيبه من الدنيا يحسن تدبيرها ، وخصوصا الفلاحة ، وقد كان قائما بحظ وافر منها ، وسيطا بذلك فى الثروة وتنمية العقار ، وفذاً واحداً فى الجاه وعلو المنزلة ، وخصوصا بعد وفاة مشاركته فى الصدارة وكمال المنزلة ابن عمه العلامة مولاي الفضيل .

حدثنى ابن عمنا العلامة الأقدم سيدى محمد بن أحمد العلوى أنه شاهد يوم موت المترجم رجلا كان يشار له بالخير يقول خطابا لبعض الحاضرين إنه - يعنى صاحب الترجمة - من أهل الخير والصلاح ، قال محدثى المذكور : ومن قرائن ذلك أنه لما بقى لموته نحو عشرة أيام صمم العزم على أنه حان وقت لقيه لمولاه تبارك وتعالى ، وتجرد من كل العلائق وأوصى وحبس وأعتق وأعطى وقسم على أولاده حتى فراشه ولباسه ، ولم يبق فى محل سكناه إلا الفراش الذى هو

راقده عليه والثياب التي هو لابس لها، وودع أحبائه ومعارفه من حضر منهم بالمشافهة ومن غاب بالمكاتبة، وهياً نعشه وعين صدقة أيام مآتمه، ومن يغسله، ومن يصلى عليه، ومن يلقيه في قبره إلى غير ذلك، وصار بعد ذلك لا يأذن لمن ودعه في الدخول عليه، ويقول: قد ودعته في الله، واختلى تلك المدة بربه لا يدخل عليه عند الحاجة إلا ولداه الفقيه المولى على والفقيه سيدي محمد، إلى أن انتقل لوطن الرحمة محمود المساعي.

وأنه شاهد يوم وفاته جماعة من سعاة أهل بلده سيكون عليه ويقولون مات أبو الدراويش، كان يعطينا ويفعل معنا.

وبالجملة فالرجل لم يترك بعده يبلده مثله رحمه الله.

وكان سكنى هذه الشعبة الشبيهية التي منها المترجم أولاً بمكناس، ثم انتقل جلهم لجوار ضريح جدتهم بزاوية زرهون، وبقي البعض إلى الحين الحالي بحضرتنا المكناسية، صانها المولى من كل بلية.

مشيخته: أخذ عن العلامة سيدي أحمد المرينسي، والعلامة الحاج المهدي ابن سودة، والعلامة سيدي الحاج عمر ابن سودة، والعلامة الحاج أحمد بن سودة، والعلامة ابن عبد الرحمن الحجرتي وغيرهم ممن هو في طبقتهم.

الآخذون عنه: منهم ابن عمنا العلامة مولاي عبد السلام بن عمر العلوي المدغري، وابن عمنا النقاد الأعد الثبت السيد محمد بن أحمد، والعلامة سيدي الفاطمي بن الفضيل الإدريسي، وولداه مولاي على وسيدي محمد وغيرهم من أهل العلم والدين.

مؤلفاته: له تقييد في أدب زيارة الأولياء والترغيب في ذلك، وآخر في جواز تأخير السحور إلى طلوع الفجر، وطرر على صحيح البخاري من كتاب

التفسير إلى الختام وغير ذلك حسبما أخبرنى بذلك ولده الفقيه العدل مولاي على
قائلا: لازال الكل تحت يدهم فى مسوداته لم يخرج.

وفاته: توفى سحر ليلة عيد الأضحى متم عام أربعة وعشرين وثلاثمائة
وآلف، ودفن بترتبه التى أعدها لنفسه أعلى الظهر بالتصغير، الروضة الشهيرة
خارج باب زاوية زرهون رحمه الله رحمة واسعة.

٣٢٢ - محمد بن محمد فتحًا المتقدم الترجمة ابن عبد الله بن الطاهر
الشريف الأمرانى.

أمه بنت السلطان المولى سليمان.

حاله: فاضل وجيه نزيه، نسيب حسيب نبيل، سياسى ماهر، داهية عاقل،
حنكته التجارب وحنكها، فارس شجاع، خبير بالأمور، بصير بالعواقب، كان
السلطان المولى الحسن اصطفاه وقربه وصاهره بشقيقته المصونة السيدة أم كلثوم،
وكانت أحب الناس إليه يجير من أجارت، ويجيبها لما أشارت، وبسبب ذلك
حظى المترجم لديه بكل عناية، واختص لديه بكل حظوة ورعاية، فكان يتتد به
للطواف بالنواحي والنظر فى أمر القبائل وإصلاح أحوالهم وجمع الموظف عليهم،
وتأديب من ارتكب العصيان منهم، وتعيين من يصلح لهم من العمال، وإصلاح
ذات بينهم، فكان يقضى تلك المآرب المولوية على أحسن وجه تارة بالسياسة،
وتارة بالقوة حسبما تشهد بذلك أعماله فى القصابى وملوية رنواحي ريز وآيت
يوسى وأولاد الحاج وآيت يزدك وقبائل الريف وغيرها.

وقف على عدة ظهائر ملوكية علوية فى التنويه بقدره وقدر عائلته الكريمة
والحض على احترامهم وتبجيلهم وتوقيرهم واعتبارهم، منها ظهير حسنى منيف
ودونك نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الشريف:

٣٢٢ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٨/ ٢٨٧٨.

«يعلم من كتابنا هذا النافذة أوامره، المسفرة عن وجوه الحق بواطنه وظواهره، ويتعرف من فحوى خطابه، لمن أمعن النظر فى أساليبه وأسبابه، أننا بحول من له القوة والحول، والمنة والطول، أقررنا حملته أبناء عمنا سيدى محمد ابن المرحوم بكرم الله مولاي محمد الأمرانى وشقيقه مولاي عبد السلام، ومولاي الكامل على ما ألفوه من جانبنا العالى بالله، وجانب أسلافنا قدسهم الله، من التوقير والتعظيم والاحترام، ومزيد القرب والاجتباء والإكرام، وزدناهم على ذلك توقيرا واحتراما وعناية وتعظيما بحيث لا يسام جانبهم باهتضام. ولا يعاملون إلا بالجميل والإعظام، وأبقيناهم فى ذلك على عادتهم المألوفة، وطريقتهم المعروفة، من التحرير من جميع الكلف المخزنية، والوظائف السلطانية، وجعلنا أمور زكواتهم وأعشارهم بيدهم جريا على عادتهم إقراراً تاماً، نأمر الواقف عليه من عمالنا وولاة أمرنا أن يعملوه ويعمل بمقتضاه؛ ولا يحيد عن كريم مذهبه ولا يتعداه، صدر به أمرنا الشريف فى حادى عشر جمادى الأولى عام تسعة وثلاثمائة وألف» هـ.

وكان السلطان المذكور يقدمه للشئون ذات البال، ويعتمد على سياسته ودهائه ويعترف له بذلك، ودونك نص اعترافه له بما ذكر بعد الحمدلة والصلاة والطابع الشريف الذى نصه (الحسن بن محمد الله وليه ومولاه):

«الفقيه الأرضى القاضى السيد عبد الوهاب البادسى سددك الله، وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وافى كتابكم بتيسير ما وجه لأجله ابن عمنا الأرضى سيدى محمد الأمرانى، على أقصى الأمانى. مثنيا عليه بحسن السياسة ولطف التدبير. وجميل المباشرة والعقل الكبير. فنعم هو كذلك ونحن نعرفه منه سدد الله والسلام فى سادس عشرى حجة الحرام عام واحد وثلاثمائة وألف» هـ.

وكان يأخذ برأيه فى مهمات الأمور ويعتمده وله الوثوق التام بصدقه وأمانته قامت لدى الخاص والعام على ذلك براهين ساطعة، فكم جهاز الجيوش الهامة ذات العدة والعدد، وعقد له عليها وأسند إليه أمرها، وقصر النظر فيه عليه، وبالجملـة فقد كان له لديه جـاه ووجهة ومكانه لم يلحقها غيره، يرافقه فى الأسفار. ويخصه ببث الأسرار. حتى إنه كان كلفه بالنظر فى كل ما ينسب لفل ذة كبده وأعز أبنائه لديه وولى عهده من بعده السلطان السابق مولاي عبد العزيز، ودونك نص الظهير الصادر له فى ذلك بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكبير:

«يعلم من كتابنا هذا أعلى الله مقداره. وأجرى على فلك الإسعاد مداره. أننا بحول الله وقوته. وشامل يمنه ومته. كلفنا ابن عمنا الأرضى سيدى محمد الأمرانى بالنظر فى كل ما ينسب للولد عبد العزيز أصلحه الله من الماشية والحرث ونحو ذلك مما تنتجه المواشى من الغلة كالصوف والسمن والتـاج ونحو ذلك، وكذلك الحرث بحيث يكون بصيرة فى الكل يعرف الداخل والتـاج والغلة وما زاد وما نقص حتى لا يضيع شىء منه، ويعلمنا عن ذلك بما ظهر له فيه من صلاح أو ضده، وكذلك فى عمل المكلفين به، وما يرى فى ذلك من استحسان وتسديد أو غير ذلك، لنامر فيه بالمقتضى والسلام صدر به أمرنا المعتر بالله تعالى فى خامس محرم الحرام فاتح عام أربعة وثلاثمائة وألف»هـ.

وقد اقتضى أثر هذا السلطان العظيم المقدار فى تبجيل المترجم وإجلاله وندبه للمهمات وترشيحه للملمات، بنوه الملوك الجلة من بعده ووجهه المولى عبد العزيز لقبيلة الأخماس وطنجة وتطوان لما تفاحش أمر الريسونى بتلك النواحي، ولو تتبعنا خصوص ما بمكتبتنا من الأوراق الرسمية المتعلقة بمأمورياته لجاء فى مجلدات، وإليك مثالا منها كتبه له أحمد بن موسى باقعة الوزراء وداهية الصدور والرؤساء:

«محبنا الشريف الأرضى، سيدى محمد الأمرانى أمنك الله وسلام عليك
ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: وصل كتابك أحدهما بتاريخ رابع عشر شهر التاريخ، والثانى بتاريخ
خامس عشر منه أخبرت فى الأول بأنك لما حللت المحلة السعيدة ألفيتها بخير،
غير أن فساد الأعشاش وملال ومن شوكتهم اشتدت شوكتهم وكثرت آراؤهم فى
تعمير موسم طبق ما تقدم الإعلام به بعد ما كان أخبر عمال الأعشاش باضمحلال
أمره، وأن الفساد تمالثوا واجتمعوا بسوق أولاد محمد ونادوا بعمارته رغما على
كل أحد، وصار الفساد يسرى، وأن العمال لم يغنوا فى ذلك شيئا ولم تظهر لهم
خدمة ولا نتيجة، وأنك لما رأيت ما هم عليه من الرعب خاطبت قواد أولاد مراح
والشبانى والبرهمى بإنهاض حركتهم حلة ومحلة امام المحلة لعزمك على الرحيل
غد التاريخ والتخيم بطالع السلطان قرب بلاد الأحلاف والأولاد بعد مفاوضتك
فى ذلك، مع عمال الشاوية المخيمين بالمحلة وجوابهم لك باستحسان ذلك وعدم
المصلحة فى طول مقام المحلة، وأن بسبب ذلك استطال الفساد حتى صاروا
يزحفون لقرب المحلة، واشتد طمعهم فيها وسرى ذلك لغيرهم من القبائل التى
كانت تنالها الأحكام، فامتدت أيديهم لنهب السبل وقطعها على المارة، وأن من
المتعين إنهاض محلة القرب للتخيم بقربكم وتجديد شريف الأمر للجوار بشد
العضد والتضييق بالفساد حيث لازال لم يظهر أثر منهم عدا أولاد عبدون الذين لم
يقصروا فى ضرب الخزازرة.

وأن من المصلحة تعجيل نهوض الركاب العالى بالله لتدارك رقع أولئك
خرق أولئك الفساد، وجعل ذلك بيت القصيد، ذاكراً أن من هون أمر تلك الناحية
وسهل أمرها، فقد خان وغش الجناب المعتر بالله.

وأخبرنى فى الثانى بنهوضهم يوم التاريخ المذكور بالمحلة السعدية وتخميمكم بطابع السلطان قرب دار الحاج عبد القادر الخلفى وقرب الأولاد وتلقيه لكم مع قواد الأولاد والخدمين الإبراهيمى والشبانى بعدد وافر معتبر من الخيل، مظهرين الفرح والسرور، وتخميم بعض حلة أولاد مراح مع حلة الشبانى والإبراهيمى بقرب المحلة، ذاكرًا أن هذا النهوض يكون بحول الله سببا فى إخضاد شوكتهم وتفريق جمعهم الفاسد، وأنه ظهر بسببه أثر الخير، وطلب منك، عمال الأعشاش الزيادة بالمحلة لقصة المعاريف قرب دار ولد توزرت، وأشار عليك البعض بالتخميم بدار ابن أحمد، حيث إن بعض أولاد محمد نازل بقربها، وأنت كتبت لأعيانهم وكبرائهم بما تقتضيه المصلحة من التأليف المشوب بالإرهاب مع التأمين عليهم، وأنه إن أفاد ذلك فيهم فذاك المراد، وإلا فلا بُدَّ من الزيادة بالمحلة السعيدة للتخميم بأحد المحليين المذكورين إظهارًا للسطوة المولوية عليهم، وصار بالبال بعد اطلاع العلم الشريف، فقال دام علاه: أما ما كانوا توافقوا عليه من عمارة موسم الفساد إلخ فقد كان بلغ شريف علمه ذلك وصدر الأمر بالبحث عن حقيقة ذلك، وأما ما خاطبت به أولاد مراح ومن ذكرت معهم من إنهاض حركتهم حلة ومحلة أمام المحلة السعدية بقصد التخميم بطالع السلطان، فقد استحسنته مولانا دام علاه وعده من الحزم، وأما ما أنتجت مفاوضتك مع عمال الشارية من تعيين نهوض المحلة الغربية للتخميم قربكم إلخ، فقد صادف الحال أن الأمر الشريف صدر لمولاي الأمين بالنهوض بها والتخميم بمائة بير وبير من بلاد الحلايف من زعير فى الحدود بينهم وبين الأعشاش، ولا يكون الأوصل وجدد له شريف الأمر بالتضييق بهم فقد جدده لهم وأكد عليهم فيه، وها مكاتبه الشريفة بذلك تصلك طيه لتوجهها لهم على يدك، إلا أنك لم تبين المراد بالتضييق هل بشد الوطأة عليهم فقط كما أمروا الآن أو بضربهم فلتبين ذلك.

وأما ما ذكرته من المصلحة فى تعجيل نهوض الركاب الشريف فقد تقدم لك الإعلام بما ظهر منهم، فلتمض على ذلك.

وأما ما أشرت إليه من عدم تهوين أمر تلك الناحية، فسيدينا أيده الله من ذلك على بال، وسيحكم الله فى كل فاسد بباهر قدرته.

وأما نهوضكم وتخيمكم بالمحل المذكور، فقال أعزه الله جعله الله نهوض يمن وظفر وسلامة.

وأما ملاقة من ذكر من الخدام للمحلة السعيدة بعددهم وعددهم فقال نصره الله: ذاك المراد منهم أصلحهم.

وأما ما ذكرت من ظهور أثر الخير بسبب نهوض المحلة فقال أعزه الله: كمل الله بخير وحكم سيف عدله فى رقة كل باغ، آمين.

وأمامه طلبه عمال الأعشاش من نهوض المحلة لقصبة المعاريف وما أشار به الغير من نهوضها لدار ابن أحمد، فقال نصره الله: الحاضر بصيرة، والذى تقضيه المصلحة من التخيم بأحد المحليين يرتكب.

وأما ما كتبت لهم به إلخ فقد استحسنته دام علاه.

وأما ما ذكرته من كونهم إن لم يظهر منهم انقياد فلا بد من الزيادة لأحد المحليين المذكورين إلخ فقال دام علاه: العمل على ذلك ولا تغيب خبرا وعلى المحبة والسلام فى ٢٠ ربيع الثانى عام ١٣١٥ أحمد بن موسى بن أحمد لطف الله به.

وقد استخلفه السلطان مولانا عبد الحفيظ بثغر الدار البيضاء ودونك نص ظهير التولية بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكريم:

«يعلم من كتابنا هذا أعلى الله قدره، وأعز أمره، أننا بحول الله وعونه جعلنا ماسكه ابن عمنا الأرضى سيدى محمد الأمرانى خليفة عن جانبنا العالى

بالله بالدار البيضاء المحروسة، وأقمناه مقام عمنا مولاي الأمين فيما كان له من التكليف هنالك، والنظر في أمور المخزن ومباشرة المصالح المنوطة بتلك الناحية، فنأمره أن يجرى في ذلك على ما يراد من المقابلة بجهد واهتمام، وعدم ارتكاب ما يخل بالمصالح في نقض أو إبرام، كما نأمر من يقف عليه من خدامنا وولاة أوامرنا الشريفة أن يعرفوا قدر ما أسندناه إليه من ذلك التكليف، وطوقناه من ذلك الوظيف، والله يلهم الجميع رشده والسلام، صدر به أمرنا المعتز بالله تعالى في ثامن عشر حجة الحرام عام ستة وعشرين وثلاثمائة وألف هـ.

وأقره على ذلك هنالك السلطان المعظم مولانا يوسف، وزاد بأن جمع له بين الخلافة عنه والعمالة هناك، ونص الظهير الشريف الذي أصدره له في ذلك: الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه (يوسف بن الحسن بن محمد الله وليه) ومن تكن برسول الله نصرته إلى متقم:

خدامنا الأرضيين أهل الثغر البيضاء كافة، وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله.

فقد اقتضت المصلحة العامة اجتماع ووظيفتي خليفة حضرتنا الشريف وعامل البلد في ذلك الثغر في يد واحدة، وعليه فقد أعفينا خديمنا الطالب محمد الجباص من التكليف هنا كم ووظفناه بالوزارة الكبرى، وأسندنا لابن عمنا الأرضي سيدي محمد الأمراني الوظيفتين المذكورتين وأمرناه بالقيام بشئونهما، فنأمركم أن تسمعوا وتطيعوا فيما يأمركم به من أمور خدمتنا الشريفة أسعدكم الله به وأسعده بكم ووفق الجميع لما فيه رضاه، والسلام في متم رجب عام ١٣٣١ هـ.

ولم يزل قائما بأعباء تلك المأمورية أحسن قيام إلى أن قبضه الله إليه.

وهو الذي ترأس جيوش الحماية عند مقدمها لفاس، ثم لمكناس عند انتصار السلطان مولاي عبد الحفيظ بها على باغية البرابر زمن قيامها عليه بمكناس على ما

سنوضحه بعد بحول الله، ولولا حسن سياسة المترجم لأصبحت مدينة مكناسة في خير كان.

مشيخته: أخذ العلم عن شيوخ عصره والطريقة الناصرية عن سيدى محمد ابن أبى بكر الناصرى، والعلامة الصالح سيدى محمد بن طلحة النسب بمراكش، وهو عن سيدى على بن يوسف.

ودلائل الخيرات عن والده، وعن خاله الشريف الفقيه الناسك مولاي يوسف بن الأمير مولانا سليمان عن والده الأمير المذكور عن والده الأمير العظيم الشأن مولانا محمد بن عبد الله.

كما أخذه أيضاً عن ابن طلحة المذكور، وكان أخذ السلطان المولى سليمان له عن والده ومناولته إياه له وما معه من الأحزاب بالمسجد الأزهر المعروف بجامع الأروى من القصبة السلطانية المكناسية عام ستة وتسعين ومائة وألف.

كما أخذ دلائل الخيرات عن الشيخ عبد الكبير بن المجذوب الفاسى، وكل ما له فيه رواية من الأذكار والأوراد والدعوات.

ولادته: ولد فى ربيع الأول عام تسعة وأربعين ومائتين وألف، حسبما وقفت على ذلك فى ظهير أصدره سيدنا الجد السلطان مولانا عبد الرحمن بن هشام فى جواب لابنة عمه والدة المترجم الشريفة المصونة السيدة أم هانئ بنت السلطان الأعدل سليمان عن إعلامها إياه بازدياد المترجم عندها، وإليك لفظه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الفخيم.

«بنت عمنا لال أم هانئ سلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصلنا كتابك وعلمنا بالولد المتزايد لك جعله الله مبارك الناصية، وها أمرنا يوافيك للأمين السيد المعطى المزطارى بأن يدفع لك أربعين مثقالاً عُنَى بها عن الولد، وقد سميناه محمداً والسلام ٢٣ ربيع الأول عام ١٢٤٩هـ.

وفاته: توفى بثغر الدار البيضاء ضحوة رابع عشر رمضان عام واحد وثلاثين وثلاثمائة وألف، وحمل فى سيارة لفاس ودفن من غده بروضتهم الشهيرة حدو الزاوية الناصرية هنالك.

٢٢٣ - محمد بن العباس المكناسى النشأة والدار والإقبار.

حاله: فقيه نبيه لودعى، فاضل دين خير ذاك متهجد، مشرف على تاريخ المتقدمين ووقائعهم وطرق أخبارهم، حببت إليه العزلة، له اليد الطولى فى علم الأوفاق وسر الحروف واستخدام الجان، تواترت عنه فى ذلك وقائع، أخبرنى من وثقت بخبره عن أخذ عنه أنه سمع من بعض خاصة المترجم المعروفين بالصدق ومثانة الدين أنه كان كثيرا ما يخرج مع المترجم لاسترواح النفس خارج البلد فى بعض الأصائل ويتحرى الأماكن الخالية من الناس، ثم إنه فى بعض الأيام نسي المخبر لبدته له كان جالسا عليها مع المترجم لم يتذكرها حتى رجع وفارق المترجم، ثم لما خرجا على عادتهما من الغد، واما الجلوس بحث الشيخ تلميذه عن اللبدة فأخبروا بتلفها، فسكت الشيخ، ثم من الغد وجدوا اللبدة عند الشيخ، فظن التلميذ أن الشيخ هو الذى كان أخذها بقصد أن يياسطه ويختبر ذكائه، فبحثه من أين له بها فقال له: إن الذى وجدها هو الذى أتى بها إلى، وذلك أنى لما أخبرتنى بضياعها توجهت إلى الله ببعض أسمائه فما أتممت ذكرى حتى أتانى فلان وطرق الباب بإزعاج واضعا يده على إحدى عينيه وهو يتألم أشد الإيلام^(١)، فقال: يا سيدى نزل بى حالا ما تراه من غير سابقة سبب، ووقع فى نفسى أن شفائى لا يكون إلا على يدك، فقلت: اذهب اتنى باللبدة التى أخذت من المحل الفلانى، فأتى بها مسرعا بعد أن أبدى أعذارا، وبمجرد ما مكنتى منها زال ألمه بإذن الله.

(١) فى المطبوع: «أشد الامام» ولا وجه له.

وكان مقصوداً للرقيا يرقى المصابين بالمس وسائر ذوى العاهات، فيحصل لهم الشفاء بإذن الله تعالى وسر الله فى صدق الطلب.

وكان مدرراً يعلم الصبيان، له ملكة على التدريب وقدرة على حسن التعليم، وجد واجتهاد لم يلحقه أحد فى ذلك.

رحل إلى الحج وزيارة خير الأنام مرتين، ولقى كمل المشايخ بالحرمين، وأفاد واستفاد، وكان كثير الولوع بمطالعة مقامات الحريرى لا يخرج من داره إلا مكتب تعليمه أو لأداء الفريضة جماعة، أو لاسترواح النفس عند سأمها.

مشيخته: أخذ عن الشريف سيدى إدريس بن إدريس البوعناني علم الأوفاق وتوابعه وغير ذلك من العلوم الدينية والأدبية، وعن غيره من أئمة عصره.

الآخذون عنه: أخذ عنه الفقيه السيد محمد بن العربى غريط أحد الكتاب بالصدارة سابقاً بالخضرة السلطانية، ومحتسب فاس الجديد حالا، وسيدى مشيش الومغارى، وسيدى عبد القادر بن بنعيسى آل الشيخ الكامل سيدى محمد بن عيسى أخذ عنه أصول الخط ومبادئ العرايية والفقه وعليه حفظ القرآن العظيم كما أخبرنى بذلك هو نفسه.

وفاته: توفى فى صفر عام واحد وثلاثين وثلاثمائة وألف، ودفن بروضة الشيخ الكامل حذو الجدار عن يمين الداخل الصحن الضريح المذكور رحمه الله.

٣٢٤ - محمد بن أحمد حلام المكناسى.

حاله: فقيه وجيه عدل رضى، من أعيان العدول المبرزين وأعرفهم بالتوثيق وأعلمهم، له يد فى عدة فنون وبالأخص النوازل الفقهية.

مشيخته: أخذ عن قاضيه العلامة السيد أحمد بن سودة، والسيد فضول السوسى، والسيد فضول ابن عزوز، وشيخنا الحاج المختار بن عبد الله وغيرهم.

وفاته: توفى أواسط جمادى الأولى عام واحد وثلاثين وثلاثمائة وألف.

٣٢٥ - محمد يدعى منصور أبو منصور أبو عبد الله الم رابط بن محمد بن عبد الله القادر بن محمد بوعزة بن سميه بن الولي الصالح السيد سعيد ابن عبد السلام آل الولي الكامل أبي عثمان سعيد بن أبي بكر المَشْنَزَائِي.

دفين خارج باب الخميس من الحضرة المكناسية.

حاله: مجذوب ساقط التكليف، ذو كشف واضح، وأحوال خارقة، تَقْدُ الناس لزيارته والتبرك به ولا سيما النساء، يكاد مجلسه أن لا يخلو منهن، يسمى كل من يدخل عليه في الغالب باسم منطبق عليه غير اسمه، إما تلميحا لبعض أجداده أو عائلته أو وظيفه أو وظيف يرشح له استقبالا، وكان ولوعا بشرب الأتأى ولو بالماء البارد.

كان في أول أمره يؤدب الصبيان بمنار جده أبي عثمان سعيد، ثم انتقل منه إلى قبة الذكر من الضريح المذكور التي بها ضريحة الآن، ثم بعد ذلك اشتغل بقراءة دلائل الخيرات وكان محبا في الصالحين معتقدا في كل من يشار له بخير، كثير التردد لسيدى عبد القادر العلمى، ثم من بعده لسيدى عبد الكريم بن الرضى الوزانى، لازمه مدة، قيل: إن سبب جذبه أن سيدى عبد الكريم ألبسه يوما من الأيام قميصا له فغاب من حينه عن حسه، ثم بعد لازم بيته وشاع أمره واتضح كشفه وكثر معتقدوه، وصار الناس يقصدونه في المهمات والمدلهمات فيفرج الله عنهم الكروب وينيلهم المأمول، ودام على هذا مدة ليست بالقصيرة، ثم انتقل لضريح جده ولازم عتبة بابه لا يخرج إلا في النادر لباب الضريح، ثم في آخر عمره صار يطوف على أضرحة بعض الصالحين وبالأخص ضريح الشيخ محمد بن عيسى، وكان يدخل ضريحه راكبا دابته، زرتة مرارا، وكان ينادىنى قبل الاحتلام بالمزوار مولاي على بن المتوكل، ولم يزل ينادىنى بهذا الاسم إلى أن لى داعى

مولاه، وكان ربما أقسم على الله فأبره، يورى فى كلامه للزائرين بمقاصدهم وما يعقل توريته إلا العالمون.

مشيخته: قرأ القرآن وحفظه على المسن البركة المدرر السيد عبد القادر المدعو هويصرة البخارى والأسرار والمعارف عن سيدى عبد القادر العلمى، وسيدى عبد الكريم بن الرضى وغيرهم من الكمال.

وفاته: توفى ظهير يوم الأحد ثانى عشرى ربيع الثانى عام أربعة وثلاثين وثلاثمائة وألف، ودفن من يومه بضريح جده فى قبة الذكر، ولم يتخلف أحد من العلماء والأعيان الفضلاء فمن دونهم عن تشييع جنازته رحمه الله ورضى عنه.

بعض ما قيل فيه من المديح: من ذلك قول ابن عمنا النابغة مولاي عبد السلام المحب أتى الترجمة وذلك عام ١٣٢٣:

طلول عفت آياتها أدمع الطل	وطال على أشخاصها العهد بالظل
طلول لسلمى لائحات رسومها	كما لاح وشم الواشحات على رجل
ولم يبق من آثارها غير ما بدا	على الخد من خيلان أوحى نجل
تمشى بها الآرام كالروم فى الضحى	فيحسبها المتتاب من عدد النمل
بأتلع يغلى المسك فى عقد نحره	فيغلو إذا أهريق صائكه المغلى
وأحور مخضوب الأكارع والشوى	خضيب بلا حنا كحيل بلا كحل
تهيج به هوج الرياح لواقحا	فتعقب من نكبائها المحل بالمحل
ولو جادها من جود منصور مطر	لأسمع فى أرجائها دوى النحل
هو الوابل الهطال والأسد الذى	يحامى بلا ظفر ويصمى بلا نبل
هو ابن أبى عثمان والوارث الرضا	وهل يرث الليث الهصور سوى الشبل

مناقبه كالشمس فى رونق الضحى
 وفرع على أقوى الأصول نباته
 أمولانا يا منصور إني رضيعكم
 وإني بلا ريب محبكم الذى
 وإني لخفاق الجناح إليكم
 فياليت شعري هل أبيت ليلة
 بمغنى السنا والعز والسعد والهنا
 بعود بلا تدخين ماء بلا قذا
 وإني إذا ما سرت نحو حماكم
 عليكم سلام الله ما فاح ذكركم
 وأسراره مثل الكواكب فى الليل
 وأطيبها والطيب فى الفرع بالأصل
 فحنوا فإن الأم تحنو على الطفل
 برابط راج منكم صلة الوصل
 على نصه فى الشوق صرت لدى شغل
 وأصبح فى مكناس حطت بكم رحلى
 ومغنى الهدى واليمن والخير والفضل
 عطاء بلا من وجود بلا مطل
 فما سرت من أهلى إلا إلى أهلى
 وعطرت من مسك الختام به قولى

٣٢٦ - محمد فتحا ابن عمنا مولاي على بن الكبير العلوي الإسماعيلي.

حاله: أستاذ فقيه عدل رضى^١، نزيه وجيه نجيب، كثير الطالعة لا يمل من
 السرد حتى يمل السامع، معمر للمساجد، متقن لعبادته، ربما تحرى الناس الصلاة
 خلفه لتطويله فى السجود والركوع، وكان يتعاطى خطة العدالة، ولم يزل يتعاطى
 الإشهاد حتى لبي الدعى.

مشيخته: أخذ عن السيد فضول ابن عزوز، والسيد المهدي الوزانى، والسيد
 أحمد بن الجيلانى الفيلالى، وسيدى أحمد بن الخياط، والحاج المختار بن عبد الله
 وغيرهم.

وفاته: توفى متم شوال عام ستة وثلاثين وثلاثمائة وألف، ودفن بضريح
 سيدى الورزىغى من حومة قعروردة، إحدى حومات مكناس الشهيرة.

شيخنا قاضي مكناس.

حاله: فقيه مشارك، مدرس مفت موثق نقاد، متضلع حسن الإدراك، متواضع، يعرف من أين تؤكل الكتف، له معرفة كاملة ومهارة كافية في صناعة القضاء، وكان مجلسه مجلس تحقيق وتدقيق، وكان تمتع المذاكرة مع إنصاف واعتراف بالحق حتى للمبتدئين من الطلبة.

تصدر للعدالة بسماط الشهود، وتولى إمامة مدرسة الشهود المعروفة بالفيلاية والنيابة في القضاء عن أبي العباس ابن سودة مدة مديدة، ثم استقل بالقضاء في الدولة الحفيفية، وصدرًا من الدولة اليوسفية، وأخر عن خطة القضاء يوم الأحد الآخر من شعبان عام ستة وثلاثين وثلاثمائة وألف، وتولى بعده أبو العباس بن أبي بكر عواد السلوى.

مشيخته: أخذ عن العلامة السيد محمد بن الجيلاني السقاط، والعلامة السيد فضول ابن عزوز، والسيد المختار الأجرأوى، وأبي العباس ابن سودة وأجازاه الأخير عامة.

الآخذون عنه: أخذ عنه شيخنا أبو عبد الله العرائشي، وشيخنا السيد محمد فتحا السوسي، ومولاي إدريس بن عمر المطهري، وابن عمنا مولاي علي ابن الشاد الأمراني، والحاج الجيلاني بن الباشا حم بن الجيلاني، والسيد محمد بن مبارك الهلالي، وجامع هذا الديوان، ونقيب الأدارسة الحالي المولى راشد، والسيد العباس المسطاري وجماعة.

مؤلفاته: منها نظم رسالة الوضع، وحاشية على ورقات إمام الحرمين في الأصول، وكنت القارئ بين يديه زمن تأليفه إياها للمتن المذكور بشرح المحلى، وحاشية السيد عبد الله بن خضراء السلوى، وكان كثيرا ما يتتقد كلامه، وتوليف

فى جواز العمل فى الصوم والإفطار وغيرهما من الأمور الشرعية بالتلغراف،
وتقييد فى جواز إنشاد شعر فى خطبة الجمعة، وسببه أنه كان أنشد بيتا من الشعر
فى خطبته الأولى بعد بيعة السلطان مولاي عبد الحفيظ فسأله بعض تلامذته، هل
إنشادها إياه منصوص عند الفقهاء؟ فكتب فى ذلك التقييد المذكور.

وفاته: توفى غروب الشمس يوم الأحد رابع شوال الأبرك عام تسعة بتقديم
المثناة على السين وثلاثمائة وألف، ودفن من غده بالزاوية الكتبية من الحضرة
المكناسية.

٣٢٨ - محمد بن حمدوش المكناسى الخزرجى.

حاله: فقيه أديب، ناظم نثر، وقفت على عدة أشعار له، ومع الأسف قد
أتى التلف عليها وصيرها فى خبر كان لا يمكن تلفيق بيت منها على وجهه، ولم
أقف على تاريخ وفاته، ولا على شىء زائد على ما ذكر فى ترجمته.

٣٢٩ - محمد بن إدريس سميه بن عبد السلام ابن يوسف البوعنانى.

المكناسى النشأة والدار والإقبار.

حاله: فقيه وجيه، نزيه ماجد جليل خير دين خاشع ناسك تقى نقى مبجل
فاضل معتقد ذو شبية منورة متبرك به مقصود للرقيا، له معرفة بالأوقاف وخواص
الأسماء وكان مدررا يعلم الصبيان القرآن الكريم فنفع الله به وتخرج عليه من
حملة القرآن عدد وافر.

الأخذون عنه: منهم العلامة مولاي الكامل الأمرانى وأخوه مولاي عبد
السلام والسيد محمد السوسى والأستاذ العشرى السيد علال بن صالح، وقد
تقدمت تراجم بعض هؤلاء كما أخذ عنه غيرهم ممن لا يكاد يعد كثرة.

وفاته: توفى عام ثمانية وثمانين ومائتين وألف بالعاصمة المكناسية.

٣٣٠ - محمد أبو عبد الله الرجراجي المكناسي.

حاله: قال في حقه بعض تلاميذه: الفقيه الأوحد، العلامة الفهامة الأماجد، شيخنا وبركتنا.

ولم أقف على زائد يتعلق بترجمته غير ما ذكر، وغير رثاء أبي عبد الله بن حمدوش المترجم فيما مر لم تُبق يد البلا منه غير قوله:

من للمجالس بعد فقد محمد كهف العلوم وعمدة الإقراء
من للمنابر والمحابر بعده من للفصاحة حالة الإلقاء

٣٣١ - محمد دعي حمود بن محمد بن العربي بن محمد فتحا بن العربي.

المكناسي النشأة والدار والإقبار.

حاله: فقيه عدل رَضِيّ، مبرز موثق ماهر محقق، ناقد فاضل زكي، تقى نقى، ذو خط بارع ومروءة ودين متين، يقصده الوجهاء والأعيان وذوو الحشيات للإشهاد فيما يعرض لأمانته وكامل معرفته وتحريره، وكان يسر: بالمسجد الأعظم الذخيرة المعطوية، والتفسير، وكان يجيد قراءة ذلك ويفهمه الخاص والعام، حسن النعمة، حلوا القراءة، متواضع هين لين، وكان مرشحا لإقراء أصناء السلطان مولانا الحسن بداره العلية المحنشة، كما كان مرشحا لإقراء أبناء عمه مولانا العباس.

مشيخته: قرأ القرآن على البركة السيد محمد بن الحاج أغربي، والعلم على السيد المفضل ابن عزوز، والسيد محمد بن الجيلاني السقاط، والسيد أحمد بن سودة المري، وشاركهم في شيوخهم كالقاضي السيد المهدي ابن سودة وعن غير هؤلاء.

الآخذون عنه: أخذ عنه عم مولانا المنصور بالله مولاي أبو بكر بن الحسن

حفظه الله والشريف الفقيه العدل مولاي على بن الشاذ الأمراني آتى الترجمة،
والشريف الفقيه مولاي أبو بكر بن العباس وغيرهم.

وفاته: توفى بمكناسة عام أربعة عشر وثلاثمائة وألف.

٣٣٢ - محمد الشريف الأصيل ابن الحاج عبد الله بن البركة مولانا أحمد
الوزاني.

المكناسي الدار والإقبار.

حاله: زكى ذكى، حى أريحى، مهذب هين لين، ذو أخلاق نبوية،
وأحوال مرضية، فقيه نبيه، فاضل صالح فالح، بشوش صادق اللهجة من الذين
يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما، والذين إذا رءوا ذكر
الله، وكانت له معرفة بالأوفاق والتنجيم، وإلمام بالنحو والفقه والحديث، مشغل
بما يعنيه، تارك لما لا يعنيه، مائل إلى الخمول، رحل لفاس فى طلب العلم ولازم
بجد واجتهاد حتى فتحت له النجاة أبوابها، وأدخلته النباهة حجابها، ثم عاد
لمسقط رأسه وأقبل على شأنه حتى آتاه اليقين.

مشيخته: أخذ عن شيخنا أبى محمد عبد السلام بنانى وهو عمده، وعلى
غيره من الأعلام.

وفاته: توفى ليلة الأربعاء ثامن عشرى رمضان عام واحد وأربعين وثلاثمائة
وألف، ودفن بروضة أسلافه من الحضرة المكناسية.

٣٣٣ - محمد بن أحمد أبو عبد الله الوزاني الأصل المكناسي الدار
والإقبار.

حاله: فاضل ناسك ذاكر معتقد، ذو دين متين، مشغل بما يعنيه، مقبل
على شأنه، معظم لأهل البيت النبوى محب لهم، استوطن أولا بمدشر موساوة

أحد مداشير جبل زرهون حتى عرف بالموسوى، ثم انتقل لمكناس وبقى بها معظمًا ملحوظًا عند سائر الطبقات إلى أن لقي ربه، وكان ولوعًا بالرماية مسدد الرمي ماهرًا في صنع البارود، وكان يلقن أوراد سلفه الوزانيين.

الآخذون عنه: فممن أخذ عنه شيخنا أبو عبد الله محمد بن الحسين العرائشى لقنه الصلاة المنسوبة للعارف أبى محمد التهامى بن محمد الوزانى، وهى: اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله صلاة أهل السماوات والأرضين، وأجر يا رب لطفك الخفى فى أمرى وأمر المسلمين يكررها، مرات ١٢٩ حسبما قرأت ذلك بخط شيخنا المذكور.

وفاته: توفى بين العشاءين من ليلة الاثنين ثامن محرم عام خمسة وأربعين وثلاثمائة وألف، ودفن حذاء ابن أخيه المترجم قبله يليه يوم الاثنين المذكور بزاويتهم الشهيرة، وحضر تشييع جنازته جمهور أهل البلد وغيرهم.

برد الله ثراه آمين.

٣٣٤ - محمد اليزناسنى.

٣٣٥ - محمد غازى.

٣٣٦ - محمد القباب.

٣٣٧ - محمد بن عزوز.

٣٣٨ - محمد الغمارى.

٣٣٩ - محمد الإسحاقى.

٣٤٠ - محمد دادوش.

٣٤١ - محمد الزرهونى الفقيه الأستاذ.

٣٤٢ - محمد الزولاني.

٣٤٣ - محمد الجراري.

٣٤٤ - محمد اقلال.

٣٤٥ - محمد المطاعي.

٣٤٦ - محمد البوعصامي.

٣٤٧ - محمد بن محمد البوعصامي.

٣٤٨ - محمد مخلوف الأستاذ.

لم أقف على ترجمة واحد من هؤلاء الخمسة عشر، غير أنهم كانوا من العلماء المدرسين بالجامع الأعظم الذين يقبضون المرتب العامي، كما ذلك بحسابات النظار المعاصرين لهم بتاريخ عام تسعة وأربعين ومائة وألف وفتح الخمسين، لغاية أوائل محرم الحرام فاتح واحد وخمسين، وربما كان ذكر بعضهم قد تقدم في التراجم السالفة.

٣٤٩ - مالك ابن العناية بن المفضل بن خدة الغرباوي الزاوي قرارا ومدفنا.

مشيخته: أخذ عن مولاى العربى الدرقاوى.

الآخذون عنه: أخذ منه سيدى إدريس بن الشريف جد ابن عمنا العلامة سيدى محمد بن أحمد، ومولاى الفضيل الشيبهى خطيب الحرم الإدريسي، وأخوه سيدى أحمد، وجل أعيان شرفاء الزاوية الإدريسية فى وقته، ولم أحفظ وفاته، بيد أنه كان حيا سنة ست وخمسين ومائتين وألف، وضريحه بالزاوية الدرقاوية قرب مزاراة الضريح الإدريسي.

٣٥٠ - المختار بن الحاج الحبيب الأجرأى.

حاله: فقيه صالح ناصح مرشد علامة متبحر، متضلع نقاد، مشارك محقق، متقن حافظ لافظ، زاهد ورع، حجة جدا، واجتهد فى قراءة العلم وإقراءه والعمل به، ما شهد قط ولا أفتى ولا تعاطى سببا دنيويا حتى قضى نحبه، قلما تجد أحدا فى وقته لم يقرأ عليه، ختم المختصر إقرأء دون قراءته هو على غيره إحدى عشرة مرة، تسع منها بالقطب الدردير، واثنان بالخرشى، وكان يحفظ لتسهيل وغيره من مطولات الشروح.

حدثنى بعض العدول ممن كان يلزم درسه أنه اشترى يوما كتابا فى النحو مبتور الأول والآخر لم يدر ما هو، فجاء به إلى شيخه صاحب الترجمة يسأله عنه، فلما اطلع عليه أخبره أنه تسهيل ابن مالك، وأنه كان يحفظه عن ظهر قلب منذ عصر قديم.

وحدثنى شيخى أبو عبد الله بن الحسين العرائشى أن بعض الطلبة طلب من المترجم أن يقرأ معه تلخيص المفتاح فقال له إن شئت أقرأ معك النصف الأول فذاك، لأنه الذى قرأته على أشياخى، وأما النصف الثانى فلا أقدر على قراءته معك لأننى لم أقرأه عليهم، وذلك غاية الورع، وكان إماما بمدرسة الشهود ثم رشح للإمامة بالمسجد الأعظم.

مشيخته: أخذ عن شيخ الجماعة الحاج مبارك الفيضى، والسيد المهدي بن سودة، والسيد العباس بن كيران، والسيد محمد بن محمد بن العناية بن فقيرة.

الآخذون عنه: أخذ عنه شيخنا القاضى محمد بن عبد السلام الطاهرى والسيد الغالى ابن المكى السستيسى وشيخنا أبو عبد الله محمد القصرى وشيخنا

٣٥٠ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٧/ ٢٦٧٥.

السيد المعطى ابن عبود وشيخنا أبو عبد الله محمد بن الحسين العرائشى وغيرهم
من أعيان العلماء النقاد.

وفاته: توفى رحمه الله يوم الأربعاء سادس ربيع الثانى عام ثلاثمائة وألف
ودفن بروضة سيدى عمرو الحصينى ورثاه تلميذه السيد الغالى الستيسى بما
لفظه:

يا لهف نفسى على قوم عهدتهم	كانوا هم جنة من سواء أغيار
جادت بهم راحة الأيام فانبلجت	شمس السرور بهم من كل أقطار
من كل مكرمة عضوا بناجذهم	على فريدتها فى المنظر الفار
علم وحلم وزهد عفة وتقى	جميل ظن وصبر ثم سجوار
كفاك بأعلم منهم فقه مختصر	ونحو ألفية من خير خيار
إذا أساء إليهم فاحش صفحوا	وعن قبيح يغض طرف أبصار
لو أن رضوى أتى مع ضعفه ذهباً	إليهم أدبروا هم أى إدبار
لعلمهم أن مولاهم مطهرهم	لم تلتفت أنفسهم لفتا لاكدار
وكيف والله ذو الأنعام ملبسهم	من التقى لبس أخيار وأبرار
يرون كل محب مخلصاً ومقا	ويسترون مساويه بأستار
لكل نائبة يولى الزمان بها	صبر جميل إليها منهم سارى
لا يعذب العيش إلا فى جوارهم	وكان طول على من أهم جارى
بيناهم كالذى قد قص وصفهم	مستوطنون سواد وسط إصار
إذ صاح فينا غراب البين يندبنا	من قد ألفنا بهم من كل أوطار

فأصبحت كائنات الكون قائمة أين الذى حبه فو، طى أسرارى
 أين الذى أمت الطاعات أمته قد أوهتها عبادة بأسحار
 يا عين فابك عليه غير مصحية واستفرغى الجفن منك كل أقطار
 واستبكه كل عين مدمعا هطلا واستمطريه كثيرا سحب أقطار
 يا عين فابك فيما أنت باكية فلا أمنت، المكروه والعار
 فلست أرضى به حبا سواء عدى أن يبدل الله مختارا بمختار

هـ من خطه وقد أثبتاها على ما بها تتيما للفائدة.

٣٥١ - المختار بن الباشا عبد الله بن أحمد^(١) السوسى الأصل، المكناسى
 الدار والإقبار، الصدر الأعظم.

حاله: عالم علامة فاضل نحير، مشارك بشوش، كريم الأخلاق
 والسجايا، حسن السميت والبزة، كثير الصمت، هين لين، لطيف المحادثة، أديب
 أريب ناقد بصير سياسى ماهر، كاتب مجيد راوية للشعر وأمثال العرب، تمتع
 المجالسة والمذاكرة، مدرس نفاع، يتلقى بحث الطلبة فى درسه بكل إنصاف.

استوزره السلطان مولانا الحسن مع ولده مولاي عمر مدة خلافته بفاس،
 وكذا مع ولده وخليفته مولاي محمد وجعله السلطان المولى عبد العزيز وزيرا لعمه
 وخليفته بفاس مولاي عرفة.

ثم لما توفى الشريف مولاي الطاهر البلغيشى الكاتب الأول بالصدارة العظمى
 اختاره ابن عمه الوزير الصدر أبو العباس أحمد بن موسى المار الترجمة للتولية
 مكان المتوفى المذكور، حذرا من اطلاع الكتاب الأجانب على سره.

٣٥١ - من مصادر ترجمته: سل النصال فى موسوعة أعلام المغرب ٢٨٩٨/٨.

(١) فى المطبوع: «أحمد»، والمثبت رواية سل النصال.

ثم رشح للصدارة العظمى بعد وفاة ابن عمه المذكور وذلك فاتح عام ثمانية عشر، ثم عزل وأخّر ذى الحجة من السنة المذكورة، وأخرج من مراکش وسلب مما كان خرج به من ماله بعد مبارحته بأهله لها، وذلك أنه رجع يوما من دار المخزن فى موكب وزارته فوجد كل ما بداره محمولا والنساء ينتظرنه بالباب، وكتيبة من الخيل فى انتظار ورودہ لتذهب به لمكناس، فأركب نساءه وسافر صابرا محتسبا، ومن الغد أدركته كتيبة أخرى بالطريق وفى معيتها مكلف من قبل المخزن للإتيان بجميع ما خرج به من مال ومتمول، فسلب من ذلك كله على وجه التعنيف والانتقام.

قيل: أخذ له من خصوص الناض ستون ألف ريال، وصدرت الأوامر المخزنية فى اليوم نفسه لفاس بإحصاء جميع ما لديه بها وحيازة ذلك لجانب المخزن منفذ الأمر الصادر، وهو فى ذلك كله يقرأ قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ...﴾ [سورة آل عمران آية ٢٦] الآية ولما وصل رباط الفتح أنزله عامله على يده ومنعه من التوجه لمكناسة، وبقي فى حكم الاعتقال بالرباط مدة، ثم غرب لتطاوين تبكيثا له، وأقام بها مدة ينشر العلم، ثم أذن له بالتوجه لبلده مكناسة، ولما حل بها أقبل على نشر العلم وبثه فى صدور الرجال غير مبال ولا مكترث بما امتحن به من العزل وسلب بعض أمتعته.

ثم فى أول تسعر نيران الفتنة البربرية فى الدولة الحفيفية وذلك فى ربيع الأول عام ثمانية وعشرين وثلاثمائة وألف، سلبه البرابر بمقربة من فاس جميع أمتعته وأثاثه، ولم يتركوا له ولا لعياله وصغار أطفاله زائدا على ما يستر العورة المغلظة، حيث إنه كان قادما من فاس لمحل استيطانه بمكناس بعد أن باع كل ما كان له بفاس من العقار وما لا يحتاج له من الأثاث، فرجع لفاس على حالة تخجل المروءة والإنسانية، وأقام بها مدة، ثم رجع لمكناس وأقام بها إلى أن وافته منيته، وقد كف بصره فى آخر عمره رحمه الله فصبر وشكر.

مشيخته: أخذ عن العلامة المحدث أبى محمد عبد القادر العراقى الفاسى المتوفى بالإسكندرية فى ربيع الأول عام ثمانية وثمانين ومائتين وألف وأجاره عامة، وعن جنون مختصر الرهونى، وسيدى إبراهيم التادلى المتوفى فى سابع عشر حجة الحرام متم عام أحد عشر وثلاثمائة وألف برباط الفتح، والقاضى العلامة سيدى أحمد ابن سودة، والسيد فضول السوسى، وأجاره عامة وقفت على إجازته له بخطه وهى عندى يظهر مما سطره فيها أنه يرى أن الإجازة شهادة وليس الأمر كذلك كما هو مقرر مشهور، وعن السيد فضول بن عزوز، وشاركهم فى مشايخهم، وأجاره سيدى على بن ظاهر المدنى عامة عن الشيخ عبد الغنى بن أبى سعيد الدهلوى بأسانيده المفصلة فى اليانع الجنى، وأبو العباس أحمد بن زينى دحلان صاحب الشهرة العظيمة وأجاره عامة.

الآخذون عنه: منهم شيخنا ابن عبد السلام الطاهرى، أخبرنى أنه قرأ عليه درسا أو درسين فى الخزرجية، وشيخنا العرائشى، وعمنا وشيخنا مولاي عبد القادر بن زيدان، وسيدى محمد بن عبد الله بن الطاهر المترجم فيما مر، والسيد الجيلانى بن حم، والسيد محمد بن حلام والمولى راشد بن على الشبيهى نقيب الأدراسة الحالى، والمولى إدريس بن عمر المطهرى، وجامع هذا الكتاب، وأجازنى رحمه الله عامة وغير من ذكر بفاس ومكناس وغيرهما.

وفاته: توفى بمكناس أواسط شعبان الأبرك عام خمسة وثلاثين وثلاثمائة وألف، ودفن بالزاوية الكتبية من حومة صدراته.

٣٥٢ - المكى ابن القاضى أبى القاسم العميرى.

حاله: فقيه علامة نبيه عدل رضى مبرز مفضل، ماجد زكى، من صدور أعيان عدول سباط مكناسة ووجهائها الموثوق بدينهم وأمانتهم.

٣٥٢ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٧/ ٢٤٦٧.

مشيخته: أخذ عن والده ومن عاصره من الأعلام الجلة.

وفاته: توفى أواخر محرم أو أوائل صفر عام أربعة عشر ومائتين وألف، إذ قد كان ب قيد الحياة ووقع الإ شهاد عليه بوصية فى ع شرى محرم من العام، وقومت داره بعد وفاته فى سابع صفر كما برسم الشهادة على العراف.

٣٥٣ - المكى بن المختار الحناش.

حاله: فقيه علامة مفوه جليل عدل رضى كان يتعاطى الشهادة بسماط العدول من أعيان وجوه صدور عدول الحضرة المبرزين وقاداتها الأخيار المعترين، وقفت على نسخة رسم بشهادته بتاريخ سادس شوال عام خمسة وستين ومائتين وألف، وتولى النيابة بالحضرة عن قاضى وقته.

وكان أ وحـد زمانه فى الأدب والإنشاء نظما ونثرا، نساخا للمكتب، شديد المحافظة والضبط والإتقان، حتى انتقاه سيدنا الجـد السلطان مولانا عبد الرحمن بن هشام لنسخ مهم الكتب بحضرته السلطانية.

ويقال: إنهم أشراف أدراسة من ذرية مولانا عبد السلام بن مشيش، وإن سبب ورودهم لمكناسة هو أن لصا سرق جدهم الأعلى وهو إذ ذاك صـبى يقرأ بالمكتب وأتى به لحضرة فاس زاعما أنه ابن له، والصـبى ينفر منه ويفند دعواه إلى أن علم بذلك أولو الأمر وافترض اللص، فأبق ناجيا بنفسه، ولما فشا الأمر وبلغ سيدنا الجـد الأكبر مولانا إسماعيل وجه على الصـبى واستفسره عن حقيقة الأمر فأخبره بالواقع فأبقاه بشريف أعتابه، وأدخله المكتب من جملة أبنائه ثم بعد قلائل جاء بعض أقاربه يتطلب أثره فدل عليه، فأتى الأبواب السلطانية فأخرج له الصـبى فتعارفا، وحن كل منهما للآخر، ولما تيقن السلطان صدق الواقع أمر الولد بالتوجه لدويه فامتنع الصـبى من الذهاب لما رآه من البرور به والإحسان إليه، فأبقاه السلطان

من جملة أبنائه، وكبر فى عينه وأحسن لأهله وأكرم مثواهم ووفادتهم عليه،
فرجعوا لأوطانهم مبتهجين، وبشكر صنيع السلطان لهجين.

ثم بعد مدة ورد والده بسائر أهله واستوطن مكناسة الزيتون، فقبلوا بكل
اعتبار من لدن الجلالة السلطانية، وقلدوا الوظائف العالية المناسبة لهم كالكتابة
والنساخة والدأ عن والد، إلى أن انقرض عقبهم والبقاء لله وحده، ولم يبق لهذا
العهد من نسلهم غير امرأة مسنة تناهز التسعين، ومنها استفدت بعض الترجمة
بواسطة والدها من غير نسبها، وإلى الله علم تفاصيل الحقيقة.

شعره: من ذلك قوله كما بكناشة أديب الرباط السيد محمد بن عمرو:

لما حللتكم جنب اليم أمكم	وقبل الأرض مسرورا بكم وربا
وصار يهدى إليكم من ذخائره	وصاب بالخوت إكراما لكم وحبا
أعداه جودكم حسن شدوكم	فاهتز لقرب منكم راقصا وحبا
وقوله:	

محياك شمس الضحى المشرقة	به حدقات الورى محدقة
وأسهم لحظك ترمى الحشا	تخالها شهب السما المحرقة
وقوله:	

يا من إذا الصبح أقبل	حكى ضياء جبينه
ومن إذا الليل أسبل	حكى سواد جفونه

وفاته: توفى فى حدود السبعين ومائتين وألف.

٣٥٤ - المكى بن أحمد السوسى والد السيد فضول.

حاله: فقيه عالم عدل زكى مدرس، كان يتعاطى خطة الشهادة بسماط العدول.

مشيخته: أخذ عن والده وغيره من مشائخ عصره.

الآخذون عنه: أخذ عنه ولده السيد فضول ومن فى طبقته، ولم أحفظ وفاته.

٣٥٥ - المكى أبو زكرى المكناسى الأصل والدار.

حاله: فقيه كاتب بذر، حلاه الزيانى فى الجمهرة فى عدد الذين لازموا الأخذ عن مولانا سليمان فى المقام والترحال، ولم أقف له على ترجمة.

٣٥٦ - منانة مزوارة المكناسية.

حالتها: مجذوبة ساقطة التكليف، تخرج فى أسواق مكناس بادية فى قشابة خضراء منقبة بثوب أبيض أو أحمر، كثيرة الوقوف عند باب المسجد الأعظم، وربما جلست يبيع بعض الدكاكين تكلم الناس بكلام لين غالبا، ولها مكاشفات كالشمس الضاحية، تقول للناس: أعطنى كذا يكن لك كذا، هذه كانت حالها إلى أن لبث داعى مولاها.

قال الزبادى كنت أزورها كلما دخلت مكناس تبركا بها وبدعائها ولما قرب أجلها لقيتها بقبة السوق فسلمت عليها فقالت لى: إنى قد تزوجت جئت تحضر عرسى، فقلت: نعم، فقالت: عاهدنى على ذلك، فقلت لها إن شاء الله تعالى ولما رجعت إلى فاس مرضت وفى أثناء مرضى رأيت فى المنام أنى بمكناسة الزيتون وجازت جنازة عظيمة معها خلائق عديدة فسألت عنها، فقالوا: منانة مزوارة، فقلت فى ذلك المنام: الحمد لله الذى أكرمنى بحضور هذه الجنازة المباركة وتبعتها

حتى دفنت بروضة السيدة العلمية، واستيقظت ومن الغد وبعد الغد دخل بعض الفقراء وذكر لى أنه جاء من مكناسة وبلغنى السلام عن الإخوان هناك فسألته عن السيدة المذكورة، فقال لى: توفيت بالأمس رحمة الله عليها، ودفنت بروضة السيدة العلمية، وكانت لها جنازة عظيمة، فكان يصف لى وأنا أنظر فى ذلك.

وفاتها: توفيت سنة أربع وتسعين ومائة وألف.

٣٥٧ - المصطفى الشريف العلوى المدغرى ابن محمد الكبير بن عبد الرحمن بن محمد، عبد الله بن محمد بن طاهر بن قاسم بن عبد العزيز بن الحسن بن يوسف بن مولانا على الشريف.

حاله: علامة مشارك، له معرفة بعلم الأوفاق وتجويد القرآن، حسن التلاوة خلو الشمائل، كريم الأخلاق، له معرفة بعلوم القراءات درس ابن برى وختمه مرتين، ثم حدث به مثل جذب واعتراه قلق وضيق صدر، فصار يطوف على أضرحه الصالحين ويتطارح على أبوابهم ويدعو بقوله: اللهم إنى أسالك بمشاهدة أسرار المحيين، وبالخلوة التى خصصت بها سيد المرسلين، حين أسريت به ليلة السابع والعشرين، أن ترحم قلبى الحزين، وتجيّب دعوتى يا أكرم الأكرمين، ويكتب ذلك فى أوراق ويلصقها بجدران أضرحه الصالحين، ولم يزل ذلك شأنه حتى تيسرت له أسباب السفر لبلاده بالصحراء، فوجد شيخه العارف بالله مولاه المهدى نزيل أبار فى مرضه الذى مات به، فلزمه إلى أن انتقل لوطن الرحمة محمود المساعى، وكان يحدث عن شيخه المذكور أنه لما قربت وفاته أكثر من تلاوة قوله تعالى: ﴿... أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ...﴾ [سورة الأعراف آية ٥٤] ثم بعد وفاة المولى المهدى رجع لمكناس، وأقبل بكليته على القراءة تعلما وتعلّيما، ثم رحل لفاس وأخذ عن جهابذة نقادها الأعلام، ثم رحل لبلاده رذلك آخر العهد به.

مشيخته: أخذ عن ابن الجيلاني السقاط، والسيد فضول بن عزوز، والسيد محمد بن التهامي الوزاني، وشيخنا البركة أبي عبد الله محمد بن قاسم القادري والسيد التهامي جنون، وأبي عبد الله محمد بن عبد الواحد ابن سودة المدعو الجلود، والشريف القاضي مولاي محمد، والشريف سيدي جعفر الكتاني.

وأخذ القراءات عن الأستاذ العلامة أبي عبد الله محمد التهامي بن الطيب الغرفي.

الآخذون عنه: أخذ عنه شيخنا العرائشي، والسيد محمد الواستري، والسيد أحمد ابن فقيرة وغيرهم.

نشره: من ذلك قوله في خطبة شرحه على منظومة الهلالي بالدعاء بأسماء الله الحسنى ولفظه: الحمد لله الذي تعرف لعباده بصفات الاتحاد والانفراد، وهياً بتوفيقه من شاء لطاعته فقاموا بالجد والاجتهاد، وكشف عن بصائرهم بنور الهداية والرشاد، نحمده على ما أسدى، ونشكره على ما أولانا قديماً وعهداً، وصلاته على سيدنا محمد نور الهداية والهدى، وعلى آله نجوم الاهتداء، وأصحابه أئمة الاقتداء، وبعد فهذا شرح لدعاء الهلالي، بأسماء الله الكبير المتعالي.

مؤلفاته: منها شرحه على نظم أبي العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي في الدعاء بأسماء الله الحسنى عنون هذا الشرح بالمنة الإلهية، في شرح الأسماء الهلالية، ودونك مطلع النظم المشروح:

إذا نابني خطب وضاق به صدرى	تلافاه لطف الله من حيث لا أدري
ولاسيما إذ جئته متوسلاً	بأسمائه الحسنى المعظمة القدر

٣٥٨ - المعطى بن العناية البخارى الغربوى السفينانى المعتكى من أولاد علال.

حاله: ناسك فاضل جليل، له مهارة تامة فى التوقيت والتعديل والحساب وما يرجع لتلك الفنون، يحسن كل ذلك ويتقنه إتقاناً تاماً، وكان يحفظ قراءة ابن كثير حفظاً متقناً، كثير التلاوة والذكر، مشغول بما يعنيه، تارك لا لا يعنيه، وكان سيدنا الجدد السلطان مولانا عبد الرحمن بن هشام نظمه فى سلك موقتيه الملازمين له حضراً وسفراً بعد أن كان مستخدماً لديه فى جملة أصحاب فراشه المولوى، وكان يجله ويقدره قدره ويرضى أمانته حتى إنه رشحه لإقراء بناته، ولما كبر سنه ووهن عظمه تقاعد عن الخدمة السلطانية، واستقر بمحل استيطانه مكناسة الزيتون، فنفع الله به وبمعلوماته أقواماً.

مشيخته: أخذ عن البحر الزاخر السيد عبد الرحمن بن محمد فتحا بصرى المكناسى وغيره.

الآخذون عنه: منهم الطالب بوعزة بن العربى الفشار، والعدل الطالب صالح الحلمونى المترجم فيما يأتى وجماعة من مهرة الحيسوبيين وأهل الميقات.

وفاته: توفى فى ربيع الثانى عام ستة وسبعين بموحدة ومائتين وألف، ودفن بروضة الولى الصالح أبى العباس أحمد المعروف بالضاوى من سوق الغزل الواقع خارج باب بريمة من حضرتنا المكناسية.

٣٥٩ - المعطى الشاوى المسكينى القرقورى نزيل مكناسة.

حاله: يحب فى الله ويغض فيه لباسه حائك صوف وبرنس منه وقميص وعمامة صغيرة ذو أتباع وعيال، نفقته من الفيض الوهيبى، نزيه على الهمة، كثير الخشية، لا تأخذه فى الله لومة لائم، له مشاركة فى فنون شتى، وأكثر دروسه فى التوحيد.

وكان فى أول أمره منعزلا عن الناس، مشغلا بعبادة ربه فى خلوة بعيدة عن رهطه وعشيرته ثم فى بعض الأيام خطرت بباله مسألة اعتقادية حيرت ذهنه وعسر عليه فهمها، فرحل لفاس بإشارة من بعض أهل الخصوصية الربانية، ولازم العلامة الصالح الحاج محمد جنون مختصر الرهونى، ومن عجيب الاتفاق أنه أول ما حل بفاس حضر درس جنون المذكور ووجده يقرر المسألة التى أشكلت عليه، وكانت سبب رحلته فلازمه مدة حتى مهر وحصل غاية منيته فى فنون شتى، ثم رحل لبلده وتصدر للإفادة وأقبل على التدريس، وأسس زاوية للإلقاء الدروس، وإفادة الناس، فاشتهر صيته، وأقبل الناس عليه من كل صوب.

ثم مر السلطان المولى الحسن فى بعض حركاته على زاويته فلقىه واعتنى بشأنه ورفع المغارم وسائر الكلف المخزنية عن أقاربه وسائر المتعلقين بأذياله، فاشتد لذلك غيظ عامل بلده حسدا من عند نفسه، ولم يزل يضمر له سوء وينصب له حبال المكاييد حتى قبض عليه وأودعه السجن ومكر به، ولما علم بذلك السلطان المذكور قبح فعل ذلك المتولى الخبيث، وسب وجدع وقرع ووبخ، وأمر بتسريحه حالا والإتيان به إليه على كاهل المبرة والإكرام لحضرته المكناسية، فأقام بمكناس واشتغل بالتدريس وإفادة الناس مدة، ثم رجع لبلده، ثم نقل لسلطات بقصد تولية القضاء بها وبها كانت منيته.

وقد ظهرت له مدة مقامه بمكناس كرامات، وخوارق عادات، لازال المسنون يتحدثون بها، من ذلك ما أخبرنى به بعض من وثقت بخبره من الأخذيين عنه الملازمين له أنه كانت عنده آتية من العود أعدها لطعام الأضياف تسع ملء الكفين مرتين، وكان يطعم منها العدد الوافر من الناس ولا تنفذ، وأنه جاءه رجل بولديه يدعو له فقال له: ارجع بولذك فإنه ولى من أولياء الله تعالى فكان الأمر كما قال، نشأ ذلك الصبى فى عبادة الله تعتقده الخاصة والعامة ويتبركون به، ولم يحفظ عنه

ما ينقم عليه فى أمر دينه، وأنه كتب له بعض أهل مكناس كتابا فأجابه بقوله: أخانا فى الطين، فقيل له: لم لم تقل له أخانا فى الدين؟ قال: ما شهدنا فى وصفه إلا الأخوة فى الطين، ولا أثر عليه من الدين، فاستقرئت أحوال الرجل فوجد كما قال، وكان لا يأكل طعاما حتى يعرف حال صاحبه فإن كان من أهل الظلم والتعدى رده عليه، ثم إنه أكل يوما مع العلماء طعام السلطان فندم وبكى واستغفر الله من ذلك.

مشيخته: أخذ عن مختصر الرهونى.

الآخذون عنه: منهم السيد الطاهر السوسى وهو مخبرى بهتل ترجمته.

٣٦٠ - المعطى بن محمد بن الهادى بن عبود المكناسى.

حاله: عالم خاشع ناسك ورع، ذو عفة ووقار وهيبة، محب فى النبى ﷺ وآله، وسائر المتعلقين بأذياله، فاضل متبتل، واعظ خطيب مصقع، مدرس نفاع، عدل رضى، عارف بالتوثيق ماهر، كان إمام المسجد الأعظم وخطيب مسجد البراذعين، سرادا للذخيرة المعطوية، وتفسير الثعلبى، وسيرة الكلاعى النبوية، وصحيح البخارى فى رجب وشعبان ورمضان، مستحضرا لأحاديثه تولى نيابة القضاء بالحضرة المكناسية، ورحل إلى الحج وزيارة خير الأنام عام ستة وعشرين وثلاثمائة وألف.

مشيخته: أخذ عن والده، وعن السيد فضول السوسى وهو عمدته وشاركه فى مشايخه كالشيخ مبارك شيخ الجماعة، والسيد العباس بن كيران، والسيد المهدي ابن سودة.

الآخذون عنه: أخذ عنه سيدنا الوالد، والشريف سيدى محمد بن إدريس

٣٦٠ - من مصادر ترجمته: إنحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٢٨٦٧/٨.

الشيبي، والسيد عبد القادر بن أحمد العرائشى، والسيد الغالى الستيسى، وكاتب هذه الأحرف، والفقيه الكاتب السيد أحمد بن محمد بن فقيرة والنقيب سيدى مشيش بن المختار الشيبي، ومولاي إسماعيل بن عبد الرحمن العلوى، وجماعة من أعيان أهل العلم.

شعره: من ذلك قوله من قصيدة قرظ بها همزيتى الموسومة بكفاية المحتاج، فى مدح صاحب اللواء والتاج.

أعد المديح بزينب الزيدانى	فالوقت أبرز نعمة الزيدانى
كم أشعلت فى مهجتي حرقا وكم	سدلت على مآزر السلوان
برزت فادهشت العقول بحسنها	ورمتهم بدوابل الأجفان
إلى أن قال:	

همزية همزت عقولا وارتقت	بفصاحة وبلاغة وبيان
إلى أن قال:	

لا زلت فى فلك السعادة ساميا تجلى عليك فضائل الرحمن
وفاته: توفى ليلة الثلاثاء آخر يوم من حجة الحرام متم عام ثلاثين وثلاثمائة وألف.

٣٦١ - مغيث أبو الفضائل زغبوش القرشى.

حاله: فقيه عدل صالح، نبيه كامل ناصح، عابد سالك ناسك متبرك به فالح، ذو مواهب سنية، وأحوال مرضية سنية، وقفت على تحليلت فى بعض العقود القديمة بالذكى العابد، الناسك المجاهد، قدوة العباد، وعلم الزهاد، قطب العارفين، وغوث المستغيثين، من ظهرت بركاته، وبانت مآثره وكراماته.

لا زال ضريحه مزاراً مقصودة للتبرك إلى الحين الحالى موقعه قرب باب
البرادعيين من هذه الحضرة المولوية المكناسية، وقد غابت عنى وفاته بعد مزيد
البحث والتنقيب، بيد أنى وقفت على عقد صداق لبعض عقبه مرفوع فيه نسبه إلى
المترجم بتاريخ أحد عشر ربيع الثانى عام سبعة عشر ومائتين وألف، صاحب
الترجمة هو الجلد الحادى عشر له، وفى ذلك دلالة على تقادم عصره.

٣٦٢ - المفضل بن أحمد الفلوسى الزرهونى الوربى الأصل المكناسى النشأة
والدار.

حاله: من صدور أعلام الدولة الإسماعلية، ودولة ولده مولای عبد الله،
وحفيده سيدى محمد رحم الله الجميع.

فقيه عالم، أصبح علمه واضح المشاعر والمعالم، خاتمة المحققين، وأوحد
النقاد المحررين المدققين، منع وأجاز، وتصرف فى الحقيقة والمجاز، وجاز إلى
بيوت الدراية على أوثق مجاز، حتى تصرف فى طرفى الإسهاب والإيجاز، ووعد
العقول بسحر بيانه فاختر الإنجاز، وكان من العدول المبرزين، والقادات المميزين،
فى طبقة أبى القاسم العميرى، والطالب بوعدنان وغيرهما من أمثال الجهابذ وكان
يتعاطى خطة الإشهاد بالأحباس وغيرها بتاريخ خمسين وواحد وخمسين وأثنين
وخمسين بعد مائة وألف حسبما وقفت على عقود بإشهاده فى الأزمنة المذكورة.

مؤلفاته: منها شرح على همزية البوصيرى سماه الفوائد الفكرية ومن فوائده
فيه لدى قول المتن:

والأقاويل عندهم كالتمانيه ل فلا يوهمنك الخطباء

ما نصه: وقال آخر يعنى من العلماء ما من شىء إلا يمكن استخراجه من
القرآن لمن فهمه الله تعالى حتى إن عمره عليه السلام كان ثلاثاً وستين استنبط من آخر

سورة المنافقين لأنها رأس ثلاث وستين سورة، وعقبها بالتغابن 'ظهوره بفقده ﷺ وتوجد نسخة منه بمكتبتنا عتيقة في مجلد في غالب الظن أنها بخط مؤلفه.

٣٦٣ - المفضل بصرى.

وقفت عليه فى زمام المدرسين بالجامع الأعظم من الحضرة المكناسية الذين يقبضون المرتب العلمى بتاريخ خمسين ومائة وألف، وكذا عام واحد وخمسين، ولم أقف على شىء من ترجمته.

٣٦٤ - المفضل بن العدل الزكى السيد الهادى بن أحمد بن المجذوب صنو العارف بالله سيدى الطيب بن على بن عبد الرحمن بن على بن عزوز.

دفين زغوان، بلاد قرب تونس كما بخطه.

حاله: بحر علم متلاطم الأمواج، ينسل الناس للالتقاط من فرائد فوائده فرادى وأزواج، فقيه جليل عالم بالتفسير والحديث والسير والفقه والأصول وعلوم البلاغة، ماهر مهارة كاملة فى جميع تلك الفنون وغيرها عدا العروض وقرض الشعر، مقتدر مستحضر، متقن للقواعد غواص على درر المعانى واستخراجها من أصدافها بذهن ثاقب وفكر كشاف، عارف بإدراج الجزئيات تحت الكليات، فصيح اللسان، ثبت الجنان، سريع الإدراك والجواب، مع إصابة صوب الصواب، شديد الولوع بالمطالعة، وقفت على عدة من كتبه الطبعية لا تكاد تجد حرفا واحدا فى الغالب إلا وأعاده بقلمه.

تولى نيابة القضاء ببلده مكناسة، وانتهت إليه رئاسة النوازل والأحكام فيها،

٣٦٤ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٨٢٦.

ثم رشح للقضاء ببلد القصر، وتقلد به تلك الخطة التي هو أحق بها وأولى، وذلك عام واحد وثلاثمائة وألف.

وكان خروجه من مكناس مسقط رأسه لمحل مأموريته القصر الكبير في السادس عشر من ربيع الثاني عامه، ودامت توليته للقضاء ستة أعوام، ولم يشغله القضاء عن التدريس والتقييد، تخرج عليه قادات أجلة، وكانت دروسه للمتتهين أفيد ما خاض في مسألة الإقرار فيها فنونا وأتى بما يبهر العقول، من منقول ومعقول فيبرز المعقول، في قالب المحسوس بأسهل عبارة وأبدع أسلوب، له من المقدرة على التصرف في الكلام والتفنن في أفانين التعبير وتنويع الأمثلة ما أبهر كل معاند، لا يخشى أحدا، ولا يراقبه لين العريكة، يتواضع مع العالم والجاهل، يتدنى بالسلام كل من لقيه عرفه أو لم يعرفه، يياسط الصغير والكبير، قليل السعد مع الولاة وذى الحشيات، صادق الفراسة.

اجتمع يوما مع جمع حفيل من أعيان الأعلام في وليمة وقد تأخر بعض الأعلام المعزومين عن الوقت المعين للحضور فيه، فسأل عنه رب المنزل فأجابه المترجم بقوله: إنه يطالع مسألة ليلقيها علينا، فلما جاء الفقيه واستقر به الجلوس، والتفت إلى المترجم وقال له أيها الفقيه ما معنى قوله تعالى: ﴿... وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ ...﴾ [سورة الإسراء آية ٦٠] مع أن الشجرة لا تكليف عليها، فلا تستحق اللعن الذي هو الطرد عن رحمة الله، فنظر القوم بعضهم إلى بعض تصديقا للفراسة، ثم أجابه المترجم بما معناه في الآية احتمالان: الأول أن يكون اللعن بمعنى الذم مجازا لا بمعنى الطرد، وهى أى الشجرة شجرة الزقوم قد ذمها الله تعالى فهي مذمومة، الثانى أن يكون المجاز فى الإسناد أى الملعون أكلها وهو الكافر قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة

الدخان]، فلما فرغ المترجم من تقرير الاحتمالين قال السائل المذكور: والله أيها الفقيه إن هذا هو الذى قالوه فضحك الحاضرون وعلموا صدق فراسة المترجم.

وقد سأله يوما بعض الجلة من أعلام فاس بمجلس عاملها إذ ذاك السيد عبد الله بن أحمد عن قوله تعالى: ﴿... فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا...﴾ [سورة المؤمنون آية: ١٤] والحال أن العظام مكسوة لحما وجلدا فسكت المترجم، فقال له السائل: أنتظر إلى أن تطالع؟ فقال له المترجم: لا تنظرنى، فلا أخرج من المجلس إلا بعد أن أجيبك، وبأثر ذلك قدمت لهم حريرة^(١) فتركت أمامهم إلى أن بردت يسيرا أو جعلت جلدا فنظر المترجم إلى السائل وقال له: ما على الحريرة من الجلد هو حريرة أو غيرها؟ قال: حريرة، فقال له: قد أجبتك فاستحسن السائل جوابه.

وسأله هل قرأت بفاس؟ فقال: الناس يشدون الرحلة إلى فاس بقصد القراءة على أعلامها، وأنا فاس شدت إلى الرحلة حتى قرأت، ف قيل له: وكيف ذلك؟ قال: أعلم أهل فاس السيد العباس بن كيران جاء قاضيا لمكناس فأخذت عنه، ثم لما قبضه الله إليه خلفه السيد الحاج المهدي ابن سودة، فكان مضارعا له فى سعة العلم والإدراك، وربما فاقه فأخذت عنه كذلك، ولم أحتج إلى ذهاب لفاس، فهذا هو الجواب، فاستحسن منه ذلك.

والذى يظهر لى أن الإشكال فى الآية المتقدمة غير وارد، وذلك أن الآية إنما سبقت للاستدلال على باهر قدرة الله تعالى وإلزام المنكر لإحياء الموتى الحجة، ولم تسق لبيان التشريح واستيعاب الأجزاء التى يتركب منها الإنسان، ويمكن أن يقال على تسليم ورود الإشكال إن العظام مكسوة باللحم لا بالجلد واللحم هو المكسو بالجلد، فوقع الاختصار على المباشر غالبا.

(١) فى هامش المطبوع: «الحريرة دقيق يطبخ بلبن أو دسم قاله فى القاموس».

أو تقول فى الآفة حذف الواو مع ما عطفف واللّه تعالى :علم؁ وإنما قفدت بقولى غالبًا لأنه ربما باشر الجلد بعض العظام والناذر لا حكم له .

هذا وقد مءح المترجم غير واحد من الأعلام فمن ذلك قول بعضهم وقد ختم صءفء البخارى :

جاءت بوصل قرة الأعفان	ذات الجمال الفوسفى الففان
جاءت فمفس كأنها بءر الءجى	فى غاية الإشراف واللمعان
أهءت لنا من عطفها روءا سرى	كالروح فى الأحشاء والءثمان
أفنى فؤاىءى حبها ولطالما	كابدت فىه مرارة الهفمان
فا لائفى فى حبها ومعفى	ءعنى فما منها قسفى كفافى
لو عافنت عفنك ما عافىفه	لغءوت فى أسر الهوى مففافى
لكن فؤاءك منه فلو لم فءق	ما ذاقه الفءاق من الفان
أهل الهوى أهل الوفا أوصافهم	محموءة من سالف الأزمان
كف السبفل إلى السلو وقد فوف	رقى وأفنت مءجفى وءنائى
فهى المنى وهى الفنا وهى الفنى	وهى الشففا مما برا وعنائى
لا فسلنى عنها سوى ففم البفا	رى عند طوء الفففر والعرفان
الفافل العلم المففل من فءا	فى الففل مشكفر بكل لسان
الفافل بن الفافل بن الفافل	بن الفافل بن الفافل الربافى
الطفب العطر الهمام المرفضى	شمس الفءاة الساءة الأعفان
العالم العلامة البحر الذى	جلت مناقبه عن الفسبان

ذاك الذى صحت دلائل فضله
الألمعى اللوذعى الأريحي
هذا هو القدر الرفيع وذا هو الـ
هذا ابن عزوز وحاش جاهه الـ
هذا هو البر الزكى المحتمى
أخلاقه محمودة أحكامه
آدابه غرا وآية فضله
همم له شما سمت أسمى السما
ما شئت من حلم ومن علم ومن
فالزم مجالسه السنية تلق ما
وتجد بها بحرا يموج ذكاؤه
وترى الفصاحة والصباحة والسكينة
وترى الختام الأسعد الباهى المنى
ختم شريف طابت الدنيا به
ختم شريف أشرفت أنواره
له ختم خصنا المولى به
عمت مواهبه وعم نواله
فالله يحفظ ذا الهمام وجاهه
وينيله ما شاء من خبر وإقبال
ما ضاع مسك ختامنا الزاهى وما

وكماله من غير ما برهان
ى وسيلتى ومنيتى وأمان
ركن المنيع مؤسس الأركان
أسمى يعزز فى الوجود بثنائى
بحماه فى سر وفى إعلان
فى غاية الإحكام والإتقان
كبرى فلا تحتاج للتبيان
وعلت معاليه على كيوان
كرم ومن حسن ومن إحسان
تبغيه من فهم وسبك معانى
بلطائف ودقائق وبيان
والوقار هناك رأى عيان
ر المشرق ألتلألئ النورانى
وتتوجت بمفاخر التيجان
وبدت بجامعنا الكبير الشأن
وأزال ما بالقلب من أدران
كل الورى قاصيهم والدانى
من سائر الأغيار والحدثان
ومن عـز ومن سلوان
جادت بوصل قرة الأعيان

وقول آخر:

زارت فأزرت بالنقا والبان
غيد تلاًلاً نورها فأضات الـ
حيث فأحيت كل صب هام فى
فاستنشقت أرواحنا من روحها
بزغت من الفلك المضى لكنها
ظلت تقد العاذلات بقدها
أنى يماثل حسنها وجمالها
عجبا لريم راضت الأسد الغضا
لما درت أن أرقـتـنى بالنوى
إذ طوقت حلى المكارم والوفا
وتتوجت بشراف أخلاق تهـ
وأرت بمعصمها المسور آية
خل العواذل لو تسارع غيهم
هذى التى منها الصبـاحـة أفصحت
هذى ذكاء فريدة العقد النفـيـة
هذى التى زفت لكفو شاقها
بدر سما فوق السما بصبـاحـة
قد فاق أهل الفقه بالتوفيق والـ

تفتـر عن در زها وجمـان
أرجاء بالإشراق واللمعان
ذاك المحيا الفائق الفتان
عرفا ذكيا عم بالسلوان
سقط العشاء بها على سرحان
وترى الغوانى نخوة الميسان
بدر الدجى وخرائد الغزلان
ب إلى حمى الإسعاف والإذعان
رقت فراقت مهجتي وجنان
وتسربت بلطائف الإحسان
ز الراسيات بلازم الإمكان
منها شاهدنا باهر البرهان
للإفك هاذى قرة الأجفان
للفاضلين بدرة العرفان
س من هبتك قلائد العقيان
وهنـاة ما إن لها من ثانى
علم الأجـاود غرة الأعيان
تدقيق والتحقيق والتبيان

جذب الشوارد من علوم أحجمت
وأتى الحديث بعفة ونباهة
وأماط عنه خماره فأقره
فعنا له التحرير والتقرير والد
وغدا يعرف بالثقات عن الثقات
بفضيلة التدريس والتدريب فى
هل كل من أقرأ البخارى راق من
ما مثل قاضينا ابن عزوز المفضل
أعطاه ربه رفعة وسيادة
أو ما هو ابن الأوليا وكريمهم
أو ما مواهب ربنا هذى التى
خال الصفا فتواصلت أمداحه
لو لم يكن أهلا لكل جليلة
لما تصدى للحديث ففاز من
لله من ختم بمسجدنا المع
حضرتة أهل الفضل يا بشراهم
إن ابن إسماعيل نور يهتدى
لم الأحاديث الصحاح وجاء فى
فهو الرشاد أمن بغاه فانتهج

عنها الليوث فقادها بعنان
فجلى عنا الأصداء والأدران
قاعا قريرا فى قرى الأذهان
تصدير فى سر وفى إعلان
بنقله من غير ما ديوان
أحكامه شهدت له الثقلان
يصغى إليه فمال كالسكران
حسن روض عاطر فينان
وكلاءة من صولة الأزمان
هذا المهذب سيد الأقران
ظهرت عليه من رضى الرحمن
فى كل قلب نير ولسان
ما أوتى الفصل المزيح الران
ه السامعون برقة وحنان
ظم ليلة القدر ارتقى لعنان
فازوا برأفة ربنا المنان
بكتابه فى حالك الديجان
أبوابه بمفاتح الإيمان
بسبيله تحظى بأى معان

تخذ الأساتيد العظام أئمة
ملكوا زمام العلم والتقوى فمن
غرفوا من اليم الخضم شهامة
حياتهم المولى الذى سناهم
وأمدنا من عطفهم بالمبتغى
سبحان من يعطى لكل ما نوى
من يرتجى مدد النبى محمد
وعلى الصحاب وآله ما قيل قد
وقول آخر:

أكرم بهم من ستة تيجان
يقفو طريقهم اكتفى بأمان
فسقوا معينهم لذى الإمعان
لحبا الرضا وعناية الرضوان
من مالك الملك العظيم الشأن
ويقيل عثرة ذا الأسير العان
صلى عليه الله كل أوان
زارت فأزرت بالقنا والبان

حديث الصبا رويته عن قرنفل
عن الآس والنسرین والياسمين عن
عن الملك عن عرف البنفسج عن سنا
عن الجزع عن نشر الخزامى فلعلع
عن الشعب عن جيران ساكنة الحمى
عن الشوق عن قلبى عن الوصل عن لقا
عن الفجر عن صبح تلتته لويلة
فناهيك من صبح تلالاً نوره
تاب جليل أظهر الله سره
تفرد بالإسناد عن ستة هم

عن الورد عن زهر الربيع المفضل
أكارم زهت بالقيقلان وصندل
رياض أنيق فيه راق تغزلى
فربيع بنى سعد خيام التجلل
حمى له فى كل المسالك موئلى
حبائب منهم الغزالة تجتلى
تنزلت الأملاك فيها من العلا
بختم البخارى فى ضحاه المهلل
فخص به التعظيم فى كل محفل
ذوو العزم فى أبناء أكرم مرسل

حباهم من أولاهم كل رفعة
فسادوا جميع الناس حيث تأهلوا
فجاه ابن إسماعيل سيدنا الرضا
لذلك مزاياه توالى وأنهجت
فقراؤه والسامعون كفاهم
أما ثملوا لما سقوا جام عطفة
فيا آل بدرها مشوقكم رجا
فأنتم وقاية الضعيف وأنتم
فمنوا وجودوا واعطفوا وتفضلوا
فإني مكظوم وحالي ما خفى
وها بالبخارى جئتكم متوسلا
وبالجامع الكبرى التى ضاع نشره
من امتاز فى هذى البلاد بيره
ولا غرو إن الفرع يتبع أصله
تشبث صان الله ربي شبابه
فأصبح يقفو نهجه بدراية
وأوضح أبواب الوصول لفهم ما
فإدراكه لا يمتطيه مشارك
أنور الدياجى لا برحت مفضلا

وبوأهم من فضله كل منزل
لجمع صحاح حبها كل أمثل
محمد التحرير دون مترا على
لنا سبيل الإرشاد رآد تأمل
تغشاهم الإشراق من نوره الجلى
أصارتهم فى زمرة الحزب الأول
بجاهكم يحظى بكل مؤمل
وسيلة أندادى عليكم معول
على عسى ما هال قلبى ينجلي
على علمكم يا جيرة الجانب العلى
فحاشاكم تشنوا على توسيلي
بها عند تدريس الفقيه المبجل
وصار نجيبا فداق كل مفضل
وكيف وهذا من سلاله أفضل
بمن سن إيضاح الحديث المسلسل
ففض وثاق القفل عن كل معضل
تقاصرت السباق عنه بأجمل
فيال ابن عزوز الزكى المفضل
بريئا نزيها عن أذى المتقول

وقاك الذى رقاك أسنى منصّة
وتوجك التقوى لتزداد عزة
وأعطاك من يحيى النبى إجابة
ولا برحت عليك يبرق سعدا
وهاك أبدر التم منى خريدة
بختم البخارى ضمت الحسن والبها
بها فكرتى رامت قبولا فجد لها
وإنك ممن حاز علما وسودا
فإن تفتخر فاس بأعلامها فها
فلا شك هذا الختم مفتاح رحمة
أيا يا عالم النجوى ويا سامع الدعا
وجد واعف وارحم وامح كل جريمة
وأخلص لوجهك الكريم مدائحى
وعن أمة الهادى الشفيع محمد
وصل عليه يا كريم وآله
صلاة تناجى بالبشائر من يقل

مراقى العلا عنها تراءت بأسفل
وعلمًا بأحكام الكتاب المفصل
كما زكريا قد أجيب بأنبل
فترغم من شانك بالعز الأكمل
تحلت بعقدها النفيس المكلل
وأصبح منها الجيد غير معطل
بما ترتوى منه فإنيك منهلى
وفاز بمجد فى البرايا مؤئل
سناك بمكناس جدير التهليل
من الصمد الأعلى إليه تبتل
ويا كاشف البلوى دعاى تقبل
تخللتها فى سابق ومؤجل
فقد طل فى الأهواء قدما توغلى
تجاوز إذا الصفح العظيم التفضل
وأصحابه أولى الرضا والتوكل
حديث الصبار وتيه عن قرنفل

إلى غير هذا مما لو تتبعناه لجاء فى مجلد ضخّم ولكن ما لا يمكن كله لا
يترك كله .

مشيخته: أخذ عن شيخ الجماعة فى وقته بالحضرة المكناسية السيد مبارك بن

عبد الله الفيضى المترجم سابقا، والسيد العربى بصرى المدعو قطيطة، والسيد المهدي بادو، والسيد المهدي بن سودة، والسيد العباس بن كيران وغيرهم من الفحول النقاد.

الآخذون عنه: أخذ عنه شيخنا الحاج المختار بن عبد الله، وشيخنا أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الطاهري، وشيخنا أبو عبد الله محمد القصرى العبدري^(١)، وأبو عبد الله المدعو الهويج، والعلامة السيد التهامي بن عبد القادر المدعو الحداد، والعلامة الأديب السيد الغالى بن المكى الستيسى، والشريف مولاي المصطفى بن عبد الرحمن المترجم فيما مر، والسيد إدريس بن اليزيد، والشريف سيدى محمد بن العربى المنونى، وشيخنا أبو عبد الله محمد العرائشى حفظه الله، وخلق*.

مؤلفاته: منها كشف الران، عن قلب مانع الزيارة ومفضل الوظيفة على القرآن، والنصيحة الشافية النافعة للطريقة الدرقاوية، وشرح على رجز سيدى العربى الفاسى فى الذكاة اختصر فيه شرح الزياتى، وكواكب البسملة، وشرح على أبيات الهلالى: ألا يا لطيف لك اللطف إلخ، وشرح على الألفية لم يكمل، وشرح على الهمزية لم يكمل وغير ذلك.

وفاته: توفى فى شهر صفر عام تسعة عشر وثلاثمائة وألف، ودفن بالزاوية الكتبية بحومة صدراتة من العاصمة المكناسية، وقد رمز لوفاته أحد نجباء تلاميذه وهو السيد إبراهيم بن محمد بن قاسم المسطاسى بحروف (حمدا وشكرا وزهدا حاز) من قوله:

هذا ضريح سليل الأكرمين ومن	قد فاق مجدا وعلما سائر العلما
هذا المفضل نجل القرم من فخرت	به الدنا فامتطى من فخره السنما

(١) فى الموسوعة: «العبدوى».

عبد الهاد بن عزوز وذلك من غدا وحيد الدهور مفردا علما
وإن ترد على عام القرض فابغ تجد (حمدا وشكرا وزهدا حاز) فاكثما
٥٣ ١٢٢٧ ١٦ ٣٢ ج ١٣١٩

٣٦٥ - المفضل بن المكي بن أحمد السوسي.

المكناسي النشأة والدار، الفاسي الإقبار.

حاله: كان رحمه الله صدراً شهيراً علاماً أصيلاً، جم التحصيل، قوى الإدراك، منطلق اللسان، مشارك نقاد، حسن العبارة، مقتدر على التفنن في أفانين التعبير، إماماً في العربية، ذا هبة وجلال، وحزم وعزم، لا يقدر أحد أن يكلمه في مجلس درسه، ما سئل عن شيء إلا رد السائل مسئولاً، ذا سمت وتؤدة، شديد المحبة في الصالحين، كثير الزيارة لهم والبحث على التمرير بهم ونشر كراماتهم، وجيهاً عند الأمراء والولاة، مبجلاً عند العظماء، مسموع الكلمة.

وكان يقرأ في دروسه الليلية عدة مؤلفات في مجلس واحد يتخلص من فن الآخر بأربع يتخلص وأحسنه، لا يجارى في ذلك ولا يبارى، لا يقدر أحد من الآخذين عنه في حلقة درسه أن يتحرك أو يتنحج أو يفوه ببنت شفة، يجلسون أمامه كأنما على رؤوسهم الطير، ثم إنه ترك القراءة في آخر عمره ولازم الوزير أحمد بن موسى إلى أن لبي داعي مولاه، ثم لازم المتولى بعد المهدي المنبهي، ولم يزل يظعن بظعن السلطان ويقيم بإقامته إلى أن ختمت أنفاسه رحمه الله.

مشيخته: أخذ عن شيخ الجماعة الحاج مبارك الفيض، وأبي الإسعاد المهدي ابن سودة، وأبي اليمن العباس بن كيران، وأبي الفتوح الهادي بادو، ووالده السيد المكي وغيرهم من الأعلام.

الآخذون عنه: أخذ عنه شيخنا الحاج المختار بن عبد بن أحمد، وشيخنا أبو

٣٦٥ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع في الموسوعة ٨/ ٢٨٢٩.

عبد الله محمد القصرى، وشيخنا الحاج المعطى بن عبود، والعلامة الأديب السيد الغالى بن المكى الستيسى، وابن أخيه السيد محمد فتحا السوسى، وأخوه السيد محمد السوسى، والسيد الطيب بنونة، وابن عمنا سيدى الحسن بن اليزيد، والوزير أحمد بن موسى فى جماعة من الأعلام.

نظمه: من ذلك قوله جامعا بين قول الشيخين القاضيين فى مدح السفر وذمه:

أقول وقول الحق يعظم وقعه تخالف طبع الناس مبنى الطرائق
فإن رمت تحقيق الحقائق سلمن أمورك للمولى تـكن خير واثق

نثره: من ذلك قوله مجيبا ابن عمنا الفقيه الأديب الأكتب مولاي إدريس بن عبد السلام الأمرانى ولفظه ومن خطه نقلت: هلال اليمن والسعد والسعادة، الدال مبتدأ بزوجه على خير أكمل زيادة، غصن شجرة أصلها ثابت المحاسن بلا ريب، وجدول حديقة الفضائل السالمة من النقص فى علم الغيب، الطالع السعيد، فى أفق الرشاد والمجادة الحميد، من برع على الأقران، وانهزم بين يدى رشده حزب الهوى والشیطان، واقتنى كنز الحياء ساعيا فى المرضى بلا توانى، ولدنا حقا بمحبته الصادقة مولانا إدريس الأمرانى، لازالت الكمالات تخدم أبوابه، والسعادة ترتضى أسبابه، وأمنه الله من كل مخوف وحفظه وسلمه على الدوام، عن خير من أنام الأنام، فى ظل الأمان مولانا الإمام، أدام الله مجده وأناله جميع المرام.

أما بعد فقد وفى لذيذ خطابك المطرب، وعجيب بليغ فصيح إعرابك العرب، مقرطا به ومشنفا، حتى لم تبق فصاحتك المفحمة على الحقيقة معارضا ولا معنفا، فيا لها من جواهر استحقها بالأصالة من أعارها، ومعارف لا ترضى بمفارقة من أنارها، فكل فضل فى العالمين، فمن فضل جدكم سيد المرسلين، عليه أفضل الصلاة وأزكى التحيات فى كل وقت وحين، فبجاهه وحرمته عند الله تعالى نسأله أن يبرد لهيب الاشتياق، بتحيات المشافهة والمعاينة وحسن التلاق،

ولولا^(١) ما جبل الله سبحانه عليه هذا الحب العزيز المثال، الذى لم ينسج على منواله فيما يظهر لأحد بمنوال، من علا قدره وطاب سره، وحسن بين الناس كغيبه علانيته وجهره، الفقيه العلامة الوزير الأرشد، الأسعد الأمجد، المستول لنا وله من المولى الكريم فى كل وقت حسن العاقبة، وكمال الحفظ والسلامة كما نسأله سبحانه أن يرزقنا وإياكم التوفيق والإعانة، ويجعلنا من أهل طاعته وطاعة رسوله ومن الحافظين للأمانة، وأن يفتح علينا وعليكم، ويرضى أفعالنا وأفعالكم، ولا بأس على الحب الأود، الأعز الأمجد، الصادق فى الود شهادة وغيبا. ولم يكن لعدو أن يثبت له عيبا، والدك حفظه الله وجعل الضيافة التى كان فيها طهورا؛ وجعل عقب ذلك سرورا وحبورا ونورا، ولما أطلعت علم الفقيه الوزير، بكتابك الحبير المنير، تهلل وجهه نشاطا، واغتبط بمثلك اغتباطا، وأعجب كل الإعجاب فأفصح فى الدعاء الحينى الأحسن، وشهد بأن هذا أفضل هدى وسنن، وعنده من خبر ضيافة الوالد ما أغنى، وهو بأموره وأمور أمثاله أعنى وأغنى وأقنى، كما ثبت عنده من نصحه وصداقته وبره ومروءته، فالحمد لله الحمد لله والسلام وفى رابع جمادى الأولى عام ستة عشر وثلاثمائة وألف المفضل السوسى لطف الله به من خطه.

وقوله من رسالة خاطب بها بعض أصدقائه المخلصين وكلفه فى النيابة عنه فى إعلام أحد تلاميذه النجباء الجللة، وهو ابن عمنا مولانا الحسن بن اليزيد العلوى بوصول رسالته التى أصدرها له ويعلمه بأنه متهمى لجوابه وللفظ الغرض منها: واعلم أن الشريف المحبوب، المخصوص من الله الكريم بأفضل موهوب، قد وجه رسالة عجيبة، ترى النفس من بلاغة تلك الرسالة، أن أجوبتها غير وافية ولا مصيبة، فهى جداول بلاغة جرت فتضاءلت البحار، وأسرار مواهب سرت فأذعنت لمحاسنها وجميل معيها الأفكار، أعنى بذلك النبات الطيب معدنه وأصله، الحسن

(١) فى هامش المطبوع: «أغفل جواب لولا صح مؤلف».

فصله ووصله، ابن من فضله من شرف سيد الورى ﷺ يزيد، وكل خطاب زورته فى نفسى ليكون جوابه كان لمبتدأ تلك الرسالة شاهدا بأن خبرها له مزيد، وربك يخلق ما يشاء ويفعل ما يريد.

ولما عزمت على ممكن الجواب فى المستقبل، عجلت لك هذه التجربة بأنى لا أضيع فصاحته البارعة الفائقة، بل تكرم وتعز وتقبل، ولا عطر بعد عروس، وهكذا تكون طيبة الغروس، زادنا الله تعالى وإياه من الفضائل والكمال، وأصلح أحوالنا فى الحال والمآل، ولا تقصر فى إكرامه باللائق، وإنما جعلت لك النيابة عنى فى أمثاله لأنك المحب الصادق، وقد بالغ حفظه الله فى الأوصاف، فتح الله بصيرتنا وبصيرته وألهمنا الصواب وباعدنا من الإطراء والإجحاف، وجعل سلوكنا سواء الطريق، وألهمنا الرشد والتسديد والتوفيق، آمين والسلام فى ثامن شوال عام ستة عشر وثلاثمائة وألف.

وقوله فى جواب الرسالة المشار لها تبارك الذى من هيته وجلاله وعظمته سبحت بصريرها الأقلام، وخضعت لكبرياته وسبحت قدسه سطور السماء طروس الأرض ودفاتر جهابذة الفصحاء الأعلام، أرسل أفصح البلغاء وأفضل الرسل لإبلاغ ما حمله فقام به أحسن قيام، وأمر بالمستطاع من عمل البر فمن أتى به لا يذم ولا يلام، ونحمده ونشكره، ونذكر بنعماته بعض من يكفره، على ما أنعم به من الخير المزيد، المقدر فى الأزل لمن شاء من العبيد، فلا يقدر أحد منهم على نقض ولا إبرام، ونسأله الغفران للذنوب أوقفنا لباب الاضطرار، وسترها بسعة رحمته وكفى بكرمه ومته شؤم الإصرار.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من ظن كما أمر بربه الجميل، فنال أفضل مرغوب ومسئول ومأمول من عطاء خالقه الرب الجليل، ونشهد أن سيدنا ومولانا محمد عبده ورسوله المحبوب، عين الرحمة المهداة

المبعوث ببيان السبيل الموصلة فى الدنيا والآخرة لنيل كل مرغوب، صلى الله عليه وعلى آله سفينة النجاة والأمن والأمان، وصحابته الجلة الكمل المقتدى بهم فى تحقيق إخلاص الطاعات وبمحبتهم الكاملة زيادة الإيمان، صلاة وسلاما نخوض بهما بحار المعرفة، ونتحلى فى الدنيا والآخرة بأحسن حلة مرضية فى الدين وأفضل صفة.

أما بعد فالله أكبر ولا أكبر سواه، فسبحان من صور الخلق كيف شاء فأحسن خلقه وعدله وسواه، ولا حول ولا قوة إلا بالله، الذى جعل الأسفار مطايا الرسائل، ويمكن نيل الوسائل، ومجرى مجار الفواضل والفضائل، بتوالى الغدايا والأصائل، ومظهر ما تقر به العين وتشرح به الصدور، من أسرار نتائج الأرواح أصحاب الصدق والمحبة الواصلة الموصلة لنيل الحبور، لما تضمنت أضلاعهم وانطوت عليه من خالص البر وصادق البرور، خصوصاً من طاب أصله وفضله، وقد شب حسن خلقه وكرم فعله، حائز قصب السبق فى مضمار الأدب والحياء والمروءة والعفة والسماحة، من أصوله الطيبة ومعدنه المتأصل فى كمال الذكاء والرجاحة، حافظ زمام اللسان، الشريف الحسى التقى النقى الملقب بالاسم الحسن، فقد أجادت قريحته اللطيفة فى رسالتها كل الإفادة، وبنات شفته نثرت على الأسماع جواهر المعانى وأفادت أكمل الإفادة، فله الحمد وله الشكر والثناء الجميل، حيث أظهر بما قدره من هذه الأسفار من أولاد الروح مثل هذا القليل، وشاهدت الأبصار ما تقر به العين، وانتعشت الأسرار بما أملت فيه فكان بمنظر منها ومسمع قبل أوان الحين، وهذا بحمد من له القدرة والحول، يجبر خواطر كراسى العلم والمسجد الكبير ويقشع عنهما سحاب توهم الحنين والأنين والتحسر والهول.

فحيث حللتهم هناك بهذه الأحوال العجيبة، والأقوال اللطيفة المصيبة،

تراجعت أمواج هيجان الوجد، فبشروا المحبين بالقفول القريب إن شاء الله تعالى وحلول النير المنير في برج السعد، ولو تذكرت الكراسى والمسجد ما تلى هناك غير ما مرة في أسباب الخروج من الأوطان والرحاب، من سفر لتجارة أو هجرة أو زيارة أولياء أو أحباب، لذهب في الوقت ما توهم لها من الأوصاف، وسطع سرورها ولها العيش طاب، فلتذكر ما كانت تسمعه، فالعاقل اللبيب لا يتحول عما ينفعه، ولو استحضر مع ذلك ما أعد الله تعالى في المقاصد الحسنة المستحسنة، الصارفة عن العقل غفلته ووسنه، لعاد الحنين والرد عليه بالحنيب ضحكا وسرورا، واستحسنت خدمة أسكفة هذا الوزير المبارك الأرشد الأسعد، المخلص في النصيحة للمسلمين القريب والأبعد، إجلالا وإعظاما وبرورا، فلن يكافئ إحسانه إلا أن نرفع جميعا أيدي الضراعة والابتهاال، ونخلص له في ظل مولانا الإمام، نصره الله على الدوام، ما أمكن العبد من مستجاب الدعاء وأكمل سؤال.

اللهم يا ذا الطول والحول والفضل والامتنان، أحسن عاقبتنا وعاقبته وبارك في عمره وأحسن في أثرنا وأثره وافتح بصيرتنا وبصيرة تلامذتنا أجمعين، واجعلنا ممن علم فعمل، وعمل فقبل يا قوى يا معين.

وفاته: توفي بمحروسة فاس يوم الأحد سابع ربيع الثاني عام عشرين وثلاثمائة وألف، ودفن بالزاوية الناصرية هنالك رحمه الله.

٣٦٦ - المستضيء بنور الله ابن السلطان الأعظم أبي النصر والفدا إسماعيل.

صفته وحاله: أبيض اللون، حسن القد، مليح الوجه، أمه عودة الدكالية، قاله أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن أحمد بن محمد المعروف بالضيف الرباطي المولود سنة خمس وستين ومائة وألف حسبما قال ذلك عن نفسه في تاريخه.

كان المترجم منكوس الراية، مسيكا ذا خفة وقساوة وطيش، غير متأن ولا ناظر فى العواقب، ولا متوقف فى سفك الدماء، بويع له بعد أخيه أبى عبد الله محمد المدعو ولد عربية عشية يوم السبت ثالث ربيع النبوى عام واحد وخمسين ومائة وألف، وهو يومئذ بسجلماسة، فوجه له عبيد البخارى الذين سعوا فى البيعة له شردمة من الخيل تأتى به من تافيلالت وبمجرد ما اتصل به الخبر، خرج مسرعا يطوى المراحل، ولما وصل صفرو، وخرج إليه أشراف فاس وعلماؤها وأعيانها وأدوا بيعتهم له، ولما حل بفاس ولى عليها القائد أحمد الكعيدى، واستخلف الكعيدى شعشوعا اليازغى، كما عزل قاضيهما الشدادى، وولى مكانه السيد محمد الدلائى البكرى، وأصلح ما كان بين الأدارسة وعامة أهل فاس هناك.

ونهب لمكناس عاصمة ملك والده، ولما دخلها كتب العبيد له البيعة العامة، ووافق عليها أهل الحل والربط ظاهراً لما كان للعبيد من الاستبداد والسيطرة، ثم وفدت عليه بها الوفود بهداياهم وبيعتهم.

وكان وصوله لمكناسة فى رابع عشر ربيع المذكور، وكان فاتحة أعماله بها بعثه بأخيه ابن عربية السلطان المخلوع قبله المذكور موثقاً بالأغلال لفاس، ومنها لسجلماسة سجيناً ينضم لغيره من الأشراف الذين بالسجون هنالك، كما وجه السيد عبد المجيد المشامرى بوطالب، والشيخ أبا زيد عبد الرحمن الشامى يسجنان بفاس الجديد، وأمر بنهب دار المشامرى المذكور والتنكيل به وسومه سوء العذاب، فامتثل أمره فيه، ولم يزل المشامرى المذكور يتقلب فى أنواع ألیم العذاب إلى أن مات، وسبب محنة الرجلين شكاية مولاى عمر الأمرانى نهب داره بفاس بتدخل الرجلين.

ثم اشتغل بالبحث على ما فى خزائن والده التى لم يلق لها بالا أحد من

إخوانه الذين تملكوا قبله لاحتياجه إلى ما يصرفه ابتغاء مرضات العبيد، ولم يترك خزيننا من الخزائن إلا ونسف ما به نسفا حتى الحديد والكبريت الذى كان يعد بآلاف القناطر وملح البارود والشب والبقم وغير ذلك مما كان مدخرا من الغنائم التى كان يغنمها والده من أجناس الفرنج، وباع ذلك كله، فلم يجد المتحصل فيه شيئا وأزال بعض السراجيب المذهبة والشبائيك، وألزم أهل الذمة بأداء ثمن ذلك.

ثم أنزل المدافع النحاسية من الأبراج فكسرها وضربها فلوسا كما فعل ذلك قبله أبو العباس أحمد بن إبراهيم السلطان العثمانى الذى هو أول من ضرب سكة النحاس الأحمر وموهها بالفضة، وكل ما ذكر لم يغن المترجم شيئا، كما أفصح بذلك الزيانى فى الروضة السليمانية وغيرها من كتبه، ثم وظف على أهل فاس أموالا طائلة عجزوا عن الوفاء بها، وألقى القبض على جماعة منهم وأودعهم السجون، وأمر ببيع عقارهم لاستيفاء ما بقى بذعمهم مما وظف عليهم، وألزم التجار بشرائه، وقبض على بعض الأشراف العراقيين وهو السيد العربى بن السيد عبد الكريم صاحب الدار الكبرى بجرنيز بعد أن أوجعه ضربا، وزج به فى السجن بدعوى أن خنائة بنت بكار زوج والده استودعت عنده أموالا.

ولم يترك بابا من أبواب القساوة إلا وطرقه، فكم استصفى من أموال، وأزهق من نفوس بغير حق، وذلك ياغراء من رفيقه أبى حفص عمر الأمرانى انتقاما من أهل فاس، حيث إن داره نهبت على عهد أبى عبد الله محمد ولد عربية أخ المترجم، ولم يدافع عنها أحد منهم وولى أبا حفص المذكور على فاس، وأغرى البرابر على العيث فى الطرقات وشن الغارات على الودايا، فانقطعت بسبب ذلك السابلة، وتعذرت أسباب المعاش، وأصدر أوامره بتوجيه أخيه المولى زين العابدين سجيئا مقيدا إلى تافيلالت بعد أن ضربه ضربا مبرحا، ولولا أن العبيد وجهوا من انتزعه من يد المتوجهين وبعثوا به لأبى العباس الكعبدى بينى يازغة واستوصوه خيرا فاحتفظ به واعتنى بشأنه لهلك.

وكتب لصهره الباشا أحمد الريفى يأمره بالإيقاع بأهل تطاون لتخلفهم عن بيعته، وقد كانت بينه وبينهم عداوة وشحناء، فاغتنمها الريفى فرصة واقتحم تطاون على حين غفلة من أهلها فدمر ونهب وقتل من وجوها نحو الثمانية، ووظف على من بقى ما ضاقوا به ذرعا مما لا طاقة لهم بوفائه.

وقد كان الخوات هو صاحب أمر المترجم ولم يزل حاملا راية الدفاع عنه والسعى فى نصرته إلى أن قبضه الله إليه، وكانت وفاته فى ثامن ربيع الأول عام اثنين وخمسين بعد أن دعا المترجم عليه بالهلاك.

وفى سابع جمادى الأولى من العام سرح المترجم أخاه ابن عريبة من عقاله. وفى عاشر رجب عاثت فرقة من حجاوة وانضم إليها خليط من الرعاع وأطلقوا يد السلب والنهب فى السابلة، ولما تفاش أمرهم أرسل المترجم عليهم القبائل المجاورة لهم، وأمر بإلقاء القبض عليهم حيثما وجدوا والبعث بهم لمكناسة.

وفى السادس عشر من شوال أمر بضرب أعناق عدد ممن وصل لحضرته المكناسية من المتمردين المذكورين، وعلقت رؤوسهم على أبواب المدينة وجدرانها، ولم يزل هذا شأنه معهم إلى أن تابوا وأتابوا.

وفى يوم السبت الرابع والعشرين من ذى القعدة الحرام وجه أخاه المولى بتناصر لقتال عبدة لما كانوا عليه من التمرد والعيث فى الطرقات والاستطالة على القبائل الحوزية، فقتل منهم عددا وأرغمهم على الرضوخ للطاعة، ووظف عليهم مالا له بال، وآب لأخيه المترجم سالما غانما.

ولما كان عام اثنين وخمسين ومائة وألف، أوقع صاحب الترجمة بالباشا العياشى وتوالت الأمطار وقام الناس على ساق فى الحراثة رغما عما كانوا عليه من

الفاقة والإملاق وعدم الدواب لتوالى السنين الشهباء عليهم جلهم كان بالفتوس والأغنياء منهم حرثوا على الحمر، قال فى الدر المنتخب نقلا عن بعض المؤرخين لقد علمت أن سبعة اشتركوا فى زوجة حمير، فحملوا عليها إحدى وعشرين وسقا، وأعطى الله تبارك وتعالى البركة فى تلك السنة وتدارك عباده باللطف بعد الشدة هـ.

وفى يوم الثلاثاء سابع عشر صفر عزل السيد محمد البكرى الدلائى عن قضاء فاس، وولى مكانه أبا عبد الله محمد بن على الشدادى، وعزل أبا العباس أحمد الصبيحى عن الإمامة والخطابة والتدريس بالحرم الإدريسى، وولى مكانه العلامة أبا المواهب عبد الكبير السرخينى.

وفى الرابع والعشرين من صفر صدر الأمر السلطانى بين العشاءين بإخراج محمد مامى من الضريح الإدريسى، وقد كان مستجيرا به، فأخرج قهراً ولما مثل بين يدى المترجم بمكناسة قتله من حينه.

وفى يوم الأربعاء ثالث ربيع الأول ألقى القبض على العربى بن عزوز ناظر القرويين لما تحقق لديه من اشتغاله بما لا يعنيه، واجتماعه مع لفيف من خاصته على الغناء والملاهى بداره، وسجنه مع جماعته ثم وقعت الشفاعة فيه للسلطان فعفا عنه وردده لمأموريته.

وفى سادس جمادى الأولى وقيل صبيحة يوم الاثنين الحادى عشر منه، نهض المترجم إسعافاً لرغبة العبيد واتقاء لشهرهم لجبل فازاز فى عساكره وجنوده، حيث بلغهم أن السلطان عبد الله بويغ له بمراكش وأحوازاها، والحال أنه كان بعيداً عنها، وأقام المترجم بجبال فازاز مدة تنيف على الشهر، ثم اعتراه انحراف فى المزاج فانقلب لمكناس، ودخله فى عاشر جمادى الثانية، ونزلت تلك المحال

بضواحي البلد فمدت يد التعدى بالنهب والإفساد فى أجنة وبحائر البلد وأحوازها.

وفى فاتح شعبان قتل جماعة من رؤساء العبيد منهم الباشا غانم، والقائد عبد المجيد سعدون، والقائد عيسى مفتاح، وأولاد الريفى.

وفى أوائل رمضان عزل بوعزة الزيزى عن حبة فاس ووليها العدل الحاج محمد سوسان، وفى يوم الأربعاء رابع عشر رمضان أكلت قافلة بين فاس ومكناس وتعذر المرور فى السابلة من يومئذ، وفى آخر رمضان المذكور عزل سوسانا.

وفى أوائل شوال كتب لأبى عيسى المهدي الفاسى يستقدمه لحضرته للوساطة فى إصلاح ذات البين بينه وبين الباشا أحمد بن على الريفى، إذ كانت حدثت بينهما وحشة تكدر بها جو الصفا وأصبح الريفى المذكور حجر عثار فى طريق نجاح مساعى المترجم، وفى سابع شوال وجه أبا عيسى للريفى بكتاب لفظه بعد الحمدلة والصلاة:

«الأجل الأسمى، المجاهد الأحمى، أخونا فى الله تعالى الباشا أحمد بن على أمدك الله بمعوثته، وأبقاك مصونا فى حوز حمايته، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، وأمانه وتحياته.

أما بعد: أبعد الله عنك كل ما يطويه الفكر، وأبقاك سالم الأحوال فى جميع الآصال والبكر، وقوى محاسنك بالجد، ومطالعك بالسعد، آمين فلقد اتصل بمقامنا العلى بالله الفقيه الجليل، العالم النحرير النبيل، نجل السادات الأبرار، العلماء الصلحاء الأخيار، الأئمة الأعلام، والقُدوة لمن أصلح الله حاله من الأنام، سيدى المهدي حفيد نبراس أولياء الله الأصعد، القطب الأوحد، أبى يعقوب سيدى يوسف الفاسى نفعا الله ببركاته، وأفاض علينا من بحر كمالاته، آمين يا رب العالمين.

ولما حل بنا دينا، وخاض معنا فى ماء واديننا، أجللناه وأعظمناه، وفى داخل الأحشاء جعلناه، فتفاوضنا معه الحديث، القديم والحديث، وعقدنا له مجلسين فزنا فيهما بمحاورته، وحسن محاضرتة، فآلفيناه من حسن أوصافه، على طريقة أسلافه.

ولما كان من ينبوع الحكمة والعلم والصلاح، تطارحنا معه الحديث فى جانبك من إفشاء ودك وتعظيم منصبك مما هو علينا واجب ومباح، وعرفناه بما لك عندنا من المرتبة السامية، والمحبة الصافية النامية، وجلنا معه فى السر والجهر، وأطلعناه على مكنون الجوانح والصدر، لتحقيقنا فيه أن مثله ممن تذاق بين يديه الأسرار، ومن يتحمل أداء الأمانة من صدق الأخبار، وما كتمنا عنه شيئا مما هو فى الخلد والضمير، فهو يخبرك بما سمع منا ولا ينبئك مثل خبير.

فاعقد له مجلسا سريا حتى يشفيك الغليل فى جميع ما قلناه من الإبلاغ لك، فإنك تجد فى ذلك بغيتك، ومنيتك وأملك، فإنه لم ينفصل عنا حتى اتضح له الأمر ظاهره وباطنه ووقف فينا على حقيقة الحال، ونفى الظنون والشكوك والمحال، وقد وجدنا فيه من محبتك، وكمال مودتك، ما حملنا على البرور به وقربه، زيادة على الوصف الذى هو قائم به.

فقد شرح صدورنا بطيب كلامه وحسن حديثه مما نحن فيه فى جانبك أغرف.

والى إيذاعه والتحدث به من مثل هذا السيد ونشره بين أيدينا أشوق وأشوف، فإذا بلغك الأمانة التى حملناه فـ(اتهلا) فيه واستوص به خيرا ففى مثله تنفع الصنيعة والمعروف، ولا يستوى فى إسداء النعم الشريف والمشروف.

فهذا السيد له شرف العلم وشرف الحسب وشرف الصلاح وشرف الدين، ولا يخفى عن علمك ما كان لسيدنا الوالد قدس الله روحه فى سلفه الصالح من

صدق المحبة وخالص الوداد، وجميل الاعتقاد، فكان يؤثرهم ويعظم أقدارهم، ويرفع على سائر الديار ديارهم، مع ما أكرمهم الله به من العلم والصلاح والقيام بسنة رسول الله ﷺ وإظهار معالمها، والاصطفاء لحاملها وعالمها، وتشبيدهم لبنانها، وتدعيم أركانها، ووقوفهم في بثها وتعليمها، وحضهم على تخليصها.

فقد أعلوا منارها بوضع التأليف، وحسن التصانيف، فكثرت في ذلك دفاترهم، وعظمت عند العلماء والصلحاء والملوك وذوى السلوك مآثرهم، فناهيك بتلك الدار، وما لها من الحرمة والمقدار، حتى إن بعض علماء العصر ذكر في قوله ﷺ: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله، وفي بعض الروايات وهم بالمغرب، قال: ولعلها أن تكون زاوية سيدى عبد القادر الفاسى من كثرة ما تواتر عنها من وقوف أهلها في إحياء السنة، جعلنا الله وإياكم ممن يقوم بشروطها، ويختال إن شاء الله في حالها ومروطها.

فثق بهذا السيد فى كل ما يبلغه عنا لسانه وبيانه، فهو كتابنا إليك حقيقة، وهذا الكتاب إنما هو عنوانه، ولما تحدثت معه على شأنك آليت له بأيمان غليظة على صدق ما حدثته به، ولا يعرف تلك الأيمان إلا من هو مثله، إذ لا يعرف الأشياء على حقائقها، وكشف دقائقها، إلا ذووها، ومعاده عليكم الرحمة والبركة وفى ٧ شوال عام ١١٥٢هـ.

وفى يوم الاثنين الخامس والعشرين من شوال أتت فرقة من آيت يوسف بقصد قتال الودايا وشبت بينهما حرب مات وجرح فيها من الفريقين عدد، ونشأت عن ذلك قلاقل وفتن، وفى آخر شوال المذكور رفض عبيد البخارى طاعة الباشا الدكالى لقبح سيرته ومقابلته إياهم بغاية الصرامة والأذى حتى بالقتل، وولى مكانه القائد بو عزة مولى الشريل وكان ممن حنكته التجارب، ومن أهل السبقية فى الخدمة السلطانية فى العصر الإسماعيلى، عصر الجد والنجدة والحزم، فقام فى

مأموريته أحسن قيام، وأحيا بسياسته وتدبيره ما أمكنه مما اندرس من رسوم الخلافة ونوامسها، وأمن بولاية هذا السياسى المقتدر كل من كان خائفا يترقب.

ثم اتفق الباشا المذكور ورؤساء الديوان ومن يشار إليه من الجيوش على خلع المترجم والمبايعة لصنوه أبى محمد عبد الله، وتم الوفاق على ما ذكر يوم السبت خامس عشر ذى القعدة، ولما اتصل الخبر بالمترجم بارح مكناسة ناجيا بنفسه فى شيعته وأنصاره، ويوهم أنه يريد زيارة أبى محمد عبد السلام ابن مشيش، وكان الزمن زمن برد قارص وأمطار هاطلة، ولما علم العبيد بذلك اقتفوا أثره فوقع بينهما قتال كانت الكرة فيه على العبيد، فولوا الأدبار منهزمين وسار المترجم إلى أن وصل طنجة، فاستقبله الباشا أحمد الريفى بالإجلال والترحيب، وبقي فى ضيافته أياما، ثم استنجد الباشا المذكور وصديقة السلوى فى نصرته وشد عضده حتى يرجع لمكناسة، وينكل بمن سعى فى خلعه من العبيد.

ولما تعذر ذلك وحالت الظروف بينه وبين ما يريد، طلب من الباشا الريفى أن يوجه لمراكش، فأسعف رغبته وزوده بجميع ما يحتاج إليه ويكفيه من مئونة ومال ودواب لحمل أثقاله وأثقال أتباعه، وشيعته رسله من قبيلة إلى أخرى، إلى أن قطع تلك الجبال الفحشية، ووصل إلى كارت ومنها إلى الصحراء، ولما لم يحصل على ضالته المنشودة انقلب راجعا إلى أن وصل للقصبة التى كان بناها بجبال مسفيوة بناء محكما بواسطة أخيه وخليفته بمراكش المولى بناصر.

ثم دخل لمراكش فوفدت عليه القبائل الحوزية بهداياها وبيعاتهم ما عدا قبيلتى أحمر وعبدة، ومن انضم إليهما فإنهم رفضوا طاعته ولم يبايعوه، فأرسل لهم سبخته وأمنهم إن هم دخلوا فيما دخل فيه غيرهم، فوجهوا له مائة فارس منهم ومعهم كسوة أبى محمد صالح فلما مثلوا بين يديه، قتلهم عن آخرهم وأعطى خيلهم لدكالة.

وفى عاشر ربيع الثانى من عام ثلاثة وخمسين ومائة وألف اجتمع على جيش السلطان عبد الله الذى كان بأكدير شيعة المترجم من قبائل أحواز مراكش كالرحامنة ودكالة وزمران ومسفيوة ووقع بين الفريقين حرب شديد كانت الهزيمة فيه أولا على أتباع المترجم، ثم رجعت الكرة على الجيوش التى بأكادير لاشتغالهم بالسلب والنهب ولم يأخذوا بالأحوط والحزم، فأتاهم من خلفهم خليفة المترجم صنوه المولى بناصر واستولى على جميع ذخائرهم وأمتعتهم حتى الأخبية، ثم وقعت ملحمة أخرى بين الفريقين المذكورين فى التاسع والعشرين من جمادى الأولى كانت الهزيمة فيها على المترجم وأتباعه ففر إلى القصبة التى كان بناها بمسفيوة.

وفى أوائل محرم عام خمسة وخمسين دخل المترجم مكناسة عاصمة ملك أبيه، وأتت الوفود لتهنته وتقديم الطاعة إليه.

وفى أواخر المحرم أرسل الباشا أحمد الريفى لأهل فاس يطلب منهم تجديد البيعة للمترجم فلم يجيبوه لذلك، فاغتاظ وأضمر لهم سوءا، وخرج المستضىء لمضايقة فاس إلى أن يرضخوا لطاعته ونزل بظاهر فاس يوم الثلاثاء رابع عشرى ربيع الأول وصار يشن الغارة على البلاد.

وفى خامس عشرى الشهر وقع القتال بين العبيد أتباع المترجم ومن انضم إليهم، وبين أهل فاس وأشياعهم، وكان الحرب سجالا، ثم وافى السلطان عبد الله جيش جرار من البرابر، ولما رأى المترجم أنه لا قبل له بهم فر ليلا وحمل أمتعته وترك الأخبية مضروبة فارغة ليس بها ما يطلق عليه اسم شىء غير رجل أنهكه المرض، ولما أصبح الصباح رحفت إليهم الجنود البربرية فأخبرهم ذلك السقيم المخلف بحقيقة الواقع، وسار المترجم على بلاد شراكة والحياينة فنهبوا

الزرع والماشية، وسار على ورغة إلى أن دخل تازا ثم آب لمكناسة، ولم يدخلها
لفشو الطاعون بها إذ ذاك.

وفى عشية يوم الثلاثاء الثانى والعشرين من المحرم فاتح عام ستة وخمسين
ومائة وألف، نزل المترجم وصهره أحمد الريفى بالعسال من مزارع فاس قرب
وادى سبو، وأعجبتهم كثرة جنودهم المجندة منقسمة على قسمين قسم مع
المترجم، وقسم مع الريفى، وفى يوم الخميس رابع عشرى الشهر وقعت مناوشة
خفيفة بين محال المترجم ومحال أهل فاس.

وفى يوم السبت سادس عشرى الشهر وقعت معركة عظيمة مات فيها خلق،
ولما كان زوال يوم الخميس الثانى والعشرين من صفر حشد الريفى ومتبوعه
جنودهما وقطعوا قنطرة سبو، يريدون استئصال الجنود الفاسية، فقاذ الله فى
قلوب شيعة المترجم الرعب بدون قتال فولوا الأدبار، ووقع فيهم الطعن والقتل
فازدحموا على القنطرة وسقط فى الوادى عدد كثير منهم، وفر المترجم لبنى حسن
واحتمى بهم، وسار الريفى على بلاد صنهاجة يطوى المراحل إلى أن وصل طنجة
وترك جميع ما أتى به غنيمة.

ثم رجع المترجم بنواحي مكناس يأمل النصرة.

وفى ثانى جمادى الثانية دخل المترجم ومن انضم إليه من بنى حسن والعييد
وشردمة من البربر وذلك على حين غفلة من أهلها، ومدوا يد النهب والإفساد،
وجاسوا خلال البلاد؛ فقاومهم أهل البلد وأخرجوهم ناكسين وقتلوا منهم عددا
عديدا وقاموا على ساق فى تحصين البلاد.

وفى يوم الأحد التاسع عشر من رجب نزل المترجم على الرئيس عبد الحق
فينش صاحب سلا، وطلب منه النصرة فبايعه بسلا انتقاما من السلطان عبد الله
كما فى تاريخ الضعيف، ثم تبع أهل سلا، فى بيعة المترجم قبائل بنى حسن وفرقة

من عبید دكالة لا غیر، وقد راود أهل الرباط على الدخول فیما دخل فیہ أهل سلا، فأبوا من إجابته، فحاصرهم أربعة عشر شهرا وبالغ فی التضييق علیهم.

وكان ابتداء حصاره لهم فی رمضان العام وألقى القبض على أبی عیسی المهدي مرینو الأندلسی الذی صار قاضی الرباط بعد أن هم بئنتله، ثم سرحه وخلي سبيله لحفظه مختصر خليل.

وفی رجب الفرد عام سبعة وخمسين اتخذ السلاليم وأراد التسور بها على الثغر الرباطی لیلا من ناحية البحر، ولما أحس بذلك علج من الحرس الذی كان بالأبراج أخرج فیمن طلع نفضا مات منه خلق وكسرت تلك السلاليم، وتسارع أهل الرباط لإلقاء القبض على من انفلت من الموت ممن هبط إلى مدينتهم.

وفی ذی القعدة من العام أوقع المولى عبد الله بنی حسن وقعة كادت أن تحصد منهم كل شیء بئلماغت، ففر صاحب الترجمة لمسفیوة حیث كان اتخذ بها دارا فشرده منها صنوه أبو محمد عبد الله، فذهب إلى مراکش، فوجد صنوه الذی كان خليفة عنه بها وهو بناصر قد لبی داعی الله.

وفی ثمانية وخمسين ثار المترجم بجبال مسفیوة واجتمع علیه هنالك بعض الغوغاء أيضا وسماسرة الفتن وبایعوه، فوجه صنوه أبو محمد عبد الله من یشرده ویدد أحزابه وشبت بینهما حروب كان انطفاؤها بتشريد صائب الترجمة عن جبال مسفیوة، ولجأ إلى مراکش فطرده أهلها، فسار إلى دكالة فتامسنا بنی حسن، ولما لم یرفع له رأس فی جهة من الجهات المذكورة صرف وجهته لطنجة وأعمالها، واستقر به الثوی بالفحص، فأقام به آیاما عسف فیها أناسا منهم القائد عبد الکریم الریفی سجنه وسلمه واستصفی أمواله، فثار علیه بسبب ذلك أهل الریف وألقوا القبض علیه، وسلبوه من كل مال وتمامول وامتحنوه وأوثقوه وموا بتوجيهه لصنوه المولى عبد الله، ثم بدا لهم فسر حوه، فعند ذلك كتب لصنوه المذكور وكان یومئذ

بفاس يعتذر له عما صدر منه ويطلب منه محلاً يستقر به فأجابه بقوله: إنك لم تأت إلى ذنبا ولم ترتكب في حقى عيباً، إنما كنت تطلب ملك أبيض كما كنت أطلب ملك أبيض، والآن فإن أنت أردت الخمول مثلى فأقم بأصيلا واسكن بها، فانها أحسن من دار دبيبغ التي أنا بها، وأرح نفسك كما أرحتها، وإن كنت إنما تطلب الملك فشأنك وإياه فإني لا أنزعك فيه والسلام.

فلما وصل إليه هذا الكتاب من صنوه السلطان المذكور انتقل لأصيلا واستوطنها، واعتنى بها وأصلح منها ما يحتاج إلى الإصلاح كما أصلح دار الخضر غيلان التي بقصبتها وسكنها سنة أربع وستين ومائة وألف.

ثم اتصل به بعض الأشرار من قرناء السوء الذين يستفزه الطمع فدلوه على التكسب بالبيع والشراء في الزرع بجلبه من الداخلية ووسقه للبلاد الأجنبية فارتأى برأيه وتصدى لالتجار في ذلك، حتى تضرر الناس ورفعوا شكاياتهم للسلطان، فصار يقرع سن الندم على إذنه له في السكنى بالثغر المذكور، وأصدر أوامره إلى القائد أبى محمد عبد الله السفيناني بالزحف إلى المترجم وإرغامه على الخروج من أصيلا، وكتب لولده خليفته بمراكش أبى عبد الله محمد أن يبعث إليه من يعززه في إجلاء المترجم عن الثغر، فبعث سيدى محمد رفيقه ابن عمه أبا العلاء إدريس ابن المنتصر في مائة فارس وأمره باللحوق بالقائد المذكور طبق إشارة والده، فسار أبو العلاء إلى أن لحق بالسفيناني ونزلا على أصيلا وأرغما صاحب الترجمة على إخلائها، ولم يقبلوا منه عذراً في التأخير، فلم يسعه غير الخروج منها.

ثم استولى أبو العلاء على جميع أمتعته وأمواله وذخائره الحربية وغيرها، وتوجه بجميع ذلك لعمه السلطان أبى محمد عبد الله، وسار المترجم إلى أن نزل بضريح الشيخ أبى بكر بن العربى من فاس، ووجه ولده للسلطان يشكو بما فعل به خليفته ولده سيدى محمد فكان من جواب السلطان له قل لأبيك: لا سبيل لى عليه هو أعظم شوكة منى ومنك، فسر إلى بلاد أبيك وجدك وأرح نفسك من

التعب والموت قريب منى ومنك، فلما بلغه الجواب لم يسعه غير التوجه إلى صفرو، وذلك بعد أن ترك عياله بدار الشريف أبى محمد التهامى ونزل هو بدار الإمارة من صفرو.

ولما أوصل أبو العلاء للسلطان ما استولى عليه من أمتعة عمه المترجم أخذ السلطان البارود والسلاح، ووجه الباقي لربه قيل، ولما طال المشوى بصاحب الترجمة بصفرو، وبعث إلى آيت يوسى يندبهم لنصرته، والقيام بدعوته، فتخاذلوا عنه وأحالوه على آيت يدراسن وجروان وواعدوه بإسعاف رغبته إن أجابه المذكورون لمطلبه، ولما لم تنجح مساعيه بعث من أتى إليه بعياله وأثائه من فاس وذهب إلى سجلماصة فاستوطنها، وذلك فى عام ستة وستين ومائة وألف.

وكانت أيامه كلها غلاء ووباء ونحس مستمر، وما جلبناه فى هذه الترجمة هو الزبدة واللباب مما فى توارىخ أبى القاسم الزيانى وتابعيه، وتارىخ الضعيف، وتقاييد ابن إبراهيم الدكالى، مع مزيد إيضاح وتهذيب.

وزراؤه وقضاته وكتابه وعماله: فمن وزرائه العلامة أبو الحسن على بن سعيد العميرى آتى الترجمة، ومن قضاته أبو القاسم بن سعيد العميرى والشدادى، الأول على مكناس، والثانى على فاس.

ومن كتابه أبناء الوزير الیحمدى الحسن ومحمد.

ومن عماله الباشا محمد الدكالى، والباشا عبد المالك، والباشا سالم الدكالى.

بناؤه: منها داره التى لا زالت إلى الآن بمسفیوة أحواز مراکش مع قصبته.

بعض ما قيل فيه من المدح: من ذلك قول بعض أدباء العصر ولفظه:

ظفرت فصل ونل قدرا رفيعا أتاك الملك مستمعا مطيعا

وقد حقت لك العلياء فردا
مولاي المستضى قطب المعالى
نصحت فكنت ذا حزم وعزم
إذا دعى الملوك لأى أمر
أطاع بهيبة المنصور رغما
لك الأمر المطاع فدم هنيا
وحق لمن وليت من البرايا
وينعش آمنا بل مطمئنا
لأنك للرعية خير واق
حميت بسيفك المسلول منهم
وكم أوليت ذا بؤس نعيما
تصول إذا الوغى شبت لظاها
كأنك فيهم ليث عبوس
وأعجب ما رآه الناس طرا
سحائب فى يمينك أم بحار
أقر بها الانام فكل من قد
وصار لك المدا حقا يتادى:

فطب نفسا بما تهوى جميعا
لنا بنت العلا حصنا منيعا
فمن قدام بابك لن يضيعا
وكل الكل عنه وقد أضيعا
وإن لم يجتهد فيه سريعا
ودان لك الورى ريعا فريعا
وقد خاف الحوادث أن يريعا
قرير العين لا يخشى مريعا
تدافع عنهم الأمر الفظيعا
جنابا كاد قبلك أن يضيعا
وذا بأس تغادره صريعا
على الأبطال منشرحا وليعا
يطارد من ظبا داي قطيعا
مواهبك التى جلت صنيعا
تناولت المشايخ والرضيعا
رآك غدا سمائمه ريعا
ظفرت فصل ونل قدرا رفيعا

وفاته: توفى بسجل مائة بلده سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف، رحمه الله
وغفر لنا وله آمين.

٣٦٧ - مَسْلَمَة ويقال له بسلمة وسلامة ابن السلطان الأفخم أبى عبد الله محمد بن السلطان أبى محمد عبد الله ابن السلطان الأفخر أمير المؤمنين بالمغرب الأقصى أبى النصر إسماعيل الجد الأعلى.

حاله: كان جوادا كريما لا يكبر فى عينه شىء من متاع الدنيا وزينتها، آية فى السخاء وعلو الهمة، بطلا شجاعا، كريم الأخلاق والسجاياء، أمه شهرزاد العلجة، استخلفه شقيقه المولى اليزيد المترجم فيما يأتى لنا بحول الله ببلاد الهبط والجبل، وأسند إليه تدبير أمور ثغور تلك الجهة، وفوض إليه فى النظر فى مصالحها فأحبه أهلها لسلوكه فيهم مسلكا حسنا، ولذلك لما اتصل به نعى أخيه اليزيد المذكور ودعا لنفسه بايعه أهل تلك البلاد ولم يتخلف أحد منهم عن بيعته، واتفقت كلمتهم عليه، وذلك عشية يوم الجمعة ثانى رجب عام ستة ومائتين وألف.

وكان حامل راية بيعته أبو الحسن على بن أحمد بن الطيب الشريف الوزانى، وتشيع له جروان ودخيسة وأولاد نصير وآية يمور - وكانت منازلهم بسلفات - وبنو مستارة، وأهل جبل زرهون، وزمور، وزعير.

ولما تمت له البيعة وجه ولده الرشيد وجعفرًا لتطاوين بقصد إلقاء القبض على عشعاش وذلك يوم السبت الموالى ليوم بيعته، ولما وصلا إليه أنزلهما وبالح فى إكرامهما ونجا بنفسه ليلا إلى جبل العلم واستجار بضريح أبى محمد عبد السلام بن مشيش، فرجع الولدان المذكوران لأبيهما وقصا عليه القصص، وفى يوم الاثنين خامس الشهر ورد عليه قاضى تطاوين أبو محمد عبد السلام بن قريش وفى معيته الشرفاء والفقهاء والأعيان فاهتبل بوفادتهم، وأكرم نزلهم ووصلهم بصلات ضافية، وفى اليوم نفسه وردت عليه بيعة شفشاون مع قاضيهما عبد الكريم الوردى وأعيانها، ووفدت إليه القبائل الجبلية وأهل طنجة والعرائش والقصر

٣٦٧ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٧/ ٢٥٤٣.

الكبير ووزان، ووجه له البيعة أبو الحسن على الوزانى المذكور، وأهدى له فرسا من عتاق الخيل وندبه للإسراع إلى العاصمة المكناسية.

ثم وجه المترجم من يقطع رأس محمد وعزيز، وسعيد بن العياشى، وغيرهما من قواد العبيد فلما سمع بذلك وعزيز المذكور وجه للشيخ التاودى ابن سودة بفاس يطلب منه أن لا يبايع أحداً من أولاد السلطان سيدى محمد بن عبد الله، فأجابه الفقيه المذكور لتأخير ذلك إلى أن تجتمع كلمة المسلمين، ويتفق أهل الحل والربط على إحضار أبناء السلطان المذكور، وينظرون لأنفسهم من يبايعونه منهم بالتسليم أو القرعة، وإلا فالأحق بها هو مولانا هشام الذى حارب عليها وقتل أخاه، وهو أيضا بالأرض التى مات فيها السلطان، ثم بعد هذا بدا لوعزيز المطيرى المذكور أن يبايع أبا الربيع سليمان وزيف قول الفقيه المذكور وذلك بعد موافقة رؤساء العبيد معه على البيعة للمذكور.

أما المترجم فإنه أقام بتازروت، وفى يوم الثلاثاء الثالث عشر من رجب ورد عليه أبو محمد التهامى بن الحسنى بالفرس الذى أهده أبو الحسن على بن أحمد وتولى أبو محمد التهامى المذكور كلمة المترجم وصارت كالوزير له.

وفى يوم الأحد حادى عشر الشهر نهض المترجم من تازروت بخيل أهل الريف وسفيان وبنى مالك والخلط وطلق وغيرهم، وفرق فى الأشراف وغيرهم نقودا ذهبية وخيم بينى عروس، ومن الغد ارتحل بعد أن التقى بالمرباط السيد هدى وسار إلى أن نزل بزيتونة بنى كرفط، ومن الغد ظعن لوادى المخازن ودخل القصر يوم الخميس الثالث والعشرين من الشهر وأقام فيه فريضة الجمعة، وبات يوم السبت بصرصر، ونزل يوم الأحد بآرجن، وفى يوم الاثنين دخل وزان وخيم بالظهر الطويل، وأعطى الشرفاء ألف دينار ذهباً وكساهم بالملف والحريز والكتان.

وفى يوم الجمعة متم الشهر جددت له البيعة بوزان على يد أبى الحسن على ابن ريسون وخطب به الفقيه أبو عبد الله محمد الرهونى فأعطاه نحو خمسين ديناراً، وأظهر الشعار الملكى هنالك ولعب البارود طلقاً على الخيل، وقبل هذا

اليوم وردت عليه بيعة كلعية، ووفد عليه البعض من برابر زمور وآيت يمور وعرب بنى حسن، وتجرد أبو الحسن بن أحمد لندب القبائل للعض بالنواجذ على بيعة المترجم وحثهم على ذلك وكتب بذلك للشاوية، وسَلَا، والرباط.

وأما محمد وعزيز فإنه صار يندب الناس لبيعة أبي الربيع، وكتب للرباط وسَلَا أيضا والقبائل البربرية وأهل مكناس والعييد وفاس وتازا وغير ذلك، فأجابوه لبيعة أبي الربيع وبايعوه، فصارت الدولة دولات والملوك وكذلك: مولاي هشام أمير مراكش، وأبو الربيع أمير فاس، والمترجم أمير وزان والجبال الهبطية وما والى ذلك.

وفى يوم السبت فاتح شعبان قدم بنو مستارة لصاحب الترجمة فرسا برسم الهدية وكذلك قبيلة دخيسة وأولاد نصير وآيت يمور وجروان، وفيه أيضا وجه القائد عمر الرحيوى البخارى للإتيان بعيال أخيه اليزيد من تطاوين وكذلك من بقى بها من نساء أبيه.

وفى يوم الاثنين ثالث شعبان وردت عليه خيل جروان وآيت يمور وأثنى عليهم بالشجاعة والثبات، وأمرهم بالتعرض لمحلة العبيد التى بقيت بعد وفاة أخيه اليزيد بمراكش، حيث بلغه أنها من أهل طاعته فليتركوها وليعززوها إلى أن تأتى إليه، فإن رأوا أنها تريد للحوق بأخيه أبى الربيع فلينهبوها، فإنها حاملة للانفاض والسلاح والمزارق وغير ذلك مما خلفه اليزيد، ومعها نحو الثمانين بغلة وعدد رجالها ما بين فرسان ورماة نحو الألفين، ووصلهم بنقود ذهبية والتزم لهم بأداء دية من هلك منهم، وغرم ما عسى أن يموت أو يتلف لهم من أفراسهم فأجابوه بالسمع والطاعة، وتوجهوا لما أمروا به يوم الثلاثاء رابع شعبان فوجدوا المحلة التى توجهوا من أجلها دخلت مكناسة يوم الاثنين ثالث الشهر.

وفى يوم السبت الثامن منه بلغ الرحيوى المذكور أنفا جبل الحبيب راجعا من

تطاوين بمن ذكر من النساء اللاتى توجه لأجل الإتيان بهن للمترجم، فتعرض له عشعاش الذى كان صاحب الترجمة همّ بالإيقاع به أول ما بويغ له ونزع منه ما أتى به من مال ومتمول وسلاح وبارود وثياب، وأعانه على ذلك الشرفاء أولاد مولاي عبد السلام بن مشيش، وذلك يوم السبت الثامن من شعبان المذكور، وفيه وردت عليه ثلاثمائة فارس من زمر السّلاح مبايعين.

وفى اليوم نفسه اجتمع أهل العدوتين سَلَاً، والرباط بالزاوية التهامية بقصد المفاوضة فيمن يبايعونه من المنتصبين للملك، إذ المترجم كان قائماً بوزان وما والاها بما ذكر، وأبو الربيع سليمان بفاس ومن انضم إليهما، وهشام براكش ونواحيه، فوقع النزاع بين أهل العدوتين عبد الله بركاش مال لبيعة هشام محتجاً بأن أبناءهم تحت يده، وأنه قاتل على الملك حتى ظفر به، وأن كتابه يطلب مبايعتهم له سبق غيره فى الوصول إليهم، وبأنهم إن بايعوا سليمان أو مسلمة يقتل هشام أولادهم، وكانوا ثلاثين ما بين أهل الرباط وسَلَاً، فنازعه الحاج العباس مرينو وأبى إلا المبايعه لصاحب الترجمة، واحتج بكتاب أبى الحسن على بن أحمد الوزانى، فنازعه أولاد الرايس بكتاب من أبى عبد الله محمد بن عبد القادر يقول فيه: نحن أهل وزان ما بايعنا أحدا من سليمان ولا سلامة، وقال فقهاء أهل سَلَاً لبركاش: بايع من شئت، وحسبنا الإشهاد عليك، فأجابهم بقوله: لا نشهدوا على ولا أشهد عليكم، وأنتم فقهاء تحللون وتحرمون، فإن بايعتهم سلامة مكنونى من خط يدكم فإن ورد هشام نمكنه منه ودونكم وإياه، أو قدم سليمان فكذلك، وكان فقهاء العدوتين يريدون سلامة إلا محمد الغربى الرباطى، فإنه كان يعزز بركاش فى رأيه، ثم اتفق رأى العلماء بعد أخذ ورد على البيعة لأول قادم عليهم من المذكورين، ثم وقعت إثر ذلك حيل وخدع لا حاجة بنا لذكرها وقد بسطها الضعيف فى تاريخه.

وفى يوم الأربعاء الثانى عشر من شعبان وجه المترجم ولده جعفرًا مع بنى مالك وسفيان وبعض بنى حسن والبعض من زمور الشلح وآيت يمور ووصلهم بنصف دينار لكل نفر، وكانوا نحو الألفين وأمرهم بالتعرض لبوعزة القسطالى وقطع رأسه، ولما وصلوا وادى بهت وجدوه دخل مكناسة.

وفى اليوم نفسه وجه أبو الربيع سليمان أخاه الطيب فى جيش لمطاردة الرشيد ابن المترجم، إذ كان يومئذ مخيما بزrehون مع آيت يمور يشن للغارات على الزراهنة الذين هم فى طاعته، وكان المترجم بعث للعييد الذين خلفهم اليزيد محاصرين لسبته، وكان عددهم نحو الخمسمائة، ولما وافوه لوزان وجههم ردءًا لولده الرشيد المذكور، وفوض الأمر لرئيسهم ابن على، وأعطاه بطائق مختومة بخاتمه يكتب فيها للقبائل بما يراه مصلحة وفى اليوم نفسه وجه المترجم ولده جعفرًا لإغاثة صنوه الرشيد بزrehون مع آيت يمور وزمور الشلح وبنى مالك وسفيان وبنى حسن وغيرهم، فأوقعوا بمحال المترجم شر وقعة ونسفوا أموالهم وبددوا جموعهم، وفروا إلى الريف ولحق المترجم بابنيه المذكورين وابن أخيه الحسن.

ثم بعد ذلك نهض إليهم أبو الربيع فى جنود جرارة لا قبل لهم بها، ولما التقى الجمعان على ضفة وادى سبو بالمحل المعروف بالحجر الواقف وقعت الهزيمة على المترجم وأنصاره فى أول غارة، فولوا الأدبار وتركوا جميع مقوماتهم غنيمة باردة لأبى الربيع، ويأثر ذلك وافى نساء آيت يمور وصبيانهم على الحضرة السليمانية متشفعين تائبين، وفى العفو عنهم راغبين، فعفا عفو قادر، ثم بعد هذا عسكر المترجم وسط بلاد الحيانة فتوجه إليه أبو الربيع وفلَّ جموعه ورجع الحيانة فى قيود الهوان والصغار يطلبون العفو والأمان، فأمنهم قال فى الجيش: ولم يبق مع المترجم إلا خاصته وولده وابن أخيه الحسن بن يزيد.

وفى يوم الجمعة الرابع عشر فرق على عرب الصباح صندوقين من جعاب
المكاحل الرومية وكساهم وولى عليهم أحد أتباعه يسمى العياشى، وفى اليوم نفسه
وقع هرج ومرج برباط الفتح حيث إن بركاش المذكور رام أن يخطب بهشام والحاج
العباس أراد الخطبة بالترجم، وآخر الأمر لم ينفذ مراد واحد منهما، وصلى الناس
الجمعة ظهراً، وكثرت الأهوال، وفسدت الأحوال، واضطربت الأمور، وتخرجت
الصدور، وأصبحت الدوائر على المترجم تدور؛ وفى عهده فخلع نفسه وقد
كان فرق فى الأشراف وغيرهم نحو السبعين قنطاراً.

وفى ليلة السبت الثامن والعشرين من شعبان عام ستة ومائتين وألف، خرج
وزان ناجياً بنفسه، حيث رأى أن شوكة أخيه سليمان قد بلغت الغاية فى الشدة،
وكانت دولته بوزان نحو شهرين، ونفوذه سائر فى القبائل الجبلية وأهل الفحص
وما والى ذلك من الثغور.

ثم لم تزل أيدى التغريب والنوى تلعب به إلى أن رحل إلى الحج ودخل
مصر وأقام بها مدة، ثم توجه إلى مكة فنزل على سلطانها صهره على أخته، ثم
عاد إلى مصر، ومنها توجه إلى تونس فعظم أميرها حمودة باشا شأنه وأكرم مثواه
ونزله ورتب له جراية كجراية ولى عهده، وبقي بتونس معظماً مكرماً، وتزوج
عقيلة من بيت الشيخ القصرى أولدها ذكراً توفى صغيراً.

قال فى تعطير النواحي: زار المترجم إمام عصره الشيخ أبو إسحاق الرياحى،
ولما أراد الخروج قال له: لا أسرحك فى حر الشمس، وألزمه أن يتغدى معه، ولما
أراد الشيخ الرجوع عشية أنشد للمترجم.

ولما نزلنا فى ظلال ييوتكم	أُمنّا ولنلنا الخصب فى زمن المحل
ولو لم يزد إحسانكم وجميلكم	على البر من أهلى حسبتكم أهلى

فقال له المترجم: إنك إن أتيت أخى مدحته وأجارك وهو سلطان، وأنا غريب وكان بإصبعه خاتم ثمين فتزعه من خنصره وناوله الشيخ فأخذه الشيخ وضمه إلى صدره وأنشد:

نظرت لخاتم قد جل قدرا تحف به الخلافة والكرامة
فقلت له شرفت وأى فضل حويت بلبس مولانا سلامة

وقال له: إن خاتمك شريف، والشريف لا يستعمل، وقد أجازنى أخوك فى الدنيا وجائزتى منك فى الآخرة، ووضعه بين يديه فامتنع مولانا سلامة من قبوله، فقال له الشيخ: لا تحرمنى من جائزة الآخرة، فهى خير وأبقى والأعمال بالنيات فتركه الشيخ بين يديه، وخرج. رحم الله تعالى الجميع.

ثم بعد هذا عاد إلى المشرق ولم يزل يتردد به إلى أن وافته منيته.

هذا ملخص ما للزيانى، والضعيف، والجيش مع ترتيب، وتحرير وتهذيب، يظهر للقارئ المنصف بمراجعة الأصول.

وكان ختم أنفاسه بتونس بعد أن اعتراه شبه اختلال، وأقبر بزاوية أبى الحسن على عزوز قرب سوق البلاط، على ما أخبرنى به صاحب التعطير صديقى الحميم الشيخ عمر الرياحى التونسى حفيد الشيخ أبى إسحاق إبراهيم المذكور آنفا.

وقال أبو العباس أحمد وابن أبى الضياف التونسى فى تاريخه: إن مولاي مسلمة خرج من المغرب إثر خلعه وجاب الآفاق وأقام مدة بالديار المصرية، واجتمع فيها بنابليون الأول ووقعت بينهما المهادات، وكان هذا الشريف منصفاً يذكر ما شاهد من حزم نابليون وشجاعته وثقوب فكره وإخباره بما آل إليه حال المسلمين وأسبابه من الانغماس فى النعيم والتفنن فى الحضارة واستعمال السرف؛ فى مذاهب الترف، حتى إن أثقال أمراء الجيوش توازى أثقال الجيش أو معظمه،

والحال أن بيت هذا الأمير تحتوى على فراش منامه وموضع جلوسه وأمامه مائدة عليها دواة وقرطيس وأرائك لجلوس من يأتيه لا غير .

قال : واتفق أن يوم قدوم هذا الشريف الشيخ على الباهى بحلق الوادى فقال للكاهية : عجل بإرسال الشوانى لنزول الشريف فوراً ، فقال له نتوقف فى ذلك على إذن خاص من الباي ، فقال له : أنا رسوله إليك فى هذا الشأن وأتى الشيخ الباهى إلى الباي بباردو - وكان مقرباً عنده - فقال له : إنى افئت عليك فى أمر يزيدك فخراً ، وقص عليه الخبر ، فقال له : اشكر الله حيث لم يكن الأمر بالعكس ، فشكر صنعه وعظم مقدم الشريف وأكرم نزله ورتب له جارية كجارية أخيه ، وعين له منزلاً ، وبقي بتونس معظماً مكرماً مرموقاً بما يجب لمقامه الدينى والدنيوى ، وتزوج عقيلة من بيت الشيخ القصرى أولدها ولدا وتوفى صغيراً .

قال : وله فى الإيثار والسماحة أخبار ، ثم اعتراه فى آخر عمره جذب احتقر به مقام السلطان والدنيا القليل متاعها الفانى ، فكان يأخذ من الأغنياء ويتناول الفقراء ، إلى أن لبي ربه للدار الآخرة ، بهذه الحالة الفاخرة .

وفاته : قال ابن أبى الضياف : إنه توفى فى منتصف جمادى الثانية من عام خمسين ومائتين وألف ، ودفن بزاوية سيدى على عزوز ، بالحاضرة بموكب شهده الديوان والأعيان كجناز ملوك الحاضر رحمه الله .

٣٦٨ - مسعود الموقت ابن العلامة المشارك أبى محمد عبد القادر الطليطى الأندلسى .

الفاسى داراً نزيل مكناس وموقت جامع قصبته السلطانية .

حاله : خير دين فاضل ، نزيه وجيه له الباع الطويل العريض فى التوقيت ،

٣٦٨ - من مصادر ترجمته : نشر الثانى فى الموسوعة ١٨٢٧/٥ .

تولى رئاسة التوقيت بمنار القرويين، وبقي بها سنين عديدة، ثم نقله السلطان إلى مكناسة الزيتون، وولاه رئاسة توقيت جامع قصبته.

مشيخته: أخذ عن مشايخ فاس، وحصل التوقيت على الحافظ أبى زيد الفاسى.

وفاته: توفى بفاس سنة أربع ومائة وألف.

٣٦٩ - مسعود بن جلون.

القاطن بمكناسة الزيتون، ترجمه الزبى فى سلوك الطريق الوارية.

حاله: قال فى سلوك الطريق فى حقه: المرباط الأرضى، الخير الناسك الخامل، المتجرد المحب، إلى أن قال: كان رحمه الله سنيا، ذاكرًا محبا صادقًا، ذا أخلاق كريمة، وتواضع لله وللعباد، وخشوع وخضوع، ممن تعتريه الأحوال، وتظهر عليه ذو وجد وغيبة، يخبر عن أشياء فى حال سكره، وينكر فى حال صحوه، وكان متقشفا متجردا عن الدنيا وأهلها، لا يفتر لسانه عن ذكر الله، زوّارًا للصالحين الأحياء منهم والأموات، وله خبرة بمقابرهم، حتى كان رحمه الله ما دخلت مكناسة قط فى حياته وسلمت عليه إلا وقبضنى من يدى فى الحين، ويمر بى ويطوف بى على جميع من بمكناسة داخلها وخارجها من الأموات والأحياء، ولا يفارقنى مدة مقامى هناك ليلا ولا نهارا، وإذا ورد علينا لفاس لا يلتفت حتى يصل إلى دارنا وينادى علىّ، فإن وجدنى وإلا فيقول لأهل الدار: إذا جاء قولوا له: إن مسعودا جاء ساعيا بأبوابكم، وكان يعتمد الشيخين مولاي التهامى، وأخاه مولاي الطيب الشريفيين اليملاحيين الوزانيين رحمهما الله ورضى عنهما.

مشيخته: أخذ عن مولاي التهامى، وأخيه مولاي الطيب المذكورين.

وفاته: توفي بمكناسة الزيتون عام تسعة وستين ومائة وألف، كذا في سلوك الطريق الوارية.

٣٧٠ - مسعود البريشي.

حاله: كان متوليا خطة النيابة عن القاضى بالحضرة المكناسية، وقفت على رسم مؤدى عليه بتاريخ خامس عشرى حجة عام عشرين ومائتين وألف، محلى فيه بنائب قاضى الجماعة بالحضرتين فاس ومكناسة.

٣٧١ - المهدي الزريهني بالتصغير.

جد بنى الزرهوني بفاس وهم بربر من جبل زرهون.

حاله: شيخ فقيه صالح، خير متمسك بالدين، وأولاده فقهاء صلحاء، ذكره بعضهم فى تأليف له فى بيوتات فاس فى القديم، وكذا الشيخ أبو زيد الفاسى فى تأليف له فى ذلك، وهو أول قادم على فاس من زرهون، وانظر هل هو القاضى الزريهني الذى كان بفاس وكان صلبا فى الحق معاصرا لأبى الفضل راشد الوليدى، وأبى الحسن الصغير والله أعلم، ولم أحفظ تاريخ وفاته، بيد أنه مات بفاس.

٣٧٢ - المهدي بن عبد المالك بن إدريس بن عبد المالك بن المنتصر بن السلطان الأعظم سيدنا الجدد مولانا إسماعيل.

حاله: فقيه علامة مشارك، مطلع سياسى ناقد خبير حنكته التجارب، عارف بالأمور بصير بالعواقب، مهذب الأخلاق لين العريكة، محاضر فاضل، نبيل ذكى زكى، كريم النفس، عالى الهمة، وقور هيب، اجتمع فيه من العلم والفضل والدين والشعور ومكارم الأخلاق وحسن العشرة ما افترق فى غيره من أبناء

٣٧٢ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع ٧/٢٦٢١.

عصره، صاهره سيدنا الجد أبو زيد السلطان مولانا عبد الرحمن بن هشام بابتته الدرة المصونة السيدة زينب، وكان له لديه جاه ووجاهة، ثم جاء من بعده ولده السلطان سيدى محمد فزاده حظوة على حظوة، واصطفاه لمجالسته ومشاورته والمفاوضة معه فى المهمات، وكان لديه مستودع سره يتيان بأرائه لما يعلمه من فضله ودينه وأمانته، ولم يزل محبوبا مبجلا منظورا إليه بعين الإكبار والرعاية إلى أن لى الداعى، وانتقل لوطن الرحمة محمود المساعى.

مشيخته: أخذ عن فطاحل علماء وقته، ولازم العارف بالله مولاي عبد القادر العلمى، وانتفع بأسراره ومعارفه، وظهرت عليه بركته ولا كظهور شمس الظهيرة.

وفاته: توفى ببلده محروسة مكناسة الزيتون عام ثمانية وسبعين بموحدة بعد السين ومائتين وألف، ودفن بضريح أبى العباس أحمد الشبلى الولى الشهير قرب دار سكناه.

٣٧٣ - المهدي الكحاك.

من أولاد الكحاك من أهل فاس الإدريسية المستقرين بمكناسة الزيتون.

حاله: رأس المترسلين، وصدر الكتاب المعتبرين، قال أبو عبد الله محمد بن الطيب بن عبد السلام القادري فى الأزهار النادية لدى تعرضه لذكر المترجم ما لفظه: خدم السلطان مولانا عبد الله بن مولانا إسماعيل إلى أن سار إلى سوس، ثم خدم بعده أخاه السلطان مولاي المستضىء بالله ابن مولانا إسماعيل، ثم اتصل بخليفة العصر أمير المؤمنين سيدى محمد بن عبد الله الحسنى، فكان صدرهم، يحسن الإنشاء فى الترسيل ويجتنب الفضول والتوغل فى التصريف، ولا يتكلم إلا فيما يؤمر به مشغول بما يعنيه، يطلب من الرزق ما يكفيه، ولا يطمع فى أحد

سوى السلطان، على الهمة متعفف، ثقة كتاب العصر، يحب الخمول، هذا دأبه، إلى أن توفى بمكناسة الزيتون.

وفاته: توفى عام ثمانين ومائة وألف.

٣٧٤ - المهدي بن العلامة الخير الدين أبي محمد الطيب بن الصغير بصرى.
المكناسى النشأة والدار.

حاله: فقيه علامة عامل مشارك، محرر تحرير، متبحر نقاد متفنن، نبيل جليل، مدرس نفاع.

مشيخته: منهم السيد محمد فتحا بن محمد بصرى صاحب الثبت المذكور فيما مر وغيره، أخذ عنه الألفية وبعض مختصر خليل، وبهض الأجرومية، وصغرى السنوسى.

وفاته: توفى يوم الاثنين موفى عشرين من جمادى الأخيرة عام ثلاثة وتسعين ومائة وألف.

٣٧٥ - المهدي قاضيه شيخ شيوخنا أبو عيسى ابن الطالب بن محمد فتحًا ابن محمد الرضا بن أحمد بن محمد فتحا بن محمد بن عبد الرحمن ابن حمدون بن عبد الله بن القاضى على بن أبى القاسم بن القاسم.
أول قادم لفاس من غرناطة على عهد أبى عنان.

حاله: شيخ الإسلام، وحجة الأنام، بحر علم زاخر لا تكدره الدلاء، ولا يدرى له أول ولا آخر بين السراة الألباء؛ إمام الفقه والحديث والسير والأصول والفروع، متفرد فى المعقول والمنقول، ذو عارضة طويلة عريضة، وأبحاث دقيقة،

٣٧٤ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٢٤١٥/٧.

٣٧٥ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٢٦٥٧/٧.

ومشاركة كاملة فى سائر الفنون، ضابط متقن، راوية ذرب اللسان، ثبت الجنان، سياسى ماهر، مطلع خبير بصير بالعواقب، حامل لواء التحقيق فى زمانه، مشار إليه بالبنان بين أقرانه، درس العلم بأقطار المشرقين والمغربيين فأجاد وأفاد، وخلد الثناء عليه فى الأغوار والأنجاد، وكان شيخ مجلس السلطان العادل سيدنا الجد مولاي عبد الرحمن بن هشام، ثم السلطان سيدى محمد، ثم السلطان مولاي الحسن فى صحيح البخارى فى الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان.

رحل إلى الحج ثامن ربيع النبوى عام تسعة بتقديم المشناة وستين ومائتين وألف فحج وزار، ولقى هنالك جماعة من الفضلاء والأخيار، ودرس بمصر والحرمين، وأقر له بالفضل والتقديم دون مين، ووقع له هنالك ظهور كبير، أخبر به الجم الغفير، وقد مدحه غير واحد من أعلام تلك الأصقاع، فمن ذلك ما مدحه به الشيخ إبراهيم بن سراج الدين الإسكندراني وذلك فى ٢٥ ربيع الثانى عام ١٢٧٠ من جملة قصيدة طويلة:

فسبحان من أمضى على الجور حكمها وجدد بالمهدى ما كان أخلقه
همام له فى صولة البحث مدرك به أنطق الدين الحقيق ومنطقه
وما مدحه به الشيخ حسن بن الحاج على اللقانى فى جمادى الأولى عامه.
أفاتكة الأحاظ مائة القد أضلتك عن نهج الهداية والرشد
إلى أن قال:

أم الدين والدنيا أشارا وأشرقا فهل هذا روح الله أم قدم المهدى
همام له فى الفضل والعلم والعلا خصائص قد جلّت عن الحصر والعد
هو البحر بحر العلم والحلم والتقى وكشاف ما تخفى العبارة عن قصد

وهى طويلة طنانة مثبتة بخطه فى كناشته كسابقتها ولا حقتها .

وما قاله فى حقه الشيخ محمد محمود أفندى الإسكندرانى من قصيدة رائقة

طويلة :

إن يكن فى الهوى صدودك حظى	لا تدع للوشاة منك نصيبا
خل قوما هم الغواة فلانى	قد رأيت المهدي فينا قريبا
قام فينا للدين ركنا حصينا	وتخلى للعلم صدرا رحيبا
قرشى عنه سمعنا حديثا	فرأينا من الحديث عجيبا

ثم رحل ثانية إلى الحج فى معية أنجال السلطان المقدس مولاي عبد

الرحمن، وهم: موالينا على، وإبراهيم، وجعفر، وعبد الله، وابن عمهم أبو بكر

ابن عبد الواحد بن محمد بن عبد الله فبارحوا مكناسا يوم الاثنين خامس رمضان

من عام ١٢٧٤، ودخلوا مصر فى ١٢ شوال، وخرجوا منها فى تاسع ذى القعدة،

فدخلوا مكة يوم الجمعة ١٧ قعدة، ودرس بها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ

آمَنُوا... ﴿٢٣﴾ الآية ووقف على قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا...

﴿٣٨﴾ [سورة الحج ٢٣-٣٨] ومن ليلة الأحد سابع ذى الحجة توفى نجل

السلطان مولانا إبراهيم ودفن بالمعلى، بجوار مولاتنا خديجة، ثم رحلوا من مكة

ودخلوا المدينة سادس المحرم فاتح عام ١٢٧٥، ثم أعادوا الرجوع، فبلغوا إلى

الحضرة الملوكية بمكناس . أواخر صفر، وما جاء فى الاستقصا من أنهم لحقوا

بالأمير بمراكش سبق قلم، والحق ما نقلناه من خط المترجم مخبرا عن نفسه .

وقد عد فى كناشته حسبما وقفت عليه بخطه عدد المراحل التى قطعوها

وبعض الوقائع التى لاقوها فى طريقهم، وسمى شيوخ الأزهر الذين فرقت عليهم

صلة السلطان على اختلاف مذاهبهم وطبقاتهم بعد أن عين للطبقة الأولى ثمانية

وأربعين ريالاً، وللثانية خمسة وأربعين، وللثالثة اثنين وأربعين رها نص أسمائهم طبق ترتيبهم:

الطبقة الكبرى من المالكية خمسة وعشرون نفراً، وهم: الشيخ محمد عlish، الشيخ محمد المصوري، الشيخ محمد كموة، الشيخ أحمد منة الله، الشيخ عمر فتح الله، الشيخ بوشتي التائي، الشيخ عيسى الغزولي، الشيخ عمر البرطوسي، الشيخ حسن العدوي، الشيخ عبد الغنى المكواتي، الشيخ منصور كساب، الشيخ أحمد الإسماعيلي، الشيخ على الطهولي، الشيخ عيسى مرزوق، الشيخ ظفر الدسوقي، الشيخ محمد الحداد، الشيخ محمود بن الشيخ عlish، الشيخ محمد رايح التونسي، الشيخ عبد الله عlish؛ عبد المنعم الجرطاوي، الشيخ محمد قطة، مصحح الطبع الشيخ محمود الفيومي مكرم، الشيخ عبد الله الدسوقي.

الطبقة الثانية من المالكية عددهم ٢٢: محمد الصاوي، محمد البساطي، محمد السنهوري، محمدى أبوهر، إبراهيم دقيس، منصور المناوي، محمد بن شهاب، إبراهيم النائي، عبد الرحمن عlish، محمد الشماخ، محمد النظراوي، محمد الحفناوي، محمد هلال، أبو الحاج على، سليمان الصفن، عيسى البولاقي، عبد القاري المازني، محمد الكوفي، إبراهيم الدسوقي، أحمد السمخراطي، محمد الناصري، محمد العدوي.

الطبقة الثالثة من المالكية عددهم ٣٥: محمد الجزيري، محمد الشعبوتي، محمد نقموس، محمد العبادي، حسن داود، أحمد الشريف، عبد الفتاح المطيع، سليمان الخونكي، على شعبان، سليمان البولاقي، إسماعيل الخمري، مضر ناظر المساكين بمسجد أبي العباس بن طولون، عبد الله الطحاوي، محمد اللقاني، أحمد العطار، عبد الله المكارى، معتوق الفيومي، على الفيومي، محمد الكاوي، الموقت، محمد الأنجباوي، عبد الرحمن الفيومي، أحمد كبره، إبراهيم التونسي، محمد الفاسي، محمد الأيوبي، يوسف الطحاوي، محفوظ العدوي، أحمد

المسلاتي، عبد اللطيف الطهولي، الشيخ عرفة، رزق مجلس، على المصرعاوى،
عبد القادر المتيحى.

الطبقة الأولى من الشافعية: الشيخ إبراهيم الباجورى، الشيخ إبراهيم
السقاظفى المسلط، ظفر الذهبى، عبدة اللقانى، محمد الابراستى، أحمد أبو
مصلح، محمد الختانى، خليفة القشنى، عبد الله النبراوى، السيد أبو عماشة،
محمد الطوخى، يونس البوهى.

الطبقة الثانية منهم: عيسى البلتانى، على المخلاسى، إبراهيم الزور، محمد
الأشمونى، محمد العشماوى، محمد الدفلاوى، محمد الخطمى، نور الدين مسرا
بيردى، عبد الرحمن القيانى النجريدى، إسماعيل الكلاوى، محمد القلماوى،
حسن المرصفى، محمد السبكى الطحاوى، عبد القادر القبلى.

الطبقة الثالثة منهم: أحمد راضى، سيد الشرشمى، محمد عميرة، حسن
شخيخة، مصطفى عز، عبد الحى عبد اللطيف الشامى، محمود الغرى، فتوح
الشجرى، أحمد الغربى الشرقاوى، محمد الأنبانى، محمد مليحة، أحمد
الحماقى، فيروش الدمنهورى، على المناوى إمام الحسين، محمد البلقامى، ظفر
الأشراقى، عبد الله الكفراوى، أحمد الأجهورى، أحمد المرصفى، عبد النبى
البردينى، على الأسىوطى، صالح الياحياوى، إبراهيم الشجليقى، إبراهيم
الشافعى، سليمان الخواجة، محمد التينى خضر.

الطبقة الأولى من الخنفة: محمد العباس، المهدي الدافعى الطرابلسى،
محمد القطب، ظفر القرسنى، إسماعيل الحلبى، عبد الرحمن البحراوى، على
البلقى، عبد الحميد شيخ الأتراك.

الطبقة الثانية منهم: أحمد أبو العز، سليمان الخلفاوى، عبد المطلب إبراهيم
الربعى، حسن الخليلى، وهبة الأسىوطى.

الثالثة منهم: عبد العظيم الطحلاوى، عبد القادر الرافعى، إبراهيم القطب،
عبد الوهاب السليمانى، يوسف أفندى العاجز، أبو العلاء الخلفوى.

من الخنابلة الطبقة الأولى منهم: عبد الرحمن الحنبلى انتهى، لفظه.

وفى أوائل صفر عام اثنين وسبعين ولى قضاء بكدنا مكناسة الزيتون، وبقي واليا بها إلى أن نقله الله، ومع ما كان عليه المترجم من الحظوة والجاه، فقد كان كثير التنصل من توليته خطة القضاء، فقد وقفت على عدة مكاتب بعث بها إلى جلالة السلطان يطلب الإعفاء من الخطة ويعتذر بشدة رغبته فى التأليف والتدريس مع كبر السن، فلم يجب إلى رغبته لما عرف به من العدل والاستقامة والصرامة فى الحق.

فمن ذلك مكتوب بعث به إلى الوزير الطيب بو عشرين بتاريخ ٢٩ شوال عام ستة وسبعين ألح فيه كثيرا وأكثر من الاستعطاف، ومكتوب آخر بعث به إلى المذكور أيضا لم يدع بابا من أبواب الالتجاء إلى الاعتبار الشريفة إلا وكّجه، ومع ذلك قدمت جلالة الشريفة حقوق الأمة على حقوقه رحمه الله رحمة واسعة.

مشيخته: أخذ عن العلامة سيدى عبد السلام الأزمى التوفى يوم الأحد عاشر شعبان عام واحد وأربعين ومائتين وألف وهو عمدته فى المعقول، وعن السيد عبد القادر الكوهن المتوفى بطيبة الطيبة عام ثلاثة وخمسين ومائتين وألف وهو عمدته فى الفقه، وعن سيدى محمد الحراق وهو عمدته فى التفسير والحديث، وأجازه الثلاثة عامة، وعن سيدى على بن إدريس قصارة أخذ عنه النحو والحساب والعروض، وعن سيدى بدر الدين الحمومى، وشيخ الجماعة السيد محمد بن عبد الرحمن الفيلىانى وغيرهم.

الآخذون عنه: أخذ عنه بمصر الشيخ عlish، والشيخ عبد الهادى نجا الأييارى، وبدمشق الشيخ دكدوك، وبفاس أخوه السيد أحمد قاضى مكناسة من بعده، والحاج محمد جنون صاحب اختصار الرهونى، وشيخنا أبو العباس بن الخياط الزكارى، وشيخنا السيد العباس بن أحمد التازى، والعلامة سيدى جعفر الكتابى، والقاضى السيد حميد بالتصغير بنانى، وخلق وبمكناس السيد فضول ابن

عزوز، والسيد فضول السوسى، وابن الجيلانى السقاط، والسيد المختار الأجرأوى،
والسيد محمد الهويج وغيرهم.

مؤلفاته: حاشية على السلم فى المنطق وحاشية على رسالة العضد، وشرح
على الهمزية، وحاشيتان على الخرشى، وحاشية على المحلى على جمع الجوامع،
وحاشية على صحيح البخارى، وحاشية على السعد، وتقاييد كثيرة فى أوضاع
مختلفة.

شعره: من ذلك قوله داعيا ربه بتيسير الحج له ولإخواته:

يا ربنا يسر لنا المحجة	لبيتك العتيق كى نحججه
بالمال والصحة والهناء	ورفقة طيبة الثناء
يدعوك ربى أحمد والمهدى	وعمر متعهم بالقصد

وقد استجاب الله دعاءه فحج جميع من ذكر.

وقوله معتذرا وقد استدعاه السلطان الأعدل سيدى محمد بن عبد الرحمن
قدس سره، للخروج معه فى بعض أسفاره، وذلك فى ربيع الأول عام أربعة
وثمانين ومائتين وألف بواسطة وزيره السيد الطيب بن اليمانى حسبما ذلك بخط
يد المترجم فى كناشة له ومنها نقلت:

بلغت سنين فقل البصر	وأثقل فكرى وعظمى الكبر
وبان المنام وجمع الملاذ	فماذا أؤمل ما المنتظر
وأترابنا قد مضوا جملا	فكانوا كطيف بدا فغبر
وأنت الإمام الرؤوف الشفي	ق بكل الورى وجميع البشر
فكيف بمن عمره معكم	مضى فى الحديث وآى السور

وهذا شفيع عظيم فجد على من بدا عجزه فاعتذر
بقيت مشيداً لدين الإله ومنك ينال المنى والوطر

ولادته: ولد سنة عشرين ومائتين وألف بالحضرة الفاسية.

وفاته: توفى عن ثلاث وسبعين سنة عشية يوم الخميس رابع رمضان عام أربعة وتسعين ومائتين وألف، ووافق أن كان أول يوم من شتنبر، وصلى عليه من الغد بعد صلاة العصر بجامع القرويين، ودفن برحبة الزبيب بمحل اتخذ له زاوية بين مسجد عقبة الزرقاء المعلق الأسفل والمكتب الكائن أسفل منه.

٣٧٦ - المهدي بن علي الإسماعيلي.

الشريف الأصيل، نزيل أبار من تافيلالت.

حاله: ولي صالح، مكاشف فالح، ذو وجهة ودين متين، وأسرار ظاهرة، وأنوار باهرة، واستغراق في بحار المحبة الإلهية، والذات المحمدية، كثير التفكير والعبادة، دائم السكوت إلا لأمر بمعروف أو نهى عن منكر أو إبداء حكمة، يخبر بما كتته الضمائر، تواترت عنه كرامات، وخوارق عادات.

امتنحن أيام السلطان مولانا عبد الرحمن بالسجن في قيود الحديد في دار مكناسة أياما عديدة لأسباب كانت في الكتاب مسطورة، فكان يراه بعض الناس يحضر الجمعة بالمسجد الجامع والحال أنه مثقف عليه قيود الحديد، وإذا حان وقت الصلاة نزع القيد عن رجله وكان إذا مشى الهويانا لا يماشيه المهرول، حدثني غير واحد ممن وثقت بخبره من أهل بلدنا ممن كان يحرسه مدة اعتقاله أنه دخل يوم الجمعة حين حان وقت الصلاة على المترجم فوجد القيد مطروحا ولم يجد المقيد والحال أن الحرس بالباب، فتحير واشتد خوفا من العقوبة المحزنة التي تلحقه

٣٧٦ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع في الموسوعة ٢٦٦٤/٧.

حيث يعتقد فيه التفريط، فرجع للباب وجلس فى حيرة عظيمة فينما هو يضرب أخماسا فى أسداس إذ سمع نحنحة المترجم بالمحل، فدخل فزعا فوجده مقيدا، فقال له: مالك أخى حتى الصلاة مع الناس نتركها إلى غير هذا مما يطول.

ولما شاعت وذاعت فى الناس كراماته سرحه الأمير المذكور، وأبدى له أعذاره وطلب مسامحته، فسامحه على أنه لم يؤثر فيه ذلك شيئا، وحدثنى بعض أهل العدل الأعلام أنه أى المترجم كان يدعو للسلطان المذكور فقيل له: كيف تدعو له وهو قد فعل بك كيت وكيت؟ فأجابه بقوله: كيف لا تدعو ان كان السبب فى ربحك وفلاحك.

وبالجملة فقد كان المترجم كعبة خير وفضل وصلاح وفلاح، يطوف حولها أئمة الدين، وحملة شريعة خير العالمين، لاستصباح قلوبهم من فيض أنوار هديها، منظور إليه بعين الإكبار، والإجلال والاعتبار، معتقدا عند العامة والخاصة.

فلقد كان الشيخ القدوة الحاج محمد جنون كثير الإنكار على أهل الدعوى من المتصوفة شديد الشكيمة فى الله، ومع ذلك فلم يسعه غير الإذعان والخضوع والإقرار والاعتراف بفضل صاحب الترجمة، فكان إذا حل بفاس لا يتقاعد عن تعاهد زيارته ومن ذلك ما عاينه تلميذه أبو العلاء المولى إدريس الفضيلي العلوى، قال: رأيته - يعنى شيخه - جنونا يوما وقد دخل على صاحب الترجمة وحوله جمع عظيم يناهز المائة نسمة ما بين أشراف وعلماء وغيرهم، قال: وشيخنا رحمه الله محتبى بين يديه مطأطئ رأسه بعد أن احتبى حبات بين يديه، فلما رفع رأسه - أعنى صاحب الترجمة - طلب منه صالح دعائه فدعا له بخير وانتفع رحمه الله بدعائه.

وفاته: توفى بسجلماصة أواخر شعبان أو أوائل رمضان عام ستة وتسعين ومائتين وألف، ودفن بداره بأبار، إذ قد تنازع بعد وفاته فى مدفنه أهل تلك

البلاد، ثم أقرعوا فخرجت القرعة أن يدفن بقصره المذكور، وبنيت عليه قبة عظيمة، وله الآن هناك شهرة كبيرة، ولا تجد إلا من يلهج باسمه بتلك الأقطار رحمه الله ورحم به.

٣٧٧ - المهدي بن فضول بصرى.

حاله: شاب نشأ فى عبادة الله فقيه نجيب وجيه، فاضل نزيه، حى أريحي، مهذب طلب العلم ببلدة مكناسة ثم رحل لفاس بعد العشرين من هذا القرن، واستقر بمدرسة الشراطين من فاس، ولازم الأخذ عن شيوخها حتى فتحت له النجاة بابها ثم رجع لمسقط رأسه.

مشيخته: أخذ عن شيوخنا الجللة كالقاضى ابن عبد السلام الطاهرى، وأبى عبد الله بن الحسين العرائشى، والسيد الحاج المعطى بن عبود، وسيدى الفاطمى الشرادى، ومولاي عبد الله الفضيلى، وسيدى محمد بن قاسم القادري، وأبى العباس أحمد بن الجيلانى، وأبى العباس ابن الحياط الزكارى وغيرهم.

وفاته: توفى فى بلده مكناس عام أربعة وعشرين وثلاثمائة وألف.

٣٧٨ - موسى بن محمد بن معطى العبدوسى وبه عرف أبو عمران.

حاله: علامة محصل، ناقد خبير متضلع، نقاد مشارك، مفت مدرس نفاع، انتهت إليه رئاسة العلم والفتيا فى زمنه، آية فى المدونة، وكان الشيوخ يقولون: فقهاء العصر على ثلاثة أقسام: من أعطى الحفظ فقط، ومن أعطى الفهم فقط، ومن جمعا له وهو سيدى العبدوسى.

٣٧٨ - من مصادر ترجمته: «جذوة الاقتباس ٣٤٦/١»، شرف الطالب فى الموسوعة ٦٤٨/٢، كفاية المحتاج ٢٤٩/٢، نيل الابتهاج ٣٠٠/٢، وفيات ابن قنفذ - ص ٣٦٩.

قال ابن الخطيب القسطنطيني فيه: شيخنا ومفيدنا طريقة الفقه، الشيخ الحافظ، مجلسه بفاس أعظم المجالس، يحضره الفقهاء والمدرسون والصلحاء وحافظ المدونة يحضره من نسخها بيد الطلبة نحو أربعين، وله إدلال عجيب في إقراء التهذيب، سمعته يقول: لى أربعون سنة نقرأ المدونة، وفي عام وفاته وقف قارئ الرسالة على باب الجنائز فكره ذلك الطلبة وأرادوا الزيادة ففهم وقال لهم: كرهتم الوقوف على الجنائز، والله لا أقف إلا عليها، فوقف القارئ، وتوفي الشيخ تلك السنة وقال: كان له في الفقه مجلس لم يكن لغيره في زمانه، لازمته في المدونة، والرسالة بفاس ثمان سنين، وكان يعظم الشيخ أبا يعزى، ويحكى عنه في باب زكاة الحرث أنه يخرج للضعفاء تسعة أعشار صابته ويتمسك بالعشر، ويقول: من سوء أدبى أن أخرج العشر وأتمسك بتسعة أعشار.

مشيخته: أخذ عن عبد العزيز القورى، وأبى زيد عبد الرحمن الجزولى الذى ينسب إليه شرح الرسالة المتوفى فى حدود أربعين وسبعمئة، وهو عن الفقيه راشد كما أخذ المترجم عن غيرهما من حفاظ المذهب المالكي.

الآخذون عنه: منهم الإمام ابن عباد، وأبو حفص الرجراجي، وأبو عبد الله الهوارى، وابن الخطيب القسطنطيني، والحافظ عمران بن موسى الجاناتي وخلق. مؤلفاته: له تقييد على المدونة، وآخر على الرسالة، وقيد عنه الحافظ الجاناتي التقييد البديع على المدونة فى عشر مجلدات.

وفاته: توفي بمكناسة الزيتون كما فى الجذوة سنة ست وسبعين وسبعمئة - بتقديم السين على الموحدة فيهما - ورمز لوفاته صاحب الإعلام، بوفيات الإعلام، بلفظ (وعست) من قوله:

وجده موسى أبو عمران فى (وعست) وفاته الأقران

٣٧٩ - موسى العزاف.

حاله: صالح عارف كامل، له قدم عال في التقشف والصبر على سلوك سبيل الخير والمثابرة على فعل الأوامر واجتناب النواهي، أظهر الله على يده كرامات وخوارق عادات، ذكره العلامة المؤرخ الأديب أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحضرمي في كتابه السلسبيل العذب والمنهل الأحلى، المرفوع للخلافة العزيزة - يعنى المرينية - التي لا تزال مناقبها على مر الدهور تتلى، في سلك من تحلى سلكم في الأربعين في الجليل جيل فاس ومكناسة وسلاً، وذكر له كرامات. مشيخته: أخذ عن الشيخ أبي العباس بن عاشر السلاوي، ولم يذكر له الحضرمي وفاة.

٣٨٠ - موسى بن الحجاج أبو عيسى المكناسي.

حاله: إمام في العربية، قال في الروض محلياً له: بشيخ شيوخنا، يقوم على تسهيل ابن مالك، ويقرر الألفية بجامعها الأعظم تقريراً حسناً وكثيراً ما يتمثل:

خلت الديار فسدت غير مسود ومن الشقاء تفردى بالسودد
حدثني عنه بذلك الشيخ المعمر أبو عبد الله ابن الأستاذ ابن جابر. هـ.
ويغلب على ظني أنه هو صاحب الضريح الشهير المتبرك به بحومة التوتة إحدى حومات حضرتنا الهاشمية المكناسية والله أعلم.

٣٨١ - موسى بن علي الزرهوني.

المعروف بذي الصخرة دفين مدشر موساوة أحد مداشر جبل زرهون.
حاله: ولي شهير، عارف كبير، ذو سمت حسن، ولين عريكة وخلق مستحسن، يلوح عليه أثر الخير والصلاح، كان يأتي إلى الحجارة الكبيرة والصخور

العظيمة التي لا تطاق فيجهد نفسه في قلعتها وقلبها وتشيعها، فإذا قلعتها ودحرجها عن مكانها أخذ في الاعتبار، والتدبر في باهر صنع الواحد القهار، ولذلك سمي بذى الصخرة، وقد أظهر الله على يده كرامات وخوارق عادات.

مشيخته: أخذ عن سيدى عبد الله الخياط وغيره من صلحاء الأمة.

الآخذون عنه: أخذ عنه الولي الكبير أبو يحيى الخلطى الدخيسى المتوفى بفاس عام عشرة وألف.

وفاته: توفى بجبل زرهون أواسط العشرة التاسعة من القرن العاشر وضريحه بالمدشر المذكور مزاراة شهيرة مقصودة.

٣٨٢ - موسى بن أحمد^(١) بن مبارك.

حاله: شعلة ذكاء ودهاء ونباهة، تقدمت ترجمة والده وولده فى الأحمدين، ولاء السلطان أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن هشام الحجابة فقام بها أتم قيام إلى أن لى السلطان داعى مولاه، وأقره السلطان المقدس أبو على الحسن على وظيفه إلى أن استبد على الوزير الصدر إذ ذاك، ولم يزل مستبدا على المنصب إلى أن ختمت أنفاسه رحمه الله.

وقفت على كثير من رسائل مولاى الحسن إليه لما كان لا زال خليفة عن أبيه والمترجم هو الحاجب، بعضها بخطه كلها، والبعض بتوقيعه، والبعض بطابعه وهى فى الشئون التى كانت تجرى على يده وفى محل خلافته، وقد مرت بك أمثلة منها فى الترجمة المحمدية، وأقدمها تاريخا فيما رأيت أوائل عام واحد وثمانين، ويخزانتنا أيضاً مجلدات مجموع فيها بعض رسائل المترجم الرسمية التى كان يبعث بها فى العهد الحسنى.

٣٨٢ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٧/ ٢٦٦٢.

(١) فى إتحاف المطالع: «أحمد».

إليك بعضاً منها، وهى مما كتب به لأخيه باشا فاس فى مختلف الأوامر.
نص الأول بعد الحمدلة والصلاة:

«أخانا الأعز الأرضى، الفقيه العلامة الباشا الأسعد سيدى عبد الله بن أحمد، رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فقد وصلنا كتابك فى شأن ما كتب لك به السيد عبد السلام احرضان من جعل طابعك بعد ختم الكتاب فيما تكتب به للباشدورات ونحوهم، وتوقفك فى ذلك لما شرحتة، وصار ذلك بالبال، فقد أشار عليك بالقانون الجارى فى ذلك، وهو الذى نفعله نحن معهم، وجرى به العمل سابقاً: فلا يتوقف الأخ فيه، ولكل وقت عمل، ولكل فاعل حجة، والله يبارك فى عمر مولانا وينصر به أعلام الإسلام آمين، وعلى الأخوة والسلام فى ٢ فاتح محرم الحرام عام ١٢٩٥، نعم القنصوات الصغار والتجار فلا بأس بجعل الطابع لهم فى المحل المعهود أو بطرة أعلى الكتاب دون هؤلاء لأن مرتبتهم اقتضت لهم ذلك صح به.

موسى بن أحمد لطف الله به».

الثانى للقائد الجيلانى بن حم:

«محبتنا الأعز الأرضى القائد الجيلانى بن حم، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فإن باشدور جنس الطليان الذى كان بحضرة سيدنا أيده الله توجه لمحله على طريق عقبة العربى وقصر فرعون، فيأمرك مولانا أيده الله أن تكتب لخليفتك بزrehon بالقيام بمثونته ومثونة من معه من غير إسراف ولا تفريط، وأكد عليه فى القيام بالعسة عليه حتى يخرج من إياتك ولا بد وعلى المحبة والسلام وفى ٢٨ ربيع الثانى عام ١٢٩٢.

موسى بن أحمد لطف الله به».

الثالث:

«أخانا الأبر الأعز الأرضى، الطالب السيد عبد الله رعاك الله، وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فحامله إليك وصيف معتق ساكن بالصويرة اشتكى أن بنتا سرقت له منها وهى حرة تبعا لأمها، إذ هى حرة بالأصالة، وتداولتها الأيدى إلى أن كان آخر علمه بها أنها وصلت ليد ولد مزوارة الدكالى العمرى، أحد أمناء قبيلته، وقدم بها لفاس، ثم الله أعلم بما فعل بها، إذ لا تحقيق عنده فيها، والآن فلا بُدّ ابحث عنها وهو يبحث أيضا واستنشق خبرها حتى تعثر عليها عند من هى، ثم إن سلمها له من وجدت عنده فذاك، وإلا فثقفها على يدك وأعلمنا، وعلى الأخوة والمحبة والسلام فى ١١ شوال عام ١٢٩٢.

موسى بن أحمد لطف الله به».

الرابع:

«أخانا الأعز الأرضى، الباشا الفقيه السيد عبد الله بن أحمد رعاك الله، بوجود سيدنا أيده الله.

وبعد: فغير خاف على إخوتك أن الشريف اللطيف الفقيه العلامة مولانا الصديق طالما يطلب منّا حين كُنّا بفاس بأن يصل معك الرحم من لدن سمع بولايتك على أهل فاس، وأن يبارك لك فيها، ولم يساعد على ذلك فى تلك الساعة، ولما ورد على حضرة مولانا أيده الله طلب منه ذلك فساعدته أيده الله عليها، وهاهو يرد عليك فلا بد استوص به خيرا، لكونك اليوم أنت باشا، وأما قبل كنت مخزنيا مثلنا وعلى الأخوة والسلام وفى ٢٤ شوال عام ١٢٩٢ ومنه وقد ضرب له سيدنا أيده الله أجلا. بأن لا يزيد عليه ولا ينقص.

موسى بن أحمد لطف الله به».

الخامس:

«أخانا الأعز الأسعد، الفقيه الباشا الأنجد، أديب الزمان، وعين الأعيان، الرئيس الذى انتخبه الله لرتب المجد والجاه، أبا محمد سيدى عبد الله، أدام سلامتك، وأبقى فى الحق صرامتك، وسلام على أخى ورحمة الله تعالى وبركاته عن خير سيدنا أيده الله ونصره.

وبعد: فإن القائد عبد الله الدليمى طلب من سيدنا نصره الله ومنا أن يكون من خدامك ويخدم معك ولده أيضا وتكلفه بالأمور التى يناسب تكليفه بها، وإن أردت من إخوانه نحو العشرة أو أكثر يمدك بهم لتستخدمهم معك إقرارا بإحسانك القديم معه، وكونه منحاشا لجانبنا ومن أهل محبتنا، وقال: إنما هو واحد من أصحابك، فأجاب سيدنا أيده الله أن نكتب لك بمطلبه والاعتناء به، فلا بد أخى استخدمه وولده ومن أحببته يخدم معك من إخوانه مراعاة لمحبتة فى جانبنا معا، وتعلقه بأذيال كرمنا، بارك الله فيك، وأدام عزك، وحفظنا فيك وعلى الأخوة والمحبة والسلام فى ٢٦ شوال عام ١٢٩٢.

موسى بن أحمد لطف الله به».

السادس:

«أخانا الأعز الفقيه العلامة الباشا الأسعد السيد عبد الله بن أحمد، رعاك الله، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فعن أمر مولانا نصره الله مر الأئمة أن يصنعوا غشاء من الموبر المطرز بقصد الكتاب الشريف الموجه للدولة الفرنصوية صجبة الأمين الحاج محمد الزبدي، حسبما يشير به عليهم ولابد، وعلى المحبة والسلام فى ٢١ ذى القعدة الحرام عام ١٢٩٢.

موسى بن أحمد لطف الله به».

السابع:

«أخانا الأعز الأرضى الفقيه الأمجد السيد عبد الله بن أحمد، رعاك الله والسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فعن أمر سيدنا أعزه الله نفذ لعيال المعلمين الستة الذين توجهوا للوندریز من النجار والفخار والحداد ومن معهم نصف ما قبضوه من الصلة والزرع عند سفرهم إعانة لهم، وعلى الأخوة والمحبة والسلام فى ١٢ من جمادى الثانية عام ١٢٩٣.

موسى بن أحمد لطف الله به».

الثامن:

«صنونا الأعز الأرضى الفقيه الأجل الباشا سيدى عبد الله بن أحمد، سلام عليك ورحمة الله تعالى عن خير سيدنا أيده الله ونصره.

وبعد: فعن أمر سيدنا المنصور بالله نفذ للستة والعشرين رجلا من طلبة الهندسة من الصويرة وآسفى وتردانت زادهم، واكثر لهم مراكبهم واصلين لبلادهم ومركوبهم واصلا إلى محل كل واحد منهم ومؤنتهم ما داموا مقيمين هنالك من أمناء دار عدیل ولا بد، وعلى أخوتك التامة والسلام ١٢ جمدى الثانى ١٢٩٣.

موسى بن أحمد لطف الله به».

التاسع:

«أخانا الأبر الأعز الأرضى، الفقيه العلامة الأجل الأحظى الباشا الأسعد، السيد الحاج عبد الله بن أحمد، أعانك الله ورعاك، وسلام عليك ورحمة الله تعالى عن خير سيدنا نصره الله.

وبعد: فقد وصلنا كتابك مخبرا بما أقلقكم مما أشاعه المرجسون لا بلغهم الله مناهم، وما حصل لكم من العنت لأجل بطاء الخبر الحق عن كنه الحال حتى حملكم ذلك على توجيه وصفانكم وأصحابكم لمشافهتنا وعلم حقيقة ما لدينا، فلا شك عندنا فى اعتنائك وتشوفك لخبرنا وكيف لا، ونحن نفس واحدة، وهل عندنا أعز منك أو عندك أعز منا ! ولأى شىء تشوف إن لم تشوف لخبرنا، أدام الله عافيتنا وعافيتك، وشد أزرنا بك، وبارك فيك وفى ذريتك، وقد شافهنا الوصفان والأصحاب ورأوا وسمعوا لما قدمنا لك أولا وثانيا، والحمد لله الذى بنعمته وفضله تتم الصالحات، وعلى الأخوة والمحبة والسلام فى مهل رجب الفرد الحرام عام ١٢٩٣.

موسى بن أحمد لطف الله به.

العاشر:

«أخانا الأعز الأود، الفقيه النبيه الأمجد سيدى عبد الله بن أحمد، حفظك الله وسلام عليك ورحمة عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فإن أهل الذمة بفاس ذكروا أن الذين يحفرون أساس السور الذى يإزاء قبورهم جعلوا يحفرون التراب الذى بالقبور مختلطا بعظام موتاهم وبينون به وتضرروا بذلك وتشكوا منه، فأنهينا لمولانا المنصور بالله شكواهم فقال أيده الله: أما القبور الخارجة عن الأساس فلا تمس أصلا، وما وجد منها بالأساس ينقل لداخل مقبرتهم ويدفن ولا يرمى به، ويعين اليهود من يحضر منهم لذلك والوقوف عليه، وإن احتيج إلى التراب للبناء يؤتى به من الفضاء ولا بد عن أمر سيدنا أيده الله، وعلى المحبة والأخوة والسلام ٨ رجب عام ١٢٩٣.

موسى بن أحمد لطف الله به.

الحادى عشر فى السرور بانتصار الأتراك على الروسيا فى حربهما:

«أخانا الأعز الأرضى الفقيه العلامة الأحطى الباشا الأسعد سيدى عبد الله

بن أحمد، رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: وصلنا كتابك وبطيه المكاتيب الواردة فى شأن ما سناه الله لعساكر

المسلمين من الفتح والظفر، ووقوع الكرة على من بغى وكفر، رقد أطلنا بمضمونها

العلم الشريف أعزه الله، وصار من سيادته على بال، وقد سر بذلك غاية، ودعا

للمسلمين بالنصر والظفر أعلى الله منار الإسلام والمسلمين؛ ومنح لهم الفتح

المؤزر المتين، وكبت أعداء الله المعتدين، آمين. وقد أحسنت فى تأكيد الإعلام،

وزيادة الاهتمام، وعلى الأخوة والسلام فى ٥ شعبان عام ١٢٩٤.

موسى بن أحمد لطف الله به».

الثانى عشر:

«الأخ الأعز الأرضى، الفقيه العلامة الأمجد، السيد عبد الله بن أحمد،

رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فقد وصلنا كتابك مخبرا بأن الأمناء أحصوا ما بالقوس السعيد من

مال المستفادات الواردة من المراسى وغيرها ودفعوا مفتاحه للسيد عبد الوهاب

الشامى امثالاً للأمر الشريف، ووصلت الورقة المجملة التى فيها جميع الداخل

على القوس والخارج منه التى دفع لك الأمناء، وقد روجعت وقوبلت مع الكناش

الذى وجهه السيد عبد الوهاب، فوجد الفرق بينهما فى الباقي بالقوس تسعين ألف

مثقال أخرج منه ما هو كسر فى سكة المال الوارد من مستفادات المراسى بعد رده

لريال سوم ٣٢، وبقي تسعة وأربعون ألف مثقال زائدة فى زمام الأمناء، ولم

نعرف هل وردت بعد توجيه الكناش فلم تدخل له، أم كيف الواقع؟ هذا وقد

قوبل كناش القوس تفصيلاً مع ما هنا فى كنانيش الحضرة الشريفة فوجد فيها فرق

كبير من مستفاد المراسى وغيرها لم يدخل بكناش القوس ولا عد فى الخارج، ولم ندر هل تأخرت بالمراسى ولم تصل أو وصلت وحازها الأمان قبل أن تدخل للقوس أم غير ذلك؟ مع أن الواجب أن يدخل كل شىء للقوس حتى يستقر به ويقيد فى كناشة، ثم يخرج ويثبت فى الخارج.

كما أنا عثرنا على أمور مذكورة فى كنانيش دار المخزن لم نجد لها ذكرا فى كناش القوس، وهما رِمام فيه تفصيلها فأطلع عليه الأمان وأجبنا بجوابهم، وهذا نوع من التخليط الذى ذكر فى كتاب الشريف، واشمأز منه الأمان وانتصرت لهم، وكنا نتظر بيانها لنجيبك به، وحين يظهر نوع آخر نعلمك به، فنبههم ليسلكوا الجادة ويضبطوا الأمر، فإن هذه التعذرات إنما تنشأ منهم، ولو صاروا على النهج الصافى الذى عينه لهم مولانا نصره الله عند سفره لم يقع تعذر ولا تخليط وعلى الأخوة والسلام فى ٢١ صفر عام ١٢٩٥.

موسى بن أحمد لطف الله به.

الثالث عشر:

«أخانا الأعز الأرضى الفقيه النبيه الباشا الأسعد، سيدى عبد الله بن أحمد، رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته عن خير سيدنا نصره الله.

وبعد: فقد أخبر باشادور النجليز بأن هذه مدة من أربعة أشهر منذ كتب لك بالأخذ بيد التاجر الذى كلفه بشراء الزليج لوزيرهم، وإعانتته على ذلك، وإخباره بالثمن الذى اشتراه به فأهملت جوابه، وتغرضت التاجر على شرائه بالثمن الذى يباع به، ولم تبادل به، وعليه فلا بد ثم لا بد خذ بيده فى شراء ما توقف عليه من ذلك، وكن تعامله بمزيد الاعتناء والمراعاة وتقف فى قضاء ما يعرض له عندك، فغير خاف عليك أنه من أنصح النواب وأحبهم فى الجنب الشريف، وأتمهم وقوفا

فى قضاء الأغراض المولوية، والسعى فى مصالح الدولة الشريفة، ولو لم يكن من ذلك ألا تعلم عسكرنا ببلادہ وما يمت به من محبة الجنا ب العالى بالله ومحبتنا لكان كافيا فى الاعتناء بجنا بة وتسويغ مطالبه، وعلى الأخوة والسلام فى ٤ ربيع الثانى عام ١٢٩٥.

موسى بن أ حمد لطف الله به».

الرابع عشر:

«الأخ الأعز الأرضى الفقيه العلامة الأمجد، سيدى عبد الله بن أ حمد رعاك الله وحفظك، سلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فقد وصلنا كتابك وبطيه نسخة من الكتاب الذى كتبه لك السيد محمد بركاش فى شأن إعلامه فى كل جمعة ٤ مرات بعدد من مات وبأى ألم مات وبما أجبته به على ظهره، وعرفنا مضمن ذلك وأنهينا لمولانا أعزه الله فقال أيدة الله: قد أجبته وأحسن الجواب، ولا يلزما شرعا ولا طبعاً ولا قانوناً أن نخبرهم بما عندنا فى ذلك، ونتكلف للرقاقيص وأجرتهم، وعلى الأخوة والسلام فى متم رمضان المعظم عام ١٢٩٥.

موسى بن أ حمد لطف الله به».

الخامس عشر:

«أخانا الأعز الأرضى، الفقيه العلامة الأمجد، سيدى عبد الله بن أ حمد رعاك الله، وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا المنصور بالله.

وبعد: فقد وصلنا كتابك وبطيه تقييد ما أخرج من القوس من مشاهرات النجليز على يد الأمناء، وما أخرج بعد وقوف الشامى، وذكرت أن الذى أخرج من بيت المال مقيد فى كناشه، ولم يؤذن للأمناء فى فتحه ليتصفحوه، وقد أنهينا

ذلك لعلم مولانا نصره الله، وصار منه بالبال، فأمر أيده الله أن يفتح بيت المال ويتصفح كناشه ويؤخذ منه المشاهرات المذكورة، ويضاف لها ما دفع من القوس ليكون التقييد على نسق واحد، وقد توجه لكم الأمر الشريف بفتحه وإخراج مائتي ألف مثقال منه الصائر فإن وجد كم الحال لازلتم لم تخرجوها فيتصفح الأمانة عند إدارة إخراجها، وإن وجدهم الحال أخرجوها فيعيدوا فتحه وتصفح الكناش لأجل ذلك ويعلموا قدر الداخل لبيت المال والخارج منه والباقي، ويطلعوا به العلم الشريف ليكون فيه على بصيرة، وها كتاب مولاي إسماعيل بأُساعدة على فتحه يصلكم.

وعلى الأخوة والسلام فى ٦ شوال الأبرك عام ١٢٩٥.

موسى بن أحمد لطف الله به.

السادس عشر:

«أخانا الفقيه العلامة الأرضى، الباشا الأحظى، سيدى عبد الله بن أحمد، رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير سيدنا نصره الله.

وبعد: فقد وصلنا كتابك مخبرا بورود آيت ولال، وآيت عياش، وآيت سليمان، وآيت لحسن وشعيب على الاعتبار الشريفة، وولاية عبد الوهاب الذى كان خليفة عند ولد مامة عليهم، كما ورد آيت نعمان، وآيت لحسن وعمرو وتوافقوا على ولاية اليزيد وولى عليهم، وذكرت أن الفرق ٤ الأولى هم ربع بنى مطير والفرقتان الأخيرتان هى الخمس، وقد أنهينا ذلك لمولانا أيده الله وصار بياله الشريف، وقد كتب سيدنا الخليفة مولاي إسماعيل بذلك غير أنكم لم تعرجوا على ذكر ولاية آيت شغر وشن الذين كانوا مضافين إليهم، فلا بد أجروهم ذلك

المجرى، وكذلك من بقى من فرق بنى مطير حسبما تقدم لكم، وعلى الأخوة والسلام فى ١٥ حجة الحرام متم عام ١٢٩٥.

موسى بن أحمد لطف الله به.

هذا وقد كان مخدمه المذكور السلطان المولى الحسن يجعله ويحترمه ويعتبر له سابقة خدمته.

وفاته: ولما قبضه الله إليه فى محرم عام ستة وتسعين ومائتين وألف، شيع السلطان جنازته بنفسه، وأقبره مع والده المقدس وسلفه الأكرمين بضريح مولاى على الشريف من باب إيلان بالحاضرة المراكشية رحمه الله.

ورثاه الأديب الكاتب السيد إدريس بن إدريس بقوله حسبما نقلته من خطه:

عش ما تشاء وأكثرن أو اقصد	ما ذى الحياة على الأنام بسرمد
لا بد من يوم ترد ودائع	هيهات ليس بممكن أن تفتدى
هذى المنايا لا تغادر صالحا	كلا ولا ترثى لحبر سيد
فتكاتها فى العالمين شهيرة	بالقهر تعبت فى العباد وتعتدى
لو كان يدفع بالعشائر مكرها	خلدت عصائب تستعز باجند
أو لو بحسن الفعل والقول السديد	مد بقى الوزير ولم يكن بموسد
لكنها الأعمار تطوى سرعة	كمـلاءة بأكف جلد أيد
والمرء تحسبه مقيما وهو فى	سفر يخلف فدفا فى فدفا
أين البرامكة الكرام وأين من	سادوا وجادوا بالمبرة واليد
أين ابن يحيى جعفر وأبوه والـ	فضل ابن سهل وابن طاهر من هدى

رك بعده وابن العميد المحتدى
والفتيح والمنصور ممدود اليد
أفناهم الجد المحتم لا اللد
تالله ما أحد بها بمخلد
أوطانها لا تبخاى بل اسعدى
موسى الكريم البر نخبة أحمد
وجمال وجه الدهر والفخر الندى
وأجل آمالى وغاية مقصدي
فينا أسى من حائر متبلد
حزنا وكان بها مكان الإثم
كانت به الدنيا ضيا كالأسعد
من لم يجد بالدمع ليس بجيد
يح وكل دوح فى العلا متأود
من صالح من للرشاد مسددى
نة والعفاف وللتقى والمسجد
ب وللقريب وللبعيد المجتدى
ر والصغائر والأمور اللبد
ب المدلهمة الزمان الأنكد

أين الوزير ابن الخطيب وابن زم
أيت ابن مقلة وأين ماهان الفتى
أين الأوائل والأواخر كلهم
ساروا كراما ثم نتبع نهجهم
يا عين جودى بالدموع فهذه
أوما نعى الناعون نبراس العلا
أوما نعوا طود العلوم وبحرها
أوما نعوا خلى ومالك مهجتي
تبا لها من قاله كم غادرت
مرهت جفون الدهر من فقدانه
وعرت محياه الكآبة بعد ما
فليبكه الباكون طلق جفونهم
وليبكه القرطاس والقلم الفصل
موسى بن أحمد من لما أسسته
من للديانة والصيانة والحناء
من للضعيف وللكتيب وللغريد
من للمفاخر والمآثر والكباء
من للمهمة والملمة والصعا

(١) المأثرة: المكرمة. الجمع مآثر.

سة والنفاسة والعللا والسؤدد
لمراد مولاك المديك الأوحـد
حق عليك لأمره أن تسجـدى
فليتخذ نهجا سوى أو يردد
كانت لخير العالمين محمد
تتلى ووارثه الزكى المولد
مثل النجيب البر الأرضى أحمد
ووسيلة فى ذا السبيل الأحمد
وقضى الزمان بطاعة وتهجد
وليهنه ما يرتجيه فى غد
من بره بمحل عـز مـهد
ومبرة فى ظل عيش أرغد
متنـعـما فيها باعلا مقعد
تترا على قبر النبى محمد
جازت مزايهم مناط الفرقـد
عش ما تشاء وأكثرن أو أقصد

من للسياسة والرياسة والكيـا
نفسى تعزى واصبرى واستسلمى
وإذا قضى أمرا بماضى حكمه
ما ثم إلا ما أراد ومن أبى
لو كان خير فى الخلود لماجد
ولئن مَضَى فلقد بقت أخلاقه
ما مات من ترك الخليفة بعده
كلا ولا ضاع امرؤ له علقـة
خدم الخلافة ناصحا متبصرا
فليهنه ما نال من رضوانه
وليهن أنجالا له قد أنزلوا
لقاه مولاه الكريم مسرة
بجوار خير المرسلين وآله
وصلاة ربى والملائكة العـلا
وعلى كرام الصـحب والآل الألى
ما قال محزون على ألافه

وقد كتب السلطان المولى الحسن رحمه الله بخطه بقلمه الخفيف على نسخة
هذه المراثية ما نصه: «وهو كذلك رحمه الله وفوق ذلك وتوجه لابن الحاج يجعلها
فى تاريخه لفصاحتها وبلاغتها وعذوبتها».

٣٨٣ - الموهوب بن الإدريس الشيبهـى .

نزىل زاوية زرهون .

حاله : فقيه مدرس فاضل ، ماجد جليل ، عدل مبرز نبىل .

وفاته : توفى ببلده زاوية زرهون تاسع عشر شعبان عام ثلاثة وثلاثين وثلاثمائة وألف ، ودفن بالظهير خارج الزاوية .

٣٨٤ - المؤذن الكاتب .

من بنى المؤذن السجلماسىين .

حاله : فقيه نبيه ، كاتب مؤرخ نسابة ، ثقة ثبت ، مطلع سحاضر لودعى ، لىب نقاد ، ناظم نائر ، يحسن الإنشاء والترسىل ، بديع الخط ، ممتع المجالسة ، سريـع الجواب مع إصـابة المرمى فيه ، عين لمخدومه السلطان الأعظم سيدنا الجد الأكبر مولانا إسماعىل يوصل إىله من أخبار الرعية ما تظافر غيره على كتمانـه عنه ، ويفرغ ذلك فى قوالب لطيفة خيالية مضحكة ، لا يعقلها إلا العالمون .

كان فى أول أمره ينسخ الكتب للسلطان مولانا الرشيد بن الشريف المترجم سابقا ، وذلك سبب اتصاله به إذ أعجبه حسن خطه ، ولما أحضر بين يديه بعد أن طلبه لخدمته وقعت له به غبطة ، وحصلت له لديه مكانه مكينة ، لما رأى من نباهته وتيقظه ورجحان عقله وحسن سياسته ودهائه ، فصار من أخص ندمائه ، يمازحه ويضحكه بما لم يقدر أحد لأن ينطق به بين يديه ، ويخصه بسرـه ويشاوره فى مهمات الأمور ، ويعمل بإرشاداته الصائبة المحمودـة العقبى ، ولم يزل المترجم ملازما لخدمة السلطان المولى الرشيد إلى أن لى داعى مولاه ، فخدم بعده المولى أحمد بن محرر ، إلى أن قتل بسوس ، ثم خدم السلطان مولانا إسماعىل فقربه واصطفاه أنيسا وجليسا .

وكانت للمترجم زوجة ذات آداب ومعرفة بالنظام البيتي اللائق بالملك، فكانت تهذب نساء السلطان مولانا إسماعيل وتعلمهن ما لم يكن لهم به معرفة، فازدادت بذلك عند السلطان مكانة ورد عليها وعلى إختوتها ما لم يبع من أصول والدهم أحمد بن صالح الليريني رئيس فاس الذى كان أوقع القبض عليه المولى الرشيد لما تحقق لديه عيئه وتعديه وظلمه بشهادة عدول فاس، وغرقت ذمته وضمت أمواله لبيت مال المسلمين، وعند ذلك زوج السلطان الرشيد المترجم بينت الليريني المذكور، ولم يزل عيبة سر سيدنا الجدد المولى إسماعيل ومحل ثقته يخبره بخفايا الأمور وينقر على سير العمال وولاة الأمر فى الرعية، ولا يخفى عن متبوعه شاذة ولا فاذة، شأن أهل النصيح والإخلاص للإسلام والمسلمين، إلى أن نقله الله لما هو خير الأبرار.

حرف الصاد

٣٨٥ - صالح. قاضيهـا أبو محمد بن القاضي أبي العباس أحمد بن أحمد الحكـمى - بفتح الحاء والكاف.

نسبة لبنى حكم، فخذ من زمر الشلح القبيلة البربرية الشهيرة الحالة بين حضرتنا المكناسية، ورباط الفتـح ويقال له الحكمـاوى.

حاله: علامة فاضل، جليل أديب، كامل مدرس نفاع، خطيب مصقع، ناظم ناثـر، له مساجلات شعرية، ومراسلات نثرية، مع بلديه أديب الرباط الشهير ابن عمرو الأوسى، وقد ذكره فى كثير من مقيداته وحلاه بأوصاف عالية تسفر عن شـفوف قدره وعلو كعبه، تولى قضاء مكناسة وخطبة جامع قصبتهـا المولوية والتدريس بجامعها الأعظم، كما تولى قضاء بلده رباط الفتـح، وكان يتداول قضاء مكناسة والرباط مع القاضي السيد الطيب بسير المترجم فيما مر، والفقيه القاضي سيدى الحسن بن فارس مرارا نحو الستة أشهر أو العام، لكل واحد فى الدولتين السليمانية والرحمانية.

وقفت على عدة خطابات له وتسجيلات عليه، من ذلك عقد بتاريخ ثالث شوال عام سبعة بموحدة وأربعين ومائتين وألف، وآخر فى منسلخ قعدة عام ثمانية وأربعين ومائتين وألف، وآخر فى منسلخ قعدة عام ثمانية وأربعين ومائتين وألف، وكان أبدا بفتح شكله ولا يطمسه، وكان من أهل العدل والصرامة فى الأحكام.

مشيخته: أخذ عن والده أبى العباس ومن فى طبقته من نقاد أعلام وقته.

شعره: من ذلك قوله لما وصل فى تدريس البردة لقول ناظمها فاق النبيئين فى خلق وفى خلق، وقد قرر ما هنالك أربعة أيام وختم بالعجز عن إدراك الحقيقة

المحمدية، كما نقل عنه ذلك بلديه رفيقه فى الطلب العلامة السيد محمد بن
التهامى ابن عمرو الأوسى المذكور ومن خطه نقلت:

توارت وقالت بعد طول تطلع
إذا رمت إدراكا وكشف حقيقة
مقالة من فى بسطة قد تبخترا
فيغنيك عما لا ترى بعض ما ترى
وقوله:

سلام على الأحباب من شيق صب
جريح طريح لا يكاد يمين من
حنين إلى الأوطان فى البعد والقرب
تواطئ أحداث ونأى عن الحب
تصابى إلى بدر عزيز نظيره
فراح بلا لب وقد كان ذا لب
له الله من عبد صدوق أصاره
هواه وفرط الشوق فردا بلا صحب
يحن إذا غنى الهزار فيهتدى
إليه ولولا الشجو ما رثى عن قرب
وبيدى عقيق الدمع ما قد أكنه
جهارا ويأبى أن يكف عن الصب
ولو قلت مهلا عززته هواطل
من الجفن لو تسقى لأغنت عن الغرب
فيا عظم ما ألقى وهان لو أن لى
سيلا إلى حبي وحسبى منى حسبى
وقوله مخمسا:

ألا من لخود قد تجرعت بينها
لكبرن إجلالا وقبلن عينها
ولو أن ربات الجذور رأينها
(رمتنى وستر الله بيتى وبيتها
عشية آتاء الديار رميم)

توارت وقلبي بانتسابى لبيتها^(١)
ولو أننى أهل لقلت فديتها
(١) فى المطبوع: «بيتها» وفى هامشه: «كذا» ولعل ما أثبتته أولى وهو موافق للمعنى والوزن،
والآيات من بحر الطويل.

وحسبى فخرا أن أكون وقيتها
(ويارب يوم لو رمتني رميتها
ولكن عهدى بالنضال قديم)

والأصل الخمس لأبى حفص الفاسى .

وقوله :

برد شجونك يا قمرى وابك فما
وروح النفس بالتغريد فهو على
على امرئ ندب الأطلال معترض
ظام تجرع كأس البين مفترض

وقوله فى رثاء والده رحم الله الجميع :

عز المصاب وسله وانهض إذا
وابك الكرام إذ فقدت ذليلهم
ما احتاج للتأيس والإكرام
واشك النوى وتواطؤ الأيام
واندب ربوعا طالما يممتهما
واحبس مطايا الدمع إن عايتها
واجهد وجد عسى تنفس بعض ما
بنوى أبى العباس درة عصرنا
آه لفقد شمائل ولت لدن
بعدا ليوم ذقت فيه بعباده
لهفى عليه ولهف قومى والألى
يا حسرتاه وهل درى دهر بأن
واغربتاه وكم شكاً متغرب
من للأرامل والمؤمل والعلا
بيت القصيد وكعبة الإعظام
أولى العباد وذاق طعم حمام
متصبرا لسهام شهم رام
صاروا برعى الود من أقوام
أفنى اصطبارى وساسنى بحسام
مثللى بفرقة قرمى المقدام
من للضعاف النبر والأيتام

من للعلوم يبينها إن أشكلت
من للوفود وبذل ميسور القرى
من لى إذا ما جئت أمرا منكرا
لا زلت أنشده وأنشد بعده
وأثله صحبة أحمد فى جنة
وامن على بتوبة تمحو بها
وتول كل مواصل ومجامل
وارحم عديما طالما عودته
واجعل إليك توجهى فيما عرا
بمحمد وبصحبته والمتقى
وقوله:

وتنعت من عاجز بلثام
من للمساجد بعده بإمام
أولى الجميل وزاد فى الإكرام
يارب من له بدار سلام
أعدتها لعدسابة الإسلام
عنى الذنوب وسئى الإجرام
بزوائد الإفضال والإنعام
منك الجميل وجاء بالآثام
واسمح بفضلك لى بحسن ختام
حياهم رب العلا بسلام

يا ابتاه سقتك الغايات فكم
ولا زمت فى دياجى الخطب تذكركم
ولم أزل ساهرا والنجم يشهد لى
لهفى عليك وما يغنى أخا حرق
وكانت بينه وبين رفيقه فى الطلب أبى عبد الله بن عبد الله بن عمرو
الأوسى الرباطى المذكور مساجلات، من ذلك ما كتب لى به صديقنا مؤرخ سلا
أبو عبد الله محمد بن على الدكالى قائلا أنه وقف عليها بخط ابن عمرو ولفظه
قال الأخ صالح الحكيمى رحمة الله يعنى المترجم:

أضاءت وقد طال انتظار عميدها تجلى سناها فى دياجى النوائب

فقلت:

وجاءت تجر الصبح غرة وجهها تزاحم فخراً لاح فوق الذوائب

وأصدر:

ومنت وما امتنت ونفسى فدا لها

فأعجزت:

وإن مزجت صرف الهوى بالشوائب

فأصدر:

فأبقت على الصب الكئيب تكرما

فأعجزت:

بقية شرب فى كئوس الكواعب

فأصدر:

فتاة سواد العالمين لوجهها

وأعجزت:

كنقطة خال تحت ماضى القوالب هـ

قال ابن على، ومرادهما يوح، وهو معنى لطيف لم أره لغيرهما، وقال ابن عمرو فى كناشته الحجازية: لما وصل الأخ العلامة أبو محمد «سالح ابن شيخنا العلامة الأوحى النحرير أبى العباس سيدى أحمد بن أحمد الحكيمى تولاه الله بمنه فى تدريس البردة قول ناظمها رحمة الله ونفع به: فاق النيئين فى خلق وفى

خلق، وقرر بعض ما هنالك فى أربعة أيام وختم بالعجز عن إدراك الحقيقة
المحمدية فتح الله بأن قال ما أنشدنيه لنفسه: توارت الخ البيتين السابقين.

بعض ما قيل فيه من المديح: من ذلك قول الأديب السيد الحسين بن أحمد
ابن شقرة يهتته بعرس ولده أبى عبد الله محمد، وذلك أواسط جمادى الثانية عام
تسعة وأربعين ومائتين وألف:

أهدى إلى ذاك المقام الأكبر	أزكى سلام فاق نشر العنبر
حيث السيادة والسماحة والتقى	والعلم تنمى للإمام الأشهر
هو صالح الأقوال والأفعال من	طابت خلائقه بطيب العنصر
قاضى الجماعة من سمت بمقامه	مكناسة ذات البهاء الأبر
أفديه من حبر تسنم للعلا	رتبا يجر لها ثياب تبخر
شوقى إليه لم يزل متجددا	نيرانه فى القلب ذات تسعر
يالىت شعرى هل يتاح لى اللقا	فأفوز منه بالنصيب الأوفر
يا سيدى فاق الأنام بهمة	من دونها نجم السها والمشتري
يهنى سليلك مع جنابك ذلك الـ	عرس الذى وافى بعيش أخضر
لازلت فى مرح وسابغ أنعم	وكلاءة بادی السنا والمفخر

وفاته: توفى بتاريخ واحد وخمسين ومائتين وألف.

٣٨٦ - صالح بن العربى بن صالح الطليقى الحلمونى البخارى.

المكناسى النشأة والدار والإقبار.

حاله: أستاذ متقن ماهر، مجود مقرئ فاضل، متفان فى محبة المصطفى
وآله، إذا سمع شمائله ﷺ وأوصافه الكريمة خلقا وخلقا وما منحه الله به من

الخصائص والفضائل والمزايا صاح وخر مغشياً عليه، محب في الخير وأهله، معمر للمساجد، ملازم لمجالس أهل العلم، عدل مبرز، كان يتعاطى الشهادة بسماط عدول الحضرة المكناسية، منظور إليه بين أهلها بعين الإجلال والتعظيم.

وفاته: توفي بعد الثمانين والمائتين والألف.

٣٨٧ - صالح بن يوسف البخارى.

المكناسى النشأة والدار والإقبال.

حاله: فقيه أستاذ، يحفظ السبع والعشرين حفظاً متقناً، وكانت له مشاركة كاملة فى الحساب والتوقيت والتعديل، وكان من جملة موقتى الحضرة السلطانية الذين يظعنون بظعنها ويقيمون بإقامتها فى الدولة الرحمانية، ثم تقاعد عن الخدمة السلطانية، وتولى رئاسة بعض فرق الجيوش التى جرت العادة بإبقائها بعاصمتنا المكناسية بعد ظعن السلطان منها، فتنفع الله أقواماً بمعلوماته التى بثها مدة مقامه بالعاصمة المذكورة مسقط رأسه.

مشيخته: أخذ عن السيد التهامى الزرهونى بالعرائش، وعن السيد عبد الخالق الأودى، وعلى برّيط بباء مفتوحة بعدها راء مشددة ثم ياء ثم طاء بشعر طنجة وغيرهم.

الأخذون عنه: أخذ عنه السبع والعشرين علال بن صالح الحلمونى وغيره.

وفاته: توفي بعد الثمانين ومائتين وألف بالحضرة المكناسية، ودفن بضريح سيدى عمرو بوعوادة من حومة حمام الحرة.

٣٨٨ - الصديق البخارى الأجرأوى.

المكناسى النشأة والدار والإقبال.

حاله: فقيه أستاذ ماهر، يحفظ العشرين حفظاً متقناً، انتفع به جم غفير من



خط يد السلطان مولای عبد الله

حملة القرآن وحفاظ السبع، وكان من أهل الدين والفضل والخير والصلاح، رآه بعض العدول بعد وفاته فقال له: ما فعل الله بك؟ فأجابه بأن من جملة ما أكرمه الله به أن شفعه فيمن شيعه - أعنى جنازته - وقد كانت الطرق والدكاكين وقت المرور بجنازته فارغة إلا من المشيعين لها، لتأهب الخاص والعام من أهل البلد لذلك.

الآخذون عنه: ممن أخذ عنه الأستاذ علال بن صالح الطليقي الحلموني، والأستاذ السيد صالح بن يوسف البخاري المترجم قبله وغيرهما.

وفاته: توفي بعد السبعين ومائتين وألف، ودفن بضريح أبي اليمن عمرو بوعواده دفين حومة حمام الحرة.

حرف العين

٣٨٩ - عبد الله أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين السلطان الأعظم إسماعيل
ابن أمير المؤمنين الشريف بن علي الحسنى العلوى الينبوعى
السجلماسى.

مولده: ولد بمهد سلفه تافيلالت بقصبة الفرخ قرب الدار البيضاء من وادى
يفلى، فى منتصف ذى الحجة عام واحد وعشرين ومائة وألف، أمه الحرة العاملة
العاملة خنائة بنت الشيخ بكار المغفرى مارة الترجمة.

صفته: أبيض مشرب بحمرة، مليح الوجه، قصير القامة، خفيف اللحية
جدا، مفلج الأسنان، بخذه الأيسر شامة، طويل اليدين والأصابع، إذا تكلم تحرك
شارباه الطويلان، صغير الرجلين دقيق القدمين، إذا ركب حسبته طوالا، وإذا
مشى حسبته لحفة مشيته شابا صغيرا، مهاب لا يكاد أحد ييدؤه بالكلام، كذا
وصفه من عاصره.

حاله: قال فى الشجرة الذكية: كان محبا لأهل البيت ذنبهم عنده مغفور،
وعيينهم مستور، يتجاوز عن المسىء منهم ويجازى المحسن ويواسى الجميع
بالأموال، ويعفو ويصفح فى سائر الأحوال، قال: وكان معروفا بالسماحة يعطى
ولا يبالى وخصوصا للأشراف. هـ.

٣٨٩ - من مصادر ترجمته: نشر الثانى فى موسوعة أعلام المغرب ٦/ ٢١٩٧.

وقال فى الدرر البهية: كان رحمه الله فى العلوم آية باهرة، وعلى أعدائه صاعقة قاهرة، فكم أحيا من علوم، وأباد من ظلوم، وجدد من رسوم، وجدلت سيوفه من بذى غشوم، وكم ضم من حشود، وقهر من حسود، تصدى للخلافة فى معظم أيام الفتنة، وقد زاحمه إخوته فى كل بلدة، ولم يزل يقارع الأحوال، مع معارقة الأحوال، إلى أن تمحضت له ولبنيه من بعده، وناداه منادى يمنه وسعده هـ.

وقال أبو عبد الله الضعيف: كان ذا رأى وحزم وإقدام، أيامه^(١) أيام دعة ورخاء، وأمن وبهجة حسنة، مستبدًا برأيه دون وزرائه، قاهرًا فى سلطانه إذا أعطى أغنى، وإذا صال أقنى، ذا فضل وكرم وعلو همة، وأفيا بالعهود، شجاعا يباشر الحروب بنفسه، دوخ المغرب بأسره، إلا أنه مسلط على العتاة والطغاة والظلمة، سفاكا لدمائهم، رفيقا بالضعفاء والمساكين واليتامى هـ.

وقال فى الشجرة الزكية: فلما تمكن، قتل من أهل فاس ثلاثمائة، ومن العبيد أربعمائة فى يوم واحد، وبقتلهم كانت له قوة عظيمة فى المملكة هـ.

وقال غيره شديد الغضب، ذا بطش غير متوقف فى الدماء ولا واضع فى موضع السيف^(٢) الندى هـ.

قلت: ومن حكم ذى القرنين الإسكندر الملك البعيد الهمة (نعم العون على إصلاح القلوب الموغرة الترغيب بالأموال وأصلح منه الترهيب وقت الحاجة إليه) وكان المترجم بهذا كان ينظر فى سياسته وفساد الرعية أسرف فى القتل وتجاوز الحد، فكان ما كان مما سيتلى على المطالع.

(١) فى هامش المطبوع: «لعله يعنى الأيام التى لم يكن له فيها منازع والتى لم يلزم فيها قصره».

(٢) فى هامش المطبوع: «سيأتى فى قتل أهل تطاوين لعاملهم خلافة».

وقال فى نشر المثنائى: هو الواحد فى العز والمقام، الذى اختاره الله
لتصريف أمور الأنام، كان ممن عمرت به الأرضون فأحيا أنجادها وأغوارها، وسعد
به أهل العز من كل فريق، وتمهدت به السبل من كل فج عميق، وشقت هيئته
المشارك والمغارب، ونال الضعفاء بعزمه ما تمنوه من الثارب، وعمر به سوق العلم
بعد دروسه، وضحك به وجه الزمان لأهله بعد عبوسه، ولله در من قال فى
مديحه:

كفاك افتخارا أن عزك ظاهر	وجودك منسى به جود حاتم
وكون سجايك التى فاح عرفها	سجاياء الملوك الشم أولى المكارم
لعمري لقد ألفت إليك زمامها	سروج العلا إذ كنت أحزم حازم
وأغناك رب الناس عن جمع عسكر	برأى مصيب للعساكر هازم
ونفس علا فوق السماكين قدرها	وعقل غنى عن هداية عالم
فأمتتنا من كل طار وطارق	وحصنتنا من كل داه وداهم

قال أبو القاسم الزينى فى تواريخه ما زبدته مع مزيد تنقيح وإيضاح: بويح
له بالإمامة العظمى بمكناس بعد وفاة صنوه أبى العباس أحمد الذهبى سابق
الترجمة، أوائل شعبان عام واحد وأربعين ومائة وألف كما هو ظاهر نصوصهم؛
باتفاق من أعيان الديوان، من عبيد وودايا، وطير الإعلام لإخوانهم جيرانهم أهل
فاس وبالقوا فى حصنهم على الموافقة على ما ذكر والتسارع لبيعة المترجم، وهو
يومئذ بسجل ماسة، ووجهوا إليه جريدة من الخيل لإعلامه باجتماع الكلمة على
بيعته، والإتيان به، ولما وصل الكتاب المشار إليه لأهل فاس تلقوه بكل ارتياح
وانشراح، وجمعوا أمرهم وشركاءهم على قراءته على منبر جامع القرويين، ويأثر

قراءته أعلنوا بنصره، ولم يتوقف أحد ممن حضر القراءة ولا من غيرهم فى بيعته بشرط تعجيل حضوره كذا قال الزياتى ومن تبعه.

والذى فى الدر المنتخب المستحسن نقلا عن العلامة المؤرخ ابن إبراهيم الدكالى: أنه فى خامس شعبان المذكور قدم من مكناس لفاس جماعة من العبيد والوزراء والكتاب للمشورة والمفاوضة فىمن يتولى أمر المسلمين، من إخوان السلطان المتوفى، فاتفق رأيهم على المترجم لكن أهل مكناس أعلنوا بنصره حالا، وتأخرت بيعة أهل فاس إلى يوم الخميس تاسع الشهر، وزاد فى الدر المنتخب نقلا عن بعض الأعلام أن المترجم لما بلغه اجتماع الكلمة عليه امتنع من الإجابة لذلك، ولم يزل متماديا على امتناعه إلى أن دخل عام اثنين وأربعين فاستخار الله ونهض من تافيلالت أواخر محرم الحرام ووصل لفاس فى خامس صفر.

ثم حكى أقوالاً آخر فى تعيين وقت قدومه فاسا، منها: أنه يوم الأربعاء سابع رمضان عام واحد وأربعين ورجح هذا القول واختاره.

ومنها: أن قدومه كان فى مهل رمضان.

ومنها: أنه فى سابع عشرى شعبان وكان نزوله عند وصوله إلى فاس بالمحل المعروف إلى اليوم بظهر المهراس بظاهر فاس.

وبمجرد تخييمه به هرع الأشراف والعلماء والأعيان لاستقبال جنابه وتقديم مراسم التهانى لجلالته، فقابلهم بكل تجلة وإكبار، وأكرم وفادتهم وأوعدهم بالدخول من غده لزيارة الضريح الإدريسى فرجعوا مبتهجين، وبالثناء على شمائله لهجين، وما كان الغد حتى أخذوا زيتهم وحملوا ألويتهم وأسلحتهم وخرجوا لمخييمه طبق الوعد الذى كان بينهم وبينه، وبمجرد وصولهم ركب المترجم فرسه

وتوجه معهم فى موكبه الحفى الحافل وحاشيته الكريمة، وساروا إلى أن دخلوا على باب الفتوح أحد أبواب مدينة فاس الإدريسية، وكان اختيارهم للدخول على ذلك الباب تيمنا وتفاؤلا بما أضيف إليه.

ثم إن بعض سماسرة الفتن الموقدين لنيرانها من أهل فاس أولاد ابن يوسف رام اغتنام الفرصة بالإيقاع بحمدون الروسى غيلة، حيث إنه كان قتل أباهم، فشرع الروسى بذلك وتنحى عن الموكب، وقيل سبوه والسلطان يسمع واقتفى لأثره فانفلت منهم، ولحق بالترجم، وأخبره بالواقع وهو إذ ذاك على قنطرة الرصيف فاغتاط، ورجع على طريق جامع الحوت، وذهب على جزاء ابن عامر، وخرج على باب الحديد، وسار إلى أن دخل دار الملك من المدينة البيضاء فاس الجديد.

وقيل: إن ذلك كان والسلطان بالمحل المعروف بين المدن، وأنه سار على حومة البلدة، وخرج على باب الجيسة، وسار إلى أن بلغ فاسا الجديد، ولم يزر الضريح الإدريسى تحريزا من توقد نيران الفتن على حين غفلة، وذهب القوم فى إعراض المترجم عن الزيارة كل مذهب.

ثم بعد أن أحاطوا علما بالسبب الموجب للتخلف طلع لدار الملك أعيان البلد من أشرف وعلماء ووجهاء بيعتهم، وكان القاضى الأعدل أبو العلاء إدريس ابن المهدي المشاط، هو الذى تولى إنشاءها وكتبها، وقد أوردتها بنصها أبو القاسم الزيانى فى البستان مؤرخة بسابع صفر عام ١١٤١، وتبعه فى جلبها صاحب الجيش، والاستقصا، والدار المنتخب المستحسن، تركت نقلها هنا اختصارا، لكن صاحب الاستقصا أوردتها بتاريخ سابع رمضان العام لا صفر وهو فى نظرى أصوب^(١) وأصح، ولما قدم الوفد الفاسى للحضرة السلطانية بيعتهم المشار لها

(١) فى هامش المطبوع: «لأن صفر عام واحد وأربعين لا زال مولاي أحمد الذهبى قائما ولم يميت حتى وصل شعبان هـ».

أبدوا أعذارا عما أضمره السفهاء، فأعرض عنهم فيما يتعلق بذلك الموضوع،
ووصلهم بقنطار ونصف ذهبا، اقتسموه أمامه بينهم.

ثم أمرهم بتهيء خمسمائة رام للتوجه معه للعاصمة المكناسية طبق عوائدهم
المقررة فى ذلك، مع الملوك قبله من سفله وغيرهم، فأجابوا بالسمع والطاعة، ثم
نهض المترجم لمكناس وفى معيته الخمسمائة رام المذكورة.

ولما كان على مقربة من العاصمة المكناسية وجد عسكر العبيد وقوادهم وقواد
العرب والبرابر فى استقباله فرحين مستبشرين، فأدوا لجلالته ما يجب من مراسم
التهانى والترحيب والإعظام والإجلال، ثم انضافوا لجنده وسار وألوية النصر
تخفق، إلى أن حل بعاصمة والده مكناسة الزيتون فى موكبه المدهش العجيب
الترتيب، وما استوى على العرش حتى وفد على شريف أعتابه الأشراف والعلماء
والأعيان ببيعتهم العامة، ثم صارت وفود القبائل الشاسعة والدانية تفد على
حضرتة ببيعاتها، وهو يستقبل كلا بما يليق به، ولما فرغ من شأن الوفود فرق
الصلات على سائر الطبقات كل وما يستحق، إلا أهل فاس فإنه حرمهم نواله.

ولما كان عيد الفطر قدم على الحضرة شرفاء فاس وعلماؤها وأعيانها بالهدايا
العديدة كغيرهم من الخواضر والبوادى لحضور العيد مع الجلالة السلطانية وفق المقرر
المعهود، ولما رجع من مصلى العيد فرق الصلات والجوائز على جميع تلك الوفود
الوافرة والعساكر والجيوش غير أهل فاس، وصلات الوفود كلما وفدوا على الجلالة
السلطانية ومن ذكر معهم كانت من مألوف العادات عند ملوك «ولتنا، ولا سيما
فى أيام الأعياد، واستمر العمل على ذلك ولم يتعطل إلا فى هذه الأزمنة الأخيرة،
ولما كان يوم ثانى العيد أمر بإحضار أهل فاس فأحضروا بمشوره السعيد وهو على
سرير ملكه، ولما مثلوا بين يديه أمرهم بالكتب لإخوانهم بتسليم البساتين (المعاقل)

والقصبات لأن ذلك ملك للسلطان ومن وظيفه، وأوعدهم إن هم امتنعوا بهدم ديارهم عليهم، فلم يكن لهم إذ ذاك بد من الامثال والجواب بالسمع والطاعة.

ولما جن الليل ارتحلوا إلى بلادهم فاس، وقرروا لإخوانهم الأوامر السلطانية، فاتفق رأيهم على رفض ذلك وعدم الإجابة له، واجتمع فقهاؤهم وأشرفهم وأعيانهم للمفاوضة والنظر في وجه يمكن به خلاصهم مما ذكر، ويأثر ذلك ورد عليهم من الحضرة السلطانية كتاب بتسليم ما ذكر لجانب السلطان، فحاصروا حيصة حمر الوحش وهاجوا وماجوا، ثم اتفق رأيهم على أن يعينوا وفدا يوفدونه للشفاعة لدى المترجم أولا، والتزموا بأداء جميع الوظائف التى كانوا يؤدونها لوالده وإعطاء الضمان على ذلك، فلم يرفع لهم رأسا، وردهم ناكسين على الأعقاب، ثم اتفق رأيهم ثانيا على أن يوجهوا لسلته الكريمة هدية تبرع بها تجارهم، وعينوا جماعة من أعيانهم توجهت بها فتعرض الودايا إليهم ونزعوا منهم الهدية وسلبوهم من كل ما بيديهم وأودعوهم سجن فاس الحديد، وصرحوا لهم بأن صاحب الترجمة أمرهم بحصار فاس الإدريسية.

ولما علم بذلك أهل فاس القديمة صمم العامة منهم على رفض بيعته، ونازع العلماء فى ذلك محتجين بأن بيعته فى أعناقهم فطاعته واجبة عليهم، إلا إن أمرهم بكفر براح فأعارهم الجمهور أذنا صماء وأعلنوا بخلع ربة بيعة المترجم ورفض طاعته، ونادوا فى المدينة من أراد الخروج لبلاده فليتها لثلاث، وأغلقوا أبواب البلد وذلك فى سادس الشهر المذكور.

ولما اتصل هذا النبأ بالمترجم صمم على محاربتهم، فجيش الجيوش وخرج لإرغامهم على الرضوخ للطاعة فى خامس عشر شوال المذكور، وأحدقت عساكره الجرامة بفاس، وعثت فى السبل الموصلة إليها، وقطعت أشجار جناتها، وهدمت مبانيها، وأفسدت الزروع والبحائر، وقطع عنهم الوادى، وحاربهم من كل ناحية

وباب، والمدافع والمجانيق تمطرهم بوابل كورها وأحجارها المدمرة، واستمر القتال عليهم بالليل والنهار حتى سثموا وكلوا وملوا وضاق بهم المتسع، ويثسوا من النصر، وبارت حيلهم، وارتفعت الأسعار، وأنتنت المدينة من كثرة الأوساخ وعدم الماء، ولم يسعهم إلا الجنوح إلى السلم، فسعوا في الصلح فاشتراط المترجم عليهم تسليم المعادل والقصبات، فكبر عليهم ذلك واستأنفوا القتال وأظهروا التجلد.

وفي الرابع والخامس من ذى القعدة التقى الجمعان ووقعت بينهما معركتان خفيفتان بباب الجيسة، وفي الثاني منه وقعت معركة ثالثة بباب الفتوح، وفي الثالث عشر وقعت معركة كذلك، وفي الخامس عشر منه ركب السلطان في ملا من جيشه فلقية أهل فاس تائبين وفي عفوه راغبين ولأمانه آمليين.

فأجابهم لما طلبوا بالشرط المذكور، فلم يقبلوا، وفي الواحد والعشرين وقعت معركة عظيمة بباب الجيسة من الصبح إلى الزوال ومات من أهل فاس نحو الثلاثين، منهم: مولاي عبد القادر بن عبد الرحمن الدباغ، وعبد الخالق بن خالد، وعبد الله بن علال.

وفي الثاني والعشرين وقعت مقتلة بباب الفتوح مات فيها من أهل فاس ثلاثة أنفار.

وفي خامس ذى الحجة نزلت قبلة بالعطارين وأهلكت بوجيدة بن عيشون. وفي عيد النحر نزلت قبلة أخرى على قبة الضريح الإدريسي أصابت أناسا، هلك منهم رجل وجرح باقيهم، وكان ممن جرح العلامة أبو العباس أحمد بن الحياط بن إبراهيم الدكالي، وعطلت صلاة الجمعة.

ومن الغد وقعت معركة بباب الجيسة مات فيها من أهل فاس نحو العشرين، فتوسط أهل فاس للسلطان ببعض الوجهاء الذين اعتقدوا أن شفاعته لا ترد لديه، فأبى إلا إذا سلموا البساتين والقصبات، فامتنعوا وتمادوا على القتال.

وفى فاتح محرم عام اثنين وأربعين كان قتال عظيم ببابى الجيسة والمسافرين، مات فيه من أهل فاس نحو الثلاثين رجلا، واستؤنف القتال من الغد ومات فيه خلق، وارتفعت الأسعار وبلغ وسق القمح ثلاثين مثقالا، وزادت نيران الفتن توقدا، وتكاثر الهرج والمرج، وجعلت المحال السلطانية ترمى القنابل المدمرة على المدينة.

وفى ثالث صفر وقعت معركة أول النهار، ولما كان العشى اتفق أهل فاس على الهجوم على المحال السلطانية من سائر الجهات، فخرج اللمطيون من باب الجيسة للمحلة التى بوادى المالح وكان قائدها موسى الجرارى فوثبوا عليها، وفر أهلها واستولى أهل فاس على جميع ما فيها، وكان من جملة ما غنموا مدفعان.

وخرج الأندلسيون وأهل العدو من باب المسافرين واستولوا على جميع ما كان مدخرا بالسيد أبى جيدة حيث كان الحصن المنيع لتلك المحال، وساقوا من وجدوه من الجند هنالك إلى الباب وقتلوهم شر قتلة.

ومن الغد نصبوا المدفعين اللذين غنما بالقصبة البالية وجعلوا يرمون بهما فاسا الجديد.

وفى التاسع عشر من الشهر انضم الجيش السلطانى بعضه إلى بعض، وكان المترجم حاضرا بنفسه، ووقع قتال عظيم بين الفريقين انجأى بانهزام المحال السلطانية، ولم يمت من الجيش الفاسى غير ستة.

ومن الغد فقد الزرع بالمدينة، واشتد الهول، وعظم المصاب، ووقع التنازع بين العامة والرؤساء، وضعفت قوى المقاتلة عن المقاومة، ولم يكن لهم بد من الإذعان وتسليم ما طولبوا بتسليمه للجناب السلطانى.

وبسبب ذلك تم الصلح على يد القائد محمد السلوى بالضريح الإدريسى، وذلك يوم الثلاثاء عاشر ربيع الأول عند صلاة الظهر.

ثم اجتمع رؤساء الأشراف والعلماء وذوو النجدة والوجاهة، وطلعوا في معية القائد السلوى المذكور لدار الملك لاستئناف تقديم الطاعة، فقبلهم المترجم وقابلهم بالعفو والإغضاء، ووصل الشرفاء والعلماء بألف دينار، وكسا الأعيان، وولى عليهم الحاج على السلوى، وانطفت نيران تلك الفتنة.

وفى الثالث عشر من ربيع النبوى عمر الجند السلطاني القصابى مع البساتين (المعاقل).

وفى العشرين منه نهض صاحب الترجمة من فاس ووجهته العاصمة المكناسية، ولما حل بها وجد القبائل استأنفت عملها الأول من ركوب الخيل واقتناء السلاح والعيث فى الطرقات، فأصدر أوامره للعبيد بتجهيز الحركة لتمهيد البلاد، وقطع جرثومة الفساد.

ثم نهض قاصدا تادلا لقمع آيت يَمور الذين نزلوا بها لما أخرجهم آيت ومالوا من رأس ملوية، وأضروا بأهلها، ولما أحسوا بمقدمه فروا أمامه ودخلوا بلاد آيت يسرى، فاقتفى أثرهم وأوقع بهم شر وقعة بوادى العبيد نهبت فيها أموالهم وقتل منهم آلاف.

ولما رجع المترجم لتادلا قتل من أعيان رماة أهل فاس عشرين، وكتب لأهلهم يعتذر عن قتل من قتل منهم مبينا لهم وجه ذلك وموجه، وأمرهم بتوجيه حركة أخرى فامتلوا وعينوا من يتوجه للحركة وفق الأمر الصادر إليهم، وكان الذى استعرضهم حمدون الروسى برأس الماء، وبعد الاستعراض توجهوا للحاضرة السلطانية.

ومن غد يوم الاستعراض قتل الروسى المذكور عبد الواحد بتير، ومحمد بن الأشهب بباب السجن وأمر بجرهما، ثم من الغد أصبح يهدم أبواب المدينة، فهدم

باب المحروق، وباب عجيسة، وباب الجديد، وكان ذلك لما تقدم من الاستعانة بغلقها على التمرد ونبذ ما لزم من الطاعة.

وفى الخامس والعشرين من ربيع الثانى بعث المترجم للعلامة أبى عبد الله محمد بن عبد السلام بنانى فلحق به بمكناس، ولما مثل بين يديه سب وجدع وقرع ووبخ لأمر سوء بلغه عنه، وعزله عما كان بيده من الوظائف بجامع الأندلس، ثم عفا عنه وأغضى.

وفى الحادى عشر من جمادى الثانية عزل على السلوى عن عمالة فاس وسجنه لما تظاهر به من سوء لأهل فاس وقتله رئيس أهل العدوتين الشيخ دحمان المنكاد، وأسند عمالة فاس للبادسى بن حمدون الروسى.

وفى العشرين من رمضان عزل أبا العباس أحمد الشدادى عن قضاء فاس، وولى مكانه أبا الحسن على بوحنان.

وفى الثانى عشر من شوال عزل البادسى عن عمالة فاس، وولى مكانه عبد النبى بن عبد الله الروسى، فأساء السيرة فعزله، وولى مكانه حمدون الروسى وأوصاه بالرفق واللين، وحذر وأنذر، ولكن ما بالذات لا يتبدل فلم يزد التحذير إلا إغراء:

إذا كان الطباع طباع سوء فلا أدب يفيد ولا أديب

وفى أوائل جمادى الأولى صدر الأمر بهدم القصبية البالية وحطب ما فيها من الأجنة، ولما علم السلطان بذلك سجن الناظر ونكل بمن فعل ذلك من الولاة محتجا بأنه لم يأمر بذلك، وإنما أمر بتخفيف بعض الأشجار التى لا غلة لها، ثم أمر ببناء ما تهدم وغرس ما قلع، وفى أواخر شعبان قتل عبد الواحد بن سودة الذى كان أمين المواريث قصاصا.

وفى محرم الحرام عام ثلاثة وأربعين ومائة وألف ابتداء فى هدم أسوار المدينة، وصرح بأنه إذا فرغ من هدم الأسوار يشرع فى هدم الدور وأمر بحمل الأنقاض لفاس الجديد.

ثم لما اتصل بالمرجم عتو الروسى وطغيانه، كتب كتابا بتوبيخه وتهديده وإيعاده قرئ على منبر القرويين، ولما تيقن أن لا ملجأ له ولا منجى مما جنت يده فر لزواية جبل زرهون، حيث مدفن البضعة النبوية الطرية، إدريس بن عبد الله الكامل، ولما رجع المترجم من حركته وتوجه لزيارة الضريح الإدريسي تعلق حمدون بأذياله فلم يلتفت إليه، ثم بعد ذلك أحضره بين يديه وعدد عليه ما ارتكبه من الجرائم التى لم يجد لها مدفعا، ثم أمر بتوجيهه لفاس وقتله قصاصا، فأنشد بين يديه ما أنشده بعضهم لأبى جعفر المنصور العباسى:

إنا بطاعتك الألى	كنا نكابد ما نكابد
ونرى فنعرف بالعدا	وة والبعاد إذا تباعد
هذا أوان وفاء ما	سبقت به منه المواعد

فأطرق المترجم ساعة ثم قال له وهبتك لشييتك، وأبقيتك لصييتك، على أن لا تقرب ساحتنا، ولا تحوم حولنا، وإلا حلت بك عقوبتنا، وولى على فاس كاتبه الطيب بن حلوة، وذلك فى يوم الاثنين تاسع عشر شعبان، وكان شديد الشكيمة على أولاد العرب والعلماء، ظلوما غشوما، لم يتول على فاس أتعس وأشأم منه، حتى سمي حجاج الوقت، يقال: إنه هو الذى أغرى المترجم على نهب زرع العرب الذى كان بخزائنتهم، فأمر بحيازته، وتوجه الأشراف والعلماء للسلطان فى الشفاعة فردهم خائبين، واستمر ابن حلوة على عمله من النهب والغصب والقتل والتدليس وتشويه وجه الحقيقة إلى أواخر رمضان وقيل شعبان، فنكبه المترجم وعزله وغربه إلى مكناسة الزيتون، فلم يزل بها فى شبه عقال إلى أن لقي ربه بعد

خمسة أشهر، وولى على فاس مكانه عبد اللطيف بن عبد الخالق الروسى، ووجه به عاملاً فوصل إليها فى سابع شوال.

وفى ربيع الثانى أصدر المترجم ظهيراً شريفاً نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع بداخله (عبد الله بن أمير المؤمنين إسماعيل الحسنى الله وليه ومولاه) وبزواياه اليمن والإقبال وبلوغ الآمال والسعد:

«كتابنا هذا أسماء الله وأعز أمره، وأطلع فى سماء المعالى شمسُه المنيرة وبدره، بيد حامله الفقيه الأجل، المجود الأفضل، السيد الحاج أحمد بن عاشر العامرى يتعرف منه بحول الله وقوته، وشامل يمنه وبركته أننا جددنا له بحول الله وقوته حكم ما بيده من ظهائر سيدنا الوالد قدس الله روحه فى أعلى الجنان آمين، وظهائرنَا الكريمة التى تضمنت توقيره واحترامه على مر الليالى والأيام، والسنين والأعوام، فلا سبيل لمن يروم أو يحدث فى جنبه الملاحظ نقصاً ولا زيادة، وأبقيناه على مرتبه الذى كان يقبضه من وقف أحباس مسجد سلا الأعظم عمره الله بدوام ذكره، وقدره خمسة وعشرون أوقية دراهم من كل شهر إعانة له على ما هو بصده من تعليم الطلبة بالمسجد المذكور، وعلى الفقيه المذكور بالاجتهاد فيما كلف به، والواقف عليه يعمل به ولا يتعداه والسلام فى الثانى والعشرين من ربيع الثانى عام ثلاثة وأربعين ومائة وألف».

وفى السابع والعشرين من شوال ١١٤٣ وقع الشروع بأمر المترجم فى هدم مدينة الرياض المارة الذكر التى كانت زينة مكناسة وبهجتها، وفيها دور العمال والكتاب والأوداية وأهل الدولة الإسماعيلية، والتى كان بها المسجد الإسماعيلى الأعظم والمدرسة والأسواق والحمامات، وكان يقصدها التجار بالبضائع، فلم تمض عليها عشرة أيام حتى صارت كدية تراب.

وكان قد أشرف على الشروع فى هدمها بنفسه وفى نظرى أن أحسن ما يعلل به هدمه إياها زيادة على ما أسلفناه، هو أن صدور الدولة وذوى الحيشيات من رؤساء الجيش ألتهتهم قصورهم الفاخرة بزخارفها عن القيام بوظائف الدولة،

واتفق ما حدث من الفتن بعد وفاة والد المترجم وأساطين دولته «رساساتها، ولما آل الأمر للمترجم لم يجد من أولئك من يعيره لتنفيذ أوامره أذنا صاغية، بل قوبل جلها إن لم نقل جميعها بالرفض وإبداء العلل الواهية زيادة على كونها صارت بعد أبيه مركز المؤامرات السياسية عليه وعلى إخوته.

وأثناء هذا وسوس بعض شياطين الإنس لصاحب الترجمة في أبي العباس أحمد بن على الريفى حتى أوغر صدر السلطان عليه، وصمم على المكر به، فطير له الإعلام بذلك بعض أصدقائه من الحاشية الملكية فخاف بطش الملك ووجه بهدية ذات بال جمع فيها تيجانا مرصعة بنفيس الأحجار وأموالا طائلة وأوفد معها ثلاثمائة نفر من أعيان إخوانه أهل الريف يبرهنون للمترجم على إخلاص مرسلهم ورضوخه للطاعة وبراءته مما ألصق به ويطلبون أمانه فأمر بقتل جميعهم، ولما اتصل ذلك بالريفى المذكور قام لإيقاد نيران الفتن على ساق حتى اضطربت وتسعرت وتطايير شررها، وعم الفساد الحاضر والباد، وقطعت السابلة وكان ما كان مما لست أذكره.

ثم بلغ المترجم عيث آيت يemor وتمردهم واشتغالهم بالسلب والنهب، فحشد إليهم جيوش العبيد والودايا ونزل بساحتهم من غير تأهب لهم ولا استعداد للمقاومة، فأخذهم أخذاً وبيلاً، وقتل أبا يعقوب الخنصالي شر قتلة، إذ وجده نازلاً بين أظهرهم، قال فى نشر المشانى: ولما قتله منع الناس من دفنه حتى تمزقت أشلاؤه وتفرقت أعضاؤه، فعل ذلك به لثلا يتوهم ضعفة العقول من أصحابه أنه لم يمت لأنه كان يخالط علم الحدثان.

وفى العام نفسه قتل مائتين من لصوص حجاوة على قطع الطريق على المارة ببلادهم، ولما قتلهم خرج أهل مكناس والطالبون للفرجة فى المقتولين بيباب البطيوى، فاتفق خروج المترجم فى تلك الساعة على ذلك الباب، فلما رأى القوم

قصدهم ظانا أنهم المأمور بقتلهم ففروا خوفا منه ودخلوا كهفا على مقربة من المحل يختفون فيه، فقصدهم حتى وقف على باب الكهف وأمر من كان معه بغلق باب الكهف عليهم بالأحجار فأغلقوه غلقا متقنا، ومات جميع من به ولم يوقف لهم بعد على خبر، ولم يعرف عددهم، وفي العام أيضا أمر عبيد مشرع الرمل بالتهيؤ للحركة لجبال فازاز.

وفيه ولى أبا عبد الله محمد وعلى الزمورى عمالة فاس وأمره باستصفاء أموالهم وأن لا يترك لهم قيراطا، إذ كان البعض نقلوا إليه أن المال أطغاهم وأنهم يحاولون الخروج عن طاعته وشق العصا عليه، فتوجه الزمورى المذكور إلى فاس ونزل بدار أبى على الروسى من حومة المعادى وصار ينقب على ذوى اليسار ووظف عليهم أولا غرامة قدرها خمسمائة ألف مثقال وبالحق فى التشديد فى اقتضاء ذلك منهم، وعمر بهم السجون، ومن تغيب يلقى القبض على آثاره.

ولما استوفى العدد المذكور ممن ذكر صرف وجهته لأهل الحرف والملاكين والبطالين، وقام بسبب ذلك هرج ومرج، وفر الناس لشواهد الجبال والقرى والأمصار الشاسعة، وامتدت ولايته عليهم ثلاثة عشر شهرا، وكان كلما قبض شيئا وجهه للمكلف بالداخل للعاصمة المكناسية.

وقد ساق العلامة المؤرخ ابن إبراهيم الدكالى هذه الحادثة ببعض مخالفة وزادات ونص ماله فى تقييده: وفى هذا الوقت قدم عبد الرزاق بن على ويشى، وقبض جميع تجار أهل فاس وسجنهم ودخل ديارهم وحوانيتهم، وشرع فى قبض المال منهم، ثم دفعوا مائة وعشرين قنطارا، وكان من جملة من قبض فى المال الحاج محمد الأندلسى الرحوى، أخرجه من حرم سيدى أحمد الشاوى، وأدخله السجن وضربوه حتى مات، وطوفوه على النعش وهم يقولون هذا جزاء من لم يعط مال السلطان، وكان ذلك فى صفر وجاء العفو يوم الجمعة السادس عشر منه.

وفى الحادى والعشرين منه ذهب عبد الرزاق بمال التجار الذى قبض ودفعه للسلطان، وكان معه التجار الذين دفعوه، فأمرهم بالزيادة عليه، وسجن بعضهم وقد كان عبد اللطيف الروسى من جملتهم، وقد كان عبد اللطيف هذا أمر بقتل السيد الحسن بن السيد عبد العزيز بن إبراهيم الموقت بمنار القرويين بإشارة من القاضى السيد على بو عنان، وقتل بعد صلاة العصر من يوم السبت خامس المحرم عام ١١٤٥.

ولما تلاقى عبد اللطيف المذكور مع السلطان وتكلم معه فى شأن المال الذى دفع أهل فاس غضب عليه السلطان من أجل الرماة، وأمر بضربه بالسياط، فضرب ثم ثمانمائة، ثم طعنه برمح وأمر بذبحه وجره لباب الملاح جزاء وفاقا بما فعل بالسيد الحسن المذكور.

ثم تولى حكومة فاس الطالب محمد بن على ويشى أخو عبد الرزاق المذكور، وكان حسن الأخلاق يوقر الأشراف والعلماء وأبناء الصالحين، فكان جعل للطلبة خراجا يقبضونه من وفر القرويين، إلا أنه كان فظا غليظا على التجار لا يقبل منهم عذرا، وقبض منهم زمن ولايته أموالا عريضة، وانتفى بسببه من فاس من أهل الغرامات ما لا يحصى، وبقي حاكما بفاس من حين قتل عبد اللطيف الروسى إلى وقت نجاة المولى عبد الله بنفسه كما يأتى هـ.

وفى ١١٤٤ لما كان المترجم وجه للمولى الطيب الوزانى فى شأن الباشا عبد النبى الحيانى، وقد كانا مستجيرين بوران وتراخى المولى الطيب فى توجيههما إليه، بعث له قائلا: والله إن لم تأت بهما حتى أهدم عليك تلك الدشرة، وأجرك فى أزقتها، فذهب إليهما فامتنعا من الخروج فأعطاهم عهدا ومواثيق بأنه لا يتخلف عنهم ولا يسلمهم، فخرجا معه وخرج معهم جمع من الأشراف والصبيان أولادهم بالألواح.

فلما وصلوا لحضرته وأعلم بورود عبد النبي نهض وخرج إليهم راجلا، وقبض على لحية المولى الطيب وهزه منها وقال له: أخى فارقنى فما أدخلك بين عبيدى ورعيتى.. فقال له: أريد من الله ومنك أن تعتقهما، فقال له: إن أعتقتهما فلست بولد لإسماعيل بن الشريف، والأشراف والصبيان واقفون ويدهم غطاء جدهم المولى عبد الله الشريف، وغطاء المولى التهامى.

والتفت لعبد النبي وصار يخطب عليه ويعدد مساويه، وكان من جملة ما خاطبه به: إئننى ما نسيت ولا أنسى ما شافهتنى به على رءوس العبيد: والله إن قبضتك يا عبد الله بوسبيط الصغير^(١) ريبب الدغمى، حتى أرمى على رجلك كبلا (قيدا) من عشرين رطلا، وألقيك فى الدهليس إلى أن تموت فيه، وتكررها مرارا.. وتذكر اليوم الذى قبضت فيه لجام فرسى ودككته إلى وراء، إلى أن سقطت من فرسى على الأرض وقلت لى: اذهب من هنا، إنما أنت طفل صغير، فطلعت إلى ربوة وبكيت حتى كاد أن يعود الدمع دما، ومن أجلك أنفنت بيت المال كان إذا أتى إلى صاحبك بكتابك أو كلامك لم يكن لى بد من إعطائه قنطارا سخرة له اتقاء لشرك، ثم قال لمن حوله اقبضوا الظالم عدو الله فصاروا يجرونه وقد كان قابضا بيد المولى الطيب، فقطعوا يده وأخذوه، وكذلك فعلوا بصاحبه قدور السهلى، ذكره الضعيف.

وفى عام ستة وأربعين، عقد للباشا قاسم بن ريسون على جيش من العبيد منتظم من خمسة عشر ألف فارس، وللقائد عبد الملك بوشفرة الأودى على ثلاثة آلاف فارس من إخوانه الودايا، ووجه بالجميع لجبل آيت ومالوا، ولما عبرت تلك الجنود، وادام الربيع على مجاز البروج، خيمت بأدخسان، ولما رأى أولئك البرابر العتاة ما لا قبل لهم بمقاومته، فروا للجبال فاقتفى الجند أثرهم إلى أن توغلوا فى

(١) فى هامش المطبوع: «كان المترجم كذلك رقيق القدمين حذاءهما كاحذية الأطفال كما تقدم فى وصفه».

وعر تلك الجبال، ثم وجه البرابر ذات ليلة من سد الثنايا التى دخلوا منها بالأشجار الأرر.

ولما كان الصباح هجموا عليهم من كل ناحية وقاتلوهم قتالا شديدا فى تلك الأوعار التى لم يقرءوا لها حسابا، فهزم الجيش هزيمة شتعاء، وولوا الأدبار، فوجدوا الثنايا قد سدت دونهم فاردادوا فشلا ورعبا، ولم يسعهم غير الترجل وتسليم الخيل والسلاح والزاد، ولما تجردوا من كل شىء وتركوه غنيمة باردة حقن البربر دماءهم، ولم يقتلوا أحدا منهم.

ولما لحقوا بالترجم لمكناس حفاة عراة منحهم وكساهم ووعدهم بإخلاف ما ضاع لهم، وأمرهم بالرجوع لمشرع الرمل فرجعوا وقد بذر فى قلوبهم بغضه، شأن ما جلبت عليه الطباع فيمن تسبب لها فى لقى ما تكره، وإلا فالترجم إنما كان وجههم لحسم مادة المفسدين.

وفى عام سبعة وأربعين: اتفق العبيد والودايا على قتله والتمثيل به انتقاما منه لإسرافه فى قتلهم حتى كاد أن يستولى على رءوسهم وصناديدهم سعيًا وراء كسر شوكة استبدادهم وطغيانهم على الملوك وإيقادهم نيران الفتى فى الرعية، وأخذًا بدم صنوه أبى مروان عبد الملك الذى خنقه، وكان قصده استئصال شأفتهم لتحقيقه أنه لا يستقيم معهم ملك لأحد، قالوا بلغ عدد من قتل منهم عشرة آلاف ونيف، «إنما جزاء الذى يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادًا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض».

ثم إن المترجم أنذر بما صمم عليه العبيد من اغتياله، فخرج من العاصمة المكناسية يوم الأحد ثامن وعشر ربيع الثانى ليلا ناجيا بنفسه، ومن الغد الذى هو يوم الاثنين بلغ لفاس خبر خروج السلطان، فهرب عاملها محمد بن على

ويشى وأتباعه، وسار المترجم إلى أن بلغ آيت أدراسن ففرحوا به وآووه وعززوه إلى أن بلغ لمشرع بولعوان.

وكان هنالك بجانب السلطان عدد وافر من الزرع، ففرقه في أتباعه وضعاف الناس، إذ كان الغلاء بمراكش ونواحيها، ففرح الناس واطمأن المترجم وودعه أهل تادلا، وانقلبوا لحللهم ومحالهم، وسار هو إلى مراكش، ثم تارودانت، وأقام بها أياما، ثم انتقل إلى السوس، ثم وادى نول حيث استقرار أخواله المغافرة فتزل عليهم.

وكان في معيته ولداه أبو عبد الله محمد مار الترجمة دون بلوغ، وأبو العباس أحمد فوق البلوغ، قاله الزياني: وقال غيره: إنه ترك الأول من الولدين المذكورين مع جدته خنائة بمكناس، وهو ما حققه في الدر المنتخب وهو الذى يشهد له التاريخ.

وكانت مدة خلافته هذه خمسة أعوام وثمانية أشهر ونصف على ما شهره فى الدر المنتخب، وكانت مدة مقامه بوادى نول عند أخواله ثلاثة أعوام.

أما العبيد فإنهم لما علموا بذلك وجهوا لسجلماسة جريدة من الخيل تأتى إليهم بصنو صاحب الترجمة أبى الحسن على الأعرج ليبياعوه، على ما سنفصله بعد فى ترجمته بحول الله.

وفى عام ثمانية وأربعين ومائة وألف: كانت فتنة عبد الله بن محمد الكرسيفى مدعى المهدوية بالسوس، وارتفع صيته فى تلك الأصقاع، ملا أرجاءها، واقتحم حصن أكدير عنوة، وفعل بأهلها ما يخجل وجه المروءة، وخيم بالمحل المعروف بفوننت تحت أبى القناديل، ومنعهم من الماء حتى مات جل تلك البلاد نساء ورجالا وصبيانا عطشا، وحيل بينهم وبين المقابر العامة فصاروا يدفنون

موتاهم بالدور والمساجد، وكان الفتان المذكور يحث أهل سوس على غزو أهل أكدير ويقول: إن ثلثهم نصارى، وثلثهم يهود، وثلثهم عصاة حصب جهنم.

فأجابه لذلك خلق كثير من أهل سوس، والحال أنهم لم يروا البحر قط، ولما نزلوا بساحته أخذوا يشربون ماء البحر ويلثون به سويقهم، فهلك منهم عدد عديد، ثم عاد الثائر لتارودانت مصمما على الإيقاع بهوارة، ولما شعروا بمراده اتخذوا سائر الاحتياطات اللازمة وأجمعوا أمرهم على اغتياله، فأوعز إليه بذلك بعض المعتقدين له، فأشاع أنه يريد زيارة أبي حفص عمر وهارون برأس الوادى، فتبعته هوارة إلى أن لحقوا به بثلاثاء فماصت بزواية السيد عياد، وأخذوا يلعبون بالبارود مع أصحابه مظهرين الفرح به والطاعة له، فلم يأمن فيهم، ونجا بنفسه فاقتفوا أثره إلى أن لحقوا به بصهريج آيت أيوب فى تنزرت، وأطلقوا عليه أفواه مكاحلهم بالرصاص ففر ودخل دار الشيخ أحمد ويدير، ومات بداره ونهب آيت يش ماله.

قاله الضعيف: وقد وقع لصاحب الدر المنتخب فى سوق هذه الحادثة تخليط واشتبه عليه أمرها واشتبك واربتك، وبموت هذا الفتان الأفاك اطمأنت نفوس أهل تلك البلاد، وأمنت سبلهم، وكان الذى قتله هو ابن همان وماين الهواريان ويعيش الزكنى المنبهى.

ثم وفد المترجم على تارودانت واستولى عليها وعلى أحوازها، وبويع له بتلك الأصقاع، ووقعت بينه وبين هوارة معارك عظيمة انجلت بانهزامهم وفشلهم كل الفشل، ثم نهض من تارودانت وخيم ببلاد السراغنة وأوقع بهم وقعة شنيعة، وحكم السيف فى أربعمائة رجل من عوامهم، ومائة من طلستهم، حيث إنه وجدهم هدموا مسجد القصبة وصبروه بلاقع، وكان ذلك كما قال الضعيف سنة ١١٤٨ ثمان وأربعين.

وانظر هذا التاريخ مع ما سبق أنه بقى بوادى نول ثلاثة أعوام، وكذلك يخالفه ما فى الاستقصاء من أنه لما كان شهر ذى الحجة من سنة تسع وأربعين ومائة وألف ورد الخبر بأن السلطان المولى عبد الله قد أقبل من وادى نول، ووصل إلى تادلا، فاهتز العبيد له وتحذت فرقة منهم برده إلى الملك، وخالفهم سالم الدكالى فى جماعة من شيعته، وقالوا: لا نخلع طاعة مولاي على، إذ كان سالم هذا وأصحابه هم الذين تسببوا فى خلع المولى عبد الله، وتولية أخيه مولاي على.

ثم إن شيعة المولى عبد الله قويت وكثروا أصحاب سالم وأعلنوا بيعته، ففر سالم فيمن معه من القواد إلى زاوية زرهون مستجيرا بها.

ولما سمع بذلك السلطان المولى على قرَّ من مكناسة إلى آخر ما يذكر فى ترجمته، ولما فر اجتمعت كلمة العبيد على ذلك أهل فاس وسائر القبائل، ثم إن سالما الدكالى الذى بزرهون كتب إلى أهل فاس يقول لهم: إن الديوان قد اتفق على خلع المولى عبد الله، وبيعة سيدى محمد بن إسماعيل المعروف بابن عريبة، والمشورة لعلمائكم، فأجابوه بأن قالوا: نحن تبع لكم، فلما سمع أهل الديوان بما فعله سالم الدكالى وما تقوله عليهم خرجوا من المحلة إلى زرهون، وقبضوا على سالم الدكالى ومن معه من القواد وبعثوا بهم إلى السلطان المولى عبد الله بتادلا، فاستفتى فيهم القاضى أبا عنان، وكان يومئذ معه فأفتاه بقتلهم هـ، ونحوه فى الدر المنتخب، والترجمان العرب، وغيره من كتب الزيانى.

لكنهم صرحوا بأن القبض على الدكالى وأنصاره كان بإيعاز من المترجم، وأنه لما ألقى القبض عليهم قيدوا بالحديد ووجه بهم لصاحب الترجمة وهو يومئذ بتادلا، وهنالك وقع استفتاء من ذكر فيهم وقتلهم، واستؤنفت البيعة للمترجم،

ونهب من تادلا وسار إلى أن خيم بأبى فكران وتوجه لاستقباله، ثم أهل فاس ومكناسة أشراف وعلماء وأعيان، ولما مثلوا بين يديه وقدموا إليه بيعتهم سب وجدع وهدد وأوعد على ما صدر منهم وتكرر من شق العصا والخروج عن الطاعة، وقتل جماعة من أعيانهم، وعزل قاضى العاصمة المكناسية أبا القاسم العميرى، وولى مكانه الطالب بوحنان، وألقى القبض على عاملها مسعود بن عبود، وولى على فاس محمد بن على ويشى.

ولكنه لما توجه إليها لم يستطع الدخول إليها خوفا على نفسه من الإيقاع به، ونزل بالقصبة الجديدة إذ كان فيها عبيد المترجم وخاصته أدالة.

وفى يوم الخميس خامس عشرى صفر مد الودايا يد النهب والسلب فى الطرقات، ونهبوا ما كان بسوق الخميس من الماشية والدواب، أخذوا من البقر نحو الألفين، ومن البغال نحو سبعمائة، ومن الثياب عددا عديدا، وأغاروا على سرح أهل فاس وعاثوا فى ضواحيها والسبل الموصلة إليها، واتفق أن كان اليوم العنصرة، وفى اليوم نفسه شرع أهل فاس فى بناء أسوار المدينة التى تهدمت.

وفى يوم الأربعاء فاتح ربيع الأول قدم مسعود الروسى من مكناس لفاس والمدينة فى حصار، فزار الضريح الإدريسى وانصرف لداره بالعدوة، فسأله بعض القوم عن سبب مجيئه، فقال: إن السلطان مولاى عبد الله ولانى حكومة فاس، ولما شاع ذلك النبأ تحزبت الغوغاء والأخلاق وهجموا عليه وقتلوه أمام داره وجروه إلى توتة الصفارين، وهموا بتعليقه عليها فتعذر^(١) حمله لضخامة جثته وبقي ملقى هناك إلى الغد هـ.

وفى نظرى أن ما جاء فى تاريخ الضعيف نقلا عن تاريخ ابن موسى أصبح وأقعد، لأنه عاصر المترجم وحفظ ووعى وقيد على عهده ونقل كلامه الضعيف ولم يتعقبه.

(١) فى هامش المطبوع: «لا تعذر فى الضخامة مع التحزب المذكور».

وفى الدر المنتخب نقلا عن صاحب نشر المثنى: أن السلطان - يعنى المترجم - نادى بالوعيد الشديد لمن أتى بالميرة لفاس، وبقوا فى الحصار إلى مهل ربيع الأول، فأرسل السلطان القائد مسعود الروسى واليا على فاس لما شاع عنهم أنهم إنما كرهوا محمد بن على المذكور، وأما غيره فهم راضون به أيا كان، ففرح عامة الناس بدخوله لخمود الفتنة، وإطفاء نارا الغلاء، فدخل الروسى دار أخيه بعدوة الأندلس من فاس، وجعل الناس يأتون للسلام عليه وكثر عليه الازدحام وهو داهش لا يدرى ما يحل به، ثم دخل عليه من جرى فى الفتن فقتلوا بعض أصحابه بين يديه، وخرج هو فاراً لدور بعض الأشراف محترماً ومحتفياً.

فلما كان الليل اجتمعوا على قتله أخذاً بثأر أخيهام بوده إذ كان قتله فى زمن ولايته لمولاي على، فأخرجوه من المحل الذى كان به وقتلوه، وأصبحوا على أشد ما يكون فى حصارهم، وغلا الزرع وكان به نحو ثمان موزونات للصاع النبوى، وقل الإدام، وانقطع اللحم واستمروا على حصارهم ومكث أهل فاس على نصر مولاي عبد الله والخطبة به على المنابر هـ.

وفيه أيضاً نقلا عن صاحب النشر وغيره قائل ما لفظه ومن كلامه الممزوج بكلام غيره: وفى عاشر ربيع الأول تولى عبد الخالق الزيتونى أمر فاس بإجماع أهلها، وجعل ينظر فى مصالح المسلمين من إصلاح الأسوار وغيرها، وفى السادس عشر قبض الودايا ثلاثة من أهل فاس وطوفوهم بفاس الجديد وقتلوهم، وقتل أهل فاس الهزاز، وابن حمو.

وفى يوم الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الثانى اختلفت كلمة اللمطين والأندلسيين فى ذكر السلطان مولاي عبد الله على المنبر فى الخطبة، فأراد الأندلسيون ذكره، وامتنع اللمطيون، وصليت الجمعة بذكره فى مسجد الأندلس والطالعة، وترك خطيب باب الجيسة ذكره، وكذلك نائب خطيب القرويين، لأن

خطيبها قاضى فاس كان بالحرم الإدريسى محترما، وأما خطيب المقام الإدريسى فإنه كنى عنه ولم يصرح، وإنما قال: وانصر اللهم من بايعناه على طاعتك من أبناء السادات الشرفا، سمى جده والد المصطفى.

وخاض الناس فى ذلك وكثر القيل والقال، واجتمع العلماء فى المقصورة فانفصلوا عن غير فائدة.

وفى السادس والعشرين اجتمعوا أيضا بمسجد اللبارين، فأما الفقيه سيدى محمد بن عبد السلام بنانى، فقال للامة: أخرجونى حتى أراجع المسألة وأراجع كتب الأئمة، وأما الفقيه السيد محمد الزيزى فقال لهم: طاعة السلطان واجبة، وإن تفاحش ظلمه فإنه متغلب ولا تقدرّون على مقاومته، ومن قال لكم غير هذا فقد غشكم، وأنا لكم من الناصحين.

فهاجت العامة عليه، وهموا بقتله حتى تشفع فيه بعض الأشراف، وانفصل المجلس على ما ذكره بنانى ومن تبعه من التأجيل، ثم اشتد الغلاء فبلغ القمح عشرين مثقالا والشعير عشرة مثاقيل، وتحير الناس فى أمورهم، وأراد اللمطيون أن ينصروا سيدى محمد بن عربية وامتنع الأندلسيون.

وفى مهل جمادى الأولى تذاكر الناس فى الصلح مع مولاي عبد الله على يد السيد أبى بكر بن محمد بن الخديم الدلائى، فلم يظهر لذلك أثر بعد أن كانوا نصرّوه على المنابر فى الخطب.

وفى ثانى جمادى الأولى جاء القائد محمد مغوس المجايطى بقصد الصلح، ثم إنه وقع خصام بينه وبين الودايا فجرحوه، وذهب لمكناسة وتوفى بها فى سابع الشهر المذكور.

وفى السابع عشر منه تناول أهل فاس صلحا مع السلطان على يد زيان بن على ويشى رئيس المحلة النازلة فلم يكمل، لأنه اشترط عليهم شروطا لم يقبلوها.

وفى يوم الثلاثاء السادس والعشرين منه وقع خصام بين بعض البوابين بباب الجيسة مع خديم من خدام الشرفاء أهل دار القيطون فضربوه، فلما سمع بذلك أصحابه الشرفاء تحزبوا، وانضاف إليهم جماعة وجاءوا لاشبارات من ناحية سيدى اللزار من ناحية الطالعة، فلما وصلوا للقصة الجديدة وتلاقوا مع محمد بن على ويشى قائد مولاى عبد الله، قالوا له: نحن لا نوافق على ما فعله أهل فاس، وما خرجنا إلا لهذا الغرض، فأعرض عنهم، وحينئذ اجتمع اللطيطون والأندلسيون بعد صلاة العشاء بالقرويين وتحزبوا على عدم نصر مولاى عبد الله، وشد السلطان فى الحصار مدة من أربعة أشهر ولم يكن بين أهل فاس ومن حاصرهم قتال ولا رمى بكور ولا ببج ولا حفر مينة ولا طمع فى الاستيلاء على المدينة، لأن السلطان أوصاهم بعدم ذلك، وقال: إن ذلك لا يفيد فى فاس شيئا، وقد بالغت فى الحصار الأول الذى قبل هذا الجهد وما حصل لى منى ذلك إلا تضييع الأموال والمشقة، وإنما يذعن أهل فاس المساكين من أهلها والضعفاء الذين لا يقدرّون على الدفاع عن أنفسهم شدة من الغلاء والجوع، هذا كله والسلطان بمكناسة يقتل من طغى من العبيد وتجبر هـ.

وفى يوم الثلاثاء سادس عشرى وقيل الثامن من جمادى الأولى عام تسعة وأربعين، اجتمع رأى أهل فاس والودايا ومن شايعهم على رفض طاعة صاحب الترجمة والبيعة لصنوه أبى عبد الله ابن عريبة مار الترجمة، وقد كان الناس سثموا الفتن وإتلاف الأنفس والأموال وضيق المعيشة وقطع السابلة وكلوا وملوا.

وفى الاستقصا أن بيعته كانت فى خامس الشهر سنة خمسين هـ.

ومن الغد الذى هو يوم الأربعاء أعلنوا بذلك ونادوا به فى الأزقة والأسواق وكتبوا البيعة لابن عريبة المذكور، ومن توقف أو خالف فى ذلك نكلوه، وإن كان موظفا عزلوه، وكان ممن آخر عن الوظيف لعدم إسرعه بالإجابة لما ذكر أبو عبد

الله محمد البكرى الدلائى وسجن وذعر، وأبو عيسى المهدي الفاسى، وأبو مدين أحمد الفاسى، وأبو العباس أحمد بوحنان، الأول منهم عن إمامة الضريح الإدريسي وولى مكانه أبو عبد محمد بن على بن إبراهيم، والثانى عن الإمامة بمدرسة الطالعة وعين للإمامة بها بدلا عنه الشيخ التاودى بن سودة، والثالث عن الإمامة بجامع الأندلس وولى مكانه السيد بوعزة بن إدريس المناط، والرابع عن إمامة جامع باب الجيسة وعين بدلا عنه أبو عبد محمد فتحا السلاوى.

ولما اتصل ذلك بالترجم جمع أهله وعياله وماله وكل ما له قيمة بالقصر الملكى بمكناس وأطلق سراح من كان بالسجون، وخرج من مكناسة ونزل بالحاجب، وقيل بجبال فازاز، والتفت عليه البرابر وصاروا يغيرون على سرح مكناسة وسایس وما والى ذلك.

ثم بعد ذلك بخمسة أيام أتى المترجم بالبرابر أتباعه ليلا إلى مكناسة ونهب جميع أحوازاها، ووصل إلى سيدى فرج وبقي هنالك إلى أن طلعت الشمس وفتح باب الأروى فدخلها وهدم البيوت وحرق المساكن، وأخذ جميع ما كان بها من خيل وسلاح، ورجع للحاجب فاقتفى أثره جند صنوه ابن عريية. ولما رأى المترجم ما لا قبل له به نجا بنفسه وترك مخيمه غنيمة، فتبعته جنود العبيد والودايا وأهل فاس إلى ملوية وتوغل فى جبالها وخفى عنهم ولم يدروا أين ذهب، وفى منقلبهم اعترضهم البربر وسلبوهم من كل شىء، واشتبكت الفتن وارتبكت، وفى هذه الفتن كانت منية المولى الرشيد صنو المترجم، والقائد ابن النوينى.

وفى نسخة عتيقة من نشر المثنائى غير مطبوع ما نصه: إن عبيد مكناسة تبعوا المترجم للفتك به فلما نزلوا على عين اللوح أنزل الله المطر الكثير وأرياحا وبردا شديدا حتى كادوا أن يهلكوا، فرجعوا وقد خاب قصدهم.

وفى شوال أكثر أتباع مولاي عبد الله من البرابر الغارة على سايس وغيره من البلاد الموالية لبلاد البربر، ففر جميع من كان يلى البربر، فخلت جميع تلك البلاد، ثم شن البرابر الغارات على من يمر بالطرقات، وأكثروا النهب فى سائر البلاد التى يقدرّون على الوصول إليها، وقاموا بدعوة مولاي عبد الله فى جميع جبالهم واتخذهم بطانة له، وفى ذلك الوقت بدأ انتعاشهم، ولما رأى مولاي عبد الله فرار الناس من البربر نزل جبل غمره الموالى لبلاد سايس، وانقطعت الميرة على فاس الإدريسية من كل ناحية من غارات البربر على ما حولها، وحبس الله المطر عنها وعن حوزها فارتفعت الأسعار.

وفى رابع عشرى رمضان أقيمت صلاة الاستسقاء ببوعجول، وخطب مولاي حمدون الشريف الطاهري نائبا عن القاضى سيدى يعيش.

وفى الثامن والعشرين من ذى القعدة أقيمت صلاة الاستسقاء أيضا بباب الفتوح، وخطب الفقيه السيد أحمد الوريزى، ثم أقيمت بباب الجيسة، وخطبها سيدى حمدون الشريف الطاهري.

وبالغد أقيمت صلاة الاستسقاء أيضا بباب الفتوح، وخطب سيدى حمدون المذكور.

وفى الثلاثين صليت بباب الفتوح، وخطبها الشريف المذكور.

وفى مهل ذى الحجة أقيمت صلاة الاستسقاء أيضا، وخطبها السيد أحمد الوريزى المذكور.

وبالغد أقيمت صلاة الاستسقاء بوادى الزيتون، وخطبها سيدى بومدين بن سيدى أحمد الفاسى.

وبالغد أقيمت بباب الجيسة، وخطبها السيد أحمد الوريزى.

وفى خامس ذى الحجة أقيمت بمصلى بباب الفتوح، وخطب الورزى أيضا ولم ينزل المطر، وحيث اختل النظام وشاع الفساد وحصلت المجاعة العظيمة، ومات بالجوع من لا يحصى، وقل الإدام وانقطع اللحم.

ولم يزل الأمر فى شدة، وازدادت الفتن وفر الناس، فعند ذلك أتى القائد العباس بورمانة أكبر رؤساء جيش أبى عبد الله بن عريية صنو المترجم وقال له: إن البربر عثوا، ولم يبق التفات للأمير، فخرج فى خيله ورجله ووقع قتال شديد بين جنود ابن عريية والمترجم وأحزابه البربرية بسايس من الزوال إلى الاصفرار انجلى بهزيمة بورمانة وجموعه، وتركوا جميع مقوماتهم واستعداداتهم غنيمة، ولو أن الظلام حال بينهم وبين جنود المترجم لاستأصلوهم قتلا وأئخنوهم جرحا.

وقام عدة ثوار كل يدعو لنفسه ويحاول جر النار لقرصه والاستيلاء على ما بيد غيره، استولى الحوات على عبيد الرمل وبنى مالك وسفيان والطلق والخلط وما والى ذلك، واستولى الباشا أحمد الريفى على الفحص، وبلاد غمارة، وطنجة، والقصر وما حول ذلك من المعازل وعلى بلاد الريف وجبالها وقلاعها إلى ناحية كرسيف، واستولى القائد القلعى على بنى يازغة وما والاها.

أما المترجم فقد كان تحت سلطته الصحراء، وسوس، ومراكش، والبربر، وقد نص التاريخ على أن هذه الفتن لم تكن فى هذه السنة بالمغرب فقط بل عمت سائر أقطار العالم.

ولما طال مقام صاحب الترجمة بين أظهر البربر يتنقل من أغوارها إلى النجود، والفتن قائمة على ساق، والقحط ضارب أطنابه، سار لتافياللت وصار يترقب ما تنجلى به تلك الغياهب.

وفى رجب عام خمسين ومائة وألف: بلغ ثمن وسق القمح مائة مثقال، قال ابن إبراهيم الدكالى فى تقاييده: بعد أن كان فى الرخاء بخمسين أوقية والشعير

يقاربه، وكذلك الذرة حتى كاد أن ينقطع الطعام من فاس، وكان وزن الخبزة التى تباع بالسوق بموزونة خمس أواقى بالبقالى، واقتضح وجوه الناس وأعيانهم، وخلت المدينة وسدت حومات متعددة، مثل حومة الكدان، ودرب اللمطى، وحومة الأقواس، والسليدة، والطالعة، والدوح، وسدت الأسواق إلا القليل، وهدمت الديار وبيعت، ومات من الناس ما لا يعلمه إلا الله، حتى ذكر بعض الناس ممن أثق به أنه وصل للمارستان من الموتى فى رجب وشعبان ورمضان نحو الثمانين ألفا، فضلا عن لم يصل إليه وكانت الدار التى قيمتها عشرة (كذا) مائة مثقال تباع بثمانين مثقالا وسبعين ولا تبلغ المائة، وانجلى كثير من الناس عن المدينة وذهبوا إلى القصر، وتطاوين.

ومن ذهب بعياله لتطاوين العلامة سيدى محمد بن عبد السلام بنانى شارح الاكتفاء، واندثرت بسبب ذلك قبائل كثيرة من أهل فاس، ولولا أن النصرارى أتوا بالزرع من بلادهم لتطاوين ونواحيها وجلبه أهل فاس لهلك الكل جوعا، وقد كان والى تلك البلاد أحمد بن عبد الله الريفى ذا إبل عديدة اكتراها منه أهل فاس لحمل ما اكتالوه من الميرة، قيل: إنه ساعدهم على الكراء ظاهرا، ومنع الحمالين من الحمل باطنا، وتمرد عليهم ستة أشهر حتى تحقق لديه أن أكثر العائلات الكبيرة الذين لا يقدرّون على التنقل لبلد آخر من قلة الزاد وكثرة أفراد العائلة ماتوا جوعا فسر بذلك باطنا، وساعدهم ظاهرا، ووصل الزرع لفاس، وانجلت الأزمة التى حصت منهم كل شىء، ولما أتى ركب الحجاج من طرابلس أتى معه بالقمح الكثير وانحط السعر ورحم الله عباده.

قال ابن إبراهيم فى تقاييده لدى تعرضه لهذه الأحداث ما لفظه: كان اللصوص يأتون ليلا لديار الناس ينهبونها ومن قام معهم يقتلونه ويأخذون جميع ما وجدوه، فكانوا يأتون لرأس الجنان والمخفية ومصمودة والطالعة والدوح وسوق

التخالين وباب السلسلة، وقد جاءوا مرة إلى سوق قيسارية البز وحصل للناس بسبب ذلك خوف عظيم، وهذا كله والسلطان بمكناس يعنى ولد عريية لم يلتفت للناس ولم يعبأ بما نزل بهم، وحيل بين الناس وبين اجتنهم بلمطة والمرج وغيرهما من أحواز المدينة، ولم يبق أحد يذهب لموضعه بالمرج إلا من اتخذ يدًا مع السياب.

وجاء لصوص من ناحية باب الفتوح للفندق الذى يقرب من مدرسة الوادى وأخذ منه قافلة كانت عزمت على السفر، فلما اجتمع أهل فاس وخرجوا إليهم وجدوهم قد ذهبوا بما أخذوه وذلك فى وسط النهار.

وفى هذه الأيام أغار الودايا على القصارين بوادى فاس ونهبوا ما عندهم من الثياب، ثم صار القصارون يخدمون الثياب بوادى مصمودة، فأخذها اللصوص أيضا، وكثر الخوف بسبب ذلك، وصار الناس يبيتون فى الشوارع التى هى مظنة مجيء اللصوص ليلا والأمر فى كل نفس يزيد اشتدادا.

وفى خامس عشر شعبان ذهب السياب إلى مدرسة الصفارين ليلا ونهبوا جميع ما كان بها، لأنها كانت خلت من أهلها وغلقت أبوابها. افتضحوا، وقام معهم الناس وقتلوا منهم السلاسى بباب المدرسة وباقى أصحابه هربوا، ومن الغد قتل بالموضع نفسه بورمضان الحيانى وتسعة من أصحابه بالموضع المذكور، وفى هذه الأيام جاءت قافلة من الغنم ونزلت بفندق التجارة قرب القرويين لعدم الأمن من غيره.

وفى سابع رمضان ضرب الأندلسيون المحتسب السيد محمد بن عبد السلام المحمودى بحومة البليدة قرب دار القائد السيد عبد المجيد بوطالب، ووقعت بسبب ذلك فتنة بين الأندلسيين واللمطيين ثم اصطلحوا ليلا بروضة مولانا إدريس، ووقع اتفاقهم على تقديم التاجلوتى على الأندلسيين، والحاج محمد برزوز على

اللمطيين، وأحمد الغرناطى على أهل العدو، والسيد عبد المجيد بوطالب يكون الحاكم على الجميع ورضى الكل بذلك.

وفى ليلة الأحد الخامس من شوال جاء السياب لسوق قيسارية البز ونهبوا منها بعض الخوانيت.

وفى سادس شوال قتل سيدى محمد بن عبد الرحمن بن القاضى بجنانه المسمى باللب، قتله القطاع رحمه الله.

وفى ليلة الحادى عشر منه جاء السياب لدار الغزوانى الهزاز بشارع سويقة الذياب ونهبوها.

وفى ليلة الثانى عشر منه جاء السياب أيضا للدرب جنيارة ودخلوا على الحاج محمد برزوز بدار هنالك كان بها مع جماعة من أصحابه، فضربوه برصاصة ومات من الغد، وجرح من أصحابه مولاي أحمد بن إدريس العراقى، والشرىف سيدى محمد بن المهدي بوطالب، وأحمد بن جلون، والتاودى ابن عبد الخالق بنانى، والحاج محمد عدیل.

ومن الغد اجتمع أولاد برزوز وقتلوا محمد بن العربى الجزولى كبير حومة البليدة، لاتهامهم له بأنه هو الذى أدخل السياب على عمهم الحاج محمد. وفى أواسط شعبان ذبح يحيى الشاوى ليلا وألقى بالبرادعين.

وفى مهل ذى القعدة ذبح المحتسب سيدى محمد بن عبد السلام المحمودى قرب درب رطوانه، كان ذاهبا لداره بسيدى أحمد الشاوى ولم يدر من قتله.

ومن الغد وقعت بسبب ذلك فتنة بين الأندلسيين واللمطيين ثم اصطلحوا.

وفى التاسع والعشرين من ذى الحجة جاء السياب لدار الراعى قرب ضريح سيدى محمد بن عباد، وأخذوا منها غنما وبقرا كثيرا، وضربوا الحاج محمد بن

عبد السلام قصارة برصاصة فمات من حينه هـ بنقل صاحب الدر المنتخب المستحسن.

وفى ترجمة أبى عبد الله محمد بوطالب من نشر المثنائى أنه لما نزلت بالناس مسغبة عام خمسين، احترف رؤساء الرماة بيع الزرع من البادية يمنعون المساكين من شرائه ويشترونه بما شاءوا، ويبخسون الناس أشياءهم، وإذا باعوا يبيعونه بما شاءوا، وكان من جملةهم رجل يقال له العمارى رئيس الرميلى والكدان والصفاح من بنى عمار أحد شعوب سكان زرهون ورد على فاس جده، فكان يسرح البقر حتى يحفى، فاشترى بقرًا لنفسه وكان يبيع الحليب بحانوت بالصفاح، وسكن بالكدان، ثم بعد ذلك اشترى الدار الأولى عن يمين الداخل لدرب خلوق، وكان يبيع اللبن، ثم ولده كذلك، إلى أن نزلت مسغبة عام خمسين، وترأس على أهل الكدان وجذبت البلاد ومات البقر ولم يبق حليب يباع، صار يبيع الزرع بسوق الكدان بالصفاح.

فاضطر مولاي على بن مولاي محمد بوطالب صاحب الترجمة إلى شراء ما يتقوت به، فقصد سوق الصفاح فجلس ينتظر ما يشتري، فإذا بتليس جاء من البادية فاشتراه العمارى بما شاء، ولم يقدر أحد من المساكين يشتريه بما ساومه به العمارى ولا يعطيه فيه السوم، فباعه للعمارى بما شاء بمدهم الذى أحدثوه.

ثم أتى تليس آخر من البادية فساومه للعمارى أيضا وأعطى فيه السوم فزاد عليه مولاي على الثالث وباعه له مالكة فأراد العمارى منعه من شرائه، فلم يتركه له مولاي على، فتسابا بينهما وتصارعا، فصرعه مولاي على فدخل العمارى إلى حانوته وأخذ كابوسا كان عنده مرصصا وخرجه فى مولاي على من خلفه وهو لا يشعر فخر ميتا فحمله بعض المومنين إلى داره، فقالت لهم أمه: لا ندفنه حتى نقتل قاتل ابنى، فقالوا لها: قتلناه فدفنوه من يومه فى روضة أبى غالب على.

ثم فى غده حمل السلاح الشرفاء الأدارسة وغيرهم وساروا إلى قتل
العمارى وأهل الرميطة والصفاح والكدان الذين تعرضوا عليه ونصروه، فاقتلوا
وسلم الله الشرفاء من الجرح والقتل، وقتل العمارى وعدة من أنصاره، ثم افترقوا
وكفوا، وهدنت الفتنة والمدينة، ثم سلط الله على أهل الرميطة والصفاح والكدان
السارق بوزيان العبادى من أولاد عباد صفرو، ومعه جماعة من سراق إخوته
والمزاوغة وبنى يازغة، فكان يأوى لحوز فاس ليلا ويدخل الديار وينهبهم، فخلت
بذلك الحومات الثلاث المذكورة ولم يبق منهم إلا القليل، ورجعت تلك الديار
بساتين وجنات.

ولم تزل نيران الفتن والأهوال فى توقد، وأمر ابن عريية فى اختلال
وانحلال، والدماء تراق، والأموال تؤكل بالباطل، والفوضى ضارية أطنابها، ونفذ
ما فى بيوت الأموال، وسدت أبواب الجبايات، وتعذرت المصالح العامة، ولم
يوجد ما تدفع منه رواتب الجند وانقطعت عن الرؤساء وأولى العصابة مادة ما كانوا
يستفيدونه من بيوت الأموال، والأمر فى كل يوم يزداد شدة، فاتفقت كلمة العبيد
مع رئيسهم الخوات والبعض من الودايا والبربر على خلع ابن عريية.

وفى صبيحة يوم الأربعاء التاسع والعشرين وقيل الرابع والعشرين من صفر
العام أخرجوا ذلك من القول إلى الفعل، فأعلنوا بخلعه، ولم يقتصروا على
الخلع، بل ألقوا عليه القبض وعقلوه بداره الواقعة على ضفة وادى يسلمن جوار
حمرية التى لازالت معروفة إلى الآن خارج العاصمة المكناسية، والهرج والمرج
والخلاف فى ازدياد، فرأى آيت عياش أن لا مخلص من ذلك إلا الرجوع لطاعة
المرجوم واستئناف البيعة له، فذهبوا إليه لتأفيلالت مقر سلفه فشرحوا إليه جميع ما
حل بالرعية من الأحداث، وما أوصلها التنازع إليه من الفشل وذهاب الريح، وما
آل إليه أمر صنوه ابن عريية والمنارعين له من إخوته، وألحوا عليه فى القدوم معهم

للقيام بنصرته، فقابل مطلبهم بالرفض قائلا: لا غرض لكم إلا أن تجعلوني طريقا موصلة لإذابة المسلمين، والتوصل لأكل أموال العجزة والمستضعفين بالباطل وردهم بخفى حنين.

ثم بعد ذلك بدا للمترجم الرجوع إلى المغرب، فنهض من تافيلالت وسار إلى أن بلغ تادالا ثم آيت عتاب، فاجتمعت عليه قبائل تلك الناحية وهادوه واستبشروا بطلعته، وبقي هناك يستطلع أخبار فاس ومكناس وما والاهما، ويبحث عن أحوال إخوته مع العبيد إلى أن تحقق لديه اجتماع الكلمة عليه.

واستؤنفت إليه البيعة فعلا على يد القائد بوعزة مولى الشربيل، وذلك يوم الاثنين الخامس عشر من ذى القعدة عام اثنين وخمسين على الأصح، وقيل يوم الجمعة، وهو يومئذ ببلاد السراغنة، ولما تم له الأمر وجه للمترجم فئة عظيمة من أعيان العبيد لإعلامه باستتاف البيعة له، ولما لحقوا به أنزلهم منزلة تجلة وإكرام، وأقاموا معه ببلاد السراغنة أياما، ثم أنهضهم لناحية سيدي رحال مع الباشا الزيانى ومكثوا ثمة بضعة أيام، ثم أصدر أوامره بحصار اكدير فأجابوا بالسمع والطاعة وصارت تفد عليه الوفود من سائر الأصقاع المغربية يطلبون عفوه وأمانه، فآمن الجميع وقابل بالعفو والإحسان.

وفى حادى عشر ذى الحجة منصرم العام أمر رؤساء العبيد أشراف فاس وعلماءها وأعيانها بالتوجه لتقديم الطاعة لصاحب الترجمة، فأجمعوا أمرهم من فاس أول عام ثلاثة وخمسين، يتتظم ذلك الوفد من القاضى أبى العباس أحمد بن على الشعراوى، والعلامة أبى عبد الله محمد الزيزى، وأبى حفص عمر بن إدريس الإدريسى، وصنوه المولى أحمد وابن عمهما أبى عبد الله محمد بن عبد الله المدعو الغالى، ونحو الأربعين من الرماة والأعيان فى طليعتهم شيخ ركب الحاج وهو الخياط عدیل ورؤساء العبيد والودايا.

وصاروا يظعنون ويقيمون إلى أن وصلوا للحضرة السلطانية، فأنزلهم منزلة تجلة وإكرام، ثم أحضرهم لديه ووجه اللوم على ما صدر منهم على الفقهاء، فاعتذر الكل بأنهم مرغمون على ذلك ممن لهم السلطة الاستبدادية من عبيد وودايا، فقال لهم ما قاله الصديق نبي الله لإخوته: لا تثريب عليكم فيما كنتم، وعين عبد الله الحمري عاملا على فاس، ورد الجميع رداً جميلاً.

ثم استقدم العبيد بأجمعهم لحضرته، ولما قدموا عليه جمع جيوشا عديدة من القبائل الحوزية، ثم عقد الرياسة على الجميع للقائد الباشا الزيانى، ووصل الجميع وأوصى بالعدل والإحسان والبر والتقوى، ووجههم لحصار أكدير إلى أن يدخل أهله فيما دخلت فيه الجماعة فساروا إلى أن وصلوا لسيدى رحال إلى أن لحق آخرهم بأولهم، ثم نهضوا يطوون المراحل إلى أن خيموا على حصن أكدير، ولم يزالوا محاصرين له إلى أن فتحوه عنوة فى سابع ربيع الثانى من العام واستولوا على جميع ما كان به.

وفى عاشر ربيع المذكور، وقعت ملحمة عظيمة بين الجيوش السلطانية والقبائل الحوزية مراكش ودكالة والرحامنة وزمران ومن انضاف إليهم من الأعراب والبرابر، كان الظفر أولا للجيش السلطانى ولكنهم أضاعوا الأخذ بالحزم ونبلوا الاحتياطات اللازمة وراءهم ظهريا، واشتغلوا بالتزاع على الغنيمة، حتى أتاهم من خلفهم المولى المتصبر بنور الله شقيق المستضىء بنور الله وحال بينهم وبين الأثقال والأخبية، وحاز الكل غنيمة باردة ورجع من حيث أتى.

أما الجيش السلطانى فإن منه من لحق بصاحب الترجمة، ومنهم من بقى بأكدير حتى يصدر إليه الأمر العالى بما يكون عليه عملهم، وقد كان من بقى من عبيد مشرع الرمل بمحل استيطانه من المشرع المذكور أنهضوا منهم جيشا ثانيا رأسه الباشا بوعزة مولى الشربيل، وتوجه للحضرة السلطانية ليكون ردفا للأول، وسار

إلى أن بلغ لبلاد تامسنا وأقام هنالك حتى تلاحق المتأخر بالمتقدم، ثم نهضوا وساروا إلى أن خيموا بتساوت، وأقاموا هنالك إلى أن لحق بهم المترجم فى فاتح ربيع الثانى فى جنود جرارة، واطمأن بعضهم لبعض، ونشطوا للقتال، واستعدوا للنزال، أخذًا بثأر إخوانهم.

ثم نهض بهم المترجم إلى ناحية وادى تانسيفت، فوجد صنوه أبا النصر قد حال بجنوده الحوزية بينه وبين الماء، ولما التقى الجمعان بيوكر كور وتسعرت نيران القتال وحى الوطيس تقدم الباشا بوعزة المذكور وقد كان على الميمنة للطعن والنزال، واقتفى أثره ابن النوينى وقد كان على الميسرة، ثم تبعهما صاحب الترجمة، وكان القلب والساقة، وكان انجلاء الملحمة بانهزام أبى النصر وأحزابه شر هزيمة، وذلك يوم الخميس فاتح جمادى الأولى من العام، ثم نزل المترجم على الماء واقتفى الباشا بوعزة أثر المنهزمين، إلى أن نزل على رأس العين، ومن الغد رجع إلى المحال السلطانية، وأقام المترجم بزاوية ابن ساسى نحو سبعة عشر يوما.

وفى يوم الأربعاء متم جمادى الأولى من العام كانت وقعة كبيرة بـ(منزات) حضرها صنو المترجم المستضىء بنور الله بنفسه، وكانت الكرة عليه، فاعتصم هو وشيعته بجبال مسفيوة، ولولا ذلك لداستهم حوافر الجنود السلطانية، ولما أيقن المترجم بفشلهم وذهب ريحهم أقلع عنهم وتوجه إلى دكالة فحصد جنوده منها كل شىء وأقام بها نحواً من شهر.

وفى آخر جمادى الثانية أقلع عنهم ووجهته مكناسة الزيتون مقر عرش والده، وكان وصوله إليها فى منتصف رجب العام، وخيم بباب الريح خارج البلد، ولم يزل مخيماً هنالك والوفود تغد عليه بالهدايا والبيعات من سائر الأقطار المغربية من عرب وبربر، وهو يقابل كلا بما يليق ويوصله على قدر حيثيته ومكانته،

وكم قضى لخاصتهم والعامة من مآرب ومطالب ووالى من إحسان إلى أن رجع الكل لوطنه لاهجا مثنيا شاكرًا.

قال أبو عبد الله الضعيف: إلى هنا انتهى تأليف الفقيه المؤرخ الحاج عبد الكريم بن موسى الريفى الذى سماه بزهر الأكمل، قال رحمه الله: وهنا انتهى بنا هذا التأليف، وقد قيل فى بعض الكلام، من قعدت به نكاية الأيام، أقامته إغاثة الكرام، والبقاء والدوام، للملك العلام هـ.

ولم يتخلف أحد عن البيعة وتقديم الطاعة غير زعيم الريف، الباشا أحمد بن على ومن هو تحت سيطرته لتمرده وشقه عصا الطاعة.

وكان سبب عدم دخول المترجم لدار الملك ما كان صدر من أخيه المستضىء من التزوج ببعض نسائه، ولذلك ألقى القبض على قاضى البلد أبى القاسم بن سعيد العميرى، والقاضى أبى العباس أحمد بن على الشدادى، والعلامة أبى الفضل العباس بن الحسن بن رحال المعدانى، وأبى العباس أحمد بن عبد الله التلمى، وأبى الحسن على الندرومى خليفة القاضى العميرى المذكور، وأغلظ لهم فى القول وقرع ووبخ على موافقتهم لأخيه المستضىء على التزوج بزوجاته، وكان ذلك فى يوم الخميس حادى عشرى رجب المذكور، وعزل الخطباء الذين كانوا يخطبون باسم أخيه المستضىء.

ثم بنى ديرة لسكناه بباب الريح، ولما تم العمل فيها سكنها بمن كان معه من الحرم، ووظف على أهل البلد وظائف أثقلت كواهلهم، ولما بلغت زروعهم أوان الحصاد أطلق أيدي الجيوش فيها، ولما ضاق بهم الخناق وبلغ بهم الجهد منتهاه عفا عنهم وأحلم وصفح فاطمأنت النفوس، وزال عنهم ما كانوا فيه من شدة

ويوس، وأنجح الله لهم الأسباب وصلاح الزرع والضرع وتوالت الأمطار، وانحطت الأسعار، وتبدل عسرهم يسرا.

وفى أوائل المحرم فاتح عام أربعة وخمسين نزل بفاس، وولى عليها الحاج عبد الخالق عديل شيخ ركب الحاج، وأمره بتأخير كل خطيب خطب بصنوه المستضىء، وكان عديل المذكور ذا ثبات ورسوخ عقل فقال له: يا مولاي هذا من وظيف القاضي، وحسبى شد عضده فيه، فولى قضاء فاس أبا يعقوب يوسف بوحنان وأمره بما أمر به عديل فعزل السيد بوعزة المشاط عن خطبة مسجد الأندلس وولى مكانه الفقيه أبا عبد الله محمد الزيزى، وعزل أبا حفص عمر بن عبد الله الفاسى عن خطبة باب الجيسة وولى مكانه أبا عبد الله محمد السلوى، والشيخ التاودى بن سودة عن خطبة مدرسة الطالعة وولى مكانه أبا العباس أحمد الحارثى الدلائى، وأبا الحسن على التوزانى عن خطبة جامع القصبة البالية بباب المحروق وولى مكانه أبا العباس الشامى.

وولى قضاء تارا الفقيه أبا محمد عبد الواحد بوحنان، وأمره بعزل من هنالك من الخطباء للسبب المذكور، ولما كان فى أثناء الطريق لمحل مأموريته اعترضه اللصوص وسلبوه من كل ما كان معه، وتوفى بعد وصوله لتارا قبل قضاء ما أمر به.

وفى صبيحة يوم الثلاثاء تاسع عشرى محرم أتى اللصوص لفندق النخالين من فاس ونهبوه.

وفى أواخر صفر جاءوا لسوق البز ونهبوا منه دكانين.

وفى العام سلط الله الفار على الزرع والقطنى والبحائر والفواكه الخريفية فى سائر البلاد.

وفى العام نفسه اختط المترجم دار الديبينغ الشهيرة بضواحي فاس، وفيه بعث القائد محمد الكعيدى اليازغى كبير أهل الديوان لجباية الأموال المترتبة بدمم الحيانة وغيرهم، فقتله الحيانة مع من كان معه من الأصحاب بالموضع المعروف بعين مديونة، وذلك فى ثانى عشرى ذى الحجة منصرم العام.

وفى اليوم نفسه اتصل بالمترجم وهو يومئذ بفاس خروج الباشا أحمد بن على الريفى من طنجة ووجهته القصر الكبير فى استعداد زائد، فأنهض لمقاومته وصدده عن القصر جيشا جرارا من عبيد الرمل وذهب هو للعاصمة المكناسية، فخان القواد ومن فى قلبه مرض ولحقوا بالريفى المذكور ورجع الباقون إلى مكناس وانحل الأمر، ولما نزل القواد الخائنون ومن فى حكمهم إلى الريفى، أكرم مثواهم ونزلهم ووصلهم واقترح عليهم الكتب لإخوانهم الذين بمشعر الرمل بالقدوم عليهم لديه، ونكت بيعة صاحب الترجمة، ووعدهم على ذلك بمال جزيل.

واتفق أن كان ذلك غب زمن المسغبة، فأسعفوا رغبته، ووجهوا لإخوانهم يستقدمونهم، فوجدوهم ارتحلوا لمكناسة لما لحقهم من عيث جيرانهم سفيان وبنى مالك وبنى حسن والبربر، ولما حلوا بمكناسة تطاولوا على أهلها وضيقوا بهم أشد التضيق، واستباحوا الأموال والأعراض، ونزعوا عن وجوههم جلباب الحياء، حتى انجلى عن البلاد كثير من أهلها وتفرقوا فى البلاد، ولم يقتصر العبيد على أذى أهل المدينة بل مدوا يد الطغيان والظلم والتعدى فى ما جاورها وعثوا فى السابلة، ولما اشتعلت نيران الفتن وعجز المترجم عن رتق ما انفتق، جمع عياله وماله ووجه بذلك لفاس، وكان وصوله إليها ضحى يوم الخميس الموفى ثلاثين من ربيع الأول على الأصح، واجتمع رأى أهل النقض والإبرام على خلع المترجم لعجزه عن الدفاع، والمبايعة لصنوه زين العابدين سابق الترجمة، وقد كان عند الباشا أحمد الريفى.

ولما اتصل هذا النبأ بالريفي المذكور وكان من أشد الناس عداوة لصاحب الترجمة، بادر للإعلان بنصر زين العابدين وتبعه على ذلك من كان معه من العبيد، وطيروا الكتب لإخوانهم الذين بمكناس بتعجيل رفض بيعة المترجم من أعناقهم، والبيعة لصنوه المذكور.

ولما وصلت إليهم تلك الرسائل ارتأوا أنه لا يتم لهم أمر إلا بموافقة الودايا وأهل فاس معهم على ذلك، فكتبوا لهم بشرح ما أصاب الناس من الضيق والحرج بتراكم الأهوال والفتن، ورغبوا منهم الدخول معهم فيما راموه وأبرموه، فأجابوهم برفض ذلك المطلب وإلغائه محتجين بأن بيعة المترجم في أعناقهم لا يبيح لهم الشرع خلع ربققتها.

وفي ثانی ربيع الثاني خيم المترجم بدار الديبغ الشهيرة خارج فاس، حيث المدينة الجديدة اليوم، فاستقبله الودايا وأهل فاس وشرح لهم ما تحقق لديه مما أضمره العبيد له فأجابوه بأنه لا سبيل لرفض بيعته، وأن طاعته لازمة لهم.

ثم انتصر حزب العبيد وأعلنوا بخلع صاحب الترجمة والبيعة لصنوه زين العابدين، وذلك يوم الأربعاء تاسع عشر ربيع، فكانت دولة المترجم في هذه المرة من اليوم الذي بويع فيه وهو الخامس عشر من ذي القعدة عام اثنين وخمسين إلى اليوم الذي خلع فيه وهو الأربعاء تاسع عشر ربيع من عام أربع وخمسين، عاما واحدا وأربعة عشر يوما وهي الدولة الثالثة له.

وفي ثالث عشر رمضان عام أربعة وخمسين ومائة وألف، أعلن العبيد بخلع زين العابدين مار الترجمة، واستئناف البيعة لصنوه المترجم، وهو يومئذ بالقبائل البربرية، وبويع له بالعاصمة المكناسية بمحضر الشرفاء والعبيد والأعيان، وتمت له

البيعة العامة حيث إن البربر والودايا وأهل فاس والعرب كانوا لازالوا متمسكين ببيعته ببواطنهم، وإن اضطهرهم العبيد على التظاهر بالطاعة لزين العابدين.

ولما اتصل هذا النبأ بالمرجم قدم لمكناس، ووفد عليه أربعمائة من العبيد يطلبون عفوه وأمانه فأمنهم وقابل جنائتهم بالصفح، واستقر بمكناس أياما، ثم بدا له النهوض لفاس، ولما نزل بداره المعروفة خارج المدينة بدار الديبغ خرج لاستقباله الأشراف والوجهاء وذوو المناصب العالية فرحين مستبشرين، وتسابقت الفرسان على الصافنات الجياد أمامه إظهاراً لما خامرهم من السرور، وسدت الأسواق.

ثم صارت الوفود تفد على جلالته لتقديم الطاعة وإظهار الخضوع، فأوسعهم برا وحلما، ونقل من دار أبيه لداره المذكورة كل ما له قيمة من ذخائر وأثاث، فكبر ذلك على العبيد، ولم يرضوه وطلبوا منه الرجوع عن ذلك، وأن لا يتمادى على إكمال بناء تلك الدار لتيقنهم أنه إن تم بناؤها وسكن بها اعصوب عليهم، وخرج من ربة استبدادهم، فلم يلتفت إليهم، فهددو، بالخروج عليه، فلم يرفع لهم رأسا.

ولما علم بذلك الباشا أحمد الريفى اتخذه فرصة، وكتب لعبيد مكناس قائلا: إن الأمر صار لغيركم ولم يبق لكم أمان على أنفسكم، وإن المترجم لم يبق تحت يده مال، والملك لا يقوم إلا بالمال، فقوموا على ساق فى خلعه وتبديد جموعه وأحزابه، ولكم من المال ما تحتاجون إليه، وها صنوه المستضىء بمراكش وقد بايعه أهلها فاتبعوهم، وأعلنوا بنصره، فأجمعوا أمرهم على ذلك وفعلوا، فوجهوا للمستضىء يستقدمونه.

وفى ذى القعدة بلغ المترجم ما صمم عليه العبيد مما أوعز لهم به الريفى، فاشتغل بتأليف القبائل المتمسكة بطاعته وحالفهم على المدافعة عنه ومحاربة أصداده والموت دونه، وإثر ذلك ورد على فاس من مراكش الحاج أحمد السوسى داعية المستضىء ينشر دعوته ويرجف الناس ويعظم شوكته، فأصدر صاحب الترجمة أمره بقتله قصاصاً، فقتل واستصفيت أمواله، واستؤصل ما كان بداره.

وفى أول المحرم عام خمسة وخمسين دخل المستضىء مكناسة فى عساكره العبيد، وبأثر ذلك ورد كتاب الريفى المذكور على أهل فاس يدعوهم لبيعة المستضىء، فأجابوه بالرفض وصمموا على نصرة المترجم ومقاومة كل من ناواه والموت دونه، وتعاهدوا بإصلاح المعامل والصقائل، وجعلوا لباب محروق أحد أبواب المدينة أبواباً من ساج مغشاة بالحديد.

وفى يوم الثلاثاء رابع عشرى ربيع الأول خيم المستضىء بجند العبيد بظهر الزاوية، وفر المترجم للقبائل للانتصار بهم، ونزل على آيت يدراسن، ولما كان الغد الذى هو يوم الأربعاء وقع قتال شديد بين المستضىء وأهل فاس ومن انضم إليهم من الحيانة وشراقة وأولاد جامع، مات فى المعركة من الودايا نحو اثنى عشر رجلاً، ومن أهل فاس نحو الستة، ومن العبيد نحو الستين.

وفى يوم الجمعة رابع ربيع الثانى رجع السلطان عبد الله صاحب الترجمة فى جيوش جرارة ذات قوة وبأس شديد من البرابر بنى مطير وجروان وآيت يوسى وآيت أدراسن وزمور وآيت ومالو وغيرهم، وجلب بهم على أحزاب صنوه المستضىء، ولما اتقى الجمع اعلم المستضىء أنه لا قبل له بمقاومة تلك الجنود البربرية المجندة، فنجأ هو وأتباعه بأنفسهم بعد عشاء يوم السبت خامس ربيع الثانى، وعصم الله بمحض فضله دماء المسلمين.

وفى العام عم الطاعون بالمغرب وخصوصا بفاس ومكناس ونواحيهما
وانحبست الأمطار، وارتفعت الأسعار، وفشا الجوع فى القرى والأمصار، وتفرق
أهل فاس فى البلاد كالقصر ووزان والعرائش وتطاوين وطنجة. قال أبو عبد الله
الضعيف: حكى لى من أثق به من أهل القصر أن صبيان أهل فاس كانوا يتكفون
بأبواب الدور والأزقة.

وفى جمادى الأخيرة وقعت فتنة بين الحاج عبد الخالق عديل، وأبى عبد الله
محمد الغالى الشريف الإدريسى، فرفع عديل الشكاية بالشريف لصاحب الترجمة
فأصدر الأمر بإلقاء القبض عليه، ففر واستجار بضريح جده أبى العلاء إدريس
الأزهر بن إدريس الأكبر، فضيق عليه إلى أن خرج وضرب ووبخ وسجن وقتل
أنصاره لسعيهم فى الأرض الفساد.

وفى يوم الخميس سابع عشرى رجب سرح المترجم أبا عبد الله محمد
الغالى الشريف الإدريسى، ولما علم بذلك أهل فاس تحزبوا وخرجوا لباب محروق
بقصد قتل الشريف المذكور إن رام النزول لفاس القرويين، فأوعز بعض الناس
بذلك للإدريسى المذكور فسكن فاسا الجديد.

وفى العام وجه المترجم مع ركب الحاج ثلاثة وعشرين مصحفا كلها محلاة
بالذهب مرصعة بنفيس الدر والياقوت، منها المصحف الكبير العقبانى المنسوب
لعقبة بن نافع الفهرى الذى كان الملوك يتوارثونه من عهد بنى أمية بالأندلس، ونقل
إلى المغرب على يد عبد المؤمن الموحدى، ثم انتقل إلى بنى مرين، ثم وقع بيد
الأشراف السعديين، ولم يزل يتداول إلى أن وقع بيد المترجم ووجه معه بألفى
حصاة من الياقوت المختلف الألوان العزيز الوجود وسبعمئة حصاة هدية للحجرة
النبوية.

وفى العام توالى الأمطار حتى هدم قوس من أقواس قنطرة وادى سبو،
واستهلكت السيول كثيراً من الماشية وأقلعت الأشجار.

وفى السنة ثار العبيد على قبيلة سفيان وبنى مالك وأوقعوا بهم شر وقعة،
واستحوذوا على كل ما أمكنهم الاستحواذ عليه من مال ومتمول ورجعوا لمحالهم،
وبعد أيام قلائل نهضوا لناحية الفحص لمحاربة الباشا المذكور مخيماً بجنوده، ولما
التقى الجمعان انهزم العبيد بعد أن تركوا إخوانهم صرعى طعمة للعقبان والذئاب،
ورجع الريفى لمقره بطنجة.

وفى أوائل المحرم عام ستة وخمسين ومائة وألف، نهض الباشا أحمد الريفى
بخمسين ألف مقاتل أو يزيدون لمحاربة المترجم، ونزل على وزان بقصبة ازجن من
بلاد مصمودة، وكان الإبان إبان مطر، فحبس به هنالك نحو الشهر، وشرفاء وزان
قائمون بكل ما يلزمه من مثونة وعلف دواب وسائر اللوازم.

وفى عشية يوم الثلاثاء ثانى عشرى محرم المذكور نزل الباشا المذكور بجموعه
المتكاثفة بالعسال من مزارع فاس من ناحية قنطرة سبو، فناربه القتال بعض
القبائل، ثم ورد عليه جند من العبيد معززين له، وانضم إليه من القبائل الجبلية
نحو الخمسة عشر ألف رجل، ثم لحق به متبوعه المستضىء وأتباعه من عبيد الرمل
وتازا ومكناس وبنى حسن، وكان الحياينة وشراقة وأولاد جامع جاءوا لتحسين
فاس، ونصرة صاحب الترجمة لما علموا بمقدم الريفى ومتبوعه، ونزلوا بحللهم
باجتها وأحدقوا بها من كل جهاتها، وتوجه المترجم فى عشرة من أتباعه لآيت
أدراسن يستصرخهم ويستنصر بهم ويعرفهم بمقاصد الريفى، فأجابوه لما أراد،
ووجهوا لخلفائهم من آيت ومالوا وبنى حكم وزمور وكروان يستنهضونهم ورجع
المترجم من حينه لداره دار الديبغ.

ثم لحقت القبائل البربرية المذكورة بحال الريفي والمستضىء، وذلك يوم الخميس ثانى عشرى صفر الخير من العام، ولما أقبلوا عليهم صاحوا وحملوا عليهم وحكموا فيهم سيوفهم وهزموهم شر هزيمة لم يسمع بمثلها، حتى إن عدداً عديداً منهم رموا بنفوسهم فى الوادى فغرقوا، واستولت جنود المترجم على جميع ما كان بمخيمهم من مال وعدة وكراع، وقد كان الأمير أبو عبد الله محمد نجل المترجم حاضراً بهذه المعركة، وكان عدد من قتل من جند المستضىء والريفي ثمانمائة، ورجع الريفي لمقره طنجة وقام على ساق فى تجديد الاستعداد رجاء الأخذ بالتأثر، وأقسم ألا يأكل لحماً ولا يشرب لبناً إلا إذا احتل فاساً وجاس خلال خيم أولئك البرابر.

ولما كان أول جمادى الثانية من العام نهض من طنجة ووجهته فاس، ولما اتصل الخبر بصاحب الترجمة طير الإعلام لأنصاره من القبائل البربرية وغيرهم، ثم نهض من فاس فى مهل جمادى الأخيرة وخيم بوادى سبو، وهنالك استعرض جنوده وعساكره ورتبها أحسن ترتيب، فجعل رماة أهل فاس مع خاصته وعبيدة، ورماة العبيد مع بوعزة صاحب الشربيل، والودايا وزرارة وأهل سوس مع ولده أبى عبد الله الأمير محمد، وآيت يدراسن وجروان فى رماة حاجبه القائد عبد الله اليمورى، وشراقة وأولاد جامع وأولاد عيسى فى رماة قائدهم أحمد بن موسى الشركى.

وسار على هذه الحال إلى أن قرب من مخيم المحال الريفية، ولما علم الريفي أن المترجم بات على مقربة من مخيمه ارتحل بجنده وسار إلى أن أقبل على وادى لوكس، ورأى جيوش المترجم بدار العباس على ضفة الوادى المذكور مقبلة فاستقلها ونزل وأمر أتباعه بالنزول، ولما رأى المترجم اشتغال محال الريفي بالنزول

نادى فى عساكره لا نزول إلا بغنيمة أو هزيمة، فأجابوه بالسمع والطاعة، وانقضوا على المحال الريفية انقضااض البزاة فولوا الأدبار منهزمين، وتركوا جثتهم وأشلاءهم مبعثرة بالهضاب والسهول من بينهم جثة الزعيم الريفى فقطع رأسه وأتى به للمترجم، وذلك صبيحة يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الثانية من العام، ووجه برأسه لفاس فطيف به بالأسواق، ثم علق بباب محروق، ولم يزل معلقا هنالك إلى أن قدم على المترجم أولاد أبى زيد عبد الرحمن الثمالى من الجزائر متشفعين للمترجم فى إنزاله، فشفعهم وأصدر أوامره المطاعة بإنزاله، ووجه القاضى إذ ذاك عدلين لمشاهدة إنزاله وتسليمه للمتشفعين فيه، فذهبا - أى العدلان - وهما العلامة خطيب المدرسة العنانية من طالعة فاس أبو عبد الله الحارثى الدلائى والعلامة المفتى الشيخ أويس، وكتبت بذلك وثيقة من إنشاء أبى عبد الله محمد بن علال وإليك نصها:

الحمد لله الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، العفو الذى يحب العفو حتى لا يهتك السر ولا يؤخذ بالجريمات، الذى من كمال عفوه ورحمته ومته أن وعد بالجنة التى أعدت للمتقين، للكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أحلم رسول أرسله، المأمور بإعطاء من حرمه، وإيصال من قطعه والعفو عمن ظلمه، بقوله فى الكتاب المبين ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] وعلى أصحابه وأنصاره وأحزابه وآله البالغين الغاية فى اتباعه، واقتفاء اتباعه ..

وبعد: فعن الأمر المطاع، الذى يجب له الانقياد والاتباع، والإذن الشريف العلوى، السلطانى المولوى، أمر مولانا أمير المؤمنين، المحفوف من الله تعالى بالنصر والتمكين، فخر الملوك والأشراف، وظل الله على الأتوياء والضعاف، خليفة الله فى أرضه، وأمين الله على جنده بطوله وعرضه، المعتمد فى أموره على

مولاه الذى ولاه، أبو محمد مولانا عبد الله، أيد الله أوامره، وظفر بمنه جنوده وعساكره، عاين شهيداه ظهيره الأسمى، وطابعه الشريف الأسمى، بيد حملته السيد فلان، والسيد فلان، بقبول شفاعتهما فى رأس أحمد الريفى المخالف أمر السلطان وصحبه كتاب لخليفته الأسعد، وركن إيالته الأرشد، خديم المقام المولوى، وشيخ الركب النبوى، القائم بأمر مولانا المنصور، المضاعف له فى الثواب والأجر، فى سعيه الصالح، ومتجره الرابع، التاجر الجليل، الحاج عبد الخالق عديل، المتضمن عفو مولانا نصره الله وأيد أمره وخلد فى صفحات الدهر مآثره الشريفة، وأوامره عن رأس خديم إيالته الشريفة، وعتباته المنيفة، الباشا أحمد بن على بن عبد الله الريفى، من إنزاله من شرفات باب الشريعة من فاس، أمنها الله من كل باس، ودفعه لحملة الظهير الشريف، العالى القدر المنيف.

ففعّل العامل المذكور ما أمر به امتثالاً للأمر الشريف السعيد، المحفوف من الله تعالى بالنصر والتأييد، والعز المديد، ودفع لمن ذكر بمحضر شهيديه ومعايتهما لما سطر، فمن عاين ذلك كما قرر، وشهد على من ذكر كما حرر، وهم عارفون قدره وعرفهم فى يوم السبت السابع عشر من شوال عام ستة وخمسين ومائة وألف، والله تعالى يحسن عاقبة الجميع فى يوم البعث والنشور هـ.

هذا ولما مات الريفى ومزقت أشلاء أحزابه كل ممزق استولى المترجم على البقية الباقية من معسكره، ثم قدم عليه أهل تلك الجبال والخلط وطلق وغيرهم لتقديم الطاعة وطلب العفو والأمان، فعفا عفو قادر، وبعد ذلك توجه لطنجة وألقى القبض على خاصة الريفى وعماله، واستصفى أموالهم، ووجه القائد عبد الخالق عديل وجماعة من أهل فاس لحيازة ما بدار أحمد الريفى المذكور، وأمر أهل الريف بالإتيان بما له عندهم من ماشية وغيرها، ولما جمع ذلك وأحصى فرقه فيمن كان معه من البرابر، وكان نحو الأربعة آلاف وأقام المترجم بجنوده بطنجة أربعين يوماً.

أما المستضىء فإنه لما علم بموت عضده الأيمن وساعده المساعد أحمد
الرفي، أغرى من معه من العبيد وبنى حسن على الأخذ بثأر إخوانهم واستئناف
قتال صنوه المترجم، وقطع خط الرجعة بينه وبين فاس، فأجابوه لذلك.

وأطلق عيونه لترقب حركات المترجم وسكناته وإعلامه بظعنه ومقامه،
فكانت تأتية بتفاصيل ذلك، ولما بلغه أن صاحب الترجمة خيم بدار العباس التي
كانت بها تلك المعركة التي قضت على جموعه بالدمار والخذلان، ركب فى أتباعه
من العبيد وبنى حسن، وصبح المترجم على حين غفلة، ولما التقى الجمعان ولى
المستضىء وجنوده الأدبار. وانكسروا أى انكسار، مات من خصوص بنى حسن ما
يزيد على الألف، وسلب لهم من عتاق الخيل والسلاح ما يزيد على الخمسة
آلاف، ومات من العبيد نحو الخمسين.

وبعد الهزيمة فر القائد حسن فنيش هاربا، وهو أخو الباشا عبد الحق فنيش
عامل سلا، فلقى فى ذهابه أحد قواد عبيد الرمل كان مصاحبا له وقد مات له
فرسه فى المعركة، فطلب من القائد الحسن أن يردفه فأردفه لسابقة الصحبة، ثم
غدر العبد به وأكبه على رأسه وشد وثاقه وأقسم له يمينا بالله إن لم يسر أمامه
حتى يقتله، فسار به إلى أن أوصله لصاحب الترجمة ولما مثل بين يدى المترجم،
قال له: أنت يا فنيش من علوج أبى إسماعيل ووالدك كذلك، فلم تركت خدمتى
وأخذتك الغيرة على الحمار ابن الحمار؟ فقال له فنيش: أعتقنى وأنا أعطيك
عشرين قنطارا فقلع المترجم عشبة من الأرض، وقال له: هذه العشبة عندى أفضل
من مالك، وأنشد متمثلا بقول القائل:

إن الأسود أسود الغيل همتها يوم الكريهة فى المسلوب لا السلب

وضربه بمزراقه فقتله، وذلك بوادى الدزاز من وزان.

ثم نهض المترجم وسار إلى أن حل بفاس مؤيداً منصوراً، فكسا وفرق الجوائز، وعمم الصلات بدار الديبغ إلى ربيع الثانى من عام سبعة وخمسين، فقدم عليه رءوس العبيد وقوادهم ببيعتهم له وإعلامهم بخلع المستضىء، خاضعين معتردين طالبين عفوه وصفحه عما اقترفوه.

فعفا وصفح على عادته ووصلهم، وأمرهم بالتهيؤ لقتال بغاة بنى حسن ومن فى حلفهم من شيعة المستضىء كدكالة أخواله وأهل مراكز المتمسكين بطاعته سعياً وراء جمع الكلمة وإطفاء نيران الفتن التى حصت كل شىء، فأجابوه بالامتثال والسمع، وأمرهم بالالحوق به لدار ملك أبيه مكناسة الزيتون، وأصدر أوامره للحياينة وشرافة وأولاد جامع وأهل فاس والغرب بالإتيان إليه بحركتهم لأجل ما ذكر.

ثم نهض لمكناس وبها اجتمعت عليه تلك القبائل، ووفدت إليه الوفود ببيعاتها وبعد تجديد البيعة العامة له وهى البيعة الخامسة، كتب الكتائب وجند الجنود، ورتب الجيوش، ونظم المقاتلة، ونهض قاصداً بنى حسن على طريق الفج ليحول بينهم وبين الشعاب التى يتحصنون بها.

قيل: كان نهوضه فى ذى القعدة الحرام من العام، وسار إلى أن وافاهم ببسيط زبيدة، ففروا أمامه للغابة، وخلفوا حللهم وأموالهم غنية باردة، وما كان مساء اليوم حتى جاءوا تائبين منيبين، فعفا عنهم ورد عليهم مالهم وارتحل عنهم.

وسار إلى أن نزل بداره من القصبة الكائنة بأبى لعوان بين الشاوية ودكالة، وخيمت عساكره أمامه ببسيط دكالة، وقد كان أهلها فروا مع المستضىء للحوز، فأقام المترجم بدكالة سنة كاملة بعساكره، أتى فيها على ما لتلك القبيلة من زرع وضرع، وقطعت أشجارها وهدت قراها ومداشرها وصيرها بلاقع كأن لم تغن بالأمس.

ثم انتقل لبلاد السراغنة، وما استقر به الثوى بتلك البلاد حتى وفد عليه أهلها طائعين وفى عفوه راغبين، وانضموا لجيوشه، ثم وثب البعض من السراغنة على ستة من صعاليك العبيد وقتلوهم لارتكاب عار وذعر.

ولما اتصل الخبر بصاحب الترجمة أسرع للانتقام من غير فحص عن السبب، فقتل منهم عددا كبيرا، ونهض من بلادهم مغاضبا، ثم وفد عليه دمنات وما والاها من سهل وجبل طائعين مذعنين، ثم انتقل لبلاد زمران وأعلام النصر خافقة، ولما حل بها قدم عليه الرحامنة وأهل سوس والدير وقدموا لجلالته الطاعة وانضموا بمحالفهم لمحلته.

ثم تقدمت تلك الجنود الحرارة لبلاد مسفيوة، حيث كان المستضىء وأحزابه، وشبت نيران القتال بين جيوش المترجم وأهل مسفيوة ومن انضم إليهم إلى أن فشلوا، وفلت جموعهم وضعفت البقية الباقية عن المقاومة، فأتوا للمترجم بنسائهم وصبيانهم حاملين الألواح والمصاحف يستجيرون، ولما مثلوا بين يديه طلبوا من جلالته المقابلة بما جبل عليه من الحلم والإغضاء، فأمرهم بالإتيان بالمستضىء، فأخبروه بأنه قد فرّ لمراكش، فعفا وسامح، ثم ورد عليه أهل دكالة بنسائهم وصبيانهم كمن قبلهم، فقابلهم بالصفح وأمرهم بالرجوع لبلادهم، وألقى عصاه واستقر به الثوى إلى أن وفد عليه أهل الدير بيعتهم وهداياهم، وطلب الرحامنة وأهل سوس من جلالته المسير معهم لمراكش فأسعف رغبتهم.

أما المستضىء فإنه لما فر من مسفيوة لمراكش صده عنها أهلها، ولم يزل يتردد بين القبائل ولا يقابل بغير الطرد إلى أن بلغ الفحص وأقام بحوز طنجة كما مر.

وبينما يقدم رجلا ويؤخر أخرى فى التوجه لمراكش، إذ ورد عليه أعيانها وشرفاؤها ببيعتهم، وقدموا لحضرته طاعتهم وأبدوا أعدارا عما تورطوا فيه من شق عصا الطاعة، وطلبوا من جلالته القدوم لبلادهم، وقد كان جل تلك الجيوش سثم

الحرب وكل ومل من الغربية وفراق أوطانهم نحو العامين، فصاروا يتسللون حتى لم يبق بالمحال إلا نحو النصف من الجيش ورؤساء القبائل، فرأى المترجم أن الرأي هو أن يرجع لعاصمة ملكه ودافع الراغبين فى التوجه لمراكش بالتى هى أحسن، وعين ولده الأمير أبا عبد الله خليفة بها، ووجه به إليها فى معية وفدهم وذلك عام ثمان وخمسين ومائة وألف.

ثم ولى وجهه نحو العاصمة، وكان مروره على تادلا وأقام بها أياما، ثم سار إلى أن بلغ لرباط الفتح، واستخلف به ولده أبا العباس أحمد، ثم سار إلى أن خيم بقصبة وادى أبى فكران وذلك فى خامس عشرى ربيع الثانى عام تسعة وخمسين ومائة وألف على ما فى الترجمان المغرب وغيره، والذى فى تاريخ الضعيف أن المترجم دخل مكناسة الزيتون أوائل ربيع الأول والله أعلم.

وفى مهل جمادى الأولى خرج من الحضرة الفاسية وجهاء البلد من العلماء وذوى المناصب لتهنئته بسلامة القدوم وتقديم ما يجب لجلالته، فسر بمقدمهم وقابلهم بكل تجلة وإكبار، ووصلهم وأكرم وفادتهم، ثم ودعهم وأمرهم بالأوبة لوطنهم، ووجه معهم الرماة الذين كانوا معه.

ووفد على حضرته أيضا قائد طنجة ووجهائها وأولاد الباشا أحمد المذكور ونساؤه بهدية سنية وتحف نفيسة، وكان عدد الوافدين يتجاوز المائة، ولما مثلوا بين يديه قال لهم: إنه قد بلغنى أنكم استخرجتم مالا كثيرا كان أخفاه الباشا أحمد عند خروجه ثانى مرة لمبارزتى واقتسمتموه فيما بينكم، وأمرهم بشرح الواقع فأجاباه سبعة منهم بالإقرار، والباقى بصريح الإنكار، فأمر بزج الجميع بالسجن، وبعد ثلاث سرح السبعة المقرين، وهم: العاقل، وأولاد الباشا، وبنو عمهم وأمر بقتل المنكرين فقتلوا جميعا، وفى ذلك اليوم نفسه قتل من بنى حسن وغيرهم نحو ثلاثمائة نسمة.

ثم وجه نفرا من حاشيته لطنجة للإتيان بمال الريفي المذكور، فقام في وجوهم أهل طنجة وصدوهم وشتموهم أقبح شتم، بل هموا بالإيقاع بهم لولا أنهم نجوا بأنفسهم، ولما رجعوا للمترجم وأخبروه الخبر ثار غضبه، وأمر بقتل من كان أبقى عليه من أهل طنجة المذكورين.

وبعد ما نفذ الأمر فيهم أخبر صاحب الترجمة أن المال الذي كان قد أخرج من طنجة وأمنه عند عدل بفاس صرف منه في مصالح نفسه عددًا لا يستهان به، فأصدر أوامره بالإتيان بذلك المال، ولما أحضر أمر بوزنه فأخبر من باشر الوزن بأنه يخص من العدد المؤمن اثنان وثلاثون ألف قنطار عدة قديمة، فالزم عدل بأداء العدة فعجز، وضمنه بعض الرؤساء ووقع عليه الإشهاد بالأداء حلولا، وأمر بإعطاء عشرة آلاف مئقال صلة للودايا، سكان فاس الجديد، فكان من أقوى موجبات وغر صدر أهل فاس على صاحب الترجمة، حيث خص الودايا بالعطية دونهم، والحال أنهم - أى الودايا - أول من شق العصا عليه، وهم - أى أهل فاس - أول من تمسك بطاعته وآخر من قاتل دونه.

ومما زاد الطين بلة وطمبور الفتن نغمة أمره للمسخرين من جيشه بأكل زرع ما حرثه آيت يدراسن أنصاره بأحوار العاصمة المكناسية انتقاما منهم لتأخرهم عن الإتيان لحضرته للتهتة بسلامة القدوم، وبعد ذلك كتب الرئيس القبيل المذكور محمد وعزيز يلومه عن التأخر، وقد كانت بينه وبينه صداقة ومصافاة تامة، حتى كان صاحب الترجمة لا يخاطبه إلا بياأبت، وكل ما يرومه يمضيه بدون أدنى توقف.

ولما وصل الكتاب السلطاني لوعزيز جمع إخوانه وأمرهم بجمع هدية والإتيان إليه بها ليتوجه بها مع وجوهم للحاضرة السلطانية، فأظهروا الامتناع وتعللوا بالخوف على أنفسهم إن هم ذهبوا لعدم توقفه في سفك دماء الواردين

عليه، فتكفل لهم بأنهم لا يرون منه إلا ما يسرهم، وأنهم ليسوا كغيرهم بناء على ما يعتقد من كامل الصداقة، وأنه يستحيل لديه أن تخفر له ذمة عند الأمير المترجم، فأجابوه لما اقترح، وعينوا مائة من صدورهم للتوجه مع رئيسهم المذكور، وساروا بهديتهم إلى أن وصلوا لمخيم السلطان بقصبة أبي فكران، واستقبلوا حاجبه عبد الوهاب اليمورى.

فأخبر السلطان بمقدمهم فأمر بإدخالهم لبساطه مجردين من السلاح، ولما مثلوا بين يديه أحلق بهم ليفا من الحرس ثم قال لمحمد وعزيز هؤلاء حادوا عن الطريق المثلى، وعاثوا فى الطرقات وروعوا المسلمين بالسلب والنهب، وأخذوا أموال التجار غصبا ولم يتركوا ضعيفا ولا يتيما ولا مسكينا إلا وآذوه فى ماله وبدنه، فإذن مالهم ودمهم حلال.

وأمر الحرس بإلقاء القبض على جميعهم غير وعزيز فانقض الحرس عليهم وأوثقوهم بالحبال وساروا بهم إلى بطون السجون، فقال له وعزيز: أغدراً بعد عهد! فقد جاءوا فى أمان.

فأجابه المترجم بقوله: هؤلاء حاربوا الله ورسوله، وسعوا فى الأرض الفساد، وقد خير الله فيهم الإمام، فقم أنت فى حفظ الله لأنك بمنزلة والدى لا تخاف دركا ولا تخشى، فقال له: لا أقوم إلا مع إخوانى، فإن ماتوا مت، وإن عاشوا عشت، وكيف يسمع عنى أنى قدمتهم للذبح ورجعت ! فأى أرض تقلنى وأى سماء تظلنى؟ لا بد أن يقتلنى إخوانهم وأخلف بعدى سبة لا تنفى مدى الأبد، وقد تنبئوا بهذا لما أمرتهم بالقدوم معى لحضرتك، فقالوا: إن ذهبنا إليه سلك بنا مسلك من قبلنا من الوافدين عليه، فنفيت لهم ذلك، وأعطيتهم العهود والمواثيق على أنهم لا يقابلون من جلالتك إلا بالجميل ووافر الإحسان.

فأطرق مليا ثم رفع رأسه وقال لحاجبه المذكور: يا عبد الوهاب لا خير فى رجل يقول لرجل: يا أبت، ثم لا يشفعه فى قبيلته، وأمر بتسريحهم فسرحوا، ولما خرجوا ركبوا خيولهم وتوجهوا لحللهم مع رئيسهم وعزيز.

ولما اجتمعوا بإخوانهم قالوا لهم: لقد أحيانا الله حياة جديدة بعد أن متنا فلا بُدَّ لنا من الأخذ بثأرنا مادام فينا عرق ينبض، وأجمعوا أمرهم على الخروج على المترجم والهجوم عليه بعد ثلاث، ومن تخلف منا عاديناه، وبأنواع الأذى والإهانة سمناه، فلم يشعر المترجم إلا وخيولهم مطلة عليه من ناحية الحاجب، فتيقن أن ذلك أمر دبر لليل، ولم يسعه غير حمل عياله وجواريه وإحاطتهم بالخيول والرماة، ثم ركب هو فى من بقى معه من الجند وانحدر خلفهم مع بطن الوادى وتفرق العبيد يمين الوادى ويساره، وتركوا كل ما كان بالمحلة من أمتعة وأخبية وعدة ومقومات غنيمة باردة، وشب القتال بين البربر والمحال السلطانية وحمى الوطيس ودام ذلك إلى أن دخل المترجم على باب القزدير أحد أبواب العاصمة المكناسية، فرجع البربر وقد مات منهم خمسمائة مقاتل، ومن العبيد ثلاثمائة وذلك يوم الخميس سابع شعبان العام.

ثم اتفقت كلمة العرب على الخروج على المترجم، ووافقهم على ذلك شيخ العرب محمد الحبيب المالكى الحمادى، وقد كان صاحب الترجمة ولاء على إخوانه سفيان وبنى مالك والخلط وطليق وغيرهم من عرب تلك الناحية، ثم بعثوا إلى أهل فاس يحثونهم على متابعتهم فى رفض بيعة المترجم فأجابوهم لذلك، ثم اجتمع رأى العبيد على الانضمام لهؤلاء وكتبوا لإخوانهم يغرونهم على الانخراط فى سلوكهم والموافقة معهم على ما أبرموا، وحققوا لهم غدر المترجم ووثوبه عليهم إن لم يربثوا بأنفسهم ويغتنموا الفرصة قبل الظفر بهم، ولما اتصل كتاب العبيد

ياخوانهم وتمعنوه تواعدوا على الرحيل لمكناسة بعد ثلاث إجابة لإخوانهم، وفرارا
مما لحقهم من إهانة بنى حسن وإضرارهم بهم غاية الإضرار.

فأخبر السلطان بذلك بعض عيونه، وعندما تيقن صدق الخبر طير الإعلام
لأخواله الودايا الذين بفاس يحضهم على القدوم عليه من يومهم قبل بلوغ السيل
الزبى، واتساع الخرق على المرتق، واشتغل بجمع ماله وأثاثه وحمل ما عز عليه
وأسراج خيله مظهرا أنه يريد الرجوع لقصة أبى فكران حيث كان مخيمه، ولما كان
وقت العشاء ورد عليه من خيل أخواله الودايا أربعمائة، فخرج من باب القزدير
بجميع ماله وعياله ولم يترك بدار الملك غير النزر مما لا يؤبه به، وسار فى معيتهم
إلى أن بلغ دار ادبيغ.

وفى ثالث عشر شعبان اجتمع البربر مع بنى مالك بفاس لقتال الودايا،
فتحصنوا بالمدينة البيضاء فاس الجديد، ثم عاث البرابر فى الطرقات ونهبوا دار
ادبيغ، وقلعوا أبوابها وحرقوا الأخصاص التى كانت محدقة بها، وجعلوا يغيرون
على سرح الودايا ويناوشونهم القتال، ومات من الفريقين عدد عديد، وشبت نيران
الفتن وقطع الودايا الماء على فاس القرويين.

وفى يوم الجمعة الخامس عشر من شعبان المذكور وقع التوافق على أن لا
يذكر اسم المترجم فى الخطب، واشتبكت الفتن وارتبكت وكثر الهرج والمرج،
وامتد ذلك نحوًا من سبعة وعشرين شهرا.

وفى أوائل رمضان أخلى العبيد مشرع الرمل، وبقيت بيوتهم خاوية بما
ظلموا، ولما لحقوا ياخوانهم لمكناسة، نزلوا بالقصة والمدينة والأروى وقصبتى
بريمة وهدراش، وبعضهم اتخذ الأخصاص والعرائش بضواحي المدينة والرحاب
المتسعة وثووا هنالك فى البلاد، وخرب بنو حسن ما خلف العبيد بمشرع الرمل من
الدور والقصور التى كانوا يتنافسون فى تشييدها.

ولما وافى عيد الفطر وجه العبيد الذين بمكناسة جماعة من قوادهم فى معية قاضى البلد أبى القاسم العميرى ووجوه الأشراف لحضور العيد مع المترجم والاعتذار عما صدر منهم، وطلب رجوع جنابه إلى عاصمة الملك مكناس.

ولما وصلوا لحضرته ومثلوا بين يديه قابلهم بالعفو والإغضاء، ووصلهم وكساهم ووعدهم بتوجهه للعاصمة المذكورة، فانقلبوا إلى مقارهم فرحين مبتهجين، ولما كانوا فى أثناء طريقهم لمكناس اعترضهم البرابر بوادى الجديدة وسلبوهم حتى مما يستر عوراتهم، ولم يفلتوا منهم غير القاضى المذكور أبقوا عليه ثيابه وبغلته.

ثم صارت البرابر تغير على الذين نزلوا بضواحي مكناس وتنهب أموالهم وأولادهم حتى ضاق بهم المتسع، وتفرقوا فى البلاد، ولم يبق منهم إلا القواد وشرذمة من أهل الحرف والصنائع، ومات منهم بالزلزال الذى وقع بمكناس خمسة آلاف.

وفى فاتح جمادى الأولى عام ستين قدم قبائل البربر وقبائل العرب لإعانة أهل فاس على محاربة المترجم فنزل القائد الحبيب بإيالته الغرب والخلط، وطلق بدار الأضياف، ونزل محمد واعزيز بأتباعه البرابر بجبل أطغات، وانحجر الودايا بفاس الجديد، والعبيد بقصبة شراقة، وأحاطوا بالمترجم بداره دار الديبيع إحاطة السوار بالمعصم.

ولما كان الغد ركب العبيد والعرب وقصدوا دار الديبيع والبربر على آثارهم، فلما بلغوا حريم الدار المذكورة اتصل بهم أن البربر غدروا ونهبوا محلتهم فارتاعوا ورجعوا القهقرى منهزمين لا يلقى بعضهم على بعض، وتفرقت تلك الجموع الباغية، وكفى الله المؤمنين القتال، قيل: إن المترجم أغرى واعزيز بمال وجهه إليه ليلا على تفريق تلك الأحزاب ففعل، وسقط فى يد أهل فاس وبقوا يتجرعون الغصص فى ضيق وعناء يستغيثون فلا يغاثون.

وفى انقلاب عرب الغرب من انكسارهم هذا لبلادهم مروا بحلة بنى حسن فانتهبوها، فقدم بنو حسن على السلطان شاكين إليه بما فعله بهم عرب الغرب فحركوا منه ما كان كامناً بصدرة عليهم، وجيش إليهم جيشاً كثيفاً من العبيد والودايا للإيقاع بهم أخذاً لثأر بنى حسن منهم، ولما شعروا بنهوض الجيوش التى لا قبل لهم بها للاقتصاص منهم انجلوا عن البلاد وتوجهوا للعرائش وتحصنوا بأسوارها، فاقتفت أثرهم تلك الجيوش وأحدثت بهم وشددت الحصار عليهم ثلاثة أشهر، هلك فيها لهم الزرع والضرع ثم رق لهم المترجم ووجه لهم شرذمة من الودايا بأمانه ومصحفه وسبخته، وأفرج الجيش عنهم، وقدموا مع الودايا على المترجم بهداياهم تائبين، ولفضله شاكرين، فولى عليهم كبيرهم الحبيب المالكى، وأضاف إليه قبائل الجبل كلها.

وفى شوال عام واحد وستين ومائة وألف، استأنف أهل فاس الرضوخ لطاعة المترجم وتجديد البيعة له، وذلك بواسطة بعض بنى عمه من أهل سجلماسة، والعلامة أبى الإجلال عبد الكبير السريغنى، فأنهضوا وفداً من الأشراف والعلماء وذوى الجاه والوجاهة فى طليعتهم الفقيه المذكور ومعهم هدية قيمة للعاصمة المكناسية إظهاراً للخضوع، وطلباً فى العفو والصفح، ولما مثلوا بين يدى المترجم سب وجدع ثم سامح وأحلم وردهم لبلدهم رداً جميلاً، ثم انعقد الصلح بين أهل فاس والودايا، وفتحت أبواب المدينة بعد الحصار ستين وثلاثة أشهر، وكان ذلك فى ذى القعدة من السنة.

وفى هذه الأعوام انتشر الوباء الجارف فى هذه السنين سائر البلاد المغربية وتفاحش الغلاء.

وفى ثامن عشر جمادى الأولى، وقيل الثانية من العام، نهض المترجم من فاس لمكناسة، لكسر شوكة متمرده البربر وخيم بقصبة أبى فكران ينتظر ورود

القبائل التى كانت تظهر له الطاعة، إذ قد كان استنهضهم لذلك، ولما طال انتظاره وتبين تقاعسهم عن الحقوق به، رجع للعاصمة المكناسية بمن كان معه مصابا بالأم إحدى عينيه.

ولما سمع البربر برجوعه لمكناس طمعوا فيه، وأجمعوا على غزوه، وزاد طنبورهم نغمة وطينهم بلة، ما وقع من الصلح بين الودايا وأهل فاس وذلك يوم الاثنين الثالث عشر من شوال، وخضوع الكل لصاحب الترجمة، فلم يألوا جهدا فى تفريق الكلمة واستشاروا فى التدابير الموصلة لهم لذلك زعيمهم واعزيز لما يعلمون فى قلبه من المرض، فأشار عليهم بأنه لا يتم لهم معه أمر ماداموا لم يقطعوا خط الرجعة بسايس، ويحال بينه - أى المترجم - وبين المواليين له من الودايا والعبيد وأهل فاس، فاستصوبوا رأيه ونزلوا بحللهم فى تلك البساتط، وأطلقوا يد السلب والنهب، وأغاروا على سرح الودايا وأفسدوا زروعهم وبحائرهم، وجعلوا يختطفون أطفال العبيد النازلين بضواحي مكناس ويغيرون على سرحهم كلما أمكنتهم فرصة.

وفى أول رجب من السنة ورد الخبر بإلقاء أهل الريف القبض على المستضىء مار الترجمة، واستيلائهم على كل ما كان له من مال ومتمول لإلقائه القبض على القائد عبد الكريم بن على الريفى صنو أحمد المذكور، وسمله عينه.

وفى شعبان أوقد الودايا النار بأجواف باب محروق ليلا، فشعر بذلك الحرس وطردهم عن الباب، ومن الغد ركبوا له أبوابا جددا.

وفى ثالث عشرى شوال أوفد أهل فاس على المترجم بمكناس القائد الحسن ابن صالح الليرنى، والقائد قاسم بن الأشهب، والقائد الحاج محمد الصفار، وقاضى البلد وغيرهم من الأشراف والعلماء، وكان ذهابهم على طريق زرهون خوفا من عيث عتاة البرابر، ولما وصلوا لحضرته ومثلوا بين يديه شرحوا أعتادهم

فى التظاهر بالقيام عليه، وأقاموا الحجج والبراهين على أن ذلك لم يكن عن اختيار منهم، فقبل المعذرة شأن الكرام، وقال: لا تثريب عليكم، وإنى عاهدت الله أن لا أفعل بأهل تلك المدينة - يعنى فاسا - إلا الخير وكتب بهذا كتابا لأهل فاس.

وفى متم الشهر آب الوفد الفاسى لوطنه فرحا مسرورا، وقرئ الكتاب السلطانى المشار له على منبر القرويين، وبه وقع الإعلان باستئناف بيعته، وانبرم الصلح بينهم وبين الودايا، وتبادلوا الطعام بالمدينة البيضاء وفاس القديمة، وزينت المدينة إظهارا للارتياح، وإشهارا لما أقاموه من حفلات الأفراح.

وفى ثالث عشرى قعدة قدم ركب الحجيج الذى كان محصورا بتازا لانقطاع السابلة وتوقد نيران الفتن بها.

وفى يوم السبت تاسع ذى الحجة خرج من فاس وفد من أعيانها لتتهتة جلالة المترجم بغرة عيد الأضحى والمشاركة فى أفراحه ومشاهدة فاخر حفلاته، من جملة أعيان ذلك الوفد: القائد قاسم بن الأشهب، والقائد ابن صالح الليرينى، والحاج محمد الصفار، والقاضى أبو محمد عبد القادر بوخريص، وناظر الأحباس التاودى بن أحمد المشاط، فقابلهم بغاية الإجلال وغمرهم بنعمه الضافية، وردهم بعد يومين ردا جميلا.

ثم إن البربر لما علموا بانبرام الصلح بين أهل فاس والمترجم والودايا والعبيد سقط فى أيديهم، ورأوا أنهم قد ضلوا وصاروا يضربون أخماسا فى أسداس، ويذلون جهدهم وطاقتهم فى اتخاذ الحيل فى تفريق الكلمة، ولا سيما لما ثبت لديهم أن العبيد صمموا على الحركة لغزوهم، وأخذوا يغرون القبائل على نصرتهم على ذلك ومعاضدتهم، فلم ير البربر حيلة أنفع لهم من المسارعة لشن الغارات والتضييق على العبيد من كل جهة وقطع الميرة عنهم، ومديد السلب والنهب فى

السبل عموماً والعبيد خصوصاً، حتى ضاق بهم المتسع فلم ينفعهم إلا الجنوح للسلم ومصالحة البربر، وبعد اتخاذ الوسائط لذلك صرح لهم البربر بأن السلطان هو الأمر لهم بذلك، فلم يرتب العبيد فى صدق مقال البربر لما سلف من المترجم مع واعزيز عند تخلفهم عنه حين أمرهم بغزو البربر، وصاروا يدبرون فى كيفية يتوصلون بها لإلقاء القبض على صاحب الترجمة والفتك به، فأوعز إليه بذلك بعض عيونه، فنجأ بنفسه لدار الديبيغ وذلك فى صفر سنة اثنتين وستين.

ثم اتصل الخبر بنجله خليفته بمراكش أبى عبد الله محمد مار الترجمة فكتب للعبيد يعلمهم بصيرورته على بال، مما أضمرها لوالده، ويعدد عليهم إحسانه إليهم ويوعدهم إن لم يرجعوا عما سولت لهم أنفسهم الأمارة، فأجابوه بتنفيذ ذلك الخبر، وأنه لم يكن خطر لهم قط ببال، ورجعوا إلى أنفسهم، وقالوا: إن هذا الخليفة - يعنون محمد بن عبد الله - ذو قوة وبأس شديد، وهو أمامنا، ووالده وراعنا، والبرابر محدقة بنا، فكيف الخلاص؟ فاتفق رأيهم على أن يعيدوا البيعة لصنو المترجم أبى عبد الله ابن عريبة المترجم سابقاً فأبى وامتنع، ثم بعثوا لصنوه أبى الحسن على آتى الترجمة وكان يومئذ بسجلماسة مهد ملك سلفه فقابل طلبهم بالرفض، ولما كانت نتيجة سعيهم فيما راموه الخيبة عقدوا صلحاً مع البرابر على المبايعة لنجل المترجم أبى عبد الله المذكور، وأقاموا لهم حججاً على أنه لا يصلح للملك وتدبير أمور الرعية غيره فأجابوهم لذلك.

وفى أوائل ربيع الأول أعلن العبيد والبرابر بنصر أبى عبد الله المذكور بمكناس وزرهون وخطبوا به على المنابر، وأشاعوا ذلك فى البوادي والخواضر، ثم جهزوا فئة من أعيانهم وأوفدوها إليه لمراكش لإعلامه بجمع الكلمة على المبايعة له وطلب تعجيل قدومه عليهم، ولما بلغوا إليه وأبلغوه ما جاءوا لأجله قبح فعلهم وعنفهم ثم وصلهم، وقال لهم: ارجعوا عن غيكم فإن بيعة والدى فى عنقى وأعناقكم لا يحل خلعه بحال، وألزمهم الرجوع للطاعة والتزم لهم بأن لا

يلحقهم أدنى سوء من والده، وأنه يسعى فى إصلاح ذات البين بينهم وبينه، فرجعوا آيسين من بلوغ مقصدهم، ولم يرجعوا عن غيهم بل تبادوا على الدعاية لسيدى محمد والخطبة به، والمترجم مستعير لذلك كله آذانا صما وعيونا عميا، وولده الخليفة المذكور يرجف فؤاده من ذلك خوفا من أن يظن به والده أنه راض بفعل أولئك الأوغاد الجفاة، وصار يتابع الهدايا ذات البال لوالده استجلابا لمرضاته، وإظهارا لطاعته، ولما تيقن صاحب الترجمة كراهية نجله المذكور لسوء فعل العبيد ورفضه لمطلبهم، رام استجلاب القلوب الشاردة عنه، فصار يفكر فى ما يوصله لذلك.

ولما كان يوم الخميس تاسع عشرى شعبان العام أمر بإعلان النداء بسوق الخميس وغيره من أسواق فاس، بأن كل من أتى إليه من العبيد لدار ادبيغ يعطى خمسمائة مثقال، ومن تخلف فلا يلوم إلا نفسه، فتساقطوا على أعتابه زرافات ووحدانا ووفاهم بما وعد به، وأمرهم بالكتب لإخوانهم الذين بمكناس وغيرها من البلاد بالإتيان لحضرته، وأن كل من أتى يقبض القدر المذكور تأليفا لهم وكفا لأذاهم، فلم يزددهم ذلك إلا نفورا وتمردا وطغيانا، شأن النفوس الخبيثة، ولم يقتصروا فى ذلك على أنفسهم، بل أغروا البرابر النازلين بسايس على قتل كل من وجدوه من إخوانهم ذاهبا لفاس، لأنه يعد ناكثا للعهد الذى تعاهدوا عليه، وخارقا لإجماع جموعهم الفاسدة.

فأجمع البرابر أمرهم وشركاءهم ودرسوا الحالة هم عليها وحالة العبيد معهم قديما وحديثا، وما جنوه من ثمار ما زرعه من الفتن، فتمحض لديهم أن العبيد إنما يسعون وراء ما رأوه مصلحة شخصية لهم، ولو أدى الحال إلى تضحية من سواهم، وأن أكد مصالحهم هلاك البربر.

واتفق رأيهم على الرجوع لطاعة المترجم وعضدهم فى رأيهم الأسد رئيسهم محمد واعزيز، ثم كتبوا للمترجم يطلبون عفوه وأمانه فأجابهم بقبول إنابتهم وعدم

مؤاخذتهم طبق ما عرف فى غالب أحواله، ويأثر ذلك وفد محمد واعزيز مع إخوته، فأكرم وفادتهم ووصلهم بعشرة آلاف مثقال، فسروا وابتهجوا ورجعوا لمحالهم شاكرين.

وفى آخر رمضان رجعوا لحضور الحفلات العيدية ومشاهدة الطلعة الإمامية، فوصلهم بمثل ما ذكر كما وصل الودايا، وأعطى لأهل فاس خيلا مسومة وجواهر نفيسة وأوانى من الزجاج، وكساهم بفاخر الثياب، قال فى الدر المنتخب: تزيد قيمة ما ذكر على عشرة آلاف مثقال بتقويم ذوى العرفان، ولم يحرم من نواله المدرار غير العبيد الذين جبلوا على كفران النعم.

وفى هذه السنة جمع رأس عتاة العبيد، وشيطانهم المريد، المسمى زعبول إخوانه الذين بمكناس ونواحيه ونهض بهم لسفيان وبنى مالك، ولما رأى المذكورون ما لا قبل لهم به، فروا إلى العرائش، فاحتوى الزعيم وإخوته على ما خلفه سفيان وبنو مالك من ماشية وغيرها، وفى منقلبهم دخلوا القصر على حين غفلة من أهله، وارتكبوا كل شنيع على عادة الأوغاد السفلى، وكان الوقت وقت اشتداد البرد وتهاطل الأمطار فعظم الخطب واشتد المصاب.

وفى السنة أيضا قتل المولى الحسن صنو المترجم أولاد أخيه المولى يوسف، وتسبب فى خراب دار ابن أخيه مولاى الشريف بن زين العابدين إرضاء لأهل تافيلالت أعدائهم، فدخلوا الدار عنوة وقتلوا أهلها صبيرا ظلما وعدوانا.

وفىها أيضا هجمت شرذمة من دخيسة وذوى منيع وعرب الصباح وآيت عطا، على تافلالت، فنهبوا الأموال وسبوا النساء والأطفال، وقتلوا عددا عديدا من أهلها، وسلبوا تجار أهل فاس القاطنين هنالك من أموالهم، وبذلك من نتائج ما فعله الحسن المذكور بأبناء أخيه، ولم يزل الحسن ناثرا بتلك البلاد إلى أن صار الأمر للأمير أبى عبد الله محمد بن عبد الله ونقله لمكناسة وذلك آخر العهد به.

وفى أوائل جمادى الأولى عام ١١٦٣ ضحى يوم الاثنين قدم من الحضرة المراكشية الخليفة السلطانى أبو عبد الله محمد إلى مكناس، وخيم بأبى زكرياء الصبان، ومن الغد دخل البلد، وزار ضريح جده المولى إسماعيل، وقد وجد العبيد لازالوا على انحرافهم عن والده، متمادين على الخطبة به، فتبرأ من سوء فعلهم وقرعهم أشد التقرير، وأمر بإحضار العلماء والأعيان لديه وقال لهم: هؤلاء العبيد بايعونى وبغوا على والدى السلطان، وإنى أشهدكم أننى أبرأ إلى الله مما أجرموه، فهل ترون لهم مندوحة فيما ارتكبوه، فأجابوه جميعاً بأن الخروج على السلطان لا يحل، وأن دم مرتكبه حل.

ولما سمع العبيد جواب العلماء ورأوا قوة الخليفة وخافوا شدة بطشه لم يسعهم إلا الرجوع لطاعة المترجم وأنفهم صاغر، وأعلنوا بنصره فى الأسواق والأزقة، ولادوا بالخليفة فى الشفاعة لهم لدى والده الإمام والاعتذار له عما اقترفوه، والوساطة لهم فى أن لا يحرمهم من نواله، فأجابهم لذلك، وتكفل لهم به.

ثم كتب لوالده بشرح الواقع وطلب الإذن له فى القدوم بهم لحضرته، وأعلمه بأنه أمنهم بأمانه فيرجو ألا يخفر له فيهم ذمة فلم يرد له والده جواباً عن الكتاب، فأعاد الكتابة ثانية فأذن له فى القدوم بهم لحضرته، وواعده بأنهم لا يرون إلا ما يسرهم ويرضيه هو فيهم.

وفى يوم الأربعاء الثانى والعشرين من جمادى الأولى هذه قدم الفقيه السيد على بن زيد من عند الفقيه السيد على وهو الباشا بتونس على السلطان المترجم بهدية سنية، يطلب منه عدداً من الخيل سماه، ففرح به وأعطاه ستة من إناث الخيل قيمتها ثمانمائة مثقال، وأعطاه خنجراً مرصعاً بالياقوت مختلف الألوان لا تعلم قيمته.

وفى يوم الأحد الحادى عشر من جمادى الثانية وصل الخليفة سيدى محمد المذكور بمن فى معيته من العبيد والجند الذى أتى به من مراكش، وكان نحو أربعة آلاف جندى لحضرة والده بدار ديبىغ، ووجد والده فى موكبه وأهل فاس والودايا فى استقباله، ولما مثل بين يدى والده ترجل وأدى التحية اللائقة بعلى مقامه، وقدم إليه هدية ثمينة، وقدم العبيد، وطلب لهم عفوه وأمانه، فعفا وأمن، وكان ذلك اليوم من أيام الأفراح المشهودة، وأقام الخليفة مع والده ثلاثة أيام يذاكره فى أمور ولايته، وأحوال رعيته.

ولما كان صباح يوم الأربعاء ودع والده وطلب رضاه وصالح دعائه، ونهض من دار ديبىغ وخيم برأس الماء بجنوده الحرارة، ومن الغد نهض وخيم بوادى النجا، وفى يوم الجمعة السادس عشر من الشهر دخل الحضرة المكناسية.

هكذا فى الدر المنتخب، وفى الترجمان وغيره أن والده ودعه من حينه وأمره بالانصراف لمكناس خوفا من اغتيال البربر، فامثل ولم يبت إلا بوادى النجا، ثم سار لمحل مأموريته، وكان وصله إليه فى ثامن عشرى شوال، وتلقاه أهل الهدايا بالرايات والطبول، وأظهروا بقدمه غاية الارتياح، وقدموا لحضرته هدايا ذات بال.

وفى العام فشا الوباء وانتشر، ودفن بفاس فى يوم واحد ما يزيد على أربعمائة نسمة، واشتد الأمر وجس المطر، حتى كررت صلاة الاستسقاء ست عشرة مرة.

قال ابن إبراهيم: فى يوم الجمعة الرابع عشر من صفر خرج الناس للاستسقاء بباب الفتوح فصلوها، وإمامهم خطيب القرويين أبو مدين الفاسى. وفى يوم الأحد أعيدت الصلاة بالمحل والإمام الخطيب المذكور.

وفى يوم الثلاثاء بعده صليت صلاة الاستسقاء، والإمام خطيب المقام
الإدرسى الفقيه، الناسك الشيخ الكبير ابن الغزوانى السرخينى .

وفى يوم الخميس بعده خرج الناس لصلاة الاستسقاء، وإمامهم العدل سيدى
أحمد الطاهرى الجوطى الحسنى .

وفى يوم السبت الموالى أعيدت الصلاة خارج باب الفتوح أيضا، والإمام
خطيب القرويين كذلك .

وفى يوم الاثنين ثانى ربيع الأول أعيدت الصلاة خارج باب الجيسة بإمامة
الخطيب المذكور .

وأعيدت أيضا فى يوم الخميس بعده بإزاء روضة ابن عباد، والإمام من ذكر .

وفى يوم الثلاثاء الموالى له أقيمت داخل باب الفتوح قرب باب الحمراء
بإمامة الخطيب المذكور .

وفى يوم الأحد خامس عشر ربيع المذكور أعيدت الصلاة بالمحل المذكور
وإمامها من ذكر .

وبإمامته أيضا أعيدت من الغد بالمحل نفسه .

وفى يوم الخميس أعيدت طبق ما ذكر .

وكذلك أعيدت من غده .

وفى يوم السبت ثامن عشرى الشهر استدعى المترجم لدار دبيغ وأعطاهم
مائة بندق وست عشرة بندقه وثمانية مئاقيل لكل فرد .

وفى يوم الاثنين متم ربيع أعاد الإمام المذكور صلاة الاستسقاء خارج باب
الفتوح قرب ضريح الشيخ دراس بن إسماعيل .

وفى يوم الأربعاء ثانى ربيع الثانى أعاد الإمام المذكور الصلاة بالمحل نفسه .
وفى يوم الأحد المتصل الولاء أعاد الإمام المذكور الصلاة بالمحل المعروف بمطرح
الأجلة خارج باب الفتوح .

وفى يوم الأحد أعيدت الصلاة بعد، ولم ينزل المطر إلا فى شهر إبريل آخر
العام، ونزلت معه أحجار بلغ وزن بعضها نصف كيلو، ودام ذلك نحو الساعتين،
وتكاثرت السيول وفاضت الأودية وتهدمت الدور وقلعت الأشجار، وتعطلت
السبل، وارتفعت الأسعار، وبلغ القمح خمس موزونات للصاع النبوى، وأكل
الناس الجيف والنبات .

وفى محرم فاتح عام أربعة وستين، وجه صاحب مراکش لوالده هدية ثمينة
مع بعض الخاصة من أصحابه فتلقاها بيمينى القبول، ودعا له بالرضا والخلف،
ووجه له مع الهدية كتابا يستلقت فيه أنظاره للعبيد الذين تشفع فيهم إليه، ويذكره
إهمال شفاعته، حيث إنه كان وصل البرابر الذين وفدوا على حضرته لحضور عيد
الفطر مع جلالاته بصلة قدرها عشرون ألف مثقال، ورد قواد العبيد الذين كانوا
معهم صفر اليد، فوصل الودايا بصلة تقدر بعشرة آلاف ريال، والعبيد الذين معه
ثلاثة آلاف، وأعطى لمن تشفع فيهم ولده المذكور عشرين ألف ريال رعا لشفاعة
ولده، فطابت نفوس العبيد بذلك .

وفى سادسه أعطى أهل فاس مائة وسق بين قمح وشعير كانت أمانة له
عندهم، وأمرهم بتوزيعها على الرماة بعد أن عين منها مائة مثقال تعطى لأبى عبد
الله محمد الغالى بن عبد الله الشريف الإدريسى، وثلاثين مثقالا للقاضى أبى
محمد عبد القادر بوخرىص .

وفى أوائل ربيع الأول السنة قدم بشدور النصارى على المترجم ومعه من
المال والثياب والملف وغيرها مما يناسب ذلك نحو من خمسين قنطارا، بعضها فداء
بعض إخوانه، وبعضها هدية للسلطان، قاله ابن إبراهيم .

وفى أواخر شعبان توفى ولد المترجم المولى أحمد بفاس، وحضر جنازته
جميع كتاب أبيه ووزرائه وغيرهم من العامة.

وفى عام خمسة وستين اتصل بالمترجم خبر قتل أهل تطاوين لعاملهم الحاج
محمد تميم، وبعد ذلك قدموا على أعتابه معتردين ولعفوه مؤملين، فعفا عنهم
ولم يعنفهم، بل قال لهم: أنتم وليتموه وأنتم قتلتموه فاختراروا لأنفسكم من يتولى
عليكم، فوقع اختيارهم على أبى عبد الله محمد بن عمر الوقاش، وفى نظرى أن
هذا من الفشل وضعف العزيمة المؤديان لا محالة إلى الفساد وقديما قيل:

ويقبح وصف الحلم فى سمة الفتى إذا اتسعت فى الحلم طرق المظالم
وقيل:

ووضع الندى فى موضع السيف بالعدا مضر كموضع السيف فى موضع الندى
والله يقول: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ...﴾ (البقرة: ١٧٩).

وفى أوائل ربيع الأولى من العام ورد على الحضرة السلطانية سفير دولة
الإصبيان بهدية مائة ألف ريال دورو، وتحف ثمينة، وعدد من الملف والحرير
والكتان، طالبا فداء أسرائهم الذين بالدولة المغربية، فقبل الهدية وعلق له فكاك
الأسارى على فكاك أسارى المسلمين الذين عندهم من غير مال، فكان الأمر كما
أراد، ووصل ذكور العبيد وإنائهم بريالين لكل نسمة، وكانوا ألفا ومائتين.

وفى منتصف هذا الشهر بعث البربر إلى الودايا الإعلام بنقض ما كان منبرما
من العهد بينهما، وفى غده اختطف البربر ماشية أهل فاس، وكان ما نهب لهم
من خصوص البقر ينيف على المائة وتناوشوا القتال.

وفى أوائل جمادى الأولى من العام وفد على الحضرة السلطانية ولد الباشا أحمد بن على الريفى، وشكا إليه بما مسه من الفاقة والاضطرار فرق له وولاه عمالة طنجة وما والاها، ووعد به بأنه سيضيف إليه عمالة تطاوين وأعمالها.

وفى يوم السبت خامس جمادى الثانية أنعم على العبيد بخمسة آلاف ريال، وعلى الودايا بمثلها.

وفى يوم الأربعاء ثالث عشرى الشهر أنعم على أهل فاس بمائتى قفطان وخمسين قفطانا فلبسوها أمامه، ووصلهم بعشرة آلاف ريال.

وفى الشهر نفسه ورجب الذى بعده وشعبان انتشر الوباء فى الأرض المغربية، ولم يزل أمره فى تفاقم إلى منتصف شعبان.

وفى أواخر رمضان وفد العبيد على الحضرة السلطانية بقصد حضور العيد مع علىّ جنباه فوصلهم بعشرة آلاف ريال، وقتلوا أبا عبد الله محمد السلوى، والقائد الحسن زعبول استجلابا لرضا المترجم، إذ كانا من أكبر أعدائه وألد خصومه.

وفى منتصف شوال وفد على صاحب الترجمة صنوه أبو الحسن على آتى الترجمة، فأكرم وفادته وأعطاه مالا جزيلا وذخائر مهمة، وخيره بين أن يستوطن مكناس أو تافلاّت، فاختر مكناس فأقره على استيطانها، ثم تشكى منه العبيد فوجه لتافلاّت.

وفى السنة ورد بعض النصارى على الخليفة السلطانى بمراكش يطلب تأمينه والترخيص له فى وسق الصوف وغيرها مما يتوقف على وسقه وشراء المرتب على السفن التى تأتى لمرسى أكدير بقصد الاتجار وحمل البضائع، فأجابه إلى ذلك، وأعلم والده بما راج بينهما فأمضاه، فإذا بالنصرانى آتى لأكدير بسفن كثيرة ممتلئة

بمقومات البناء من جبر وأجر وغير ذلك وعدد من العملة بنائين ونجارين وحدادين وغيرهم، يريد بناء قصبة تحول بين مرابطة أكدير والماء الذى يستقون منه، فتفطنوا لذلك، وطيروا الإعلام للخليفة المذكور، فأمر بإلقاء القبض على النصرانى ومن معه، فقبض النصرانى وبعض ممن أتى بهم وفر الباقيون فى مراكبهم.

وفى العام نفسه تفاحش أمر صالح المجاطى وتظاهر بأموز سحرية استهوى بها سخفة العقول من الأوباش وكثير ما هم، وطار صيته بذلك فى القطر السوسى وغيره، وطمحت إليه الأنظار، وصارت الدولة منه فى خطر، فحذره الخليفة بمراكش وأنذره، ووعظه وذكره، فلم يزد ذلك إلا عتوا وطغيانا، ولما اشتدت شوكته رأى الخليفة أن شوكته لا تنكسر قوة، وإنما يؤخذ باللين والسياسة إذ رُبَّ حيلة، أنفع من قبيلة، فصار يتظاهر له بالتودد وصفاء المحبة ويهاديه ويستشيريه فى الأمور ويسترشده ويتغافل عما يضمرة ويتجاهل، ويحمل سائر ما يصدر على أحسن المحامل، ويشيع ذلك فى الخواضر والبوادي، حتى استفاض ذلك عند الثائر وحمله على الحقيقة ومن يرد الله أن يضلّه فما له من هاد.

ثم إن الخليفة نهض من مراكش لأكدير قاصدا الإيقاع بالثائر المذكور، ويورى بأنه يريد غزو قبيلة مجاورة للثائر المذكور حادت عن الصراط السوى، وذلك بعد أن استشار صالحا المذكور فى تأديبها، فأذن له فى ذلك وأعطاه تعاليم يتمشى عليها، ولما كان الخليفة على مقربة من أكدير اختار عشرة من الفرسان الصناديد ووجههم أمامه يتجسسون خبر صالح المذكور ويعرفونه بأمره، فاتفق أن وجدوا السوق عامرة خارج أكدير والرجل راكبًا بغلته يتطوف بالسوق ويرتب شئونه فحملوا عليه بخيولهم وألقوا القبض عليه وأوثقوه وساروا به إلى الخليفة، ولما رجعوا إليه بالرجل أسيرا أسرع لداره فدخلها واستولى على جميع ما وجده بها من مال وذخائر وعدة وسلاح وذلك شئ كثير، وأدخل صالحا السجن، ولما طال

سجنه وجه لأولاده يأمرهم أن يوجهوا له موسى وسط خبزة كيلا يتفطن السجان لها فيحجزها عنه، ولما بلغت ذبح نفسه بها، وقد كان فيما سلف صد السلطان والد الخليفة عن دخول أكدير ورماء بالأنفاض، وبعد أوبة الخليفة من هذه الحركة لمراكش أخذ فى إكمال داره بالبديع وغرس جنان رضوان وجنان العافية وغيرهما.

وفى عام ستة وستين استقر المترجم بداره دار الديبىغ، وضعفت قواه عن الحركة، وظهر بالمغرب ثوار: فبالغرب عبد الله السفينانى، وببنى مالك الحبيب المالكى الحمادى، وفى أوائل ربيع الأول استقل أهل فاس بأنفسهم وأخذوا يشترون الخيل وجعلوا يركبونها كل بكرة وعشى، وانفقوا على عقاب من لم يشتري الفرس، واستقل كذلك أهل رباط الفتح بأنفسهم وصاروا يولون عليهم ويعزلون ويقتلون ويسجنون، وثار الودايا وطغوا وسعوا فى الأرض الفساد، وأصاب الضعفاء والعجزة من البؤس ما كاد أن يقضى عليهم.

وفى هذه السنة ثار البعض من عتاة الرحامنة وراموا نهب مراكش فلم يوافقهم على ذلك أهل الراى منهم، وخوفوهم عقوبة السلطان، وشدة بطشه، ثم تحين السفهاء منهم فرصة ودخلوا على النساء الحمامات وثارن بسبب ذلك فتنة عظيمة بينهم وبين أهل البلد، وتلفت نفوس، ولما اتصل الخبر بالخليفة السلطانى بارح مراكش للتأهب لكسر شوكة المتمردين خوفا من اتساع الخرق، ونزل بزاوية الشراى فاهتبل به زعيمها ووجه للرحامنة اللوم والتعنيف والعتاب الأليم، على فعلهم الذميم، وكان لهم فيه اعتقاد قوى ونية صالحة يخشون غضبه ويسعون فى مرضاته خوفا من أن يدعو عليهم بما فيه هلاكهم، ولا يشكون فى سرعة استجابة دعائه ولا ريب أن ذلك كان من حسن حظ أهل مراكش وسعادة خليفتهم.

فارتاع الرحامنة وبادروا للخضوع والتوبة والإنابة، ثم استعطف الخليفة فى الرجوع لمحل مأموريته وأوصاه بالرحامنة خيراً لأن التوبة تجب ما قبلها، إنما التوبة للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم، فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه، ومن يومئذ رضخ الرحامنة للطاعة وقابلوا الأوامر السلطانية بالسمع والطاعة وقاموا بذلك أتم قيام.

ولما اتصل بالقبائل الحوزية ما أوجب مبارحة الخليفة لمراكش، أرسلوا إليه رسلهم قائلين: إننا قد ساءنا ما صدر بذلك البلد الطيب من أولئك الأوباش، وإننا تحت أوامركم فيما ترون فى زجرهم وتأديبهم جزاء عما أجرموا، وردعا لأمثالهم، فمرُّ تَطْعُ فالمال والرقاب، ملك لسمو ذلك الجنب، فشكر حسن عواطفهم وإحساساتهم الجميلة، وعرفهم بتوبتهم النصوح، وحمد الله وأثنى عليه ما خوله من ميل قلوب الرعية إليه، واستيلائه عليها من غير سيف ودم مهراق.

وفى السنة أيضاً انعقدت الشروط بين المترجم وبين جنس الاصطادوس، وفيها أغار نصارى الجديدة على آزمور، واقتحموا ضريح الشيخ أبى شعيب ليلاً وقتلوا به نحو الخمسين من أهل آزمور.

وفى عام سبعة وستين ثار أبو عبد الله محمد وعلى بوثقالا الشريف الكثيرى، وكان ذا حيل ودهاء يتظاهر بالصلاح شأن من يريد الوثوب على الملك، ويقيم الأدلة على أنه صاحب الوقت، من ذلك أنه صنع طبولاً من نحاس ببلاد تعرنت، ومن دهائه أنه لم يطلع عليه فى صنعها أحد ممن يريد استهوائهم وجعلهم فى قبضته كالصولجان، ودفن تلك الطبول بالمحل المعروف بماسة من غير أن يعلم بذلك غير خالقه، واختار للدفن موضعاً لا يخطر ببال أحد وقوع الحفر به، وقد كان أهل ذلك القبيل يعتقدون أن طبول ذى القرنين مدفونة بتلك الناحية فى

موضع غير معين لا يطلع عليها إلا صاحب الوقت المجدد للدين، وتواتر ذلك الخبر الواهى لديهم وتناقله كذلك جيل بعد جيل وقيوده فى دفاترهم، ولم يكن لأحد منهم فى صحة ذلك أدنى شك ولا ريب، وما ذلك عند سخفاء العقول سفهاء الأحلام بمستحيل بل ولا بعيد.

وصار هذا الثائر يتحين الفرص لاقتناص الملك والوثوب عليه بالتظاهر بنشر دعاية دينية، إلى أن كانت هيئة الرحامنة المذكورة فاغتتم تلك الفرصة ولم يبق له أدنى شك فى أن الحين حان، فأعلن النداء فى القبائل السوسية بأنه صاحب الوقت والمجدد الأكبر، وأن علامة صحة دعواه إخراجه طبول ذى القرنين التى هى أكبر علامة عند صغيرهم وكبيرهم على صدق مقاله، فنسل المغفلون إليه من كل حذب وكثير ما هم، واحتف حوله ملا من الأخلاط عظيم.

ولما رأى كثرة جموعه وإقبالهم عليه ذهب بهم إلى الموضع الذى دفن فيه الطبول وحفرها وأخرج الطبول منها، وهم ينظرون فأمّنوا به وصدقوا، ورأوا أنهم قد ظفروا بالضالة المنشودة، والمسلمون ميالون للدين بالطبع، ولا سيما من ليس لديه علم يميز به اللجين من اللجين، والغث من السمين، فاعتروا به وتمسكوا بدعوته، وانتشر خبره فى الآفاق، وادعى أنه لا يحتاج إلى بارود ولا سلاح، وقويت عصبيته حتى لم يستطع من تبين أمره ولم تجر عليه حيلة من علماء وعقلاء القطر السوسى وغيرهم أن يفوه ضده ببنت شفة، وكثر القيل والقال فيما وراء سوس من القبائل.

ولما شاع أمره وذاع ولم ينفع الخليفة السلطانى بمراكش تغافل، أرسل من طرفه بعض خاصته الذين حنكتهم التجارب يختلطون بأتباعه ويتبعون حركاته وسكناته ويأتون إليه بأخباره، فساروا إليه ولازموه ملازمة الظل، واتصلوا ببعض العقلاء المميزين الملائمين له، واتخذوهم أصدقاء إلى أن صاروا يفضون إليهم

بأسرارهم الخاصة، ودرسوا جميعا حقيقة الرجل المدعى حتى تمحض لديهم أنه أفاك خداع، ماكر يحاول التوصل للملك، ولما قرر أمره للخليفة أصدر أمره لهوارة وهشتوكة أصهاره بقتله وإراحة الأمة من شيطنته ومكره، فنهضوا إليه وقتلوه فى خلق عظيم من أتباعه وأنصاره، ولم يكن لديهم بارود ولا سلاح يدافعون به عن أنفسهم اغترارا بقوله، وحزوا رأسه ووجهوا به للخليفة بمراكش، وأراح الله من فتنته البلاد والعباد.

وفى أوائل رمضان هجمت على المغرب أسراب جند الجراد المستشر وأهلك الأشجار، ولم يترك منها سوى الأعواد مجردة من الورق والقشر، أما الزرع فقد وجده تم نضجه فلم يحصل فيه أدنى ضرر.

وفيه أخرج أهل فارس من كان بها من العبيد لاتهامهم بإفساد ذات البين بينهم وبين الودايا، ونقل الأخبار إليهم على غير وجهها، فلم يسع العبيد لضعف قوتهم غير مغادرة فاس القديمة، ونزل البعض منهم بالمدينة البيضاء، والبعض الآخر بقصبة شراكة.

وفيهما كان الزلزال العظيم الذى هد جل بناءات مكناس وزرهون، ومات به بالردم خلائق، وتسمى هذه السنة سنة الثلجية لما تراكم فيها من الثلوج التى لم يتقدم لأحد عهد بمثلها، قال أبو عبد الله الضعيف: فى ليلة السبت التاسع من ربيع الثانى نزل عندنا بالرباط بالليل ثلج عظيم ما رأيناه أبداً ولا ذكر لنا أحد من الناس المسنين أنه عقله، ووافق ذلك ليلة الثانى والعشرين من يناير عام أربعة وخمسين وسبعمائة وألف للمسيح.

وفى يوم الاثنين سادس ربيع الأول موافق عشرى دجنبر نزل ثلج كثير بفاس دام يوما وليلة، زاد فى الدر المنتخب: وملاً السطوح أكثر من ذراع ورموه بالأزقة، وبقي بها مدة أيام وليال، ثم نزل مرة أخرى فى أول يناير الموالى.

وفى عام ثمانية وستين انكسرت سفينة حاملة للحجاج فى منقلبها من الديار الحجازية، فيها من المغاربة سكان فاس وغيرها أربعمائة نسمة من جملتهم القائد أحمد الوليتى الرباطى، وشريفان من أعيان العراقيين سكان فاس، ولم ينج من ركابها غير قليل، وكان ورود هذا الخبر المؤلم لفاس فى شعبان.

وفى العام نفسه توفى زعيم آيت يدراسن، وركنهم المشيد محمد وعزيز، وأضرمت نيران الفتن بين قبيله وبين جروان، وكانت الكرة على جروان، حتى إنه لم يسعهم إلا الالتجاء إلى المترجم وهو يومئذ ملازم قعر بيته بدار الديبىغ، ولما ضاق بهم المتسع وعدموا المرعى أخذوا فى بيع ماشيتهم بأبخس الأثمان، ثم إن المترجم لما رأى ما حل بهم رق لهم وأخى بينهم وبين أخواله الودايا، وعقد لهم حلفا معهم فقاموا بنصرتهم والدفاع عنهم والأخذ بثأرهم من آيت يدراسن حتى صيروا بلادهم حصيدا كأن لم تغن بالأمس، وقتلوا منهم نحو الخمسمائة ولجأ جلهم إلى بلاد شراكة.

ومن آثار احتجاب المترجم ونبذه أمر الرعية وراءه ظهريا وعدم التفاته لكل ما يأتى إليه من أخبار الدولة، اضطراب جل بلاد المغرب وفساد انتظام وأكل القوى الضعيف وكثرة الثوار، ولما رأى خليفته بمراكش الرتوق لا تزيد إلا انفتاقا، والسيل قد بلغ الزبى، وأن والده لا يجيبه عما يصدر إليه من المكاتب بشرح الوقائع والأحوال، فضلا عن أن يتدثه بكتاب، جمَعَ أهل الحل والعقد وفاوضهم فى الدواء الناجع فى جبر ما انصدع، فأشاروا عليه بالمسارعة بالنهوض بنفسه لإخماد ما اتقد من نيران الفتن قبل أن يعم البلاء، ويلتهب اللفح الأبرياء، ولات حين مناص، فجند الجنود، وقوم البنود، وفرق الأموال، واتخذ سائر الاحتياطات اللازمة فيما يأتى وما يذر، ولما كان شوال العام نهض لرباط الفتح.

ولما بلغ ضواحيه سدوا الأبواب فى وجهه، وركبوا الأنفاض وتحالفوا مع رئيس أهل سلا، عبد الحق فينش على المقاومة والمخالفة والعصيان، ولما رأى ذلك أعرض عنهم وخيم بالدار الحمراء قرب سلا، فتسارع أهلها لفتح الأبواب وخرجوا إليه مع رئيسهم المذكور والصبيان حاملون ألواحهم على رؤوسهم متشفعين، وفى العفو والأمان راغبين، قال أبو عبد الله الضعيف: والسيف فى فم عبد الحق المذكور وأولاده الصغار أمامه ويده وراءه، فعفا عنهم، زاد ابن الحاج وأكرمهم وأعطى الصلة لصبيانهم.

ولما رأى ذلك أهل الرباط حلوا أبواب المدينة وخرجوا إليه مع الفقيه أبى العباس أحمد بن عبد الله الغربى، والشريف أبى إسحاق إبراهيم حفيد أبى محمد التهامى الشريف الوزانى، فألقى عليهم القبض وقيدهم بالحديد وأمرهم بإحضار مستفاد المرسى، فأجابوه بأنهم أنفقوه فى بناء سور الثغر، ثم عفا عنهم، ونقل البعض من أعيانهم بأهلهم لمراكش كأبى العباس مرينو الأندلسى، والشيخ أبى عبد الله محمد التونسى الأندلسى، والتهامى مرينو، وولى عليهم القائد العربى المستيرى، إذ كان يعلمه بكل شاذة وفاذة، عن أخبار أهل الرباط قبل التعرف به، ويجعل فى إمضاء كتبه خديمك كدية، ولما حل بالرباط وقدم عليه أهلها قال: أين فيكم كدية؟ فخرج إليه فعرفه وولاه.

وكان الخليفة الأمير لما سدت فى وجهه أبواب الرباط، وجه إليهم صاحبيه الحاج سعيد التامرى الكديرى السرار، والفقيه أبى عبد الله محمد بن زاكور ليؤمنوهم وليأتوا إليه بهم فى خفارتهم، فلم يسعهما غير الامتثال وإن تيقنا أن مرسلهم ممتلئ صدره غيظا على أهل الرباط بما صدر منهم وازداد حنقا حيث سدوا الأبواب فى وجهه، وأنه إذا ظفر بهم لا يفلتهم. فقال الحاج سعيد: اللهم إن هذا الرجل لا يريد بأهل الرباط خيرا، اللهم لا تلاقينى بهم ولا معه، وكان رجلا

صالحا فاستجاب الله دعاءه، وانقلب القارب الذى ركبا فيه وغرقا رحمهما الله تعالى.

وقد وجد الخليفة أهل سَلَا، يصنعون سفينة لأنفسهم رئيسها أبو عبد الله محمد عواد السلوى، فأخذها وسفينة أخرى رئيسها أبو عبد الله محمد عواد يدعى قنديل السلوى فأخذها أيضا كما أخذ السفينة التى كانت شركة بين أهل العدوتين سَلَا والرباط، المصنوعة من خشب جامع حسان المسماة لديهم بالكركجيا. قال الضعيف: وهى أول سفينة طلعت قبل هذه السفن، كانوا يتسبون فيها، وكذلك أخذ سفينة كان صنعها عامله على الرباط العربى المذكور، والذى فى تاريخ ابن الحاج أنه لم يأخذ غير السفينة المشتركة وأبقى الغير لأربابه، وما فى الضعيف أصح فى نظرى.

هذا ولما صفا للخليفة أمر العدوتين سكن الرعب قلوب من سواهم، فرتب العمال على القبائل، ووجه لمدينة شفشاون القائد العياشى عامل رودانة سابقا، ولكنه لما وصل إليهم صدوه وأغلقوا الأبواب فى وجهه وحاصروه، وولى الباشا مسرورا على القصر، وأصدر الأمر للقائد عبد الله السفينانى بترحيل عمه المولى المستضىء مار الترجمة من أصيلا، ثم رجع لمراكش منصرف العام.

وفى هذه السنة كتب والى طرابلس الغرب العثمانى رسالة للمترجم فى شأن السكة المغشوشة والحياك المدخولة التى كان يحملها الحجاج المغاربة معهم بقصد التجارة فيها فى طريقهم للحجاز، وكانت السكة قد فسدت منذ استقل القائد قاسم ابن الأشهب بالتصرف فى دار الضرب بفاس، فإنه نحس دينار الذهب والموزونات وبالغ فى تنحيس الموزونات غاية مقصده، فكان فى الموزونات عشر فلوس من نحاس وأربعة عشرة فلسا من فضة من غير علم السلطان.

كما أن حالة مناسج الطرازين قد صارت سيئة لما تولى الحسبة الفقيه السيد الطيب الريحاني، وكان المحتسب في فاس هو الذى يلى البحث فى مناسج الطرازين والحرارين ويمنع من يحدث دخولا أو فراغا فى المنسج أو نقصا فى الحائك، فلما ولى الريحاني غفل عن البحث فى ذلك، فأحدث الحرارون الفراغ فى المناسج وجعلوا مكان الكثيرة النشا من الدقيق.

وأحدث الطرازون الدخول فى المناسج، وجعلوا يصنعون الذراعين الذين يليان الطرفين معقودين ومن أنفاس القيام حلاوة وبياضا ورطوبة ويزدون حال النسج على الطرفين لتمكن الصحة فيها، ويجعلون وسط الثوب فارغا والسدا خشينا أحرش أسود، فإذا نسج الحايك تجد طرفه فى غاية الحسن حلاوة وصحة ورطوبة وبياضا ووسطه مثل الشبكة.

وكان الحجاج يشتررون تلك الثياب ويبيعونها فى طرقيهم إلى طرابلس وفى أعمالها، ويحملون الدراهم والدنانير ويشتررون بها ما يتقوتون به فى الطريق، فظهر النحاس فى طرابلس فى الدنانير والدراهم العام بعد العام، وصارت الثياب تتقطع من وسطها فشكا عامة الناس ما نزل بهم إلى التركى وإلى طرابلس وأعمالها فأراد القبض على الحجاج، فكلمه فى ذلك بعض فقهاء طرابلس وقال له: الحجاج لم يصنعوا الثياب بأيديهم، وإنما اشتروها ممن صنعها والدراهم والدنانير المنتحسة ليس هم الذين ضربوها، وإنما قبضوها فى أمتعتهم، فأعلم سلطانهم بذلك، فترك الحجاج وكتب رسالة تضمنت خبر ذلك إلى صاحب الترجمة.

ولما دفع له شيخ الركب الرسالة التى وجه له بها صاحب طرابلس وأعمالها بما وقع للحجاج بطرابلس، قرأ الرسالة وبعث بها إلى أهل مدينة فاس، فاجتمع أهل فاس وقرءوها وقص عليهم الخبر الحجاج، فقال لهم بعض من له رأى من

الفقهاء: هذا منكر متفق على تحريمه يجب تغييره، وقد ذم الله أمة كانوا لا يتناهون عن المنكر فقال: ﴿كَانُوا لَا يَتَّاهُونَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ...﴾ (٧٩) [المائدة: ٧٩].

فاتفق رأى أهل الدين والخير على تغيير ذلك وعينوا من يقوم به، فأمرُوا الأندلسيين أن يقطعوا مناسج النيارين المدخولة، لأن سوق النيارين فى جهة الأندلس ويقطعون ما يجدونه فى الطرازات من أسداء مدخولا، لأن أكثر الطرازات فى جهة الأندلس، وأمرُوا اللمطيين بأن يبحثوا فى الحوانيت التى تباع فيها الحياك فما وجدوه مدخولا مزقوه، وأن يقبضوا على القائد قاسم بن الأشهب الذى أفسد السكة ويأتوا به ليجرى عليه حكم الشرع.

فامتنعت طائفة من اللمطيين من القبض عليه، وتبع أهل فاس فى ذلك طائفة منهم، وهم الأندلسيون الساكنون بجهة اللمطيين المحسوبون فى عددهم، فقال لهم أعيان أهل فاس: دونكم فلا يهمنكم شأن هؤلاء فى رجل واحد لا قبيلة له ولا مال ولا أصول بفاس، يبدل ويغير فى سكة السلطان من غير إذنه، فلا ترجعوا عن زجره.

أما الأندلسيون فساروا إلى النيارين وقطعوا ما وجدوه بحوانيتهم مدخولا وغير مدخول، وساروا إلى الطرازات فوجدوا أكثرهم قد حملوا سدواتهم من الطرازات، فقطعوا ما وجدوه فى الطرازات مدخولا.

وأما اللمطيون فأقاموا بذلك الحاج أبا جيدة بن سليمان الأندلسى، والحاج عبد الواحد عاشر من عقب سيدى عبد الواحد صاحب المرشد المعين الأنصارى الأندلسى، لأنهما ممن كان قبض عليهم التركى صاحب طرابلس، فلما كلم فى ذلك خلى سبيلهم ومعهم من تبعهم على تغيير ذلك المنكر، فساروا إلى سوق الجوطية الذى يباع فيه الحياك فوجدوا الحوانيت فارغة حملها التجار لدورهم.

فساروا إلى دار قاسم بن الأشهب ليقبضوا عليه ويأتوا به لتجرى عليه أحكام الشرع فلم يجدوه خارج الدار، فوثبوا عليه في الدار واقتحموها عليه، فملا دخلوا الدار عليه، وأرادوا البحث فيها، فإذا بطائفة أخرى الذين من تعصبوا عليه قد أقبلت ورموا من بالدار بالحجر، فخرج جميع من كان بالدار، وربما نهب بعضهم من حوائج الدار شيئاً، ثم اشتد القتال خارج الدار في الشارع بالحجارة حتى افرقوا، واختفى قاسم بن الأشهب أياماً إلى أن هدن الهرج وخرج، قاله ابن الحاج.

ثم كلف صاحب الترجمة كاتبه الأسمى أبا الحسن عليا اليعمدي بجواب والى طرابلس، فكتب في ذلك رسالة من بديع صنعه، قال في الدر المنتخب: إنها اشتملت على أسلوب من البلاغة في المنثور تسحر الألباب، يعجز عن إدراك ذلك أهل العصر ولولا الإطالة لأوردتها الخ.

وفي عام تسعة وستين وقعت زلزلة أعظم من التي كانت في العام قبله، اهتزت بها الأرض وربت وبقيت تضطرب برهة من الزمان، وسمع لها دوى هائل وتغيرت العيون، ووقف الماء في الأودية عن الجرى، وسقطت الدور وتصدعت الجرات العظيمة، وفر الناس من البيوت والأبنية، واتخذوا الأخبية بالضواحي.

ثم وقعت زلزلة أخرى بعد هذه بنحو ستة وعشرين يوماً فقطع من هذه بعد صلاة العشاء، انهدت فيها غالب دور مكناسة الزيتون، وكثير من مساجدها ومنار جامعها الأعظم إلى الأساس، ومسجد القصبة السلطانية، ومات تحت الردم خلق أحصى منه عشرة آلاف، وعلم من لم يشملته الإحصاء عند الله.

قال الضعيف نقلاً عن تاريخ الحاج المستاوى الرباطي: وفي يوم السبت السادس والعشرين من محرم فاتح العام موافق واحد وعشرين من أكتوبر سنة ألف

وخمسمائة وخمسة وخمسين وقعت زلزلة عظيمة ودامت نحو أربعة أدرج، وذلك قبل الزوال بثلاثين درجا.

وفى العام قدم على المترجم كافة قواد عبيد مكناس، ولما مثلوا بين يديه طلبوا من جلالتة النهوض معهم لعاصمة ملك والده ليكون توجهه معهم برهانا على صفاء باطنه عنهم، فأجابهم: كيف أسير معكم وفيكم فلان وفلان أناس سماهم لهم؟ فرجعوا لمحلتهم، ولما جن الليل وثبوا على الأشخاص الذين عين لهم المترجم وقتلوهم، ومن الغد أتوه برءوسهم، منهم: القائد سليمان بن العسرى، فقال لهم الآن طاب العيش ووضعت الفتى أوزارها، وواعدهم بالقدم عليهم ووصلهم بأربعين ألف مثقال، وأمرهم بالرجوع لمكناس ورجعوا مسرورين، وقد كان قال للعبيد قبل ذلك: والله لا زلت أصيح عليكم فوق كل ثنية وعلى رأس كل ربوة وهضبة كالذئب وأنتم كالغنم لا شغل لى سواكم أنا عبد الله بن إسماعيل إن لم تعرفونى.

وفى العام قدم أبو عبد الله الوقاش عامل تطاون على المترجم بهدية تقدر بألف ريال وأثاث ونصارى أسرتهم مراكبه، فأكرم وفادته وأعطاه جاريتين ورده رداً جميلاً.

وفيه حرق الفحص القائد عبد الله السفينانى، قيل بإشارة من صاحب مراكش، أعنى الخليفة السلطانى أبا عبد الله، وذلك عندى لا يصح لاستبداد السفينانى المذكور عن صاحب الترجمة، فضلا عن خليفته واستقلاله الاستقلال التام بناحيته، حتى إنه كاد أن يدعو لنفسه لما أوتيه من اشتداد الشوكة، ولم يكن له من ينارعه فى تلك الناحية غير الحبيب المالكى، وقد كان المترجم لما ترك الدفاع والمقاومة ولزم قعر بيته، تارة يقول: إذا رفعت إليه مظلمة وقعت فى السابلة إنما أنا ثالث الأمراء، فإن غرم الأميران عبد الله السفينانى والحبيب المالكى أغرم معهما

ثلثى، وتارة يقول، لمن يأتيه من البقية الباقية متمسكة بطاعة السلطان: اذهبوا إلى سيدى وسيدكم، يعنى ولده خليفة مراکش.

وفيه نهض الخليفة صاحب مراکش للشاوية لما ظهر فيهم من العتو والاستبداد والعيث فى الطرقات، فحضر منهم كل شىء، وأتى بالقتل على أركان الفساد منهم، ونظم الباقين فى قصب السلاسل ووجه بهم يرتاعون فى قيود الهوان ليعتبر بهم غيرهم ممن هو على شاكلتهم، وسار هو إلى أن خيم برباط الفتح فاستقبله أهلها بالترحاب وإظهار الفرح والسرور، وقدموا إليه هدايا ذات بال وأطعمة فاخرة، أما عبد الحق فنيش فإنه أعرض عنه ونأى بجانبه، وأغلق أبواب المدينة دونه، ولما كان الغد نهض وسار ووجهته القصر من غير أن يلتفت لما قابله به عامل سلاً، ولا أن يحرك معه ساكناً فى ذلك، إذ كان الأهم لديه أمامه.

وفى عاشر صفر عام ١١٧٠ أغار البربر على سرح فاس، ونهبوا عدداً من بقرهم، كما نهبوا أزواج الحرث.

وفى ضحوة يوم الاثنين رابع ربيع الثانى وقع تخاصم وتساجر بين القاضى أبى محمد عبد القادر بوخريص وبين بعض الأندلسيين حتى هم قائلهم محمد الصفار بقتله، ولولا أنه استجار باللمطيين لقتل، وقام هرج ومرج سدت لأجله القرويين، وعطلت صلاة العصر بها.

وفى يوم الثلاثاء سادس عشرى الشهر المذكور اتفقت كلمة العامة على هدم سقف البلاط الوسط من القرويين الواقع يسار الثريا الكبرى هنالك واجتمع رأى اللمطيين والأندلسيين وأهل العدو على حجز حبس المساكن الذى يقبضه الأشراف وغيرهم عمن يستحق وعمن لا يستحق، ويأثر ذلك نجزت فكرة الهدم فعلاً.

وفى يوم الجمعة السادس من جمادى الأولى بعث المترجم لأهل فاس بستة مدافع صغار، فاعترضهم الودايا وأخذوهم، فاجتمع رأى أهل فاس على سد باب محروق فسدوه من الغد الذى هو يوم السبت، وأعلنوا النداء بأنهم مسالمون جميع من يوالى المترجم من سائر القبائل، ومحاربون لكل من يعاديه.

وفى يوم الثلاثاء المتصل استقبلهم المترجم واستسمحهم فيما كان صدر منه لهم وأثنى عليهم.

وفى منتصف رمضان نهض الخليفة صاحب مراكش من محل مأموريته، يريد النظر فى أمر الثغور، وحسم مادة فتن الوقاش عامل تطاوين، الذى رام الوثوب على الملك وقطع دابر الفتان أبى الصخور الأفاك الذى كان يستغوى قبائل الأخماس بما يدعيه لنفسه من الصلاح، ويوهمهم بأنه صاحب الوقت ويحثهم على قتال صاحب مراكش، ومحاصرة سبتة وتأديب أهل شفشاون المحاصرين للقائد العياشى المشار إليه آنفا.

ولما وصل بلاد الشاوية قاموا فى وجهه وقاتلوه إلى أن انهزم لدكالة، ثم استعد لقتالهم ورجع إليهم بجنود ذات قوة وبأس شديد، وتولى مقاتلتهم بنفسه حتى أباد رءوسهم وبدد جموعهم الفاسدة وأذعنوا وهم صاغرون، وسار إلى مدينة سلا، وأمر بقطع الأعواد من غابة المعمورة وإنشاء السفن، وأصدر أوامره للبasha الزيانى بالوفود عليه بإخوانه العبيد للقصر، وسار إلى أن وصل القصر.

ولما خيم به وفد عليه المولى الطيب الشريف الوزانى، ثم وفد عليه البasha الزيانى فى جند العبيد، ولما مثل بين يديه قال له: أنت سلطان العبيد وأنا سلطان الأحرار، وقد كانت بندقية الخليفة بيده فأطلق فى البasha رصاصة صادفته بين عينيه فخر ميتا من حينه، وذلك بوادى امكرول تحت بلد بنى كرفط، وأعطى فرسه وسلاحه لابن زاكور التطوانى، ثم قتل يوسف السلاح، وذلك لتأخيرهما العبيد

عن القُدوم عليه لمراكش، فعند ذلك دخل العبيد رعب فاستجاروا بالمولى الطيب المذكور ووجه لوالده صاحب الترجمة بنحو ألفى مثقال، وولى على العبيد سعيد ابن العياشى.

ثم نهض لجمال الأخماس حيث مقام أبى الصخور، فألقى عليه القبض ثم بدا له فقتله وأراح الرعية من فتنه، وكان قتله إياه بسبب رهونة من لكس، ثم صعد لقنة جبل سكنا، ثم سار لشفشاون وقطع أشجارها عقوبة لأهلها على ما ارتكبه مع العامل المولى عليهم، ثم بعث العياشى المذكور عاملا على القصر مع ولده سعيد.

ثم نهض وسار نحو سبتة، ثم ارتحل ونزل بتطاوين فخرج لاستقباله أعيان البلد مع عاملهم الوقاش للتهتة بسلامة القُدوم وقدموا إليه هديتهم طبق المألوف، فطالبهم بمستفاد المرسى الذى ترتب فى ذمهم فأجابوه بأنهم كانوا اشتروها من والده بثلاثين قنطارا مسانهة، فنزعها من أيديهم وقال لهم: أنا أولى بشرائها من والدى، ونؤدى له مائة قنطار كل سنة.

وألقي القبض على الوقاش ووجه به لمراكش سجيئا، بعد أن هدده بالقتل لسيره فى عمالته على غير الطريقة المثلى، وولى مكانه عبد الله بن زاكور المذكور، وقيل: عفا عنه فسرّحه وأقره، ثم سار إلى طنجة ومنها للعرائش.

ثم كتب لوالده يعلمه بما جرى، وأنه حاز المرسى، فأجابه قائلا: هل أنا محجور لك؟ تلك المرسى أتقوت منها، واغتاظ غيظا شديدا حتى قال: اللهم سلط عليه من ذريته من ينزع له ما بيده.

وفى يوم الثلاثاء ثالث شوال ذهب أهل فاس إلى صاحب الترجمة ليقدموا إليه مراسم التهتة بغرة عيد الفطر وفق المألوف، فسر بمقدمهم وأعطاهم أربعة آلاف مثقال صلة.

وفى آخر شوال رجع صاحب مراکش لمقره محل مأموريته، وذلك بعد تنظيم أمور الدولة وإصلاح ما كان اختل من الشئون.

وفى العام وقعت حرب شعواء بين آيت يدراسن وجروان أعان فيها الودايا جروانا حتى انتصروا على آيت يدراسن بوطا النخيلة من سايس.

وفى يوم الاثنين موفى واحد وعشرين من ذى القعدة قدم حجاج بيت الله الحرام وفى معيتهم رسول أمير مكة بكسوة البيت العتيق، فسر المترجم بها وابتهج، ووجه بها للضريح الإدريسي، وأكرم الرسول بألف مثقال.

وفى صفر كانت منيته على ما سنذكره فى محله.

هذا ملخص ما ذكره فى ترجمة هذا الأمير الزباني فى كتبه، والضعيف فى تاريخه، وابن إبراهيم فى تقايده، وصاحب نشر المثنى، وابن الخياط القادري، وابن الحاج فى دره، وصاحب الاستقصا والجيش العرمم، مع مزيد تحرير وضبط وإتقان، إذ تضاربت كثيرا أنقالهم واضطربت أقوالهم وتناقض كلام الكثير منهم.

هذا ولا ريب أن سنة الله فى الدول منذ نشأة العالم جرت بتطورها أطواراً طور الشباب فطور الكهولة فطور الشيخوخة فطور الهرم فالموت.

وقد قسم ابن خلدون عمر الدولة أطواراً:

- ١ - طور الظفر بالبغية والاستيلاء على الملك وانتزاعه من الدولة السابقة.
- ٢ - استبداد صاحب الدولة الظافرة على قومه وأهل عصبية والاستيثار بالملك دونهم.
- ٣ - طور الفراغ والدعة.
- ٤ - المسألة والاقتناع بما حصل.
- ٥ - الإسراف والتبذير وهو آخر الأطوار وينتهى بالانقراض.

وقد أفاد محررو المباحث السياسية تطرق الضعف إلى الدولة الاستبدادية وهو كثير ينحصر فيما يلى:

١- التنافر بين الملك وأهله، والسبب فى ذلك أن الملك إذا أتاح له الحظ التربع فى دست السلطنة أخذته أبهة الملك فيقوم فى اعتقاده أن خلال الكمال، وصفات الجلال، انحصرت فيه، فإذا توهم ذلك فى نفسه شق عليه أن يسمع مخالفة من رجال دولته، لا سيما أهله الذين يجوز للواحد منهم أن يخلفه فى الرئاسة، فيزداد مع الزمان حذرا من أهله، وتختلف طرق تصرفه معهم أو معاملته إياهم باختلاف مزاجه ودرجة تعقله وسائر أحواله، لكنه فى كل حال يخاف على منصبه منهم.

٢- الركون إلى الحضارة. يصح هذا على الدولة ذات القوة والمنعة، فلا تلبث أن تتحضر حتى تضعف قوتها، ويذهب ما كان لها من شدة البأس، ويصير أهلها إلى الرخاء والتمتع بالملذات، وهذا الرخاء إنما يصيب الملك ووزراء ورجال دولته، لأن الأموال فى الحكم الاستبدادى تصير إلى هؤلاء، وقد تكون الرعية فى أشد الضنك، إلا من التف حول رجال الدولة وارتزق بالتزلف إليهم ومصانعتهم، والقيام بما يحتاجون إليه من أسباب الملاذ.

٣- اصطناع الجند، الترف والرخاء، يؤثران فى رجال الدولة، فتذهب منهم شدة البأس، فيركنون إلى الملاهى والملذات ويقعدون عن الحرب، وبعد أن تكون قيادة الجند فى أيديهم، يعهدون بها إلى بعض صنعائهم من أمراء الجيش، وهم يستولون على أعطيته من الملك، فلا غنى لهم عن طاعته والأخذ بناصره، فيزداد بذلك الملك ركونا إلى الرخاء، ويزداد ضعفا ويزداد قواده وصنائعه من الجيش نفوذا فى الدولة ودالة على الملك، فيطمعون فى المناصب الرفيعة، فتصير إليهم الإمارة أو الوزارة أو قيادة الجيش فى الحرب، ويصير الحل والعقد فى أيدهم،

يولون الملوك ويعزلونهم أو يقتلونهم أو يحجرون عليهم، كما فعل الترك بالخلفاء العباسيين، والانكشارية بالسلاطين العثمانيين، وجيش العبيد بالسلاطين العلويين.

ويظهر الهرم على الدولة إذا تكاثر المصطنعون، واشتغل السلطان ووزراؤه بأنفسهم عن الدولة وفسدت أمورها، ويزيدها فسادا اضطراب الملك ورجاله إلى النفقات الباهظة على أنفسهم في سبيل الملذات، وبناء القصور، واقتناء الجوارى، والاستكثار من أسباب الترف بأي وسيلة كانت.

ويكثر البضرائب فتنتشر المظالم، فتغضب الرعية وينقمون، ويتشاورون فيما بينهم عن فساد الدولة، ويتمنون الخلاص منها، ويتربحون فرصة للخروج من سلطانها.

أما الملك فلا يهتم يومئذ غير حفظ نفسه واستبقاء نفوذه، فينفق الأموال في التجسس واصطناع الجند لحمايته، وكثيرا ما تنشب الفتن بين رجال النفوذ أو بينهم، وبين الملك ويتنازع الخاصة - وهم طلاب المناصب - في التقرب من السلطان التماسا للكسب لانحصار المال هناك، ويشتد النزاع على أسباب الرزق، فتكثر الأحزاب ويصبح الأمر فوضى، فيعجز الملك عن تدبيره، وهو عاجز عن ذلك بطبيعة الحال لأنه شب محجورا عليه بين النساء والأطفال، على أن الدولة قد توفق في كهولتها أو شيخوختها إلى ملك مقتدر يريد بها خيرا، لكن لا يستطيع ذلك لتمكن الفساد فيها، وتعويل رجالها على الارتزاق من ذلك الفساد، فيعود سعيه وبالا عليه، كما أصاب عمر بن عبد العزيز في الدولة الأموية، والمهتدي بالله في الدولة العباسية، والسلطان سليم في الدولة العثمانية...

فإذا اعتبرنا الدولة جسما حيا، كانت هذه الظواهر أمراضا في ذلك الجسم تدل أعراضها عليها، فتكون العلة في الرأس أو الصدر أو الأطراف، فإن كانت في الرأس فهي في الملك من ضعف رأى أو فساد خلق، وإذا كانت في الصدر فهي

رجال الدولة من طمع وانقسام، وإذا كانت فى الأطراف فمن ضعف العمال والولة أو من جائحة أصيبت بها المملكة.

ومعالجة هذه الأمراض أيسر فى الحكم الدستورى مما فى الاستبدادى، لأن الملوك المستبدين إنما يطلبون النفع الشخصى، فإذا كانت علة الفساد من ضعف أخلاقهم، فإن ذلك الضعف يغريهم على التمسك بالسيادة ولو آل أمرها إلى خراب المملكة.

أما إذا كان الرأس سليما فيهن عليه معالجة سائر أسباب الضعف، فالدولة الاستبدادية يتوقف موتها وحياتها بالأكثر على الملك خلافا للدولة الدستورية.

والفرق بين الحكم الاستبدادى والحكم الدستورى، أن الأول هو الشريعة التى يحكم بها الملك رعاياه، والثانى عبارة عن القوانين التى تقيد الرعايا بها أحكامه وأحكام رجال دولته، وبعبارة أخرى: إن الحكومة أو الدولة قد تكون مؤلفة من رجل أو عدة رجال، وبها ثلاثة أعمال: سن القوانين، والفصل فى الخصومة، وما هى نسبة أعضائها بعضهم إلى بعض، ويبين الكيفية التى ينبغى أن تجرى بها الأحكام، فهو قيود للقوة المتسلطة، والإنكليز هم أول من أنشأ مجلس النواب وأعطاه هذه السلطة، ولذلك يقولون فى أمثال الإفرنج «إن الإنجليز أم المجالس النيابية» والدستور لا يختص بالحكم الملكى ولكنه يتناول الجمهوريات، بل الجمهوريات أولى أن تقيد بإدارة الشعب، وكل أمة فيها مجالس تنوب بأصواتها عن الشعب كانت حكومة دستورية.

ويسوءنى للغاية تغلب الاستبداد على طبيعة ملوك الإسلام، مع علمهم بفائدة التقييد بقوانين الشريعة المتعلقة بالأمور الدينية والدينية، التى من أصولها المحفوظة إخراج العبد عن داعية هواه، وحماية حقوق العباد سواء كانوا من أهل الإسلام أو غيرهم، واعتبار المصالح المناسبة للوقت والحال، وتقدير درء المفساد على جلب المصالح.

ومن أهم أصولها وجوب الشورى، ومن الأصول المجمع عليها وجوب تغيير المنكر على كل مسلم بالغ عالم بالمنكرات، ولولا تغيير المنكر ما استقام للبشر ملك- لأن الوازع ضرورى لبقاء النوع الإنسانى ولو ترك ذلك الوازع يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لم تظهر ثمرة وجوب نصبه على الأمة لبقاء الإهمال بحاله - فلا بد للوازع المذكور من وازع له يقف عنده إما شرع سماوى أو قانون معقول، وكل منهما لا يدافع عن حقوقه إن انتهكت - فلذلك وجب على علماء الأمة وأعيان رجالها تغيير المنكرات، فالمغيرون للمنكر فى الأمة الإسلامية تنقيهم الملوك كما تتقى ملوك أوربا المجالس وآراء العامة الناشئة عنها وعن حرية المطابع - ومقصود الفريقين واحد، وهو الاحتساب على الدولة لتكون سيرتها مستقيمة.

قال ابن خلدون فى فصل الإمامة من مقدمته: إن الملك لما كان عبارة عن المجتمع الضرورى للبشر ومقتضاه التغلب والقهر اللذان هما من آثار القوة الغضبية المركبة فى الإنسان، كانت أحكام صاحبه فى الغالب على ما ليس فى طوقهم، فتعسر طاعته بذلك، وتجيء العصبية المفضية إلى الهرج والقتل، فوجب أن يرجع فى ذلك إلى قوانين سياسية مفروضة يسلمها الكافة وينقادون إلى أحكامها كما كان ذلك للفرس وغيرهم من الأمم، وإذا خلت الدولة من مثل هذه السياسة لم يستقم أمرها ولا يتم استيلاؤها، فإذا كانت هذه القوانين مفروضة من العقلاء وأكابر الدولة وبصائرها كانت سياسة عقلية، وإذا كان فرضها من الله تعالى بشرع يقررها كانت سياسة دينية نافعة فى الدنيا والآخرة - . . . أجل نفعها لا يتم إلا ببقائها محترمة بصونها، والذب عن حوزتها بمثل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر:

فمن ثم وجب أن نهزم أن مشاركة أهل الحل والعقد للملوك فى كليات السياسة مع جعل المسئولية فى إدارة المملكة على الوزراء المباشرين لها بمقتضى قوانين مضبوطة مراعى فيها حال المملكة، أجلب لخيرها وأحفظ له.

قال ستورد الإنجليزى فى تاريخه: «إن رفعة شأن الأمة الإنكليزية بلغت الغاية فى مدة الملك جورج الثالث الذى كان مجنوناً وما ذلك إلا بمشاركة أهل الحل والعقد ومسئولية الوزراء لهم» فتبين أن المملكة التى لا يكون لها قوانين ضابطة محفوظة برعاية أهل الحل والعقد خيرها وشرها، منحصر فى ذات الملك وبحسب اقتداره واستقامته يكون مبلغ نجاحها.

قال المؤرخ الشهير تيراس الفرنسى عند ذكره عواقب الاستبداد وأن العمل بالرأى الواحد مذموم ولو بلغ صاحبه ما بلغ من الكمالات والمعارف - بعد ما ترجم لنابليون الأول بأوصافه الخاصة وأحقه فى السياسة بأفراد الرجال الذين جاد بهم الدهر فى القرون الماضية - إلى أن قال مخاطباً للفرنسيين: تعالوا نمنع النظر فى أحوال هذا الملك التى هى فى الحقيقة أفعالنا، فيستفيد منها من كان جندياً كيف ينبغى أن تقاد الجيوش، ومن كان من رجال الدولة معرفة كيف ينبغى أن تكون إدارة المملكة وكيف ينبغى أن يرتفع شأنها بدون خروج عن دائرة التواضع والرفق، إذ المعاملة متى لم تكن مصحوبة برفق وقناعة لا تتحمل، وربما يفضى ذلك إلى أسباب الاضمحلال كما أفضت إليها سيرة المذكور الذى هو أقل البشر قناعة، فبالجملة نعتبر بغلطته فتجنبها ثم نستفيد معاشر أبناء الوطن تربية أخيرة لا يسع نسيانها، وهى أنه لا يسوغ أبداً أن يسلم أمر المملكة لإنسان واحد، بحيث تكون سعادتها وشقاوتها بيده، ولو كان أكمل الناس وأرجحهم عقلاً وأوسعهم علماً . .

إن الذى له القدرة بحيث يستطيع أن يفعل كل ما يريد معه داء لا دواء له، وهو الشهوة الداعية لفعل كل مستطاع ولو كان قبيحاً، وإذا تقرر هذا فعلى أبناء الوطن أن يتأملوا فى سيرة المذكور ويستخرج منها كل فريق ما يناسب خطته -

والأهم أمر واحد وهو أن لا يطلق أمر الوطن لإنسان واحد كائنا من كان وعلى
أى حالة كان .

وقد ختمت هذا التاريخ المطول المستوعب لأحوال نصرنا وانهزامنا بهذه
النصيحة بل الصيحة الصادرة عن صميم فؤادى غير مشوبة برياء راجيا بلوغها إلى
قلب كل فرنسى ليتيقن جميعهم أنه لا يليق بهم بذل حرمتهم إلى أحد - كما لا
ينبغى لهم الإفراط فيها حتى لا تنتهك حرمتها هـ .

وفى حكمة أرسطو أن من الغلط الفادح أن تعود الشريعة بشخص يتصرف
بمقتضى إرادته .

هذا ومن تأمل هذه الترجمة ودرسها كما يجب تبين له جليا كيف كانت
الرعية تعامل المترجم وهو من خيرة ملوك هذه الدولة التى لا يزال شأنها ممتدا
ونفوذها مستمرا وظلها وريفا، ولست متكبيا ولا مغضيا إذا قلت - ملكا من خيرة
ملوك هذه الدولة - فقد مر بك كيف انزوى وتورع عن الانتصاب لهذا الأمر مدة
يبالغ فى الإلحاح عليه فيه ويخاطب بكل رغبة من أجله، ثم مرّ بك كيف كان
يعطى العطاء الوافر، وكيف يحسن وفادة القادم المطيع، ويحتفى بالتزليل المخلص،
وكيف كان يفرع لكل من يتوسم فيه مقدرة للعمل وأصالة فى رأى وقوة فى
الحق، فيوليه الأمر ويسند إليه النظر ويشركه السلطان .

فهل كان فاعلا ذلك ومبالغا فى الغضب إذ يتقم من أجل إخلال بالأمور أو
سير للشئون على طريقة غير منتظمة أو غير عادلة، إلا خدمة لمبدأ العدالة المنشود،
ورغبة فى استتباب الأمن المرغوب، وحبا لنشر ألوية السكينة فى كل مكان،
وتعميم المساواة والحق بين جميع أفراد الإنسان .

فهل كان وهو كما مر بك يأمر بعزل أبناء الروسى واحداً فآخر مثلاً أو أمراً
بولاية أفراد من غيرهم وآخرين من عشيرتهم إلا قاصداً أن يجد فى هذا ما ساء

الظن به فى ذاك، وهل كان يتغير ويستبد ويعمل بصرامة وشدة ما فوقها من شدة ما لم تكن دسيمة تؤثر أو مكيدة تدبر أو مؤامرة تنقل... إلا أن إمكن أن تفرض له من غاية غير معروفة أو قصد غير مطرد وهذا ألا أراه كما لا يراه الجمهور العاقل من غيرى.

لنرجع إلى التاريخ نفسه. فهل له أن يرشدنا إلى وقت سادت فيه السكينة وعم فيه الأمن أو وقف فيه فقط دولاب الحركات والثورات وإيقاد نيران الفتن من زعمائها وأحزابها، ثم نسائله هل كان من صاحب الترجمة أن يمد إلى شىء من استبداد برأى أو سوء صنيع برعية؟ وهل كان إن انتهك حرمة أو أساء صنيعاً أو تعمد قتلاً وأسرف فيه ما لم يكن قد ضاق صدره واشتعلت أطراف الفتن والمؤامرات من كل ناحية؟

بل هذا ملك البلاد وهو على رأس السلطنة يضطر لتحمل إهانات شنيعة من زعانيف صعاليك بعد تجمع أنواع المضض من سوء السيرة وأنباء الفتن وحوادث الاضطرابات وآفات التفرق، ثم تزوج عليه نساؤه بدون موجب، ويؤخذ منه حريمه غصباً، ثم يوقف موقف السوقه مؤاخذاً معاتباً من أنذال لا خلاق لهم كنت لا تجد بينهم لو اطلعت عليهم من لا تفرق بين دماغه وبين أرض البادية الخلاء البلقع محلاً وجدياً، ثم ندعوه أمام التاريخ لحسابه على ما فرط، ولمؤاخذته على ما جنت يده.

ومع ذلك فلست أنكر أن كانت للرجل مندوحة فى كثير من الأحيان وفى نظائر وأشباه من المناسبات والظروف عن تحمل مسئولية كثير من الوقائع والأخطار، وتجنب غير قليل من الحروب والمشاغبات، فقد كان يمكن أن يفض الكثير منها بحسن السياسة المستعمل فى غيرها، وجميل التدبير المتخذ فى نظائرها، وبذلك كانت تصان دماء وتحفظ حقوق وتقف اضطرابات عند حد.

ثم كان ذا نظر ثاقب فى الأمور، ومعرفة واسعة بأحوال شعب يتقلب فى مجالات ممتدة من الاضطراب وفقدان الثقافة وجمع الكلمة أن يعالف فى الأغلب الأكثر من وقائع الدولة وشئون الأمة، ولكن الوقت القليل كان لا ينقضى أحيانا إلا والأمر قد تجدد، والشر قد عاد وبوادر الفتنة قد أمتست تجهر بأعلى صوت مولية وجهها نحو مقر لم تغادره إلا من أمد قريب، فما ظنك بمن يثول إليه أمر هذه المسئولية كُلاً، ومن يخاطب عن هذه الوقائع طُراً، فهل كان يجد له من غالبها مخرجاً إلا ضرباً بشدة، وقمعا بجميع ما أوتيته من صرامة ممكنة؟

لعل مراجع التاريخ المغربى والمتصفح بدقة وإمعان لا شأن للقصور أو الغرض فيه، يرى من ضرورة هذه الأحوال وقضاء الظروف بها ما يخفف من غلواء النقد ويبيض صحيفة من حسن القصد فى تاريخ ملكنا المترجم، مهما أملت علينا ترجمته من وقائع كلها محزن، وحوادث كلها أليم.

ثم هنالك ما لا يسع التاريخ إهماله أو غض النظر عنه من بحث لأحوال حاشية السلطان ونظر لبطانة الملك، فهل كانت هذه البطانة أو الوزارة التى لا غنى عن صلاحها وإصلاحها موفية بالغرض من وجودها فى جوار صاحب الترجمة وإعانتته على خدمة أغراض الدولة ومهام الأمة؟

كلاً وألف مرة كلا فقد مر بك متكررا معادا ما كان يحاول من انتقاء المساعد والمعين ومبالغة فى اجتناب من لا خير ولا صلاح للرعية فيه وفى ولايته، ثم ما كان يلاقى منهم من جفاء فى الطبع ولؤم فى العشرة وكفران للنعمة، وجحد للواجب وتصرف شائن خائن، كله أغراض ومطامع ذاتية لا شأن للشرف والذمة وصدق الخدمة فيها.

ومتى بربك تصلح حال أمة أو تصلح أحوال ملك وحاشيته وأعوانه ومعينوه على تدبير الأمور كلهم عابث متمرد أو حقود مستبد أو متصرف لنفسه وغاياته،

يحسب الناس منهم صنيعا شريفا أو يرقبون عملا مفيدا، وما هو فى ذلك من المعدودين .

فكم كان يكون صلاح الرعية والملك لو استقام المشاور وأخلص الوزير، وكرم عنصر المساعد والمعين، فما إن يولى الولاية كما تقدم فى كل موضع أو يمنح الأمر أو يشرك الحكم إلا والعبث مستحكم والاستبداد منتشر، وحبل الأغراض والمطامع ممتد مجالا بعيدا .

ثم ليت شعرى وهذه حال أمة تصادف من متبوعها ما صادفت من صرامة وشدة وطأة وقمع بمختلف وسائل القوة، ثم لا يزيدها الورد إلا عطشا، ولم يكن العلاج لها إلا مثيرا ومحرضا، فهلا كان من الضرورى أن تعامل كما عاملت وتقابل بالنظير مما فعلت؟

وهل يبقى حال شعب هكذا وريك من وقت للنظر فى أحوال صلاح أو تمهيد إصلاح فأحرى نظر أحوال خارجية أو أمور تقضى بها ضرورات المدنية، وهذه السبل متقطعة والمواصلات منعدمة، والدماء تسيل، والفن تتوالى من كل حذب وحبل، إلا من ينصدع من بين أمس الدابر والغد المنتظر .

فلعل التاريخ كان يصارحنا بما يقلل من عظيم مسئولية هذه النكبات والخطوب أن لو كنا لجريانها فى وقتها من الحاضرين أو لدراستها بأسبابها ووقائعها المحلية من المستوعبين، وهكذا التاريخ لا يسوغ أن نكتبه أو ننقله، فأحرى أن ننقده ما لم نكن لحوادثه ودقائقه قلّت أو جلّت من المتعلمين، ولأحكامه وشواهد المأثورة من الجالين .

وما القصد من ذلك إلا خدمة علم التاريخ وإحكام وضع مبانيه على ما تأسس من قواعد محكمة، وأصول مرتبة، وإلا فقيم التاريخ وقد حاد كاتبه عن

الحق وجانب الصواب أو أغضى عن تحقيق الحقائق وإعلان الواقع، وإن كان يهتم
أقرب الناس إليه وأكثرهم اتصالا به، والتصاقا بسببه.

وما أشد ما يذكرنى هذا بصنيع ذلك الفريق الجاهل المتورط الذى ظن أن
التاريخ وقائع تسرد لإرضاء زيد أو عمرو، وحكايات تنقل لمجرد سواد عيون
(بصرى) معجب أو كوفى فخور كلا، فالتاريخ الحكم العدل على الأشياء
والأعمال، ومصادر الرجل إن خيرا كانت لهم صحفا بيضاء تبيض وجوههم
ووجوه عشرتهم يجب أن يقتفى أثرهم فيها، وإلا فخزيا وسبة تكون لهم ولمن
بعدهم ممن قلدهم فيها مثلا فى سوء الصنيع وشر الأحداث إلى الأبد.

ولقد كان جزاء عدلا أن يلقى المتعنت على التاريخ خسة، وينال حطة،
ويصادف ضعة، وإلا فالحقيقة لا تحارب، وقول الواقع لا ينجى من وخزه إلا
التنكب عن طريق الضلال، والإنابة إلى المثوبة وحسن الحال.

هذا وقد كانت مدة مقام المترجم بدار دبيغ عشرة أعوام، وقيل سبعة، وقيل
أربعة، قالوا: وقد قتل مدة سلطته صبورا ما يزيد على سبعين ألف نسمة، قتل
منها فى يوم واحد خمسمائة وخمسين، قالوا: وقد كان يعطى عطاء من لا يخشى
الفقر من النقود الذهبية والفضية والكراع والضياع والأثاث والثياب الفاخرة وغير
ذلك مما أشرنا لبعضه.

مشيخته: منهم أبو محمد عبد الله المنجرة، عن والده أبى العلاء إدريس
بأسانيده المتصلة فى فهرسته.

الآخزون عنه: منهم ولده أبو عبد الله محمد المتبوى عرش الملك من بعده،
أخذ عنه دلائل الخيرات.

خلفاؤه: بمراكش أبو عبد الله محمد، وبرباط الفتح أبر العباس أحمد

ولده.

حجابه: منهم عبد الوهاب اليمورى.

أطبائه: منهم أبو اليمن عبد الوهاب أدراق.

عماله: منهم الباشا بوسلهام، وحمدون الروسى، وولده البادسى، وابن المجاطية، وبوعزة مولى الشربيل، ومحمد بن عمر الوقاش على تطاوين، وبوسلهام الغرباوى الحمادى على بنى مالك، ومحمد الحبيب المالكى الحمادى كان على سفيان وبنى مالك والخلط وطلق، وسليمان بن الرغاي، وأحمد بن على الريفى، وأبو عبد الله محمد بن على بن كتنى الزمورى، ومحمد واعزيز على البرابر وكان بينه وبين السلطان محبة ووداد كبير، حتى إن السلطان كان يناديه بيا أبت، وعبد الخالق عديل بفاس المتوفى ليلة الأربعاء ثالث عشرى ذى القعدة عام ١١٥٨، وعبد القادر عديل، وعلى بو طيب، وعبد الله بن محمد المعروبى السفينانى على سفيان، والحسن بن صالح الليرينى على فاس الأندلس.

ولما مات فى أوائل محرم عام ١١٦٢ ولى مكانه ابن عمه مسعود الليرينى، وقاسم ابن الأشهب، ومحمد الصفار، وأبو العباس أحمد الكعيدى، والباشا قاسم ابن وينون، وعبد المالك بن أبى شقرة، وأبو عبد الله محمد السلوى، وعبد النبى ابن عبد الله الروسى، فكاتبه الطيب بن حلوة فعبد اللطيف بن عبد الخالق الروسى، ومحمد بن على ويشى وعبد الله الحمرى.



ظهیر السلطان مولای عبد اللہ بتولیۃ المسطاسی ناظرًا عاما

قضاته: منهم أبو عيسى المهدي مرينو بالرباط، وأبو محمد عبد القادر بن العربي الكاملى بوخريص، وأبو يعقوب يوسف بن أبى عنان، وأبو القاسم العميرى، وعلى بو عنان، وأحمد الشدادى بفاس، والطالب بو عنان، والعميرى، ومحمد بن عبد السلام البيجرى، وعبد الوهاب بن الشيخ بمكناس، وعبد الواحد بو عنان بتازا وفاس.

محتسبوه: منهم بو عزة الزيزى بفاس، ثم محمد الريحانى، ثم عبد النبى المشرف، والطيب الريحانى، ومحمد بن زيان، وعبد العزيز الخلطى، ومحمد بن عبد السلام المحمودى.

نظاره: منهم التاودى المشاط بفاس، ولما توجه للحج أضيفت النظارة للمحتسب الطيب الريحانى، ومنهم السيد بلقاسم المسطاسى أسند إليه النظر فى أمور أحباس جميع المدن والبلدان والقرى والمداشر حسبما بهذا الظهير الصادر له فى ذلك، ونصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الشريف:

«كتابنا هذا أسماه الله وأعز نصره، وخلد فى دفاتر المجد أمره وذكره، بيد خديمنا وحبيب أبوابنا الأرضى، الخير الأقرب، السيد بلقاسم المسطاسى ويتعرف منه بحول الله وقوته، وشامل يمنه العميم ونصرته، أننا جددنا له به ما كان عليه من النظارة فى أمور الأحباس فى جميع الأقطار والمدن والبلدان والقرى والمداشر، وبسطنا له اليد الطولى على جميعهم بحيث لا يقصر عن البحث والتفتيش فى الأدنى والأقصى، فإن جل مهماتنا هذا الأمر الأكيد، وجعلناه العوض منا فى ذلك، فمن نازعه أو خالفه أو ناوشه فإثمه على رقبته، وإنى بفضل الله تعالى وقوته أقمته هذا المقام، على مر الليالى والأيام، فعليه بتقوى الله ومراقبته، فى

سره وعلايته، وعليه بمحاسبة النظار وأهل التصرف فى هذا الأمر حتى يترك من أراد ويولى من أراد ومنا إليه فى التقصير، وعلى الله المعول وهو حسبنا ونعم المولى ونعم النصير، وفى منتصف جمادى الثانية عام ثلاثة وأربعين ومائة وألف.

آثاره: لم يحفظ عنه من الآثار العلمية فيما أعلم شىء غير ما نسبه إليه نسبة أهل عصره العلامة الثبت المحرر النقاد أبو عبد الله محمد الزكى الشريف العلوى السجلماسى، قال فى مؤلفه فى الأنساب الموسوم بالشجرة الزكية ما لفظه: صرف همته - يعنى المترجم - فى صناعة الملحون كان طوع يديه.

ومن آثاره التى لا زالت قائمة العين بفاس دار ادبيغ الشهيرة التى كان أسسها واستوطن بها إلى أن وافته منيته، وكان الشروع فى بنائها أوائل محرم عام ١١٥٤، ومن بناءاته دويرة باب الريح خارج مكناسة، ومنها تنميق باب منصور العليج، وباب مسجده المعروف بجامع الأنوار.

ما خلفه من الأولاد: لم يعقب غير ولدين وبنت، أما الوالدان فهما: أبو عبد الله محمد خليفته بمراكش، وأبو العباس أحمد خليفته بالرباط المتوفى بفاس فى شعبان عام ١١٦٤، وأما البنت فهى السيدة فاطمة ربة الدار.

وفاته: توفى بمرض السل بدار الديبغ ليلة الخميس سابع عشرى صفر عام واحد وسبعين ومائة وألف، وتولى غسله قاضيه أبو محمد عبد القادر بوخرىص. قال ابن الخياط القادرى، ودخلنا إلى داخل الدار وقرأنا عليه وأخرجناه إلى خارجها، وصلينا عليه بعد صلاة العصر فى البراح الذى بخارجها، وإمام الصلاة عليه خطيب جامع الأندلس، وإمامها سيدى محمد بن أحمد ابن الإمام سيدى محمد ابن شيخ الشيوخ سيدى عبد القادر الفاسى.

بعض ما قيل فيه من المديح: من ذلك قول بعض شعراء دولته حسبما جاء
فى كناية الوزير اليمحمدى التى كان صاحب الترجمة هو السبب فى إحيائها
بالنسخ وإبرازها إلى الوجود فهى حسنة من حسناته:

لقد فخر الزمان وكان قدما	فخورا بالملوك من الفحول
فقلت له وقد أبصرت شمسا	تضىء على الأباطح والتلول
بدت بسعودها فى خير برج	تدوم ولا تعقب بالأفول
لها مولاي عبد الله نور	سليل المصطفى وابن البتول
به فافخر وفى مغناه فانظم	فلا فخر كأبناء الرسول

وقوله:

يمينا بمن حض الملوك على الخير	والبسهم ثوب المكارم والفخر
كمولاي عبد الله خير خليفة	تحلى بتاج الملك والعز والنصر
له همة تعلو على هامة العلا	وتسمو به فوق السماكين والنسر
فلا زال منصورا عزيزا مؤيدا	ودامت لنا أيامه لمدى الدهر
وأهدى لمولانا أجل تحية	يفوق شذاها نسمة العنبر الشحرى

وقوله:

كتاب كريم جاء من خير مالك	فصغت به تاجا لرأس المثالك
وقمت بأمر الضيف إذ هو واجب	على كل ذى عقل وجوب المناسك

وقوله :

ظباه بإبريز مذاب السبائك
لحللته منها لأرضى مالكي
ليسلك فى علياه خير المسالك
ودافع به عنا جميع المهالك
إمام الهدى المرفوخ فوق المسامك

وجدت ديوان الكرام محليا
ولو كان فى إنسان عيني زينة
فيارب زده رفعة وجلالة
وأبق لنا والمسلمين وجوده
وصل على المولى النبى محمد

وقول بعضهم :

ويا بهجة الأشراف من آل هاشم
وأصبح مسرورا به كل عالم
إلى كل مسكين بمقلة راحم
تذل لها رغما أنوف الأعاجم
تفتت إرهابا قلوب الضراغم
وجودك منسى به جود حاتم
سجاياء الملوك الشم أهل المكارم
ضروب العلا إذ كنت أحزم حازم
تذود ليدىه بالقنا والصوارم
برأى مصيب للعساكر هازم

عليك سلام يا ضياء العوالم
ويا من سما غضبا على كل جاهل
وأصبح ظل الله فى الأرض ناظرا
ويا من كساه الله منه مهابة
ويا من له حزم وعزم وسطوة
كفاك افتخارا أن عزك ظاهر
وكون سجايك التى فاح عرفها
لعمرى لقد ألفت إليك زمامها
فقمتم على الملك المشيد ركنه
وأغناك رب الناس عن جمع عسكر

ونفس علت فوق السماكين همة
 فجئت وسيل الغرب قد بلغ الزبي
 ونار الشرور فى الفجاج تأججت
 فطاب لأهل البغى هتك المحارم
 فدوخته من بعد ما استنشرت به
 بغاة وقد طالت رعاة البهائم
 فأممتنا من كل طار وطارق
 وحصنتنا من كل داه وداهم
 علائقه السياسية: وقفت له فى هذا الباب على معاهدة هذا نصها بلفظها
 وحروفها:

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على من لا نبى بعده ثم إمضاؤه
 (عبد الله كان الله له):

«هذه نسخة شروط الصلح والسبب بين سيدنا نصره الله السلطان الأنجد،
 الشريف الأسعد، سيدنا ومولانا عبد الله بن مولانا إسماعيل قدس الله روحه فى
 اللجنة أمين سلطان مراكش وفاس ومكناسة والغرب، الإصطادوص المعظمين فى
 بلادهم وهم سبعة من قبائل الفلامنك مفاصلين بأمر سيدنا وتفويضه نصره الله
 والباشادرات فرنصصك ودون اليوزبوتلير بأمر وتفويض الإصطادوص المتأوين
 المذكورين مع وكيل سيدنا ومولانا نصره الله، وهو خديمه القائد محمد لوكاس،
 ووكيل الإصطادوص المذكورين افرنصصك بوطلير وأخيه لويز هـ.

الشرط الأول:

انبرم الصلح وتصحيح العهد بين سيدنا ومولانا عبد الله نصره الله وبين
 الإصطادوص المتأوين من يوم عهد الصلح يكون فيه الأمان التام، يأمن الخائف فيه
 الجهتين، وكلما وقع من الزمان الفايث من الكرة وغيرها فهو منسى، وهذا الصلح

دائما إن شاء الله من الجانبين ورعيتهم ومن اليوم لأمام تكون المحبة وعهد دائم بين الجانبين هـ.

الشرط الثاني :

جميع سفن الفلامنك وسفن رعيتهم المعروفين للديوان المذكور سواء كانوا نصارى أو أهل ذمة من الذين تحت أيديهم إن دخلوا مرسى من مراسى طاعة سيدنا ومولانا نصره الله بقصد الترسية خيفة من البحر أو بقصد التجارة لا يتعدى عليهم أحد، ولا يعطون سوى عشر سيدنا ومولانا نصره الله من غير أن يخرق عليهم أحد عادة جديدة، والسلعة التى تبور لهم فى البلاد بعد أن كانوا أدوا عشرها إن أرادوا يحملونها ويتراجعون بها حيث شاءوا، بل حيث يظهر لهم براً وبحراً، من غير لازم آخر يلزمهم، بوجود سيدنا نصره الله وكمال إحسانه، وكذلك إن ورد مركب من مراكبهم لبلاد من بلدان طاعة سيدنا ومولانا أدامه الله، وكانت عنده سلعة وأراد أن ينزل منها طرفاً فى تلك البلاد والباقي يسافر به لغيرها، نطلب من سيدنا أيده الله ألا يعترض أحد لذلك المركب، ولا يكرهه على نزول تلك السلعة فى البلاد التى يرضى بها، ولا يعطى إلا عشر السلعة التى نزل فى البلاد من غير معارض له فى ذلك بوجود سيدنا ومولانا نصره الله، وكل ما كان محسوباً من آلة الحرب كالبارود والعدة واللوح للسفون وما أشبه ذلك، إن جاء به مركب من مراكبهم بمرسة من مراسى سيدنا نصره الله بقصد السبب فلا يلزمهم عليه عشور بوجود مولانا وسيدنا نصره الله هـ.

الشرط الثالث :

أن جميع سفن الفلامنك التى يهيج عليهم البحر أو يفرون من عدوهم، إن دخلوا مرسى من مراسى سيدنا ومولانا نصره الله لا يلزمهم بارود ولا مخطاف ولا غيره مما هو معلوم من لازم المراسى ووظائفها، بفضل سيدنا نصره الله، وكذلك

مراكب طاعة سيدنا إن وردت على مرسى من مراسى الفلامنك فى هذه الحالة المذكورة لا يلزمهم شىء إن شاء الله هـ.

الشرط الرابع:

أن جميع سفن الفلامنك تسافر فى البحر من غير أن يتعدى أحد عليهم فى مراكبهم فى مال ولا سلعة ولا رانس ولا بحرى ولا راكب إن كان معهم من غير الفلامنك، إذا كان تحت سنجق الفلمنك سواء كانت السلعة له أو لغيره بفضل سيدنا نصره الله هـ.

الشرط الخامس:

أن جميع مراكب سيدنا القرصانية وغيرها إن تلاقوا فى البحر مع سفارين البزركان وأراد أحدهما أن ينظر بصبرط يبعث إليها رجلين من غير القدافين ينظرون ذلك، ويرجع كل أحد منهم لمركبه من غير تعدى ولا تعارض، ولا يطلع أحد منهم للسفينة إلا من يجيب رائسها، وكيف يورى له كيف هو مبين هذا الشرط يسرحه، وإن سفر مركب من مراكب سيدنا نصره الله القرصانية وغيرها يكون عنده بخط قونصوا الفلمنك المقيم بطاعة سيدنا نصره الله، فإن كان القونصوا غائباً فتجار الفلمنك، وإن لم يحضروا تجار الفلمنك فمن تجار النصارى المقيمين بطاعة سيدنا نصره الله، وإن كان عنده ذلك يوريه الرانس ولا يتعدى عليه أحد ويسرحه فى الحين والساعة هـ.

الشرط السادس:

لا يتعدى رانس ولا بحرى من أهل طاعة سيدنا نصره الله على سفن الفلمنك، ولا ينزلون منها راكبا من أى جنس كان تحت سنجق الفلمنك ولا يترامى عليه أحد هـ.

الشرط السابع:

ألا يتعدى أحد على سفارين الفلمنك التى تحرث قرصانا أو زركانا فى طاعة سيدنا نصره الله، ولا يأخذ لهم شيئا من السلعة ولا قلع ولا غير ذلك من سائر حوايج المراكب المعلومة ولا ركابه ولا رائسه بوجود سيدنا نصره الله، ويكونون متع رءوسهم من غير أسر وأهل طاعة سيدنا نصره الله، يأخذون بأيديهم ويعينوهم إن وقع شىء من ذلك ربما تفسد السلعة أو يموت أحد من أهل ذلك المركب، فلا يضيع شىء من متاعه بوجود سيدنا نصره الله، ويدفع ذلك للرائس أو لمن له الأمر يأخذ السلعة ويعطى الأجرة لمن يعينهم، وأهل المركب يتوجهون حيث شاءوا ولا يتعرض لهم أحد هـ.

الشرط الثامن والتاسع:

ألا يأتى أحد من أهل طاعة سيدنا نصره الله ولا من طاعة الفلامنك إلى طاعة أخرى ويعمل سنجاقا غير سنجاقه، ويقرضون على من له صلحا معهم من طاعة سيدنا وطاعة الفلامنك، وكذلك أيضا بشرط الذى هو لعمالة أخرى غير الذى هو صلحا معها، وجميع سفن سيدنا نصره الله القرصانية لا تأتى لطاعة الفلمنك ولا تقرص عليها ولا على نواحيها هـ.

الشرط العاشر:

أن جميع من كان عدوا لطاعة سيدنا ويأخذ غنيمة لا يدخل بها طاعة الفلامنك يبيعها ولا غير ذلك، وكذلك من كان عدوا للفلامنك لا يدخل طاعة سيدنا نصره الله يبيع الغنيمة التى يغنمها للفلامنك، وكذلك إن كان بمرسى من طاعة سيدنا مركب من أعداء الفلامنك وكان مركب من مراكب الفلامنك بتلك المرسى السعيدة لا يتعدى عليه أحد، ولا يقربه بسوء، وإن كان مركب من مراكب

الفلامنك على سفر من تلك المرسى فلا يترك مركب العدو يسافر إلا بعد سفر
الفلامنك بأربعين ساعة هـ.

الشرط الحادى عشر:

إذا أخذ الفلامنك سفينة من أعدائه وأعداء سيدنا نصره الله ودخل بها إلى
مرسة من طاعته وأراد بيعها فلا يتعرض له أحد ولا ينازعه، وكلما ينزلوا من
السلعة بخاطرهم فى البر يعطوا ما يلزمها من العشر من غير زيادة، وإن توقفوا
على ما يقضونه من الفرشك بسعر السوق لما يأكلونه فلا يلزمهم عليه خارج بوجود
سيدنا نصره الله هـ.

الشرط الثانى عشر:

إن ورد مركب من قرصان الفلامنك على مراسى طاعة سيدنا نصره الله
فالقونص الفلامنك يعلم به حاكم البلاد ربما يكون عنده أسير فرّ له، وإن دخله
الشك وأن الأسير فرّ إلى المركب فيسأل رائس المركب هل هو هناك أم لا، ورائس
المركب يقبضه له، وإن لم يكن هناك وقال له رائس المركب ما هر شيء عندى فلا
يتعدى أحد على رائس القرصان ولا على القونص ولا على أحد من التجار، وإذا
تحقق الخبر على ذلك الأسير وأنه هرب فى ذلك المركب من غير علم الرائس
وأخفوه عنه البحرية فالقونص يكتب للاصطادوص، ويحكم فى الذى أخفاه ورب
الأسير يقبض مال الأسير هـ.

الشرط الثالث عشر:

من اليوم الذى انعقد هذا الصلح لا يقع أسر على أحد من رعية الفلامنك
لا نصارى ولا أهل الذمة ولا على من يكون تحت سنجاقهم، وإذا اتخذ مركب
بعد ما عقد الصلح فيرجع ولا يطالبون أهله فى فدية ولا فى غيرها هـ.

الشرط الرابع عشر:

إن مات أحد من التجار من رعية الفلامنك وترك سلعة أو متاعا لا يتعدى عليه أحد من عمال سيدنا نصره الله ولا يأخذ من ذلك شيئا إلا إذا أوصى الهالك عليها أحدا، تبقى فى يده سواء كان وراثه أو شريكه أو وكيله، فإن كان حاضرا بقت بيده، وإن كان غائبا ولم يحضر أو توفى القونص الفلامنك يأخذ ذلك، ويدفعها لربابه، وإن لم يكن القونص حاضرا فتجار الفلامنك المقيمين فى البلاد يحزونها ويبيعونها لأربابها من غير معارض لهم فى ذلك بوجود سيدنا نصره الله هـ.

الشرط الخامس عشر:

تجار الفلامنك المقيمين بطاعة سيدنا نصره الله من النصارى الفلامنك أو من أهل الذمة إذا جاءوا بسلعة لا يعطون عشرين منها، وكذلك حاكم البلاد إن كانت بيدها سلعة لا يكلفهم يأخذونها منه كرها إلا عن خاطرهم ورضاهم بذلك، وكذلك رياس المراكب لا يحكم عليهم أحد من حكام البلاد يحملوا سلعة فى مراكبهم إلى بلاد أخرى إلا إن رضى بذلك الرئس، كذلك حاكم البلاد لا يتقف سفينة ولا رئس ولا بحرى، وقونص الفلامنك وتجارهم لا يقبضهم أحد فى دين أحد إلا إذا كانوا ضامين عليه وكذلك سفينة الفلامنك إذا تعمل زنبوط لا يتخذ فيه لا قونص ولا تجار، وإنما القونص يكتب للاصطادوص بش يفتشوا عليها هـ.

الشرط السادس عشر:

وكذلك النصارى الفلامنك وأهل الذمة منهم إن وقعت بينهم دعوى أو خصام أو موت أو جرح، فالقونص الفلامنك الذى فى يده ترلية الاصطادوص يحكم بينهم هـ.

الشرط السابع عشر:

إن كان المسلم خصم مع نصرانى فحاكم البلاد مع القونص يفاصلهم، وإن وقع أمر من نصارى الفلامنك جرحوا المسلم يرفع أمرهم لسيدنا نصره الله، وهو يحكم فيهم، وإن هرب صاحب الدعوة لا يقبض فيه أحد من تجار الفلامنك ولا القونص هـ.

الشرط الثامن عشر:

أن ديوان الاصطادوص يبعثون قونص واحداً أو أكثر لطاعة سيدنا نصره الله للموضع الذى يريدون والقونص المذكور لا يتعدى عليه أحد فى ماله، ويستوصى به خيراً، وكذلك التجار المقيمين بطاعة سيدنا نصره الله وترجمانهم وسماسرهم يطلعون للمركب الذى يريدون لطاعة سيدنا نصره الله ولا يتعدى أحد عليهم، وكذلك يسافرون فى البر للموضع الذى يريدون من طاعة سيدنا نصره الله، وكيف يريدون دفن موتاهم لا يتعرض لهم أحد ولا يمنعهم من صلاتهم المعهودة من دينهم والقونصوات والتجار هم الذين ينظرون من يصلح بهم من السماسر والترجمانات.

الشرط التاسع عشر:

إن وقع شيء مما يوجب نقضى الحكم بحساب ما يقتضيه، رأيه الرشيد، أن يعلموا بواجب ذلك، وأن يؤجلوا القونص الذى بطاعة سيدنا نصره الله أجلا مبلغه ستة أشهر، بينما يجمع القونص ماله الذى يكون مفترقا من دين أو معاملة ويرجع لبلاده هو وجميع من يكون من التجار بطاعة سيدنا نصره الله بأماعتهم وأولادهم وأصحابهم، ولا يتعدى عليهم أحد بوجود سيدنا نصره الله هـ.

الشرط العشرون:

إن كان أحد من جنس الفلامنك راكبا فى مركب أعداء سيدنا نصره الله وظفر بذلك المركب سيدنا نصره الله لا يتعرض أحد لذلك المركب الذى هو من طاعة الفلامنك، سواء كان نصرانيا أو ذميا ولو كان تحت سنجق العدو، ولا يتعرض أحد لسلعته، وكذلك إن كان أحد من طاعة سيدنا نصره الله راكبا فى المراكب الذين هم أعداء للفلامنك وظفر به الفلامنك لم يأخذ أحد شيئا لذلك المراكب الذين هو من طاعة سيدنا نصره الله لا سلعة ولا شيئا من متاعه هـ.

الشرط الحادى والعشرون:

إن تبين على أحد أنه نقض الصلح ويسعى فى المسائل التى تكون سببا فى ذلك وكان نصرانيا يعلمنا به سيدنا نصره الله ويحكم فيه، ويرد كل ما أخذ، وكذلك إن فعل ذلك أحد من طاعة سيدنا نصره الله يحكم فيه ويرد كل ما أخذ، ويكون الأجل فى ذلك ستة أشهر بينما يحصل الخبر ويأتى الجواب هـ.

الشرط الثانى والعشرون:

يجعل سيدنا نصره الله علامته المباركة بموافقة على هذا الصلح، ويجعلوا الاصطادوص علامتهم بخط العجم فى الوقت الذى يساعدوا الهوى والريح، وهذا الصلح مبدوه من يوم الكتب بعقد صحيح، وأن يأمر سيدنا نصره الله حكام طاعته ويعرفهم بأمر الصلح ويبينوه لهم لئلا يتعدى أحد من كونه لا علم له بأمر هذا الصلح المبارك مع جنس الفلامنك، وأن يكون كل أحد على بصيرة فى ذلك، وكذلك يفعلون الاصطادوص فى جميع طاعتهم بوجود سيدنا نصره الله والسلام.

٣٨٩ - عبد الله بن عمر بن هشام الحضرمي الإشبيلي القرطبي المعروف

بعبيد.

حاله: فقيه علامة مقرئ نحوي أديب شاعر، جواله في البلاد، ولد بقرطبة ونشأ بها ثم رحل وجال، ولقى الرجال، ثم قصد المغرب وتصدى للإقراء والتعليم، فأخذ عنه بمراكش ومكناسة، وأقام بتلمسان سبع سنين يقرئ بجامعها، ثم صدر إلى الأندلس فسكن ألمرية، ثم نزل مرسية وخطب بجامعها وأقرأ القرآن ثم انتقل منها بعد خمسين وخمسمائة.

مشيخته: أخذ القراءات عن أبي القاسم بن النخاس، وأبي الحسن عون الله ابن محمد، وأبي جعفر أحمد بن عبد الحق الخزرجي، وأبي بكر بن عياش بن مخارج لقيه بإشبيلية، وسمع الحديث من أبي محمد بن عتاب، وأخذ العربية والأدب عن أبي محمد بن متنان، وسمع بالمرية من أبي القاسم بن ورد، وأبي الحجاج بن يسعون.

مؤلفاته: منها كتاب في قراءة ورش وقالون، قال القضاعي في تكميل الصلة: وقفت عليه، وله كتاب الإيضاح والإفصاح، في اختصار المصباح، وشرح مقصورة ابن دريد.

ولادته: ولد بقرطبة لتسع خلون من ربيع الأول سنة تسع وثمانين وأربعمائة، ولم أقف على تاريخ وفاته.

٣٩٠ - عبد الله بن حماد يعرف بابن زغبوش المكناسي النشأة والدار.

حاله: كان من أهل المعرفة والنباهة، دخل الأندلس، وسكن شاطبة، وخلف على بنت القاضي أبي عبد الله بن سعادة بعد وفاة محمد بن عاشر الفقيه سنة سبع وستين وخمسمائة، وولد له منها ابنه محمد قال الحافظ القضاعي في

تكملمته: ولا أعلم له - يعنى المترجم - رواية بعض خبره عن ابن سالم. قلت: وعبد الله هذا والده هو محمد بن حماد بن زغبوش، وهو الذى امتحنه يدر بن ولجوط فى سبعة من قرابته، وكان فقيها خيرا قرأ بقرطبة وغيرها، وصحب جلة من أهل زمانه حسبما تقدم فى ترجمته فى المحدثين.

وقد استقضى أمير المؤمنين أبو يعقوب بن عبد المؤمن بن على صاحب الترجمة على مدينة شاطبة وجزيرة شقرون، ومن ذلك الوقت استقر بشرق الأندلس بعض ذريته، ولما أسن رغب فى استيطان بلده فأسعفت رغبته فاستوطن داره بتاورا ولم يدخل قط تاجرات المدينة الآن فيما زعموا أنفة منه لما أصيب به والده وقرابته من المحنة بالذبح التى صدرت لهم من يدر المذكور، وكان إذا أراد لقاء الشيخ محمد بن عبد الله واجاج تلقاه بالبحيرة التى تولى غراستها فى ذلك التاريخ، وكان فى بلده مكرما وجيها يزوره قضاته وطلبته وأعيانه.

وكان - أعنى صاحب الترجمة - بمدينة فاس يقرأ حين نزلها الموحدون وسنه يومئذ خمس وعشرون سنة، فتشوف فى أحد الأيام إلى الإشراف على محلة الموحدين، فخرج من مجلس القراءة وسط النهار وقد انصرف الناس إلى ديارهم والأسوار خالية إلا من حراسها فطلع السور ليطلع منه عليهم، فبينما هو يمشى على السور حدثته نفسه بالهبوط إليهم، فارتاد موضعا خاليا خفيا عن الحرس وربط عمامته فى إحدى شرافات السور وتقلد خريطة كتبه وتعلق بالعمامة، وكانت ضعيفة فلما ثقلت انقطعت وسقط فى الأرض واعتلت إحدى قدميه، وتسارع إليه الموحدون ورفعوه فى درقة ووضعوه بين يدى عبد المؤمن بن على، وأكرمه الموحدون وأحسنوا إليه، وكتب له عبد المؤمن صكًا بتسويغ ماله ومال أبيه، وأقام معهم يظعن بظعنهم ويقيم بإقامتهم مبرورا لديهم عزيزا عليهم، وكانوا يلحظون من يمت إليهم بسابقة أو هجرة، فلما نزلوا مكناسة ظهر بمحلتهم واتصل ذلك

بالوالى يدر بن ولجوط، وكان ذلك السبب فى قبضه على وائده وامتحانه إياه
بالذبح فيمن قبض معه من قرابته، وقد مرت الإشارة للقضية فيما أسلفناه.

وفاته: توفى سنة أربع وتسعين وخمسمائة فى سن الثمانين.

٣٩١ - عبد الله بن محمد بن عيسى.

التادلى الأصل، الفاسى الدار، المكناسى الإقبار.

حاله: علامة متفنن، فقيه أديب، شاعر مفلق، حسن الخط جليل القدر، له
رسائل وأشعار، مع شجاعة وصرامة عرف بها، تولى قضاء مدينة فاس على عهد
أبى يعقوب اللمتونى يوم السبت سادس عشر ذى الحجة سنة تسع وسبعين
وخمسمائة، كما تولى قضاء بسطة وغيرها، وكان من أعدل القضاة، واستوطن
مكناسة ودخل الأندلس فى آخر الدولة اللمتونية، ولقى أبا بكر بن العربى
ياشيلية، وهم بالسماع منه فصدّه الفقهاء للتباعد الذى كان بينهم، وكان والده أبو
عبد الله من حفاظ المذهب المالكى مشاورا بفاس.

مشيخته: روى عن أبى بحر الأسدى، وأبى محمد بن عتاب، وأجازا له
وهو آخر من روى عنهما بمغرب العدو، وصحب القاضى أبا الفضل عياضا،
ولقى ابن بشكوال فأجاز له ولم يعول إلا على ابن عتاب، وأبى بحر، ولم يعتمد
على غيرهما، وبسببهما أخذ الناس عنه كثيرا لانفراده بهما أخيرا، وقيل: إنه
صحب أبا بكر بن الصائغ الحكيم بالمرية.

الآخذون عنه: منهم أبو عبد الله بن حوط، وأبو عبد الله الحضرمى، وأبو
الحسن بن القطان، وأبو الربيع بن سالم، وأبو الخطاب بن خليل، وأبو عبد الله
الأزدى، وأبو الحسن الغافقى فى جماعة. قال ابن خليل: وكتب لى بالإجازة من
مراكش.

٣٩١ - من مصادر ترجمته: جذوة الاقتباس ٤٢١/٢.

شعره: من ذلك قوله مخاطبا ابن مضا.

يا غارسا لي ثمار مجد سقيتها العذب من زلالك

أخاف من زهرها سقوطا إن لم يكن سقيها بيالك

ولادته: ولد سنة إحدى عشرة وخمسمائة.

وفاته: توفى بمكناسة مغربا عن وطنه سنة سبع وتسعين وخمسمائة عن سن عالية، وقال ابن فرتون توفى قرب الستمائة وقد اختل عقله من الكبر كما فى الجذوة.

٣٩٢ - عبد الله بن أبى مدين الحاجب العثماني.

نسبة لبنى عثمان من زواوة بجاية من البربر، ونزلوا مصمودة الغرب بجبال وزان منها.

حاله: له مشاركة فى الفقه، وشعر وسط، بيته بيت فقه وكتابه، وثروة وحجابه، استوطن سلفه قصر كتامة، وهو أول من انتقل منهم من القصر المذكور، رحل إلى مدينة مكناسة واستوطنها، وبرر عدلا فى سباط عدولها لمعرفته بالوثائق، وكان يخالط الرؤساء وولاة الأمر، ويقول لأصحابه: لا بد لى أن أخدم السلطان، وأدبر الدول ونستولى على الأمر، فخرج يوما من مكناسة إلى نزهة مع جماعة من الفقهاء أصحابه، فلما أخذوا فى أطراف الحديث قال لهم على قوله: لا بد أن أدبر الدول، فليشته كل واحد منكم ما يريد ويطلبه منى أعطه إياه، فطلب كل واحد منهم ما فى أمله، فطلب الفقيه ابن زغبوش قضاء بلاده مكناسة فمكنه منها لما مكنه الله تعالى من تدبير الدول، وأعطى لبقية أصحابه ما سألوه منه فى النزهة خارج مكناسة قبل اتصاله بالملوك وفاء بالعهد ورعيا لسالف الود:

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا من كان يالفهم فى المنزل الخشن

ثم ارتحل لمدينة فاس واستوطنها، وتعلق بالحاجب الكاتب صاحب العلامة محمد بن محمد الكنانى حاجب يعقوب بن عبد الحق المرينى ورسوله فى أسفاره وكاتب علامته، فاختصه الحاجب الكنانى لنفسه يعلم أولاده مع أولاده الوزير عمر ابن الوزير السعود بن خرباش الحشمى، فلما علم أولاد الحاجب الكنانى القرآن وكان من أولاده الفقيه العالم الحافظ ذو الوزارتين أبو المكارم منديل بن الحاجب الكنانى، طلب عبد الله بن أبى مدين من الحاجب المذكور أن يدينه من الخدمة بدار السلطان يعقوب بن عبد الحق، فقدمه يكتب علف الخيل وجعل له على ذلك مرتب تلك الخطة وهو ثلاثون دينارا فضية فى كل شهر.

ثم طلب منه بعد ذلك بمدة أن يرقيه، فقدمه يكتب البطائق بحضرة يعقوب ابن عبد الحق فكتبها مدة إلى أن مات الحاجب الكنانى، وولى مكانه أخوه سعيد ابن محمد أبو الطيب، ثم مات أبو الطيب فولى مكانه محمد المدعو حمو بن أبى الطيب، فتخلف وخرج عن خطة الكتابة وأخذ فى الفروسية والصيد وضيع الخدمة السلطانية، ولزم ابن أبى مدين القعود فى مشور السلطان يكتب الصكوك من أول النهار إلى آخره، فشكر له السلطان ذلك ثم زاحم به السلطان حمو الكنانى، وأطلق يديه على العلامة إلى أن عزله عنها وثبت المترجم فيها - وبقي الكنانى إلى أن أدرك على بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق وقتل فى خدمته بالقيروان فى عام خمسة وسبعمائة - فامتاز ابن أبى مدين بالعلامة عند يعقوب بعد أن شاركه فيها إدريس المخزومى، ويحيى المليانى، ومحمد العمرانى.

ثم تخلصت له العلامة والحجابه وتدير الدولة مدة دولة يعقوب، ودولة ولده يوسف، ودولة عامر بن عبد الله بن يوسف، ودولة أخيه أبى الربيع سليمان، وأبو الربيع هو الذى قتله.

والسبب أن الحاجب خليفة بن إبراهيم ابن رقاصة اليهودى زاحمه فى حجابة
أبى الربيع، وكان المترجم لا يفصل شيئاً إلا عن إذن خليفة ومشورته، ثم إن
خليفة ابن رقاصة اليهودى افتعل براءة مزورة ونسبها إلى جارية من جوارى
السلطان تعلم فيها المترجم أنها تحبه، وأعطاهها له اليهودى معنونة عند انصرافه إلى
داره، وأمره أن يجعلها فى جيبه، وأن لا يقرأها إلا بعد وصوله لداره ففعل،
فعندما جعلها فى جيبه قال لأبى الربيع خبرها فامتعض أبو الربيع لذلك، وأمر
عنصاى قائد النصارى بقتل ابن أبى مدين فقتله عند قبر أبى بكر بن العربى.

ثم فحص أبو الربيع عن الحكاية فوجدها مزورة، وأحضر كاتبها بين يدى
السلطان وأخبره أن اليهودى أمره بكتب الرسالة عن إذن الجارية وذلك من غير أن
يعلم الكاتب أن الجارية لأبى الربيع، وإنما قال له: إنها من أهل الزنى، وأنها تحب
الاجتماع معه، فطلبت من اليهودى أن يكتب لها ذلك الكتاب عن إذنها فطلب
اليهودى منه كتب ذلك، فكتبه خوفاً من سطوته ومكانته عند الأمير، فأمره الأمير
إذ ذاك أن يكتب بيده وهو ينظر ليزداد يقيناً ففعل، وقوبل الخط بالخط والأمير ينظر
فوجد الخط واحداً، وتيقن السلطان اختلاق اليهودى وبهته، ناشد غيظه عليه
وعظم النكير عليه، وصعب عليه ما فعل، وندم حيث لا ينفع الندم، وأمر بقتل
اليهودى اللعين فقتل من يومه، بعد أن كان هذا اليهودى بلغ فى الحجابة غاية
يقصر عنها الوصف، أورد ترجمته ابن الأحمر فى تأليفه فى بيوتات أهل فاس.

الآخذون عنه: منهم ذو الوزارتين الحافظ أبو المكارم منديل الكنانى.

٣٩٣ - عبد الله بن الحسن اللخمى عرف بابن الأصفر.

حاله: وصفه تلميذه الإمام أبو عبد الله محمد بن جابر الغسانى فى شرحه
على منظومة التلمسانى فى الفرائض: بالشيخ الفقيه الأعدل، وذكر عنه أنه توجه
إلى السلطان أبى العباس المرىنى فى طلب حصة مكناسة، فعسر عليه أمرها فنظم:

يا باسط الرزق كلَّ السعى والطلب وأنت لو شئت هان الأمر والسبب
لكن رجوتك في رزق تيسره من حيث لم أحتسب أو حيث أحتسب
شعره: أنشد أبا عبد الله بن جابر الغساني لنفسه:

يا من لديه مفاتيح الأرزاق وله المشيئة والدوام الباقي
كثر التفاتى للخلائق شاكيا وحقيقة الشكوى إلى الخلاق
فترددى فيما لديك إلى الورى عجز وقد عجزوا على الإطلاق
لكن بسطت رجائى بسط مؤمل متوسل لك باسمك الرزاق
فى عطفة الملك المؤيد أحمد ذى الخلقة الحسنى وذى الأخلاق
٣٩٤ - عبد الله بن حمد - بفتح الحاء والميم من غير ألز - من بيت بنى
حمد، أحد بيوتات فاس الشهيرة.

حاله: فقيه عالم عامل صالح، ولى كامل فالح، متواضع حسن الخلق،
متبرك به حيا وميتا، آية الله فى الزهد والورع والعبادة واتباع السنة، له مناقب
كثيرة، وكرامات ظاهرة شهيرة، ارتحل من فاس للشرق، ولقى خيار المشايخ،
فأشار عليه بعضهم باستيطان مكناسة.

قال العلامة الحافظ سيدى العربى بن يوسف الفاسى فى تقييده فى العقوبة
بالمال: وقد سمعنا مشايخ فاس يحكون عن قبلهم أن الشيخ العالم الولى سيدى
عبد الله بن حمد دفين خارج مكناسة الزيتون، سار بركب إلى الحج والتزموا
التزاما يأخذونه عن يغتاب منهم أحدا، فجمعوا من ذلك مالا وافرا واجتازوا
بتونس، فسألوا الشيخ ابن عرفة عن ذلك فأفتاهم بأكله هـ، أى لأن ذلك ليس من

٣٩٤ - من مصادر ترجمته: جذوة الاقتباس ٢/٤٢٤، درة الحجال ٣/٥٣، الروض الهتون
- ص ١١٤، كفاية المحتاج ١/١٧٣، نيل الابتهاج ١/٢٤٧.

باب الإلزام وإنما هو من باب الالتزام، التى يقال فيها ادخلوها بسلام، وفيما جمعه أبو زيد الفاسى من تقرير والده على البخارى بعد كلام: وليس منه ما وقع لأصحاب الشيخ سيدى عبد الله بن حمد حين توجههم إلى المشرق، وأنهم تعاقدوا أن من لم يحضر الجماعة فعليه كذا، ومن اغتاب أحداً فعليه كذا حتى جمعوا من ذلك مالا كثيرا فتوقفوا فيه، فلما مروا بابن عرفة أجاز ذلك لأن هذا بموافقتهم هـ.

وكان المترجم مجاب الدعوة، وكان وزير وقته يعظمه جدا ويقضى له حوائج الناس حتى أفسد بعضهم نية الوزير فيه، فصار لا يقضى له حاجة فبحث عن سببه فذكر له خبر الرجل، فقال الشيخ منجلى فى منجله على كلام العامة ثم قال: اللهم خذه من حيث اطمأن، ثم قدر الله أن ذكر له الوزير شيئا من سر السلطان وخاف أن ينمه عليه فأمر بذبحه فجأة.

ومن مآثره الخالدة الثالثة أحباسه الوافرة على الضعفاء والغرباء والمنقطعين وذوى العاهات، التى لا زالت تجرى عليهم من محصولاتها الجرايات مياومة ومسانهة.

وقد ترجم هذا الشيخ الإمام صاحب درة الحجال، وجذوة الاقتباس، والسودانى فى الديباج وكفاية المحتاج، والإمام ابن غازى فى روضه وفهرسته، والحافظ أبو زيد الفاسى فى بيوتات فاس، وغير هؤلاء.

قال أبو زيد الفاسى: إنهم من فريق من البربر وإنهم بيت علم وثروة هـ.

وقال فى الروض الهتون: له بيت حسب بفاس، كان ارتحل منها للمشرق^(١) ولقى الأخيار من المشايخ^(٢) هـ.

(١) فى الروض الهتون: «للمشرق».

(٢) الروض الهتون - ص ١١٤.

ويوجد فى لوح خشب منقوش ملصق بجدار من جدران قبة ضريح صاحب الترجمة ما لفظه بعد البسملة: هذا ضريح العارف بالله الولى الأشهر سيدى ومولائى عبد الله بن حمّد الشريف الحسنى، نفعنا الله به، ثم ذكر سنده الآتى فى مشيخته.

قلت: ولعل معتمد شيخنا أبى عبد الله محمد بن جعفر الكتانى فى سلوته فى الجزم بكون المترجم شريفا حسنيا، هو ما فى ذلك اللوح، وهو ليس بشيء، كيف وقد ترجمة غير واحد من المحققين النسابين ولم يشر واحد منهم لكونه حسنيا، بل وقع التصريح عن يعتمد ويرجع لقوله بأن بيت بنى حمد الشهير بفاس الذى هو منه بربر، ومن نمط ما فى اللوح المشار له ما صرح به العارف الكامل الشريف المولى عبد القادر العلمى فى بعض أزجاله الملهونة فلا تغترر به، ومعلوم أن كل فن يرجع فيه لأهله، ورب البيت أدرى بما فيه، والشرف لا يثبت شرعا بطريق الكشف.

مشيخته: أخذ عن سيدى على وفا، عن والده سيدى محمد، عن سيدى داود الباخرى، عن سيدى أحمد بن عطاء الله عن أبى العباس المرسى، عن أبى الحسن الشاذلى، عن مولائى عبد السلام بن مشيش، عن سيدى عبد الرحمن المدنى، والشيخ تقى الدين الفقير، عن الشيخ فخر الدين، عن الشيخ شمس الدين محمد، عن الشيخ زين الدين محمد العروسى، عن الشيخ أبى إسحاق إبراهيم البصرى، عن الشيخ أبى القاسم أحمد المروانى، عن الشيخ أبى محمد سعيد، عن الشيخ سعد، عن الشيخ فتح السعود، عن الشيخ سعيد الغزوانى، عن جابر بن عبد الله الصحابى، عن سيدنا ومولانا الحسن، عن جده سيد المرسلين ﷺ، هكذا هذا السند فى اللوح المشار له.

الآخذون عنه: منهم: الإمام القورى، وابن الفتوح دفين روضته المترجم فيما مر، وأبو زيد القرمونى وجماعة.

وفاته: توفى بمكناسة الزيتون سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة على ما فى الجذوة والدرة واللوح المشار له فى جدار ضريحه، وقال الونشريسي فى وفاته: عام واحد وثلاثين هـ، وإلى الرمز لوفاته أشار صاحب الإعلام بلفظ أظلا من قوله:

موت الرضا ابن حمد أظلا به الشجاء عاينا فى (أظلا)

وضريحه مزاراة شهيرة مقصودة للتبرك، مجربة لإجابة الدعاء خارج باب البرادعين أحد أبواب الحضرة المكناسية.

٣٩٥ - عبد الله بن العريف.

حاله: فقيه عالم، عدل رضى، كان مجتهدا فى طلب العلم، ورحل لفاس وأخذ عن الأستاذ أبى زيد الجادري مقصورة شيخه أبى زيد المكدودى شارح ألفية ابن مالك فى النحو المتوفى بفاس عام واحد وثمانمائة، وموضع هذه المقصورة مدح الجنا ب النبو، وقد نكت ناظمها فيها على حازم وابن دريد حيث أخليا مقصورتيهما من مدح المصطفى ﷺ، الذى هو كنز كل ربح وغنى، وتحتوى هذه المقصورة على مائتى بيت نشئية وأربع وتسعين بيتا مطلعها:

أرقنى بارق نجد إذ سرى	يومض ما بين فرادى وثنى
أهبنى إذ هب منه موهنا	ما سد ما بين الثريا والثرى
فيا له من بارق ذكرنى	من الهوى ما كنت عنه فى غنى
أثار شوقا كان منى كامنا	بين ضلوع طال ما بها ثوى
فكان قلبى المجتوى إذ هاجه	كالزند إذ أوراه مور فورى
وسح سحب مقلتى فما بقى	نوع من الدمع بها إلا همى
ما كنت أدرى قبل أن أنفدته	أن البكا يمنعنى من البكا

إلى أن قال:

مقصورة لكنها مقصورة على امتداح المصطفى خير الورى
ما شبتها بمدح خلق غيره لرتبة أحظى بها ولا جرى
فاقت علاء كل ذى مقصورة وإن هم نالوا الأيادى والهى
فحازم قد عد غير حازم وابن دريد لم يفده ما درى
وروى عنه وعن غيره غيرها، وظهرت نجابته، إلا أنه اخترمته المنية فى
صغره كما اتفق لمعاصره أبى الفضل ابن المجراد بمدينة سلا، وكان أمر الله قدرا
مقدورا.

ذكره ابن غازى فى روضه من جملة علماء حاضرتنا المكناسية وفضلائها
قال: ولم أدرك هذا الفاضل، وقد كانت بيننا وبين نجله القاضى الأرضى الأعدل
أبى عبد الله محبة ومؤاخاة، وكان له حسن عهد ما رأيته لغيره رحمه الله هـ.
مشيخته: أخذ عن الإمام المحدث الميقاتى أبى زيد عبد الرحمن بن مخلوف
الجاردى المولود سنة ست أو سبع وسبعين وسبعمائة المتوفى بفاس سنة ثمان عشرة
وثمانائة، وقيل سنة نيف وأربعين، وقيل تسع وثلاثين والله أعلم، وأخذ عن
غيره من شيوخ فاس ومكناس وقد غابت عنى وفاته حال الكتابة.

٣٩٦ - عبد الله بن محمد بن موسى بن محمد بن معطى العبدوسى - بفتح
العين وضمها - الفاسى المكناسى.

قال صاحب التعلل برسوم الإسناد: فهو - أى المترجم - مخضرم فاسى
مكناسى.

٣٩٦ - من مصادر ترجمته: توشيح الديباج - ص ٩٥، الضوء اللامع ٦٧/٥، كفاية المحتاج
١٧٥/١، نظم العقيان - ص ١٢٢، نيل الابتهاج ٢٤٩/١.

حاله: إمام فقيه، عالم صالح، محدث حافظ بارع، كامل المشاركة، شيخ
لجماعة الفقهاء والصوفية، انتفع به خلق فى العلمين، وأمات كثيرا من البدع،
وبذل النصح للأمة، وأقام الحدود والحقوق، أكثر علمه فقه الحديث، حفظ
مختصر مسلم للقرطبي فى كل خميس خمسة أحاديث، كان أبوه يعطيه عليها
درهما، وكان يشترط العزل فى النكاح فراراً من الولد لفساد الزمان، وكان لا
يفارق كفه الشمائل، وكان يعمل الخوص ويعطيه رجلاً لا يعرف أنها له يبيعها
ليتقوت بثمانها فى رمضان، وكان لا يدخر شيئاً حتى إنه لما توفى لم يوجد عنده
فى تركته غير برنس ودراعتين، وحسبوا ما كان يدخل عليه مع ما كان ينفقه
فوجدوه أكثر من مدخوله.

ولى الفتيا بالديار المغربية، وانتهت إليه الرئاسة فيها، نقل الونشريسي فى
معياره جملة صالحة من فتاويه، وتولى فى آخر أمره خطابة جامع القرويين بفاس،
ومناقبه كثيرة، قال فى نيل الابتهاج: جمع فيها بعض أصحابنا تأليفاً ذكر فيه
كثيراً. هـ. وكان راسخ القدم، آية فى الحفظ، قطباً فى السخاء، إماماً فى نصح
الأمة محباً فى الصالحين، معظماً آل البيت. قال فى الدر النفيس: وكان يعظم
الإمام إدريس بن إدريس ويزوره، وهو الذى أمر بكتب ما على المشهد الذى على
قبره والثناء على شرفه.

مشيخته: أخذ عن والده ومن فى طبقتة من فطاحل شيوخ وقته.

الآخذون عنه: منهم ابن آملال، والقورى، وأبو محمد الورياجلى، وخلق.

مؤلفاته: منها الفتاوى المشار لها إلا أنه لم يجمعها فى ديوان، ونظم فى
شهادة السماع.

وفاته: توفى فجأة وهو فى صلاة المغرب فى جمادى الثانية، وقيل ذى

القعدة سنة تسع وأربعين وثمانمائة، ورمز لوفاته صاحب الإعلام بحروف لفظ خرطم من قوله:

موت الرضا العبدوسى عبد الله فى (خرطم) الممات كل ساء

٣٩٧ - عبد الله بن محمد اليقرنى.

الشهير بالكناسى - نسبة لمكناسة الزيتون - كما صرح بذلك ابن غازى فى الروض فى فريق المترجم قائلا: ولها ينسبون.

حاله: فقيه علامة، فرضى جليل حيسوبى، كان قائما على كتاب الحوفى.

وفاته: توفى بمدينة فاس سنة ست وخمسين وثمانمائة.

٣٩٨ - عبد الله الحياط.

دفين جبل زَرْهُون، الولى الشهير ابن إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم، ينتهى نسبه على ما فى جواهر السماط وغيره، إلى العارف الشهير سيدى أحمد الرفاعى الشريف الحسنى.

حاله: فقيه علامة، مدرس نفاع، كثير الاتباع للسنة وحضور مجالس العلم والحض على التعليم، من كبار مشايخ الصوفية المريين الصادقين، الذين نفع الله بهم، كان له أحوال سنية، وأفعال سنية، وشعائر مرضية، ظاهر الاستقامة على سنن السلف الصالح وهدْيهم، يدل على الله بحاله ومقاله، أظهر الله على يده كرامات دالة على صحة ولايته، وصفاء طويته، وتنوير سريرته.

وكانت له زاوية عظيمة لإطعام الطعام لم يكن لأحد مثلها فى عصره، وكان موثلا لأهل العلم والدين، وموردا للضعفاء والمساكين، وكان يربى أصحابه كما

٣٩٧ - من مصادر ترجمته: لقط الفرائد فى موسوعة أعلام المغرب ٧٦١/٢.

٣٩٨ - من مصادر ترجمته: دوحة الناشر فى موسوعة أعلام المغرب ٨٥٩/٢.

يربى المعلم الصبيان، ويحضهم على الصلاة فى وقتها، عالى الهمة، ممتع
المجالسة، طيب المؤانسة، كامل العقل، سديد الرأى، جميل المعاشرة، ينزل الناس
على قدر منازلهم، مراعى للصحة حق المراعاة وأكملها.

دخل مكناسة الزيتون فى سن الاحتمام مع ابن خالته سيدى عمر الخطاب
دفين جبل زرهون، وكان يقرأ القرآن معه بها فى مكتب واحد على مؤدب واحد،
ثم دخل لفاس، ولقى علماءها، ثم خرج للسياسة فلقى كثيرا من المشايخ، ثم
ذهب لزرهون بإذن من شيخه سيدى أحمد المليانى، وطاف البلاد فى مقدمه،
فدخل مراكش، ومَرَّ بدكالة، فتادلا، ثم استقر بمكناسة الزيتون، وصحب الشيخ
محمد بن عيسى الفهدى المختارى، وكانت بينهما محبة عظيمة، وموالة كبيرة،
ثم رحل لجبل زرهون، واشتغل بعبادة ربه، وتجرد لإذايته أهل القليعة من الزراينة
حتى الصبيان منهم، ثم انتقم الله منهم بدعائه عليهم، واشتهر أمره وطار صيته،
وأقبل الناس عليه من كل ناحية حتى كان بزايته ما ينيف على الألف من حملة
القرآن العزيز، وكانت زايته أهلة بنشر العلم وبثه فى صدور الرجال آناء الليل
وأطراف النهار.

ومن كلامه رضى الله عنه: واعلم أنه لا يسمى العارف عارفا وله دعوى،
ولا يسمى المحب محبا وله شكوى، ولا يسمى الموحد موحدًا. له اعتراض، ولا
يسمى السالك سالكا وله اختيار، ولا يسمى المريد مريدا وله إرادة، من لم يضبط
المحسوسات، لا يقدر على ضبط المدسوسات، إذا رأيت السالك لا يفرق فى
سلوكه بين الاستقامة والاعوجاج، فكفى بجهله دليلا على الاستدراج. وله كلام
عال نفيس فى الطريق، وقد أفردت ترجمته بالتأليف.

ودعى بالحياط لمسحه بيده المباركة على رجل من خدام السيد أحمد المليانى
كان يستقى له الماء، فاتفق أن ضربته بقرة أحدثت فى جسده فتقا فالتأم ذلك الفتق

بمجرد وضع يد المترجم عليه كرامة له رضى الله عنه، وذلك بإذن من شيخه سيدى أحمد بن يوسف المليانى المذكور، إذ قال له لما حدث بخديمه ما ذكر خيطها له يا سيدى عبد الله بن إبراهيم الرفاعى: الله يرفع مقامك على جميع الأشياخ الحاضرين، فدنا منه، ومسح بيده المحل المصاب، فقام الرجل من حينه ليس به شىء، أفاده فى جواهر السماط.

مؤلفاته: منها الفتح المبين، والدر الثمين. فى فضل الصلاة والسلام على سيد المرسلين، وقفت عليه بخزانة وزان عام أربعة وأربعين وثلاثمائة وألف، فى جزء وسط.

مشيخته: أخذ عن السيد الحسن بن عمر أجانا، وأحمد بن يوسف المليانى المتوفى فى العشرة الثالثة بعد التسعمائة بمليانة، وقبره مزاراة شهيرة ثم.

أما الطوائف المبتدعة التى تنسب إليه المعروفة باليوسفية فليسوا على شىء من أحوال الشيخ، بل هم مارقون من الدين بمعزل عن سبيل المهتدين، عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

الآخذون عنه: منهم الشيخ الصالح الناصح أبو الطيب بن يحيى اليحياوى دفين ميسور المتوفى فى ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وتسعمائة كما فى مرآة المحاسن، ومنهم السيد محمد فتحا العائدى دفين خارج باب الفتوح أحد أبواب مدينة فاس المتوفى فى شهر رمضان عام أربعة وثمانين وتسعمائة، ومنهم أبو عمران موسى بن على، دفين زرهون وخلق.

ولادته: ولد بقابس سنة تسع وثمانين وثمانمائة.

وفاته: توفى مسموما سنة تسع وثلاثين وتسعمائة، ودفن بزاويته الشهيرة من جبل زرهون.

٣٩٩ - عبد الله بن إبراهيم بن الجندوز.

ابن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد فتحًا بن بهاء الدين بن الحسن بن الفضيل بن عبد الواحد بن محمد فتحًا بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن علي بن عيسى بن إبراهيم بن محمد فتحًا بن الحسن بن جعفر بن عبد الله بن الحسن المثلث بن المثنى بن الحسن السبط بن مولانا علي، كرم الله وجهه ومولاتنا فاطمة الزهراء البتول رضى الله عن جميعهم.

هكذا وقفت على عمود هذا النسب فى نسخة شجرة نسب والد المترجم عليها تصحيحات جماعة من الأعلام، منهم: القاضى محمد الغرناطى، وأبو وكيل ميمون الفخار، وأبو وكيل ميمون الفخار، وأبو القاسم بن نعيم ويعد الكل ما نصه: الحمد لله حق حمده، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وعبد، أعلم بخطوط السادة عام عشرة وألف الإمام العلوى والسلطان الحسنى والجانب العالى بالله مولاي عبد الله بن مولاي زيدان ابن أمير المؤمنين أحمد الذهبى، كان الله له ولوالدية فى الدارين أمين.

حاله: نشأ فى حجر والده بجزولة من سملالة بالسوس الأقصى على ما فى الشجرة المشار لها، وكان من أهل العلم والدين والخير والصلاح والفضل، صرفه الله تعالى فى الجن فكان كل من استجار به ممن به مس الجن يعجل الله شفاؤه فشهر بذلك، وأقبل الناس عليه، وأذعنوا لفضله، وعلموا مكانته عند مولاه، ولا زال ضريحه إلى الآن قرب بنى عمار أحد مداشر جبل زرهون مقصودًا عند العوام والخواص لذلك، وهو مرهم لذلك الداء قاطع.

وبعد وفاة والده رضى الله عنه، وذلك عام أربعة وتسعين وثمانمائة، انتقل إلى محروسة فاس بقصد قراءة العلم، فأقام بها اثني عشرة سنة، ثم توجه لزاوية زَرْهُون بقصد زيارة مولانا إدريس الأكبر رضى الله عنه وأرضاه، فأقام بها أربعة

أشهر وخمسة عشر يوما، ثم نذبه بعض تلاميذه للخروج معهم لحلهم حيث مدفنه الآن، فلبى دعوتهم واستقر به النوى هنالك، ولم يزل مقيما ثمة، إلى أن نقله الله إليه، ولم يعقب.

وفاته: توفى سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة، وضريحه بالمحل المذكور بجبل زَرْهُون من أشهر المزارات المقصودة للزوار، ينسل إليها الناس من كل حذب إلى الحين الحالى.

٤٠٠ - عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبود بن على بن عبد الرحمن بن
أبى العافية المكناسى الشهير بابن القاضى.

حاله: فقيه علامة، يستظهر مختصر خليل والرسالة، والألفية عن ظهر قلب.

مشيخته: أخذ عن أبى بكر السراج المولود سنة إحدى وعشرين وتسعمائة، المتوفى بفاس عام سبع وألف، وعبد الواحد اليمى المتوفى سنة ثلاث وألف، وأبى العباس القدومى، وأبى عبد الله بن مجبر المولود سنة ثمان وتسعين - بتقديم المثناة - وثمانمائة، المتوفى فى المحرم سنة خمس وثمانين وتسعمائة وغيرهم.

وفاته: توفى بمدينة فاس سنة سبع وثمانين وتسعمائة.

٤٠١ - عبد الله مولى الرئيس الأوحى أبى عثمان سعيد بن حكم^(١).

صاحب مَيُورَقَة بفتح الميم وضم الياء المثناة تحت وسكون الراء بعدها قاف مفتوحة فتاء.

٤٠٠ - من مصادر ترجمته: لقط الفرائد فى موسوعة أعلام المغرب ٩٣٧/٢.

٤٠١ - من مصادر ترجمته: رحلة العبدى - ص ٢٨٠.

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «حكيم» وصوابه من ملء العيبة ٣٢٩/٢، ورحلة العبدى -

ص ٢٨٠.

حاله: فقيه علامة، راوية محدث، وصفه العبدري في رحلته بالفقه والحديث والاهتمام بالعلم والاعتناء بالرواية، قال: وقد وقفت على فهرسة شيوخه وقد شاركته في بعض شيوخه الذين ذكرهم، قال: وقد كان في أملئ الاجتماع به ولم يقض له به هـ^(١).

وقد كان بقيد الحياة سنة ثمان وثمانين، إذ سفر العبدري كان في الخامس والعشرين من ذى القعدة من التاريخ المذكور حسبما أفصح بذلك العبدري في رحلته المنقول عنها.

٤٠٢ - عبد الله بن على المعروف بالحجام الصبيحي.

دفين جبل زرهون.

حاله: شيخ صالح حسن الأخلاق متحمل أذى الخلق، وكانت له زوجة سيئة الأخلاق تؤذيه جدا، فقال له بعض أصحابه هلا طلقته؟ فقال له: لو فعلت لابتلى بها مسلم غيرى.

وله أتباع كثيرون، ونية صالحة، ومعتقد صحيح، وأخلاق حسنة، ودين متين، مقصود للزائر، مزدحم للتسليم عليه، مشهور البركة في الديار المغربية، صاحب كرامات ظاهرة، وأحوال خارقة، من ذلك أن رجلاً جاء لزيارته وهو لا يعرفه فوجده في سفح الجبل فقال له وهو لا يعرفه: أين سيدى عبد الله الحجام؟ فقال له الشيخ: وما حاجتك به؟ قال: جئت أزوره لوجه الله تعالى، فقال له الشيخ: والله لا تطلع إليه إلا محمولا على ظهرى حيث كان قصدك زيارته لله تعالى فقط، فحمله على ظهره فلما بلغ به داره وعرفه نفسه وتكلم معه، قال: يا سيدى نريد منك أن تكلم حاكم البلاد فى مسألة كذا، فقال له الشيخ: قد خدعتنى، والله لتردنى على ظهرك إلى الموضع الذى حملتك منه، وكان المترجم

(١) رحلة العبدري - ص ٨٠.

جسيما فحمله إلى ذلك الموضع. قال فى الصفوة بعد إirاده هذه الحكاية: هكذا رأيت الحكاية بخط شيخنا الفقير الصوفى أبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن، ويقال: إن ذلك وقع للزائر مع بعض قرابة الشيخ، والله أعلم.

مشيخته: أخذ عن سيدى عمر الخطابى دفين جبل زرهون عن التابع.

وفاته: توفى عام واحد بعد الألف، ودفن على رأس مدشر زاوية مولانا إدريس الأكبر المعروف الآن بخبير من جبل زرهون، وبنيت عليه قبة، وضريحه إلى الحين الحالى من أشهر المزارات المقصودة للتبرك بها.

٤٠٣ - عبد الله الجزار.

دفين الحضرة المكناسية.

حاله: سمعت من غير واحد أنه كان من كمال العارفين المتبرك بهم أحياء وأمواتا، وأن الدعاء بضريحه جربت إجابته مرارا، قال فى حقه صاحب جواهر السماط ما لفظه: كان رحمه الله ورعا سنيا، وكان فى ابتداء أمره جزارا، وكان يتورع فى البيع والشراء، فلا يشتري الغنم إلا من قوم عرف طيب مكسبهم، ثم يذبحها فيبيعها بأرجح ميزان، وما فضل له من الربح يذهب به لزاوية الشيخ الخياط - يعنى شيخه سيدى عبد الله المترجم قبل - فيفرقه على الفقراء، ثم ترك بيع اللحم ولازم الشيخ الخياط إلى أن كان منه ما كان هـ.

ولم أقف على زائد يتعلق بترجمته غير ما هو منقوش فى الخشب الذى على ضريحه بخط بارع، أخذت فى مناولته يد البلى نقلته هنا صونا له من الإتيان على باقيه، وغير ما هو منقوش فى لوح خشب أيضا ملصق بالجدار ثمة، ودونك لفظ ما هو منقوش فى الخشب الذى على الضريح:

الحمد لله العلى البارى	ملك الملوك وفتاح الأسرار
ثم الصلاة على النبى محمد	سر الوجود ومنبع الأنوار

أهل الكمال القادة الأخيار	وعلى الأفاضل آله وأصحابه
قد شاع فى الآفاق والأقطار	هذا ضريح سامى المقدار من
تكف النوائب تحظ بالأوطار	قف ضارعا متذللا تلق المنى
ما فى وقوفك ساعة من عار	إن الوقوف ببابهم أصل الغنى
فاقصد وسل مولاك بالجزار	وإذا قصدت لمثل عبد الله ذا
أهل التقى فى حضرة ووقار	وبشيخه والطائعين لربهم
والواردين ببحره الزخار	كم حاجة قضيت لمن قد أمه
فكاك ماسور من الكفار	(١) كافيا
كالمسك نسمته مع الأزهار	فعليه منى ألف ألف تحية
من هجرة المختار	(١)

مشيخته: فى اللوح الخشبى المصق بالجدار المشار له، أنه أخذ عن الحارثى بن موسى بن خشان (كذا) عن عبد الله موسى بن على مولى آية رأس، عن على بن قاسم الدكالى، عن موسى بن على مولى الصخرة، عن الشيخ الكامل محمد بن عيسى الفهدى المختارى، عن أبى العباس الحارثى، عن سيدى محمد بن سليمان الجزولى، عن سيدى عبد الله أمغار الشريف، عن أبى عثمان سعيد الهرتنانى، عن أبى زيد عبد الرحمن الرجراجى، عن أبى الفضل الهندى، عن عنوس البدوى، عن الإمام القرافى، عن أبى عبد الله المغربى، عن أبى الحسن الشاذلى، عن مولانا عبد السلام بن مشيش، عن أبى زيد عبد الرحمن المدنى، عن تقى الفقير، عن فخر الدين، عن أبى الحسن، عن شمس الدين، عن زين الدين

(١) فى هامش المطبوع: تلاشى أصله.

القزويني، عن إبراهيم البصري، عن أبي القاسم المرواني، عن سعيد، عن سعد، عن فتح السعود، عن سعيد الغزواني، عن جابر، عن سيدنا ومولانا الحسن بن علي رضي الله عنهما وأرضاهما وعنا بهما أمين عن رسول الله ﷺ وشرف وكرم هـ.

وقد أغفل أخذه عن سيدي عبد الله الخياط، وعلى كل حال فقد شارك شيخه في بعض مشيخته وإن أخذ عن تلاميذه وتلاميذهم، بل الله ثرى الجميع بالرحمة والرضوان.

الآخذون عنه: منهم سيدي أحمد حجي كما في فهرسة الشيخ الإمام سيدي جعفر بن إدريس الكتاني المعنونة بإعلام الأئمة الأعلام وأساتيدها، بما لنا من المرويات وأسانيدها.

وفاته: توفي على ما في اللوح المذكور أواخر الحجة سنة إحدى وستين وألف.

٤٠٤ - عبد الله بن السلطان محمد الحاج الدلائي رحمه الله.

حاله: إمام فقيه علامة مدرس، وقور حليم، جواد فياض، سخي كريم، فارس شجاع، بطل مقدم، جميل الوجه والقول، حسن السيرة والفعل، ذو سميت حسن، وحال مستحسن، وفراصة صادقة، ومؤانسة راثقة، ومعاشرة فائقة، من لدن صغره إلى كبره، وحصل من العلوم، ما يكل عنه راقم الرقوم، وله من مكارم الأخلاق، ما به كثيرًا من أهل زمانه فاق، وطار صيته في الآفاق.

ولما قلد والده ولاية المغرب ولاء بسلا عاملاً فأقام بها مدة نائباً عنه في الأحكام، وفصل معضلات الخصام، وتصدر للتدريس، وتصدى للقول بالحق والعمل النقيس.

وكان مواخيا له بها ومصاحبها، ومواليا له أيامها ومعه كاتبها، الفقيه الأجل،
البركة الأفاضل، أبو مروان عبد الملك التجموعى، ثم نقله والده لمكناسة الزيتون
وولاه بها مدة، وكان ينوب عنه تارة فى الحروب وتارة فى غيرها من ولايات
الأحكام، وكان قد نزل على فاس بأمر والده حين تحالف أهلها مع الدريدى،
وخالفوا على والده فحاصرها مدة من الأيام وأقلع عنها.

وخرج فيمن خرج من الزاوية مع والده عند الوقعة العظمى بها عليهم،
وسار فيمن سار معهما لتلمسان، وأقام بها إلى أن توفى والده، فذهب للمشرق
بقصد حج بيت الله الحرام، وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام.

فلما قضى نسكه وطاف وزار، بقى فى المشرق نحواً من عامين اثنين،
وانقلب راجعاً عام خمسة وثمانين وألف فى جملة من أتى معه مسافراً من
المشرق، فلما قربوا من الجزائر أُخْبِرُوا بثورة أهل تلمسان على الترك الذين بها،
ولما وصلوا للجزائر وجدوا جيوش الترك خارجة منها قاصدة لقتال أهل تلمسان
فخرجوا معهم من الجزائر، وأقاموا فى أثناء الطريق، وتأخروا عن القدوم مع
المحلة بعد أن أوصى المترجم رئيس المحلة باحترام أولاده الذين بالعباد، وأخبره
بخبرهم فأنعم له بذلك.

وبعد أن هدأت أصوات تلك الفتنة وخمدت نارها وتبين ما آل إليه أمرها،
توجه المترجم لتلمسان، فوجد إخوانه أهل الزاوية الذين كانوا بالعباد قد رجعوا
لفاس، ولم يبق أحد منهم يراعيه إلا ولده أبو العباس أحمد، فاستقروا بالعباد، بما
لهما من الأهل والأولاد، إلى أن لى المترجم داعى مولاه، وانتقل لما اختير له
رحمه الله.

مشيخته: أخذ عن والده وجماعة من جلة فحول زاويتهم الدلائية.

الآخذون عنه: منهم ولده أبو العباس أحمد وجماعة.

وفاته: توفى بتلمسان أواخر سنة ستة وثمانين، أو أوائل سبعة وثمانين
وآلف، ودفن بالعباد، ورثاه ولده المذكور بقصيدة طنانة رنانة اشتملت على اثنين
وخمسين بيتا يقول فى أولها:

يسائلنى عن موحشى وأسائه	ألا هل فتى مثلى كئيب أراسله
وأشكو له قلبا دهته بلابله	يطارحنى أحزانه وهمومه
ويخمد وجداً ليس تخبو مشاعله	لعل التأسى يعقب القلب سلوة
بياطن أحشاء الحزين دواخله	ويطفئ بفيض الدمع حزنا تغلغل
	ومنها:

فساعد بجفن ليس يرقأ هامله	فيا صاحبي ان كانت لى خير صاحب
وأضحت على رغم خلاء منازل	على من شجا المجد الصريح مصابه
كما حازه من قبل ذاك أوائله	همام حوى المجد المؤئل يافعا
ولو عاش ما أعياه أمر يحاوله	قضى من طلاب العز أقصى مراده
بموت كريم يخجل السحب نائله	لهفى على موت المكارم والعللا
وهى مذكورة بتمامها فى الدور الضاوية.	

٤٠٥ - عبد الله بن المجذوب القصرى العبدري.

حاله: ولى صالح، دال على الله تعالى ناصح، ذو سر لائح، وبرهان
واضح، متبرك به حيا وميتا، رحل إلى حج بيت الله الحرام، وفاز بنيل البغية
والمرام، وقفت على رسم إراثته بتاريخ رابع جمادى الأولى عام سبعة وتسعين
ومائة وآلف بخطاب الشريف مولاي أحمد بن على الحسنى المترجم فيما مر.

وقبر المترجم من المزارات المكناسية المقصودة للزيارة وحصول بركة الاعتبار، عليه بناء حافل، وبيازاته مسجد تقام فيه الخمس، وأشار لذكره المفيى الوقاد، فى هداية السائل المطبوع بمصر سنة ست عشرة وثلاثمائة وألف.

وضريح المترجم من أشهر الأضرحة بمكناس بالمحل المعروف بالكدية، لم يتزوج قط، ورثه بعد وفاته شقيقة أبو فارس عبد العزيز، ثم وفى وأحاط بإرثه ولده عبد الله دعى عب الذى من أحفاده الآن، سى جده عبد العزيز وعبد الواحد، ووالد أخيهما السيد محمد بن سمية المدعو البنضاضى، وولد أخيهما إدريس، السيد محمد وشقيقة العلمى حسبما ذلك مثبت عندهم بإراثات وظواهر سلطانية، وقع الوقوف عليها، حين منازعة أبناء عمهم لهم فى فتوحات ضريح صنو جدهم المترجم هـ من خط بعض شيوخنا الأثبات.

مشيخته: أخذ عن الشريف مولاي الرضى اليملاحي الوازانى، وأخيه مولاي المكى دفين رباط الفتح المتوفى فى تاسع رمضان سنة إحدى عشرة مائة وخمسين، عن والدهما سيدى محمد، عن والده مولاي عبد الله الشريف، عن سيدى على بن أحمد الأنجورى، عن سيدى عيسى المصباحى.

الآخذون عنه: أخذ عنه أبو العباس أحمد التواتى فى جماعة.

٤٠٦ - عبد الله بن محمد سمية بن الخطايط بن محمد فتحا بن أحمد بن إبراهيم العطار الزرهونى الورى القليعى منشأ عرف بالخطايط.

حاله: علامة مشارك، متفنن نقاد خبير، دراكة فهامة، مدرس نفاع، فقيه نوازلى، انتهت إليه رئاسة التدريس والنوازل بالزاوية الإدريسية من جبل زرهون، إليه كان المرجع فى كشف عويصات المسائل العلمية هنالك، وكان يخبر عن نفسه أنه كان يحسن أربعاً وعشرين علماً.

ومن فوائده ما وجد بخطه على هوامش أواخر نسخته من شرح شيخه التسولى على التحفة ونصه: عَايَا^(١) كاتبه عبد الله الخياط سمح الله له بفضله، جملة من أحبته الطلبة وفق الله الكل بمنه، فى مسأله الخشى يولد له من ظهره ومن بطنه معا، على ما لحافظ المذهب ابن رشد فى مقدماته، وما للشيخ خليل فى توضيحه، وهو ما نقله شيخنا الشارح رحمه الله، بقوله:

أحاجى ذوى الحجا مفديهم بما	لدى شرعنا نصا لذى العلم والحسب
وذاك أمرؤ يعزى له ابنان وهو أب	وأم ووزع وأنف بينهما النسب
له إرثه من كل كالعكس ثم لا	توارث بين ذين للفقْد للنسب
وأجاب نيابة عنهم بقوله أيضا:	
لك الله أيها المفدى لكلنا	بأنفسنا والأهل والأم ثم الأب
تعأى بما لنجل رشد وخلصنا	بخشنى له الولادتان ولا عجب
فله أبدا ما يشاء للملكه	فسبحانه من واهب يا أبا الأديب

ومعنى قولنا ووزع أن تجعله أبا لهذا الولد وأما للآخر هـ.

مشيخته: أخذ عن الشيخ بدر الدين الحمومى، وأبى الحسن على التسولى وغيرها.

الآخذون عنه: منهم الشريف سيدى الفضل الشيبهى إمام الضريح الإدريسي وخطيبه، والشريف مولاي الحسن بن الشريف العلوى فى جماعة من الأعلام.

وفاته: توفى بالوباء بمدشر موساوة أحد مداشر زرهون، عام خمسة وتسعين ومائتين وألف، ودفن بضريح سيدى عدو خارج الزاوية الإدريسية رحمه الله.

(١) عَايَا فلان: أتى بكلام أو أمر لا يهتدى لوجهه. وصاحبه: ألقى عليه كلاما لا يهتدى لوجهه.

٤٠٧ - عبد الله بن العرفاوى الخيارى المكناسى.

حاله: فقيه أديب، له مشاركة فى فنون، مدرس موجود، شاعر مفلق، انتدبه بعض الفاسيين لإقراء أبنائه القرآن العظيم، فأسعف رغبته وانتقل معه لفاس، وأخذ عن جهابذتها النقاد، حتى انفتح له باب تحصيل العلوم العقلية والنقلية، وبرع وتصدر للإفادة فى القرويين وغيرها، ثم رشح من انتدبه لإقراء أولاده لوظيف بثغر طنجة، فرحل فى معيته وأقبل على بث العلم ونشره، وتعاطى خطة الإسهاد، فكان من المبرزين بطنجة، لقيته بها عند وجهتى لأداء فريضة الحج عام واحد وثلاثين وثلاثمائة وألف ناشراً للعلم مفيداً، وطالعا فى سماء النجابة والنزاهة بَدْرًا سعيداً، ولم يزل جميل السيرة، محمود السريرة، إلى أن لى داعى مولاه.

مشيخته: أخذ عن السيد فضول السوسى، والسيد فضول بن عزوز والسيد محمد القصرى، والسيد محمد بن عبد السلام الطاهرى، والسيد محمد بن الحسين العرائشى، والسيد أحمد بن الخياط الزكارى، والسيد أحمد بن الجيلانى الفيلالى، والسيد الفاطمى الشرادى، والشريف مولاى أحمد البلغيشى، وأبى محمد عبد السلام الهوارى المتوفى سنة ثمانية وعشرين وثلاثمائة وألف، والحاج محمد فتحا جنون يدعى جنيون مصغرا المتوفى عشية يوم الجمعة ثامن عشرى شعبان عام ستة وعشرين وثلاثمائة وألف وغيرهم من الأعلام.

شعره: من ذلك قوله مجيباً صاحبنا الفقيه العلامة الأديب السيد محمد فتحا ابن عبد الكبير بن الحاج السلمى الفاسى:

وافى كتابكم السعيد موشحاً	بفرائد المكتوب والنفحات
أبذرت فى قلبى الكتيب حروفه	وسقيتها بفرات ما العطفات
طابت محبته بشمس ودادكم	ولو أنها زرعت بأرض موات

عجل لقطف ثمارها بوصالكم قبل الفوات بدفعها العبرات
فعلى محمد الأديب تحية مارق شعر فى بديع صفات
وقوله مجيبا المذكور أيضا:

قريبا يجود الإله بجم عنا بكم فى قريب قريب
فانار بعبادكم أحرق فؤاد لمحّب الكئيب الكئيب
وجسمى بمكناسة قاطن وقلبي بفاس نحيب نحيب
يحن إلى فاضل ماجد حبيب نجيد أريب أريب
فيارب جمعًا به فعسى ليلا أموت غريبا غريب
فمن بوصل بعيد انفصا ل بجاه النبي الحبيب الحبيب
عليه صلاة الإله الذى علينا عتيد رقيب رقيب

وفاته: توفى بطنجة فى شعبان عام تسعة وثلاثين وثلاثمائة وألف.

٤٠٨ - عبيد المدعو المظلوم.

دفين عاصمتنا المكناسية، ولا تعرف له ترجمة فيما أعلم، ويحكى أنه كان
وشى به بعض الجهلة لسلطان وقته فأمر بضرب عنقه، فصار رأسه بعد انفصاله عن
جسده ينادى: عبيد المظلوم، والله أعلم.

٤٠٩ - عبد الحق قاضيها أبو محمد بن سعيد بن محمد المكناسي.

حاله: من أهل المعرفة والخصافة^(١)، قائم على كتاب ابن الحاجب فى

٤٠٩ - من مصادر ترجمته: نفح الطيب ٣٥٠/٥.

(١) فى هامش المطبوع: «مصدر حصف ككرم واستحكم عقله فهو حصيف محكم العقل
والخصافة ثخانة العقل وجودة الرأى»

مذهب مالك، ممتاز به فيما دون تلمسان، كما لابن غارى والمقرى فى النفع نقلا
عن نفاضة الجراب لابن الخطيب وتصدر للإقراء والتقييد فما شئت من اضطلاع
ومعرفة واطلاع، وبث العلم ونشره، فأفاد وأجاد، وهو من جملة مشايخ مكناسة
الذين لقيهم ابن الخطيب السلماني.

مشيخته: أخذ عن الأخوين أبى موسى وأبى زيد ابنى الإمام رحمهما الله.

الأخذون عنه: منهم أبو العباس ابن القاضى صاحب جذوة الاقتباس
وناهيك به قال: قرأت عليه الخارمة، على الرسالة الحاكمة، وأذن لى فى تحمله،
وأخذ عنه صاحب نيل الابتهاج كما قال ذلك عن نفسه فى الكتاب المذكور،
ولسان الدين ابن الخطيب كما فى نفع الطيب.

مؤلفاته: منها جزء نبيل على فتوى أبى بكر بن العربى المسماة بالحكمة،
سماه الخارمة.

وفاته: توفى بعد نيف وستين وسبعمائة.

٤١٠ - عبد الحق الزرهونى.

دفن جبل زرهون، وهو المعروف اليوم لديهم بسيدى بوحبق شهير الضريح
بحومة خير، من الزاوية الإدريسية والله أعلم.

حاله: شيخ جليل، محب صادق ملهم، ذو فكر ثابت، وشوق إلى الله
دائم، عظيم الإفادة بالهمة والحال، متمكن مخلص، ذو قدم ثابت، ودين متين،
كثير الاتهام لنفسه، من الأولياء الأكابر الصالحين القادة الأمثال، تعرض لذكره أبو
العباس أحمد بن عبد القادر التستاتوى فى يائيته التى توسل فيها إلى الله بأهل الله
إذ قال فيها:

وإن جئت عبد الحق فاجنح لبابه بزرهون قد أمسى عن الشر نائيا

وذكر فى شرحه لها أنه معروف بزrhون من الأكابر، وأنه دفن بحمام الحرة من مكناسة الزيتون لفظه .

قلت: الذى فى ممتع الأسماع وهو الأصل الذى اعتمد التستأوى فى نظمه المذكور كما أفصح هو بذلك عن نفسه، أن المترجم وهو عبد الحق الزليجى دفن بجبل زrhون، ومثله فى ابتهاج القلوب فى ترجمة المترجم، وهو الصحيح والله أعلم .

مشيخته: أخذ عن أبى العباس أحمد زروق، وأبى العباس أحمد الحارثى، واختص بالشيخ أبى عبد الله الصغير السهللى المتوفى سنة ثمان عشرة وتسعمائة، وهو أخذ عن الشيخ الجزولى .

الأخذون عنه: منهم الشيخ عبد الرحمن بن عياد المجذوب .

ولادته: ولد بزrhون فى العشرة الثامنة من القرن التاسع .

وفاته: توفى سنة إحدى وأربعين وتسعمائة، ودفن بجبل زrhون رضى الله عنه، كذا فى ابتهاج القلوب .

٤١١ - عبد الحق أبو محمد السحيمى .

حاله: قال فى حقه صاحب الدر المنتخب ما نصه: الكاتب، الذى حمى حيد بدور أفكاره، وطار طير البيان من أوكاره، خاتمة أهل الأدب، وسراج من تأدب وتهذب، هـ .

وبالجملة فقد كان صدر حملة الأقلام، وواسطة عقد البلغاء الأعلام، ناظما ناثرا، محنكا خبيراً ماهراً، إذا نظم سحر الألباب، وإذا نثر أتى بآيات إعجاز وإعجاب .

شعره: من ذلك قوله مادحا مخدومه السلطان الأعظم سيدنا الجدد مولانا

إسماعيل:

ومن دونهم بدر الأسنة يلمع
فبات زئير الأسد فى الحى يسمع
لهم فيه عن ضوء الكواكب مقنع
وهل فى أسود الغاب للناس مطمع
نساء أم الغزلان فى الخدر رتع
وإن الشموس فى الهودج تسطع
ظلم غشوم بالدماء مدرع
أشارت لليث فى الحديد مقنع
وفيهم جبان بالنزال يروع
تراقبها عينى من أين تطلع
وليس لها عند الجوانب موقع
وفيه كناس للظباء ومرتع
رجوع وهل عصر الشبية يرجع
له فى الحشا عندى شفيح مشفع
نوازع آمالى إليهن نزع
ولست أرى عهد الكرام يضيع
ويا بنت من يدري العفاة وينفع

أمن أرضهم ريح الصبا تتضوع
وفى حيهن نار الهياج عشية
إذا ارتحلوا ليلا فضوء رماحهم
وبين أسود الغاب بيض أوانس
وعيشك ما أدري وأين خيامهم
وما أنكرت عينى من الحسن ما رأت
وتحت رماح القوم كل مدجج
إذا نظرت عينى غزالا مبرقعا
وما ضربوا حمر القباب عليهم
وفى البلدة الحمراء شمس منيرة
لها فى سواد القلب أشرف موضع
فلله ما حملت قلبى من الهوى
ألم يأن للحى الذين ترحلوا
سقى الله أرضا حلها نور شمس
ولا روع الرحمن سرب عقائل
لهن عهد لا تضيع حقوقها
فيا أخت حامى الحى يوم نزالهم

ودادى محفوظ على عهدته
رعى الله أيام الشباب فإنها
وحى القصور الخضر صوب غمام
قصور بها المنصور يحمى حقائقا
يجهز إسماعيل منها كتائب
فله منه النفس والحرب ترمى
وما افتر ثغر قبل تقبيل سيفه
وكم ليلة باتت بها الخيل عوما
وما سر منه النفس غير سريرة
ولم تك أوقات الرخا تستفزه
فله ما ضمت ثياب أبى الفدا
يياشر فى كل الأمور أموره
أعز الإله الدين بابن نبیه
فيا ابن الألى سارت بمدح جدودهم
ألستم سراة المسلمين وأسرة
إذا أطعموا يوم الوليمة أشبعوا
ألستم شموسا فى الورى ووجودكم
إذا سدتם الأملاك شرقا ومغربا
وإن كان فيهم للخلافة رينة
بقيت لهذا الدين تعالى مناره

لديكم أم الود الصميم مضيع
مواسم فيها للنفوس تمتع
مباركة تهمل عليها وتهمل
من الدين فيها الخير للخلق أجمع
تكاد قلوب الشرك منها تصدع
بموج المنايا والأسنة شرع
ولله سر فى الخلائق مودع
بحورا من الظلماء والناس هجع
يخب إلى الأعداء فيها ويرع
ولا كان يوما فى الشدائد يضرع
من المجد والتقوى وما هو يصنع
بقلب نقى للمكارم منبع
وما أن يعز الدين الاسميدع
رفاق لها بين السباب مهيع
محبتهم يوم القيامة تنفع
وإن طعنوا يوم الكريهة أوقعوا
أمان لهم من كل ما يتوقع
فما سادهم إلا النبال الموقع
فمنصبتكم فيها أجل وأرفع
وقدرك من بين الملوك مرفع

وقوله وقد أمر السلطان المذكور كتابه بوصف قضية حال قصها عليهم،
ومراده اختبار قرائحهم، وذلك أنه كان يوما مع بعض جواريه وقد حملت سيفاً
وسارت أمامه:

حملت سيوف الهند وهي غنيمة عن حملها بلوا-حظ الأجفان
حسب الفتاة جلالة ومهابة عز الجمال مهابة السلطان

٥ / ١	مقدمة هذه الطبعة
١٥ / ١	تصدير تواريخ المغرب
٢٥ / ١	مقدمة المؤلف
٣١ / ١	المقدمة فى علم التاريخ ومبادئه
	المطلب الأول فى مكناسة والقبيلة المؤسسة لها والبعد بينها وبين
٤٤ / ١	فاس وغير ذلك من الفوائد
	فصل: وفيه الكلام على تازجا وقصر فرعون وخيبر وجبل زرهون
	والزاوية الإدريسية والفروق التى بين هذه المسميات وغير
٥١ / ١	ذلك من الفوائد والاستطرادات كتعريف المجوسية والنصرانية
	فصل: وفيه الكلام على تاورا وأبى العمائر والعيون التى خارجه
٧٧ / ١	وعين تاكما
٨١ / ١	فصل: وفيه الكلام على قرية الأندلس وتلاجدوت
	فصل: وفيه الكلام على تاورا وحوائرهما وفواكههما وسكانها
٨٣ / ١	وبساتينها
	فصل: وفيه الكلام على البربر وجبل درن وذى القرنين والدفاع
	عن البربر مما رموا به وذكر بعض مفاخرهم وما ورد فى
٨٩ / ١	فضل إفريقية
	فصل: وفيه الكلام على ورزيفة والروم على اختلافهم وبحث فى
١٠٥ / ١	الأسد والفهد والنمر
	فصل: وفيه الكلام على قصر ترزجين وتاجرات وبرج ليلة وسوق
١١٣ / ١	الغبار وقبور الشهداء وبحث يتعلق بمهدى الموحدين
	فصل: وفيه الكلام على جامع مكناس الأكبر بأبوابه وذخائره
	التوقيفية وصفوفه وصومعته وخزائنه ومجلس القراء

الأسبوعى وبحث فى الوطاسيين والتعريف بالصاعقة ثم
الكلام على مساجد مكناس والمعد منها للخطبة وصوامعها
وسقاياتها

١٢٣/١

فصل: فى حماماتها ودورها ودكاكينها وحرماتها وأرحاء مائها
وأفرانها وعدد سكانها

١٣٩/١

فصل: فى بناء قصبة مكناسة ومدرستها وزاويتها وما شيده أو
أسسه أو جدد الملوكة العلويون بها إلى الآن من قصبات
وأبواب وقناطر وأضرحة ومساجد وقصور وأجنة وبساتين
ومدارس ومكاتب وغير ذلك من الآثار ثم ذكر أبوابها من

١٤٢/١

عهد ابن غازى إلى الآن

٢٧٤/١

المطلب الثانى: فى وصفها شعرا ونثرا بأقلام المتقدمين والمتأخرين

٣١٠/١

المطلب الثالث: فى تراجم السلاطين والأمراء والأعيان والعلماء

(حرف الألف)

رقم الترجمة

٣١٠/١

١ - إبراهيم بن يحيى بن أبى حفاظ.

٣١٠/١

٢ - إبراهيم بن موسى المصمودى.

٣١١/١

٣ - إبراهيم بن عبد الكريم.

٣١١/١

٤ - إبراهيم بن أبى الفضل الحجرى.

٣١٢/١

٥ - إبراهيم بن عبد القادر الزرهونى.

٣١٢/١

٦ - إبراهيم بن عبد العزيز الخياطى.

٣١٣/١

٧ - إبراهيم بن القائد الطيب.

٣١٣/١

٨ - مولاي أحمد الذهبى السلطان.

٣٤٤/١

علائقه السياسة

٣٤٦/١

٩ - أحمد بن محمد بن حماد بن محمد بن زغبوش .

٣٤٦/١

١٠ - أحمد بن عبد القادر زغبوش .

٣٤٧/١

١١ - أحمد بن عميرة المخزومي .

٣٥٣/١

١٢ - أحمد بن علي الزرهوني .

٣٥٤/١

١٣ - أحمد بن محمد البكري .

٣٥٤/١

١٤ - أحمد الشبلي .

٣٥٥/١

١٥ - أحمد بن عبد الرحمن اليقْرنِي .

٣٥٥/١

١٦ - أحمد بن العربي الغُمَارِي .

٣٥٦/١

١٧ - أحمد بن عاشر .

٣٦٣/١

١٨ - أحمد بن عبد المنان .

٣٦٦/١

١٩ - أحمد بن سعيد الحباك .

٣٦٨/١

٢٠ - أحمد بن سعيد المكناسي يكنى أبا العباس .

٣٦٨/١

٢١ - أحمد بن محمد الحباك المكناسي .

٣٦٩/١

٢٢ - أحمد بن محمد بن غازي .

٣٧٠ /١

٢٣ - أحمد الشبيه .

٣٧١/١

٢٤ - أحمد بن بن ميمون المسطاسي .

٣٧١/١

٢٥ - أحمد بن أحمد بن أبي العافية .

٣٧٢/١

٢٦ - أحمد بن علي المنجور .

٣٧٥/١

٢٧ - أحمد بن عمر الحارثي السفيناني .

٣٧٦/١

٢٨ - أحمد بن إبراهيم الجنان .

٣٧٩/١

٢٩ - أحمد بن سعيد المجلدي .

- ٣٠- أحمد الغماز. ٣٨٠ / ١
- ٣١- أحمد بن عمر الحصيني. ٣٨٠ / ١
- ٣٢- أحمد الزناتي الشهير بابن القاضي. ٣٨١ / ١
- ٣٣- أحمد بن بلعيد بن خضراء. ٣٨٤ / ١
- ٣٤- أحمد بن عبد القادر التاستاوتي. ٣٨٤ / ١
- ٣٥- أحمد الخضر زغبوش. ٣٩٠ / ١
- ٣٦- أحمد بن محمد بصرى. ٣٩٢ / ١
- ٣٧- أحمد بن ناجى القاضي. ٣٩٢ / ١
- ٣٨- أحمد بن محمد العربى الغمارى. ٣٩٤ / ١
- ٣٩- أحمد بن يعقوب الولاى. ٣٩٥ / ١
- ٤٠- أحمد بن أبى يعزى. ٣٩٦ / ١
- ٤١- أحمد الصيقل. ٣٩٦ / ١
- ٤٢- أحمد الشدادى. ٣٩٦ / ١
- ٤٣- أحمد بن عزو. ٣٩٨ / ١
- ٤٤- أحمد الحزميرى. ٣٩٨ / ١
- ٤٥- أحمد بن سعيد السوسى. ٣٩٨ / ١
- ٤٦- أحمد بن مومو. ٣٩٨ / ١
- ٤٧- أحمد بن مسطار. ٣٩٨ / ١
- ٤٨- أحمد بن عبد الرحمن زغبوش. ٣٩٨ / ١
- ٤٩- أحقثد بن العباس. ٣٩٩ / ١
- ٥٠- أحمد بن عبد القادر. ٣٩٩ / ١
- ٥١- أحمد بن مغيث. ٣٩٩ / ١

- ٣٩٩/١ - ٥٢ - أحمد بن سعيد العميرى .
- ٤٠٠/١ - ٥٣ - أحمد بن عبد الرحمن المجاصى .
- ٤٠٠/١ - ٥٤ - أحمد بن عبد الملك البوعصامى .
- ٤٠١/١ - ٥٥ - أحمد بن على العلوى .
- ٤٠١/١ - ٥٦ - أحمد بن أحمد الحكيمى .
- ٤٠٥/١ - ٥٧ - أحمد العمرانى .
- ٤٠٥/١ - ٥٨ - أحمد المكناسى .
- ٤٠٥/١ - ٥٩ - أحمد بن عبد المالك العلوى .
- ٤٠٩/١ - ٦٠ - أحمد بن عثمان المكناسى .
- ٤١٧/١ - ٦١ - أحمد بن على العلوى .
- ٤١٧/١ - ٦٢ - أحمد بن عزوز .
- ٤١٧/١ - ٦٣ - أحمد بن محمد المزريان .
- ٤١٩/١ - ٦٤ - أحمد بن الطيب بصرى .
- ٤١٩/١ - ٦٥ - أحمد بن على السوسى .
- ٤٢٠/١ - ٦٦ - أحمد بن عبد الله بن محمد الناصرى .
- ٤٢٠/١ - ٦٧ - أحمد بن عبد الله الناصرى المقرئ .
- ٤٢١/١ - ٦٨ - أحمد بن محمد الجبلى .
- ٤٢٢/١ - ٦٩ - أحمد بن على الحسينى العلوى .
- ٤٢٤/١ - ٧٠ - أحمد بن مبارك .
- ٤٢٦/١ - ٧١ - أحمد بن الطاهر بادو .
- ٤٢٧/١ - ٧٢ - أحمد بن عمر بن العربى .
- ٤٣٠/١ - ٧٣ - أحمد بن موسى ، وفيها من الاستطرادات :

- ٤٣٠ / ١ إسقاطه وزارة الجامعيين وسبب ذلك .
- ٤٣٦ / ١ وزارته وصدارته العظمى .
- ٤٣٨ / ١ بعث السفارات لأوروبا .
- ٤٤٨ / ١ ثورة الرحمان بزعامة مبارك بن سليمان .
- ٤٥٤ / ١ عبقريته السياسية .
- ٤٥٤ / ١ أمانته .
- ٤٥٦ / ١ متخلفه وما وقع فيه .
- ٤٥٨ / ١ بعث السفارات لأوروبا ونتائج ذلك .
- ٤٦٥ / ١ ثورة أبي حمارة .
- ٤٨٠ / ١ ثورة الريسولى .
- ٤٨٢ / ١ مقتل موشان واحتلال وجدة .
- ٤٨٧ / ١ احتلال الدار البيضاء .
- ٥١٨ / ١ البيعة الحفيظية .
- ٥٢٦ / ١ ٧٤ - أحمد بن عبد القادر العرائشى .
- ٥٢٧ / ١ ٧٥ - أحمد بن سودة القاضى .
- ٥٣٤ / ١ ٧٦ - أحمد بن إدريس الخطايبى .
- ٥٣٥ / ١ ٧٧ - أحمد بن الفاطمى الإدريسى .
- ٥٣٦ / ١ ٧٨ - أحمد بن محمد بن عزوز .
- ٥٣٦ / ١ ٧٩ - أحمد بن مبارك بن عبد الله السجلماسى .
- ٥٣٧ / ١ ٨٠ - أحمد بن رحال البخارى .
- ٥٣٨ / ١ ٨١ - أحمد بن محمد بن المأمون .
- ٥٣٨ / ١ ٨٢ - أحمد الطهّارى .

- ٨٣ - أحمد بن القائد محمد الشاذلي . ٥٣٩/١
- ٨٤ - أحمد بن العالم القادري . ٥٣٩/١
- ٨٥ - أحمد بن الصديق التواتي . ٥٤٠/١
- ٨٦ - أحمد بن العربي الأمراني . ٥٤١/١
- ٨٧ - إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل . ١١/٢
- بحث في أول من ضرب السكة قبل الإسلام وبعده
وأول من ضرب السكة المركنة
- ٨٨ - إدريس المعروف بإدريس الأنور . ٢٧/٢
- ٨٩ - إدريس بن السلطان سليمان . ٣٠/٢
- ٩٠ - إدريس بن التهامي أجانا . ٣٢/٢
- ٩١ - إدريس بن الطيب منون . ٣٥/٢
- ٩٢ - إدريس بن الطيب بوعشرين . ٣٦/٢
- ٩٣ - إدريس بن أحمد بن مسامح . ٣٨/٢
- ٩٤ - إدريس بن أحمد الخطابي . ٣٩/٢
- ٩٥ - إدريس بن أحمد البخاري . ٣٩/٢
- ٩٦ - إدريس بن المكي البخاري . ٣٩/٢
- ٩٧ - إدريس بن حفيد برادة . ٤٠/٢
- ٩٨ - إدريس بن القائد محمد الفيضي . ٤١/٢
- ٩٩ - إدريس بن اليزيد المقرئ . ٤١/٢
- ١٠٠ - إدريس بن إدريس الوزير الأديب . ٤٢/٢
- ١٠١ - إدريس بن بوعزة الميسوري . ٥٢/٢
- ١٠٢ - إدريس الأمراني . ٥٣/٢

- ١٠٣ - الأمين العطار . ٦٢ / ٢
١٠٤ - إسماعيل الحسنى السلطان . ٦٣ / ٢
وفى الترجمة استطراد فى تاريخ المهديـ
٩٠ / ٢ والعرايش
٩١ / ٢ وأصيلة
٩١ / ٢ وطنجة
٩٢ / ٢
١٠٥ - أيويس المفتى . ٩٥ / ٢

(حرف الباء)

- ١٠٦ - بوسلهام بن المؤذن الخلطى . ٩٧ / ٢
١٠٧ - بوعزة بن العربى الفشار . ٩٨ / ٢
١٠٨ - بلقاسم بصرى . ١٠٠ / ١
١٠٩ - بوبكر المراكشى المفتى . ١٠١ / ٢

(حرف التاء)

- ١١٠ - التهامى بن عبد العزيز المرى . ١٠٣ / ٢
١١١ - التهامى الغيائى . ١٠٣ / ٢
١١٢ - التهامى الحمادى المطيرى . ١٠٣ / ٢
١١٣ - التهامى بن المهدي المزوار . ١١٧ / ٢
١١٤ - التهامى بن الطيب أمغار . ١٣٢ / ٢
١١٥ - التهامى أجانا . ١٣٣ / ٢
١١٦ - التهامى البورى . ١٣٣ / ٢
١١٧ - التهامى بن الحداد . ١٣٤ / ٢

(حرف الجيم)

- ١١٨ - الجيلاني بن الهاشمي . ١٣٧/٢
 ١١٩ - الجيلاني بن حم البخاري . ١٣٧/٢
 ١٢٠ - الجيلاني المدعو القصعة البخاري . ١٣٨/٢
 ١٢١ - الجيلاني بن عزوز الرحالي . ١٣٩/٢
 ١٢٢ - الجيلاني بن الباشا حم بن الجيلاني البخاري . ١٤١/٢

(حرف الحاء)

- ١٢٣ - السلطان مولاى الحسن . ١٤٥/٢
 وفى ترجمته من المباحث والتراجم:
 بيعته وحوادث سنة ١٢٩٠ ١٥٣/٢
 كيف كان تأهبه للحركة ١٦٢/٢
 قضية ابن المدنى بنيس ١٦٥/٢
 ثورة المولى سليمان الكبير ١٧٧/٢
 حوادث سنة ١٢٩١ وثورة دباغى فاس ١٨٤/٢
 ثورة بوعزى الهبرى ١٨٥/٢
 حوادث سنة ١٢٩٣ ١٨٨/٢
 واقعة غيابة وخروج السلطان لتازا ووجدة ١٩١/٢
 القبض على ابن البشير ١٩٣/٢
 حوادث سنة ١٢٩٤ ٢٠٠/٢
 عمل المولد النبوى ٢٠٩/٢
 حوادث سنة ١٢٩٥ ٢١٤/٢
 حوادث سنة ١٢٩٦ ٢٣٣/٢

٢٣٥ / ٢	حوادث سنة ١٢٩٧
٢٣٦ / ٢	حوادث سنة ١٢٩٨
٢٤٧ / ٢	حوادث سنة ١٢٩٩ وحركة موسى الأولى
٢٥٩ / ٢	حوادث سنة ١٣٠٠ ونصيحته الدينية
٢٧٨ / ٢	حوادث سنة ١٣٠١ ومسألة ماء وادي فاس
٢٨٣ / ٢	حوادث سنة ١٣٠٢
٢٨٤ / ٢	حوادث سنة ١٣٠٣ وحركة سوس الثانية
٢٩١ / ٢	حوادث سنة ١٣٠٤
٢٩٢ / ٢	حوادث سنة ١٣٠٥ وحركة بني مجيلد
٢٩٨ / ٢	واقعة آيت شخمان
٣٠٢ / ٢	حكم البغاة المحاربين
٣٠٥ / ٢	حوادث ١٣٠٦ و ١٣٠٧ وحركة الريف وتطوان وطنجة
٣٠٨ / ٢	حوادث ١٣٠٨
٣١١ / ٢	حركة تافيلالت
٣٢٢ / ٢	عدد الحركات الحسنية
٣٢٤ / ٢	علائقة السياسية والسفارة الزييدية للدول الأربع
	الكلام على بقية علائقه السياسية:
٣٧٨ / ٢	مع فرنسا
٣٩٠ / ٢	مع إسبانيا
٤١٨ / ٢	مع إيطاليا
٤٢١ / ٢	مع إنجلترا:
٤٢٤ / ٢	مع ألمانيا:

- ٤٢٧/٢ مع الدولة العثمانية
- ٤٣١/٢ مع البرتغال
- ٤٣٣/٢ مع أمريكا والبلجيك
- ٤٣٤/٢ مع البابا
- ٤٣٥/٢ ذيل فى وثائق تتعلق بقضايا مع نواب تلك الدول
- ٤٧٩/٢ مؤتمر مدريد ووفقه
- ٥٠٦/٢ ضربه السكة الحسنية
- ٥٣٩/٢ اهتمامه بالمعادن وخوضه فيها
- ٥٤٣/٢ سعيه لإدخال الفنون العصرية للمملكة المغربية وإرساله وفود الطلبة للديار الأوربية
- قيامه بصيانة حصون الثغور المغربية وجلب ما تحتاج إليه من المقومات الحربية واستخدام المتخرجين فى الهندسة من البعثة المغربية
- ٥٤٩/٢ الكلام على بقية استعداداته الحربية وذكر قوته العسكرية واهتمامه بالاطلاع على المخترعات العصرية وما كان على عهده بالعدائر والهوائى السلطانية
- ٥٦٩/٢ استعداده البحرى
- ٥٨٤/٢ ضبط أوقاته وتقسيم أيامه وترتيب نظام مملكته وذكر رجال دولته
- ٥٩٠/٢ كيفية ترتيب الملاقاة
- ٦٠٦/٢ كيفية تعمير المشور
- ٦٠٧/٢ الهيئة الرسمية وما تتألف منه
- ٦٠٨/٢ قواد الجيش العامل

٦٠٨/٢	قواد الحناطى البرانيين
٦٠٨/٢	قواد الحناطى الداخليين
٦١١/٢	ركوب السلطان للألعاب الرياضية على الخيل بنفسه
٦١٢/٢	اللباس الرسمى
٦١٣/٢	كيفية إجراء الأحكام المخزنية بدار المخزن
٦١٣/٢	كيفية ورود سفراء الدول على السلطان
٦١٣/٢	كيفية دخول ممثلى الدول من السفر
٦١٤/٢	كيفية ملاقة الأجانب مع السلطان
٦١٤/٢	كيفية تقديم هديته للسلطان
٦١٥/٢	زيارة السلطان للأولياء
٦١٥/٢	حركة السلطان من بلد إلى أخرى
٦١٦/٢	كيفية نصب الافراك ومراكز المستخدمين والجيش
٦١٧/٢	كيفية خروج السلطان يوم السفر
٦١٧/٢	كيفية نهوض السلطان من المحلة
٦١٨/٢	كيفية مسير السلطان فى السفر
٦١٨/٢	كيفية دخول السلطان للمحلة
٦١٨/٢	خروجه للأحكام فى السفر
٦١٩/٢	كيفية تموين المحلة
٦٢٠/٢	كيفية تفريق المؤنة اليومية على المحلة
٦٢٠/٢	كيفية وصول الجناوب السلطانى إلى المحل المقصود
٦٢٢/٢	العادة فى الولايم السلطانية
٦٢٢/٢	كيفية العقيقة
٦٢٣/٢	نزهة شعبانة

٦٢٣/٢ العادة فى الجنائز

٦٢٣/٢ بيان تموين الدار العالية بمكناس مياومة ومشاهرة ومسانهة

٦٢٧/٢ مشيخته

٦٢٨/٢ بناءاته

٦٢٨/٢ ما خلفه من الأولاد

٦٣١/٢ الشريقات من نسائه

٦٣١/٢ الحرائر منهم

٦٣١/٢ المطلقات منهم

٦٣١/٢ وفاته

٩/٣ ١٢٤ - الحسن بن عثمان الوُشْرِيسى .

١٠/٣ ١٢٥ - الحسن بن عطية .

١٢/٣ ١٢٦ - الحسن بن محمد السهلئ الشهير بأمكراز .

١٣/٣ ١٢٧ - الحسن بن أحمد بن حرزوز .

١٥/٣ ١٢٨ - حسن بن أحمد المكناسى .

١٥/٣ ١٢٩ - الحسن بن رحال .

١٧/٣ ١٣٠ - حمادى بن عبد الواحد الحمادى .

١٩/٣ ١٣١ - الحسن بن مبارك السوسى .

٢٠/٣ ١٣٢ - الحارث بن المفضل الحسناوى .

٢٠/٣ ١٣٣ - الحسن بن المهدي العلوى .

٢٢/٣ ١٣٤ - الحسين بن الحسن العلوى .

(حرف الخاء)

٢٣/٣ ١٣٥ - الخياط الزرهونى .

٢٥/٣ ١٣٦ - الخياط الخياطى .

٢٥ / ٣

١٣٧ - خنائة بنت بكار.

٣٤ / ٣

١٣٨ - خليل الخالدي.

(حرف الدال)

٣٩ / ٣

١٣٩ - الديبز: المجذوب.

(حرف الراء)

٤١ / ٣

١٤٠ - رشيد بن الشريف السلطان.

٥٧ / ٣

استيلاؤه على الزاوية الدلائية

٧٤ / ٣

علاقته السياسية

٨٠ / ٣

بنيائه وآثاره

٨١ /

١٤١ - راشد بن منصة الأوربي.

٨٣ / ٣

١٤٢ - رحمة بنت الجنان.

٨٣ / ٣

١٤٣ - روان أبو الروائن.

(حرف الزاي)

٨٥ / ٣

١٤٤ - زيدان السلطان السعدي.

٨٨ / ٣

١٤٥ - زين العابدين بن المولى إسماعيل.

٩١ / ٣

١٤٦ - زكرياء الفران.

٩٥ / ٣

١٤٧ - زيدان بن المولى إسماعيل.

(حرف الطاء)

٩٩ / ٣

١٤٨ - الطيب بن الشاذلي الدلائية.

١٠٠ / ٣

١٤٩ - الطيب بن عبد الرحمن ابن القاضي.

١٠١ / ٣

١٥٠ - الطيب بن محمد بصري القاضي.

١٠١ / ٣

١٥١ - الطيب بصري المكناسي.

١٠٢ / ٣

١٥٢ - الطيب بن علي القادري.

- ١٥٣ - الطيب بن إبراهيم بسير. ١٠٤/٣
- ١٥٤ - الطيب بن أحمد غازي. ١١١/٣
- ١٥٥ - الطيب البيجري. ١١٤/٣
- ١٥٦ - الطيب الزكاري. ١١٤/٣
- ١٥٧ - الطيب الفيلاي. ١١٤/٣
- ١٥٨ - الطيب بن عبد الرحمن كدران. ١١٥/٣
- ١٥٩ - الطيب الحناش. ١١٥/٣
- ١٦٠ - الطيب بن عبد السلام الواستري. ١١٥/٣
- ١٦١ - الطيب بن عبد الرحمن زغبوش. ١١٨/٣
- ١٦٢ - الطيب بن محمد فتحا بن بصرى. ١١٩/٣
- ١٦٣ - الطيب بن اليماني بن أحمد بوعشرين. ١٢٠/٣
- ١٦٤ - الطيب بن إدريس بن الفضيل. ١٢٤/٣
- ١٦٥ - الطالب بن عبد الواحد البوعناني. ١٢٤/٣
- ١٦٦ - الطاهر بن عثمان المكناسي. ١٢٦/٣
- ١٦٧ - الطاهر بن محمد بن المكي. ١٢٦/٣
- ١٦٨ - الطاهر بن الحاج الهادي بن العناية. ١٢٧/٣
- ١٦٩ - الطاهر بن الهادي بن أحمد المجذوب. ١٤٣/٣
- ١٧٠ - الطيب بن العناية بَنُونَة. ١٤٣/٣
- ١٧١ - الطيب بن عبد الله الإسماعيلي. ١٤٤/٣

(حرف الكاف)

- ١٧٢ - الكمال بن أبي زيد. ١٤٧/٣
- ١٧٣ - الكامل بن عبد الله بن الطاهر بن محمد. ١٤٨/٣

(حرف الميم)

- ١٧٤ - مبارك بن سالم الشيطمي . ١٥٥ / ٣
- ١٧٥ - مبارك بن عبد الله الفيضى . ١٥٦ / ٣
- ١٧٦ - محمد بن الشريف العلوى السلطان . ١٥٩ / ٣
- الكلام فى الإمامة والخلافة ١٦٦ / ٣
- ١٧٧ - محمد بن عربية السلطان . ١٧١ / ٣
- ١٧٨ - محمد بن عبد الله السلطان . ١٧٩ / ٣
- مولده وشيوخه وحجته ١٧٩ / ٣
- صفته وحاله ١٧٩ / ٣
- خلافته بمراكش ١٨٤ / ٣
- بيعته ، وبعض حوادث أيامه ١٨٦ / ٣
- حوادث سنة ١١٧٣ ١٩٣ / ٣
- حوادث سنة ١١٧٤ ١٩٣ / ٣
- حوادث سنة ١١٧٥ ١٩٦ / ٣
- حوادث سنة ١١٧٦ ١٩٧ / ٣
- حوادث سنة ١١٧٧ ١٩٧ / ٣
- حوادث سنة ١١٧٨ ١٩٨ / ٣
- حوادث سنة ١١٧٩ ١٩٩ / ٣
- حوادث سنة ١١٨٠ ٢٠٠ / ٣
- حوادث سنة ١١٨١ ٢٠٠ / ٣
- محبه للعلم واعتناؤه بأهله ٢١٨ / ٣
- اختياراته المذهبية وما رأى من المصلحة حمل القضاة والمدرسين
عليه ٢٢٤ / ٣

٢٥٣/٣	نصيحته للأمة
٢٦٣/٣	عطاياه وأحباسه
٢٧٩/٣	شعب الأدارسة
٢٩٣/٣	التراتب والمداخيل المالية فى عهده
٢٩٨/٣	اهتمامه بالأساطيل البحرية
٣١٢/٣	علاقته السياسية مع فرنسا
٣٢٣/٣	مع السويد
٣٣٢/٣	مع الدنمرك
٣٣٩/٣	مع البرتغال
٣٤٩/٣	مع الدولة العثمانية
٣٦٠/٣	مع إسبانيا
٣٧٢/٣	مع مالطة
٣٧٦/٣	مع نابولى
٣٨٢/٣	فتوحاته
٣٨٢/٣	آثاره
٣٨٦/٣	سككه
٣٨٩/٣	قضاته
٣٩١/٣	وزراؤه
٣٩١/٣	كتابه
٣٩٢/٣	شعراؤه
٤٠١/٣	سفراؤه
٤٠٢/٣	عماله
٤٠٣/٣	نقباؤه على الأشراف

٤٠٦/٣	نظاره
٤١٤/٣	أولاده
٤١٣/٣	مؤلفاته
٤٢٠/٣	وفاته
٤٢٣/٣	١٧٩ - محمد بن عبد الرحمن السلطان.
٤٣٦/٣	بعض ما قام به من الأعمال
٤٦١/٣	حرب تطوان
٥٥٨/٣	علاقته السياسية مع الدولة الإسبانية
٥٩٨/٣	مع الدولة الفرنسية
٦١٣/٣	مع الدولة الأمريكية
٦١٥/٣	ذيول ذلك
٦٣٠/٣	حساب الموازنة والدفاتر المالية في عصره
٦٤١/٣	آثاره
٦٥٦/٣	كيف كان نهوض ركابه
٦٥٦/٣	وزراؤه
٦٥٧/٣	حاجبه وقائده مشوره
٦٥٧/٣	كتابه
٦٥٧/٣	سفراؤه
٦٥٧/٣	خلفاؤه
٦٥٨/٣	نوابه بطنجة
٦٥٨/٣	قضاته
٦٥٨/٣	نظاره
٦٥٨/٣	محتسبوه

٦٥٨/٣	نقباؤه
٦٥٩/٣	عماله
٦٥٩/٣	قواده
٦٥٩/٣	أمنائه
٦٦٠/٣	أولاده
٦٦٢/٣	بعض ما قيل فيه من المديح
٦٦٥/٣	وفاته
٦٦٥/٣	١٨٠- محمد بن عيسى الصدفى .
٦٦٦/٣	١٨١- محمد بن حماد زغبوش .
٦٦٧/٣	١٨٢- محمد بن عبدون .
٦٦٨/٣	١٨٣- محمد بن أحمد بن أبى العافية .
٦٦٩/٣	١٨٤- محمد بن قاسم الملقى .
٦٦٩/٣	١٨٥- محمد بن ورياش .
٦٧٠/٣	١٨٦- محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن الحداد .
٦٧١/٣	١٨٧- محمد بن أبى الفضل بن الصباغ .
٦٧٤/٣	١٨٨- محمد بن أحمد بن أبى عفيف .
٦٧٥/٣	١٨٩- محمد بن أحمد الحسنى .
٦٧٥/٣	١٩٠- محمد بن موسى العبدوسى .
٦٧٦/٣	١٩١- محمد بن عمر بن الفتوح التلمسانى .
٦٧٨/٣	١٩٢- محمد بن سعيد المكلاتى .
٦٧٨/٣	١٩٣- محمد المكناسى .
٦٧٨/٣	١٩٤- محمد بن أبى غالب بن أحمد عرف بابن السكاك .
٦٨٠/٣	١٩٥- محمد بن أحمد بن عبد الرحمن اليفرنى .

- ١٩٦ - محمد بن يحيى بن جابر الغساني . ٦٨٠ / ٣
- ١٩٧ - محمد بن أحمد التلمساني شهر بالحباك . ٦٨٦ / ٣
- ١٩٨ - محمد بن قاسم بن محمد القورى . ٦٨٦ / ٣
- ١٩٩ - محمد القطراني . ٦٨٨ / ٣
- ٢٠٠ - محمد بن أبي البركات الحسنى . ٦٨٩ / ٣
- ٢٠١ - محمد بن سعيد القيجميسى . ٦٨٩ / ٣
- ٢٠٢ - محمد بن عيسى بن حرزوز . ٦٨٩ / ٣
- ٢٠٣ - محمد بن عبد العزيز المعروف بالحاج . ٦٨٩ / ٣
- ٢٠٤ - محمد بن على بن أبي رمانة . ٦٩٠ / ٣
- ٢٠٥ - محمد بن عبد الله بن محمد اليفرنى . ٦٩١ / ٣
- ٢٠٦ - محمد بن أحمد بن غازى العثماني . ٧ / ٤
- ٢٠٧ - محمد فتحا بن عيسى الفهدى السفيناني . ٢٠ / ٤
- ٢٠٨ - محمد بن مخلوف الضريسى المكناسى . ٣١ / ٤
- ٢٠٩ - محمد بن قاسم الكتانى الحسنى . ٣١ / ٤
- ٢١٠ - محمد بن أبي القاسم بن أبي العافية . ٣٢ / ٤
- ٢١١ - محمد بن محمد بن غازى الملقب غازى . ٣٤ / ٤
- ٢١٢ - محمد بن حسين العبدلى السهلئ شهر بأبى الرواين . ٣٥ / ٤
- ٢١٣ - محمد بن قاسم بن أبي العافية الشهير بابن القاضي . ٣٩ / ٤
- ٢١٤ - محمد بن محمد بن أبي العافية الشهير بابن القاضي . ٣٩ / ٤
- ٢١٥ - محمد بن عبد الرحمن بن بصرى المعروف بسيدى بصرى . ٤٠ / ٤
- ٢١٦ - محمد بن فتحا بن أبي المحاسن . ٤٦ / ٤
- ٢١٧ - محمد فتحا بن محمد المدعو العشير . ٤٧ / ٤
- ٢١٨ - محمد الوقاد المكناسى . ٤٧ / ٤

- ٢١٩- محمد بن أحمد التلمساني يعرف بابن الوقاد. ٤٨/٤
- ٢٢٠- محمد بن قاسم الأنصاري الشهير بابن قاسم. ٥٠/٤
- ٢٢١- محمد بن محمد الغماري. ٥١/٤
- ٢٢٢- محمد بن مبارك الزعري. ٥١/٤
- ٢٢٣- محمد السبع بن عبد الرحمن المجذوب. ٥٢/٤
- ٢٢٤- محمد بن أبي القاسم بن أبي العافية الشهير بابن القاضي. ٥٣/٤
- ٢٢٥- محمد بن أحمد بن عزون. ٥٣/٤
- ٢٢٦- محمد بن أحمد بن عزوز. ٥٣/٤
- ٢٢٧- محمد بن أحمد الصباغ البوعقيلي. ٥٤/٤
- ٢٢٨- محمد فتحا بن أحمد بن يوسف الفاسي. ٥٥/٤
- ٢٢٩- محمد العرائشي. ٥٦/٤
- ٢٣٠- محمد الغماري. ٥٧/٤
- ٢٣١- محمد بن يحيى بن جابر الغساني. ٥٩/٤
- ٢٣٢- محمد بن الحسن المجاصي. ٦٠/٤
- ٢٣٣- محمد بن أحمد المزطاري. ٦٩/٤
- ٢٣٤- محمد بن محمد العناية. ٧٠/٤
- ٢٣٥- محمد بن عمر السجلماسي. ٧٠/٤
- ٢٣٦- محمد البصري. ٧١/٤
- ٢٣٧- محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بصري المقرئ. ٧١/٤
- ٢٣٨- محمد بن محمد القيسي. ٧٦/٤
- ٢٣٩- محمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني. ٧٧/٤
- ٢٤٠- محمد بن المولى إسماعيل. ٧٨/٤
- ٢٤١- محمد بن أبي القاسم عليلش. ١٠٣/٤

- ٢٤٢ - محمد بن أبي مدين السوسى . ١٠٤/٤
- ٢٤٣ - محمد بن عبد الرحمن الشاوى المعزوى . ١٠٧/٤
- ٢٤٤ - محمد بن محمد العكارى . ١١٥/٤
- ٢٤٥ - محمد بن العربى الغمارى . ١١٨/٤
- ٢٤٦ - محمد الحاج ابن عبد القادر التستاوتى . ١١٨/٤
- ٢٤٧ - محمد بن محمد بن عبد الرحمن بصرى . ١١٨/٤
- ٢٤٨ - محمد بن العياشى الوزير . ١١٩/٤
- ٢٤٩ - محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن يوسف الفاسى . ١٢٨/٤
- ٢٥٠ - محمد المكناسى . ١٢٩/٤
- ٢٥١ - محمد بن أحمد الیحمدي الوزير . ١٣٠/٤
- ٢٥٢ - محمد حنوش أبوشكال . ١٤٣/٤
- ٢٥٣ - محمد بن على العفّانى . ١٤٣/٤
- ٢٥٤ - محمد البوعصامى الأديب . ١٤٤/٤
- ٢٥٥ - محمد بن مصالة الفازازى . ١٤٦/٤
- ٢٥٦ - محمد الطيب سكيرج . ١٤٦/٤
- ٢٥٧ - محمد البوعصامى الفقير . ١٥٤/٤
- ٢٥٨ - محمد البهلولى البوعصامى . ١٥٥/٤
- ٢٥٩ - محمد بن عبد السلام البيجرى . ١٦٠/٤
- ٢٦٠ - محمد بن الحسن الجنوى . ١٦٣/٤
- ٢٦١ - محمد بن محمد بن عبد السلام البيجرى . ١٦٩/٤
- ٢٦٢ - محمد بن عبد الواحد بن الشيخ الأموى . ١٧٣/٤
- ٢٦٣ - محمد بن الحسن الوكيلى . ١٧٤/٤
- ٢٦٤ - محمد بن محمد بصرى . ١٧٦/٤

- ٢٦٥ - محمد بن الطيب بصرى . ١٩١/٤
- ٢٦٦ - محمد بن عثمان السفير . ١٩٢/٤
- ٢٦٧ - محمد بن قاسم بن حَلَّام . ٢٠١/٤
- ٢٦٨ - محمد بن عبد القادر الزرهونى . ٢٠٢/٤
- ٢٦٩ - محمد بن العربى الزمورى . ٢٠٥/٤
- ٢٧٠ - محمد بن عبد الرحمن بن هنو اليازغى . ٢٠٥/٤
- ٢٧١ - محمد بن أحمد بن الكبير العوفى . ٢٠٩/٤
- نسب آل ابن سودة ٢١٤/٤
- ٢٧٢ - محمد بن الكبير العوفى . ٢١٥/٤
- ٢٧٣ - محمد الرهونى المدعو بركشة . ٢١٥/٤
- ٢٧٤ - محمد بن عبد الوهاب أجانا . ٢٢٠/٤
- ٢٧٥ - محمد بن عمر الصنهاجى . ٢٢٠/٤
- ٢٧٦ - محمد بن حمادى الصنهاجى . ٢٢٠/٤
- ٢٧٧ - محمد السلوى الوزير . ٢٢٠/٤
- ٢٧٨ - محمد الزرهونى الكاتب . ٢٢١/٤
- ٢٧٩ - محمد بن الطاهر بن محمد البوسلامى الوزير . ٢٢١/٤
- ٢٨٠ - محمد بن منصور الفويسى . ٢٢٣/٤
- ٢٨١ - محمد بن الطيب الشريف الحسنى العلوى . ٢٢٣/٤
- ٢٨٢ - محمد بن إدريس الوزير . ٢٢٣/٤
- ٢٨٣ - محمد بن على بن حرزهم . ٢٨١/٤
- ٢٨٤ - محمد بن عبد الله الأمرانى . ٢٨٢/٤
- ٢٨٥ - محمد بن العربى الصنهاجى . ٢٨٤/٤
- ٢٨٦ - محمد بن الهادى غريط . ٢٨٥/٤

- ٢٨٧ - محمد بن عبد السلام بن عبود . ٢٩٠ / ٤
- ٢٨٨ - محمد بن محمد بن عبد الله غريط الوزير . ٢٩٢ / ٤
- ٢٨٩ - محمد أمزاج . ٢٩٨ / ٤
- ٢٩٠ - محمد بن هاشم العلوى . ٢٩٩ / ٤
- ٢٩١ - محمد بن محمد التهامى . ٣٠٠ / ٤
- ٢٩٢ - محمد بن الهادى بن عبود . ٣٠٢ / ٤
- ٢٩٣ - محمد العياشى . ٣٠٣ / ٤
- ٢٩٤ - محمد بن المجذوب بن عزوز . ٣٠٤ / ٤
- ٢٩٥ - محمد بن محمد المصمودى . ٣٠٥ / ٤
- ٢٩٦ - محمد بن الهادى الشريف الحسنى العلوى . ٣٠٦ / ٤
- ٢٩٧ - محمد بن محمد بن العناية بن فقيرة . ٣٠٦ / ٤
- ٢٩٨ - محمد بن محمد بن محمد بن فقيرة . ٣٠٧ / ٤
- ٢٩٩ - محمد الأمرانى . ٣٠٧ / ٤
- ٣٠٠ - محمد الزهنى . ٣٠٨ / ٤
- ٣٠١ - محمد الأمرانى البيصارة . ٣٠٩ / ٤
- ٣٠٢ - محمد بن على النيار . ٣٠٩ / ٤
- ٣٠٣ - محمد بن محمد بن الجيلانى السقاط . ٣٠٩ / ٤
- ٣٠٤ - محمد بن عبد الله الغريسي . ٣١١ / ٤
- ٣٠٥ - محمد الخرزة . ٣١٢ / ٤
- ٣٠٦ - محمد بن عبد الله بن محمد العلوى الإسماعيلى . ٣١٢ / ٤
- ٣٠٧ - محمد بن المعطى المسطارى . ٣١٣ / ٤
- ٣٠٨ - محمد بن إدريس الواسترى . ٣١٧ / ٤
- ٣٠٩ - محمد بن الخليفة التونسى المعروف بالرقاع . ٣١٧ / ٤

- ٣١٠ - محمد بن العربي المنونى . ٣٢١/٤
- ٣١١ - محمد بن أحمد السوسى . ٣٢٣/٤
- ٣١٢ - محمد بن محمد المنونى . ٣٢٣/٤
- ٣١٣ - محمد بن زيدان . ٣٢٤/٤
- ٣١٤ - محمد السوسى أبو عبد الله . ٣٢٥/٤
- ٣١٥ - محمد الريفى أبو عبد الله . ٣٢٦/٤
- ٣١٦ - محمد بن الهادى فرموج . ٣٢٧/٤
- ٣١٧ - محمد بن المهدي المنونى . ٣٢٧/٤
- ٣١٨ - محمد بن عمر العلوى المدغرى . ٣٢٩/٤
- ٣١٩ - محمد بن محمد بن هاشم العلوى . ٣٢٩/٤
- ٣٢٠ - محمد القصرى العبدرى . ٣٣١/٤
- ٣٢١ - محمد بن عبد الواحد الشيبهى . ٣٣٢/٤
- ٣٢٢ - محمد بن محمد الأمرانى . ٣٣٥/٤
- ٢٢٣ - محمد بن العباس . ٣٤٣/٤
- ٣٢٤ - محمد بن أحمد حلام . ٣٤٤/٤
- ٣٢٥ - محمد منصور المَشْرَائى . ٣٤٥/٤
- ٣٢٦ - محمد بن على بن الكبير العلوى . ٣٤٧/٤
- ٣٢٧ - محمد بن عبد السلام الطاهرى . ٣٤٨/٤
- ٣٢٨ - محمد بن حمدوش . ٣٤٩/٤
- ٣٢٩ - محمد بن إدريس البوعنانى . ٣٤٩/٤
- ٣٣٠ - محمد الرجراجى . ٣٥٠/٤
- ٣٣١ - محمد بن محمد بن العربى . ٣٥٠/٤
- ٣٣٢ - محمد بن عبد الله الوزانى . ٣٥١/١

- | | |
|-------|-------------------------------------|
| ٣٥١/٤ | ٣٣٣ - محمد بن أحمد الوزاني . |
| ٣٥٢/٤ | ٣٣٤ - محمد اليزناسني . |
| ٣٥٢/٤ | ٣٣٥ - محمد غازي . |
| ٣٥٢/٤ | ٣٣٦ - محمد القباب . |
| ٣٥٢/٤ | ٣٣٧ - محمد بن عزوز . |
| ٣٥٢/٤ | ٣٣٨ - محمد الغماري . |
| ٣٥٢/٤ | ٣٣٩ - محمد الإسحاقى . |
| ٣٥٢/٤ | ٣٤٠ - محمد دادوش . |
| ٣٥٢/٤ | ٣٤١ - محمد الزرهوني . |
| ٣٥٣/٤ | ٣٤٢ - محمد الزولاتي . |
| ٣٥٣/٤ | ٣٤٣ - محمد الجراري . |
| ٣٥٣/٤ | ٣٤٤ - محمد اقلال . |
| ٣٥٣/٤ | ٣٤٥ - محمد المطاعى . |
| ٣٥٣/٤ | ٣٤٦ - محمد البوعصامى . |
| ٣٥٣/٤ | ٣٤٧ - محمد بن محمد البوعصامى . |
| ٣٥٣/٤ | ٣٤٨ - محمد مخلوف . |
| ٣٥٣/٤ | ٣٤٩ - مالك بن العناية الغرباوى . |
| ٣٥٤/٤ | ٣٥٠ - المختار بن الحاج الأجرأوى . |
| ٣٥٦/٤ | ٣٥١ - المختار بن عبد الله الصدر . |
| ٣٥٨/٤ | ٣٥٢ - المكى بن أبى القاسم العميرى . |
| ٣٥٩/٤ | ٣٥٣ - المكى بن المختار الحناش . |
| ٣٦١/٤ | ٣٥٤ - المكى بن أحمد السوسى . |
| ٣٦١/٤ | ٣٥٥ - المكى أبو زكرى . |

- ٣٥٦ - منانة مزوارة. ٣٦١/٤
- ٣٥٧ - المصطفى بن محمد الكبير العلوى. ٣٦٢/٤
- ٣٥٨ - المعطى بن العناية الغربوى. ٣٦٤/٤
- ٣٥٩ - المعطى الشاوى. ٣٦٤/٤
- ٣٦٠ - المعطى بن محمد بن الهادى بن عبود. ٣٦٦/٤
- ٣٦١ - مغيث زغبوش. ٣٦٧/٤
- ٣٦٢ - المفضل الفلوسى الزرهونى. ٣٦٨/٤
- ٣٦٣ - المفضل بصرى. ٣٦٩/٤
- ٣٦٤ - المفضل بن عزوز. ٣٦٩/٤
- ٣٦٥ - المفضل السوسى. ٣٨٠/٤
- ٣٦٦ - المستضىء السلطان. ٣٨٥/٤
- ٣٦٧ - مَسْلَمَة السلطان. ٤٠٠/٤
- ٣٦٨ - مسعود الطليطى الموقت الأندلسى. ٤٠٧/٤
- ٣٦٩ - مسعود بن جلون. ٤٠٨/٤
- ٣٧٠ - مسعود البريشى. ٤٠٩/٤
- ٣٧١ - المهدي الزريهنى. ٤٠٩/٤
- ٣٧٢ - المهدي بن عبد المالك العلوى. ٤٠٩/٤
- ٣٧٣ - المهدي الكحاك. ٤١٠/٤
- ٣٧٤ - المهدي بن الطيب بصرى. ٤١١/٤
- ٣٧٥ - المهدي بن الطالب بن محمد فتحا. ٤١١/٤
- ٣٧٦ - المهدي بن على الإسماعيلى. ٤١٨/٤
- ٣٧٧ - المهدي بن فضول بصرى. ٤٢٠/٤
- ٣٧٨ - موسى بن محمد بن معطى العبدوسى. ٤٢٠/٤

- ٣٧٩ - موسى العزاف . ٤٢٢/٤
 ٣٨٠ - موسى بن الحجاج . ٤٢٢/٤
 ٣٨١ - موسى بن على الزرهوني . ٤٢٢/٤
 ٣٨٢ - موسى بن أحمد بن مبارك الوزير . ٤٢٣/٤
 ٣٨٣ - الموهوب بن الإدريس الشبيهي . ٤٣٦/٤
 ٣٨٤ - المؤذن الكاتب . ٤٣٦/٤

(حرف الصاد)

- ٣٨٥ - صالح الحكمي . ٤٣٩/٤
 ٣٨٦ - صالح الحلموني . ٤٤٤/٤
 ٣٨٧ - صالح بن يوسف البخاري . ٤٤٥/٤
 ٣٨٨ - الصديق البخاري الأجرأوى . ٤٤٥/٤

(حرف العين)

- ٣٨٩ (أ) - المولى عبد الله السلطان . ٤٤٩/٤
 بحث اجتماعي ٥٣٢/٤
 خلفاؤه ٥٤٣/٤
 حجابيه ٥٤٣/٤
 أطباؤه ٥٤٣/٤
 عماله ٥٤٣/٤
 قضائه ٥٤٥/٤
 محتسبوه ٥٤٥/٤
 نظاره ٥٤٥/٤
 آثاره ٥٤٦/٤
 ما خلفه من الأولاد ٥٤٦/٤

- وفاته ٥٤٦/٤
- بعض ما قيل فيه من المديح ٥٤٧/٤
- علاقته السياسية ٥٤٩/٤
- ٣٨٩ (ب) - عبد الله بن عمر الحضرمي. ٥٥٧/٤
- ٣٩٠ - عبد الله بن حماد زغبوش. ٥٥٧/٤
- ٣٩١ - عبد الله التادلي. ٥٥٩/٤
- ٣٩٢ - عبد الله بن أبي مدين الحاجب. ٥٦٠/٤
- ٣٩٣ - عبد الله بن الحسن اللخمي عرف بابن الأصفر. ٥٦٢/٤
- ٣٩٤ - عبد الله بن حمد. ٥٦٣/٤
- ٣٩٥ - عبد الله بن العريف. ٥٦٦/٤
- ٣٩٦ - عبد الله بن محمد بن معطى العبدوسى. ٥٦٧/٤
- ٣٩٧ - عبد الله بن محمد اليقرنى. ٥٦٩/٤
- ٣٩٨ - عبد الله الخياط. ٥٦٩/٤
- ٣٩٩ - عبد الله بن إبراهيم بن الجندوز. ٥٧٢/٤
- ٤٠٠ - عبد الله بن أحمد، ابن القاضى. ٥٧٣/٤
- ٤٠١ - عبد الله مولى الرئيس ابن حكم. ٥٧٣/٤
- ٤٠٢ - عبد الله بن على المعروف بالحجام الصبيحى. ٥٧٤/٤
- ٤٠٣ - عبد الله الجزار. ٥٧٥/٤
- ٤٠٤ - عبد الله بن محمد الحاج الدلائى. ٥٧٧/٤
- ٤٠٥ - عبد الله القصرى. ٥٧٩/٤
- ٤٠٦ - عبد الله بن محمد الخياط. ٥٨٠/٤
- ٤٠٧ - عبد الله بن العرفاوى. ٥٨٢/٤
- ٤٠٨ - عبيد المظلوم. ٥٨٣/٤

- ٤٠٩ - عبد الحق بن سعيد المكناسي . ٥٨٣/٤
- ٤١٠ - عبد الحق الزرهوني . ٥٨٤/٤
- ٤١١ - عبد الحق السحيمي . ٥٨٥/٤
- ٤١٢ - عبد الرحمن بن هشام . ٧/٥
- ولادته وحاله ٧/٥
- اهتمامه بأمور الدين ١٠٩/٥
- اعتناؤه بنشر العلم ١٣٩/٥
- تبرعاته وأوقافه ١٤٤/٥
- استعداده البحري ١٥٧/٥
- علاقته السياسية ١٨٠/٥
- خلفاؤه ووزرائه ٢٧١/٥
- كتابه ٢٧١/٥
- قضاته ٢٧٢/٥
- قواد مشوره وقواد المسخرين وعماله ٢٧٤ ، ٢٧٣/٥
- أمنائه - محتسبوه - نظاره ٢٧٧/٥
- بناءاته وآثاره ٢٨٢/٥
- نساؤه الحرائر والشريفات ٢٨٩/٥
- ما خلفه من البنين والبنات ٢٩٠/٥
- بعض ما قيل فيه من المديح ٢٩٦/٥
- وفاته ٣٣١/٥
- ٤١٣ - عبد الرحمن الكاواني . ٣٣٢/٥
- ٤١٤ - عبد الرحمن بن أحمد القرموني . ٣٣٣/٥
- ٤١٥ - عبد الرحمن المجذوب . ٣٣٤/٥

- ٤١٦ - عبد الرحمن بن أحمد الوقاد. ٣٣٦/٥
- ٤١٧ - عبد الرحمن بن قاسم أعراب. ٣٣٧/٥
- ٤١٨ - عبد الرحمن بن أحمد بن عزون. ٣٣٧/٥
- ٤١٩ - عبد الرحمن بن أحمد المحجوب. ٣٣٨/٥
- ٤٢٠ - عبد الرحمن بن الحسن اليازغى. ٣٤٠/٥
- ٤٢١ - عبد الرحمن كدران. ٣٤٣/٥
- ٤٢٢ - عبد الرحمن بن عبد القادر الشَّيْهِي. ٣٤٣/٥
- ٤٢٣ - عبد الرحمن بن محمد الفاسى الشاوى. ٣٤٣/٥
- ٤٢٤ - عبد الرحمن بن أحمد دادى الزرهونى. ٣٤٦/٥
- ٤٢٥ - عبد الرحمن بن محمد بصرى. ٣٤٦/٥
- ٤٢٦ - عبد الرحمن بن على بن زيدان. ٣٤٧/٥
- ٤٢٧ - عبد الرحمن بن التهامى الإدريسى الزرهونى. ٣٥١/٥
- ٤٢٨ - عبد الرحمن القرشى. ٣٥٢/٥
- ٤٢٩ - عبد الرحمن التاغى. ٣٥٢/٥
- ٤٣٠ - عبد الرافع بن مسعود بن عبود. ٣٥٢/٥
- ٤٣١ - عبد الكريم بن محمد الحسنى العلوى. ٣٥٣/٥
- ٤٣٢ - عبد الكريم الوزانى. ٣٥٣/٥
- ٤٣٣ - عبد المالك السلطان بن السلطان إسماعيل. ٣٥٦/٥
- اعتباره لمن يشار له بخير
علاقته السياسية
- ٤٣٤ - عبد الملك البوعصامى. ٣٦٩/٥
- ٤٣٥ - عبد الملك بن محمد الحسنى. ٣٧١/٥
- ٤٣٦ - عبد المالك بن عبد السلام بن السلطان محمد بن عبد الله. ٣٧٢/٥
- ٣٧٣/٥

- ٣٧٦/٥ - عبد المالك بن السلطان عبد الرحمن .
٣٧٩/٥ - عبد النبي الشاوي .
٣٧٩/٥ - عبد العزيز الملزوزي .
٣٨٠/٥ - عبد العزيز بن محمد اليفرنى .
٣٨٠/٥ - عبد العزيز بن أبى العافية الشهير بابن القاضي .
٣٨٠/٥ - عبد العزيز المكناسى المدنى .
٣٨١/٥ - عبد القادر الجوطى الحسنى .
٣٨٢/٥ - عبد القادر المدغرى المعروف بابن شقرون .
٣٩٣/٥ - عبد القادر الجيلانى .
٣٩٤/٥ - عبد القادر الشاوي .
٣٩٥/٥ - عبد القادر بن محمد بن عبد المالك العلوى .
٣٩٧/٥ - عبد القادر بن الحران الحسنى .
٣٩٧/٥ - عبد القادر بن عبد الرحمن الفاسى .
٣٩٩/٥ - عبد القادر العلمى .
٤٠٤/٥ أجزاله
٤١٨/٥ - عبد القادر بن عبد الله ، سقط .
٤١٩/٥ - عبد القادر بن عبد الرحمن بن زيدان .
٤٢٠/٥ - عبد القادر بن على الحسنى العلوى .
٤٢١/٥ - عبد القادر بن المعطى بن العناية .
٤٢٢/٥ - عبد السلام ابن الشاذلى الدلائى .
٤٢٣/٥ - عبد السلام بن محمد الدلائى المسناوى .
٤٢٤/٥ - عبد السلام البيجرى .
٤٢٥/٥ - عبد السلام بن أبى يعزى .

- ٤٥٩ - عبد السلام الرامى الزرهونى . ٤٢٩/٥
- ٤٦٠ - عبد السلام بن الحاج محمد بن عمرو . ٤٢٩/٥
- ٤٦١ - عبد السلام بن محمد التازى . ٤٣٠ /٥
- ٤٦٢ - عبد السلام بن فتحا الأمرانى . ٤٣٨/٥
- ٤٦٣ - عبد السلام المحب الإسماعيلى . ٤٤٦/٥
- ٤٦٤ - عبد الهادى بن عبد المالك العلوى . ٤٦١/٥
- ٤٦٥ - عبد الهادى الفيلالى . ٤٦٢/٥
- ٤٦٦ - عبد الواحد بن على الكتانى . ٤٦٢/٥
- ٤٦٧ - عبد الواحد بن على منون . ٤٦٣/٥
- ٤٦٨ - عبد الواحد بن عبد الرحمن الشيهى . ٤٦٣/٥
- ٤٦٩ - عبد الواحد الدريالى . ٤٦٤/٥
- ٤٧٠ - عبد الواحد بن حمادى العلوى . ٤٦٤/٥
- ٤٧١ - عبد الواحد بن محمد ابن فقيرة . ٤٦٤/٥
- ٤٧٢ - عبد الوهاب بن محمد بن الشيخ . ٤٦٧/٥
- ٤٧٣ - عبد الوهاب العرائشى . ٤٦٨/٥
- ٤٧٤ - عبد الوهاب بن أحمد بن عمران . ٤٦٩/٥
- ٤٧٥ - عبد الوهاب بن أحمد أدراق . ٤٧٠ /٥
- ٤٧٦ - عبد الوهاب أجانا . ٤٧٨/٥
- ٤٧٧ - العباس بن محمد بن كيران . ٤٧٩/٥
- ٤٧٨ - العباس بن السلطان عبد الرحمن . ٤٨٣/٥
- ٤٧٩ - العباس بن الهادى فرموج . ٤٩٥/٥
- ٤٨٠ - عثمان بن عبد الواحد اللمطى . ٤٩٨/٥
- ٤٨١ - العربى بن محمد بصرى . ٤٩٩/٥

- ٤٨٢ - العربى بن مسعود بصرى . ٥٠٠ / ٥
- ٤٨٣ - العربى بن على القسمطينى . ٥٠٠ / ٥
- ٤٨٤ - العربى بن أبى فارس ابن ولد عريية . ٥٠٢ / ٥
- ٤٨٥ - العربى بن عامر . ٥٠٢ / ٥
- ٤٨٦ - العربى بن الطاهر بصرى . ٥٠٢ / ٥
- ٤٨٧ - العربى بن السائح العمرى . ٥٠٣ / ٥
- ٤٨٨ - العربى بادو . ٥١٣ / ٥
- ٤٨٩ - العربى بن على بن فارس العلوى . ٥١٣ / ٥
- ٤٩٠ - العربى العلمى الموساوى . ٥١٣ / ٥
- ٤٩١ - العربى بن شمسى . ٥١٥ / ٥
- ٤٩٢ - على الأعرج بن إسماعيل . ٥١٨ / ٥
- ٤٩٣ - على بن حمود . ٥٢٥ / ٥
- ٤٩٤ - على بن عيسى بن دافال . ٥٢٦ / ٥
- ٤٩٥ - على بن مزاحم . ٥٢٦ / ٥
- ٤٩٦ - على بن عبد الرحمن اليفرنى . ٥٢٧ / ٥
- ٤٩٧ - على بن موسى الكتانى . ٥٢٧ / ٥
- ٤٩٨ - على بن محمد منون . ٥٢٨ / ٥
- ٤٩٩ - على بن هارون . ٥٢٩ / ٥
- ٥٠٠ - على بن محمد بن عبد الرحمن الأقاوى . ٥٢٩ / ٥
- ٥٠١ - على بن محمد بن أبى الفضل بن العافية . ٥٣١ / ٥
- ٥٠٢ - على بن سعيد المكناسى . ٥٣١ / ٥
- ٥٠٣ - على بن يشو . ٥٣٢ / ٥
- ٥٠٤ - على الزرهونى الدشيش . ٥٣٢ / ٥

- ٥٠٥ - علي بن حبق . ٥٣٢ / ٥
- ٥٠٦ - علي بن عمر . ٥٣٣ / ٥
- ٥٠٧ - علي بن حماد زغبوش . ٥٣٣ / ٥
- ٥٠٨ - علي بن إبراهيم الخياط . ٥٣٣ / ٥
- ٥٠٩ - علي بن قاسم الوقاد . ٥٣٤ / ٥
- ٥١٠ - علي الزرهوني . ٥٣٥ / ٥
- ٥١١ - علي بن أحمد المكناسي . ٥٣٥ / ٥
- ٥١٢ - علي بن عمر ابن العربي . ٥٣٥ / ٥
- ٥١٣ - علي بن حمدوش . ٥٣٦ / ٥
- ٥١٤ - علي بن سعيد العميري . ٥٥٢ / ٥
- ٥١٥ - علي بن عبد الرحمن بن عبود . ٥٥٣ / ٥
- ٥١٦ - علي بن صابنة البخاري . ٥٥٥ / ٥
- ٥١٧ - علي بن زيدان . ٥٥٥ / ٥
- ٥١٨ - علي بن صالح . ٥٥٨ / ٥
- ٥١٩ - علي بن محمد المسفيوي . ٥٥٩ / ٥
- ٥٢٠ - علي بن الشاد الأمرائي . ٥٦١ / ٥
- ٥٢١ - عمر بن عثمان الونشريسي . ٥٦٢ / ٥
- ٥٢٢ - عمر الحراق . ٥٦٣ / ٥
- ٥٢٣ - عمر الوقاش . ٥٦٧ / ٥
- ٥٢٤ - عمر الخطاب . ٥٧٣ / ٥
- ٥٢٥ - عمر بن عبد العزيز الخطاب . ٥٧٤ / ٥
- ٥٢٦ - عمر بن مبارك الحصيني . ٥٧٤ / ٥
- ٥٢٧ - عمر الكوش . ٥٧٥ / ٥

- ٥٢٨- عمر بن عوادة. ٥٧٦/٥
٥٢٩- عمر بن السلطان مولاى الحسن. ٥٧٦/٥
٥٣٠- عمران بصرى. ٥٨١/٥
٥٣١- عمران الجاناتى. ٥٨٢/٥
٥٣٢- عياد السنوسى. ٥٨٣/٥
٥٣٣- عائشة العدوية. ٥٨٥/٥
٥٣٤- عيسى بن دافال. ٥٨٥/٥

(حرف الغين المعجمة)

- ٥٣٥- غازى بن الشيخ ابن غازى. ٥٨٧/٥
٥٣٦- الغازى ابن عبود. ٥٨٧/٥
٥٣٧- الغزوانى الدلائى. ٥٨٨/٥
٥٣٨- الغالى الستيسى. ٥٨٩/٥

(حرف الفاء)

- ٥٣٩- فتحون البزازية. ٥٩٩/٥
٥٤٠- فاطمة بنت محمد بن عبد الرحمن بصرى. ٥٩٩/٥
٥٤١- فرج الأندلسى. ٦٠٠/٥
٥٤٢- الفاطمى بن محمد الشيبى. ٦٠١/٥
٥٤٣- الفضيل بن الفاطمى. ٦٠٢/٥
٥٤٤- الفاطمى بن الفضيل. ٦٠٤/٥

(حرف القاف)

- ٥٤٥- القاسم بن عبد الله زغبوش. ٦٠٧/٥
٥٤٦- قاسم بن محمد ابن القاضى. ٦٠٧/٥
٥٤٧- قاسم بن رَحْمُون. ٦١٣/٥

- | | |
|-------|-----------------------------------|
| ٦١٦/٥ | ٥٤٨- قاسم البندورى . |
| ٦١٦/٥ | ٥٤٩- قاسم الدامى المكناسى . |
| ٦٢١/٥ | ٥٥٠- قاسم الحسنوى . |
| ٦٢٢/٥ | ٥٥١- أبو القاسم ابن الأبرش . |
| ٦٢٢/٥ | ٥٥٢- أبو القاسم بن حبيب الحريشى . |
| ٦٢٢/٥ | ٥٥٣- أبو القاسم بن درى الشاوى . |
| ٦٢٧/٥ | ٥٥٤- أبو القاسم بن العميرى . |